

١٣٥٥

327

مجلد ثالث من الكشاف







استعاره من الزمان مع مجلد ملى قبله ومجلد بعده من الكتاب
مكمل بالكل الفقير الى ربه الاحد عبد الرحمن بن علي بن المؤيد
عفا الله عنهم نهار الليل الحادي عشر من محرم الحرام
لسنة خمس عشر وتسعمائة تحريره وحرره في قسطنطينية
المحمية

T.C
İZMİR
HİSAR KÜTÜPHANESİ
SAYI
327

الجزء الثاني من الكشاف من اول سورة مريم الى اخر سورة يس

٢٦٣٠

Süleymaniye Kütüphanesi
KISMI
ESKİ KAYIT 53/2

سورة مريم مكية وهي تسعون وثماني او تسع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

كهيعص بفتح الهاء وكسر اليا حمزة وبكسرهما عاصم وبضمهما الحسن وقرا الحسن ذكر رحمة ربك اى هذا المتلو من القرآن ذكر رحمة ربك وقرى ذكّر على الامر راعى سنة الله في اخفا دعوته لان الجهر والاخفا عند الله سيان وكان الاخفا اولى لانه ابعد من الريا وادخل في الاخلاص وعن الحسن نداء لا ريا فيه او اخفاه لئلا يلام على طلب الولد في زمان الكبر والشيخوخة او اسر من مواليه الذين خافهم او خفت صوته لضعفه وهرمه كما جاء في صفة الشيخ صوته خفات وسمعه تارات واختلف في سن زكريا عليه السلام فقيل ستون وخمس وستون وسبعون وخمس وسبعون وخمس وثمانون وقرى وهن بالحركات الثلث وانما ذكر العظم لانه عمود البدن وبه قوامه وهو اصل بنائه فاذا وهن تداعى وتساقطت قوته ولانه اشد ما فيه واصلبه فاذا وهن كان ما وراءه اوهن ووحده لان الواحد هو الدال على معنى الجنسية وقصده الى ان هذا الجنس الذي هو العمود والقوام واشد ما تركب من الجسد قد اصابه الوهن ولو جمع لكان قصدا الى معنى اخر وهو انه لم يهن منه بعض عظامه ولكن كلها اشتعال السن في الشيب عن ابن عمر وشبه الشيب بشواظ النار في بياضه وانارته وانتشاره في الشعر وفشوه فيه واخذه منه كل ماخذ باشتعال النار ثم اخرجه مخرج الاستعارة ثم اسند الاشتعال الى مكان الشعر ومنبته وهو الراس فاخرج الشيب مميزا ولم يضف الراس اكتفا بعلم المخاطب انه راس زكريا فمن ثم فصحت هذه الجملة وشهد لها بالبلاغة توسل الى الله تعالى بما سلف له معه

من الاستجابة



من الاستجابة وعن بعضهم ان محتاجا سأله وقال انا الذي احسنت الي وقت كذا فقال مرحبا بمن توسل بنا الينا وقضى حاجته كان مواليه وهم عصبته اخوته وبنو عمه شرار بني اسرائيل فخافهم على الدين ان يغيروه ويبدلوه وان لا يحسنوا الخلافة على امته فطلب عقبا من صلبه صالحا يقتدى به في احيا الدين ويرتسم مراسمه فيه من وراى بعد موتي وقرا ابن كثير من وراى بالقصر وهذا الظرف لا يتعلق بخفت لفساد المعنى ولكن بمحذوف او بمعنى الولاية في الموالي اى خفت فعل الموالي وهو تبديلهم وسوء خلافتهم من وراى او خفت الذين يلون الامر من وراى وقرا عثمن ومحمد بن علي وعلي بن الحسين رضي الله عنهم خفت الموالي من وراى وهذا على معنيين احدهما ان يكون من وراى بمعنى خلفي متعلق الظرف بالموالي اى قلوا وعجزوا عن اقامة امر الدين فسال ربه تقويتهم ومظاهرتهم بولي يرزقه والثاني ان يكون بمعنى قدامي متعلق بخفت ويريد انهم خفوا قدامه ودرجوا ولم يبق منهم من به تقو واعتضاد من لدنك تاكيد لكونه وليا مرضيا لكونه مضافا الى الله وصادرا من عنده والا فهب لي وليا يرثني كاف او اراد اختراعا منك بلا سبب لاني وامراتي لا نصلح للولادة يرثني ويرث الجزم جواب الدعا والرفع صفة ونحوه ردا يصدقني وعن ابن عباس والجحدري يرثني وارث آل يعقوب وعن الجحدري أويرث على تصغير وارث وقال غليّم صغير وعن علي رضي الله عنه وجماعة وارث من آل يعقوب اى يرثني به وارث ويسمى التجريد في علم البيان والمراد بالارث ارث الشرع والعلم لان الانبيا لا تورث المال وقيل يرثني الحبورة وكان حبرا ويرث من آل يعقوب الملك يقال ورثته وورثت منه لغتان وقيل من للتبعيض لا للتعدية لان آل يعقوب لم يكونوا كلهم انبيا ولا علما وكان زكريا عليه السلام من نسل يعقوب

بن اسحاق وقيل هو يعقوب بن ماثان اخو زكريا وقيل يعقوب هذا وعمران ابو مريم اخوان

ان من نسل سليمان ابن داود سميا لم يسم احد يحيى قبله وهذا شاهد على ان الاسامي

الشنع جديرة بالاثرة واياها كانت العرب تنتحي في التسمية لكونها انبه وانوه وانزه

عن النبز حتى قال القائل في مدح قوم شنع الاسامي مسبلي ازر حمر تمس الارض بالهدب

وقال رؤبة للنسابة البكري وقد ساله عن نسبه انا ابن العجاج فقال قصرت وعرفت

وقيل مثلا وشبيها عن مجاهد كقوله هل تعلم له سميا وانما قيل للمثل سمي لان كل متشاكلين

يسمى كل واحد منهما باسم المثل والشبيه والشكل والنظير وكل واحد منهما سمي لصاحبه ونحو

يحيى في اسمائهم يعمر ويعيش ان كانت التسمية عربية وقد سموا بيموت ايضا وهو يموت

بن المزرع قالوا لم يكن له مثل في انه لم يعص ولم يهم بمعصية قط وانه ولد بين شيخ فان وعجوز

عاقر وانه كان حصورا اى كانت على صفة العقر حين انا شاب وكهل فما رزقت بالولد

لاختلال احد السببين افحين اختل السببان جميعا ارزقه فان قلت لم طلب

اولا وهو وامراته على صفة العتو والعقر فلما اسعف بطلبته استبعد واستعجب قلت

ليجاب بما اجيب به فيزداد المومنون ايقانا ويرتدع المبطلون والا فمعتقد زكريا

اولا واخرا كان على منهاج واحد في ان الله غني عن الاسباب اى بلغت عتيا وهو

اليبس والجساوة في المفاصل والعظام كالعود القاحل يقال عتا العود وعسا من اجل الكبر

والطعن في السن العالية او بلغت من مدارج الكبر ومراتبه ما يسمى عتيا وقرا ابن وثاب وحمزة

والكسائي بكسر العين وكذلك صليا وابن مسعود بفتحهما فيهما وقرا ابي ومجاهد عسيا

كذلك الكاف رفع اى الامر كذلك تصديق له ثم ابتدا قال ربك او نصب بقال وذلك

اشارة الى مبهم يفسره هو على هين ونحوه وقضينا اليه ذلك الامر ان دابر هولاء مقطوع مصبحين

١

وقرا الحسن وهو علي هين ولا يخرج هذا الا على الوجه الاول اى الامر كما قلت وهو على ذلك

يهون علي ووجه اخر وهو ان يشار بذلك الى ما تقدم من وعد الله لا الى قول زكريا

وقال محذوف في كلتا القراءتين اى قال هو علي هين قال وهو علي هين وان شئت لم

تنوه لان الله هو المخاطب والمعنى انه قال ذلك ووعده وقوله الحق شيا لان المعدوم

ليس بشيء او شيا يعتد به كقولهم عجبت من لا شيء وقوله اذا راى غير شيء ظنه رجلا وقرا

الاعمش والكسائي وابن وثاب خلقناك اى اجعل لي علامة اعلم بها وقوع ما بشرت به قال

علامتك ان تمنع الكلام فلا تطيقه وانت سليم الجوارح سوي الخلق ما بك خرس ولا بكم

دل ذكر الليالي هنا والايام في آل عمران على ان المنع من الكلام استمر به ثلاثة ايام و

لياليهن اوحى اشار عن مجاهد ويشهد له الا رمزا وعن ابن عباس كتب لهم على الارض

سبحوا صلوا او على الظاهر وان هي المفسرة اى خذ التوراة بجد واستظهار بالتوفيق والتاييد

الحكم الحكمة ومنه واحكم اى كن حكيما كحكم فتاة الحي تعال حكم حكما الحكم وهو الفهم للتوراة

والفقه في الدين عن ابن عباس وقيل دعاه الصبيان الى اللعب وهو صبي فقال ما للعب

خلقنا عن الضحاك وعن معمر العقل وقيل النبوة لان الله احكم عقله في صباه واوحى اليه

حنانا رحمة لابويه وغيرهما وتعطفا وشفقة انشد سيبويه وقالت حنان ما اتى بك ههنا

اذو نسب ام انت بالحي عارف وقيل حنانا من الله عليه وحن في معنى ارتاح واشتاق

استعمل في العطف والرافة وقيل لله حنان كما قيل رحيم على سبيل الاستعارة والزكاة

الطهارة وقيل الصدقة اي يعطف على الناس ويصدق عليهم سلم الله عليه في هذه الاحوال

قال ابن عيينة انها اوحش المواطن اذ يدل بن مريم بدل الاشتمال لان الاحيان مشتملة

على ما فيها وفيه ان المقصود بذكر مريم ذكر وقتها هذا الوقوع هذه القصة العجيبة فيه والانتباذ

الاعتزال والانفراد تخلت للعبادة في مكان مما يلي شرقي بيت المقدس او من دارها
معتزلة عن الناس وقيل قعدت في مشرقة للاغتسال من الحيض محتجبة بحائط او بشيء
يسترها وكان موضعها المسجد فاذا حاضت تحولت الى بيت خالتها فاذا طهرت عادت
الى المسجد فبينا هي في مغتسلها اتاها الملك في صورة آدمي شاب امرد وضيء الوجه جعد
الشعر سويا سوي الخلق لم ينتقص من صورة الادمي شيئا او حسن الصورة مستوي الخلق
وانما مثل لها في صورة الانسان لتستانس بكلامه ولا تنفر عنه ولو بدا لها في الصورة الملكية
لنفرت ولم تقدر على استماع كلامه ودل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك
الصورة الجميلة الفائقة الحسن وكان تمثيله على تلك الصفة ابتلاء لها وسبرا لعفتها وقيل
كانت في منزل زوج اختها زكريا ولها محراب على حدة تسكنه وكان زكريا اذا خرج اغلق
عليها الباب فتمنت ان تجد خلوة في الجبل لتفلي راسها فانفرج السقف لها فخرجت فجلست
في المشرقة وراء الجبل فاتاها الملك وقيل قام بين يديها في صورة ترب لها اسمه يوسف
من خدم بيت المقدس وقيل ان النصارى اتخذت المشرق قبلة لانتباذ مريم مكانا
شرقيا الروح جبريل لان الدين يحيى به وبوحيه او سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا
كما تقول لحبيبك انت روحي وقرا ابو حيوة روحنا بالفتح لانه سبب لما فيه روح العباد
واصابة الروح عند الله الذي هو عدة المقربين في قوله فاما ان كان من المقربين فروح وريحان
او لانه من المقربين وهم الموعودون بالروح اي مقربنا وذا روحنا اراد ان كان يرجى
منك ان تتقي الله وتخشاه وتحتفل بالاستعاذة به فاني عائذة به منك كقوله تعالى بقية الله
خير لكم ان كنتم مؤمنين اي انما انا رسول الله من استعذت به لاهب لك لاكون سببا في هبة
الغلام بالنفخ في الدرع وفي بعض المصاحف انما انا رسول ربك امرني ان اهب لك او هي

حكاية لقول الله عز وجل جعل المس عبارة عن النكاح الحلال لانه كناية عنه كقوله من قبل
ان تمسوهن او لامستم النساء والزنى ليس كذلك انما يقال فيه فجر بها وخبث بها وما اشبه
ذلك وليس بقمن ان تراعى فيه الكنايات والاداب والبغي الفاجرة التي تبغي
الرجال وهي فعول عند المبرد بغوي فادغمت الواو في الياء وقال ابن جني في كتاب
التمام هي فعيل ولو كانت فعولا لقيل بغو كما قيل فلان نهو عن المنكر ولنجعله تعليل معلله
محذوف اي ولنجعله اية للناس فعلنا ذلك او هو معطوف على تعليل مضمر اي لنبين
به قدرتنا ولنجعله اية ونحوه وخلق الله السموات والارض بالحق ولتجزى كل نفس بما كسبت
وقوله وكذلك مكنا ليوسف في الارض ولنعلمه مقضيا مقدرا مسطورا في اللوح لا
بد لك من جريه عليك او كان امرا حقيقا بان يكون وتقضى لكونه اية ورحمة والمراد
بالاية العبرة والبرهان على قدرة الله وبالرحمة الشرائع والالطاف وما كان سببا في
قوة الاعتقاد والتوصل الى الطاعة والعمل الصالح فهو جدير بالتكوين عن ابن عباس فاطمأنت
الى قوله فدنا منها فنفخ في جيب درعها فوصلت النفخة الى بطنها فحملت وقيل كانت مدة
الحمل ستة اشهر وعن عطاء وابي العالية والضحاك سبعة اشهر وقيل ثمانية ولم يعش مولود
وضع لثمانية الا عيسى وقيل ثلاث ساعات وقيل حملته في ساعة وصور في ساعة ووضعته
في ساعة حين زالت الشمس من يومها وعن ابن عباس كانت مدة الحمل ساعة واحدة
كما حملته نبذته وقيل حملته وهي بنت ثلاث عشرة سنة وقيل بنت عشر وقد كانت حاضت
حيضتين قبل ان تحمل وقالوا ما من مولود الا يستهل غيره فانتبذت به اي اعتزلت وهو
في بطنها كقوله تدوس بنا الجماجم والتريبا اي تدوس الجماجم ونحن على ظهورها ونحوه قوله تعالى
تنبت بالدهن اي تنبت ودهنها فيها الجار والمجرور في موضع الحال قصيا بعيدا من اهلها

ورا الجبل وقيل اقصى الدار وقيل كانت سميت لابن عم لها اسمه يوسف فلما قيل حملت
من الزنى خاف عليها قتل الملك فهرب بها فلما كان ببعض الطريق حدثته نفسه بان يقتلها
فاتاه جبريل فقال انه من روح القدس فلا تقتلها فتركها اجاء منقول من جاء الا ان استعماله
قد تغير بعد النقل الى معنى الالجاء الا تراك لا تقول جئت المكان واجانيه زيد كما تقول
بلغته وابلغنيه ونظيره آتى حيث لم يستعمل الا في الاعطاء ولم تقل آتيت المكان وآتانيه فلان
قرا ابن كثير في رواية المخاض بالكسر يقال مخضت الحامل مخاضا ومخاضا وهو تمخض الولد
في بطنها طلبت الجذع لتستتر به وتعتمد عليه عند الولادة وكان جذع نخلة يابسة في صحرا
ليس لها راس ولا ثمر ولا خضرة وكان الوقت شتاء والتعريف لا يخلو اما ان يكون
من تعريف الاسماء الغالبة كتعريف النجم وابن الصعق كان تلك الصحرا كان فيها جذع
نخلة متعالم عند الناس فاذا قيل جذع النخلة فهم منه ذلك دون غيره من جذوع النخل
واما ان يكون تعريف الجنس اى جذع هذه الشجرة خاصة كان الله تعالى انما ارشدها
الى النخلة ليطعمها منها الرطب الذى هو خرسة النفساء الموافقة لها ولان النخلة اقل
شي صبرا على البرد وثمارها انما هو من جمارها فلموافقتها لها مع جمع الآيات فيها اختارها
لها والجاها اليها قرى مت بالضم والكسر يقال مات يموت ومات يمات النسي ما من حقه
ان يطرح وينسى كخرقة الطامث ونحوها كالذبح اسم ما من شانه ان يذبح في قوله تعالى
وفديناه بذبح عظيم وعن يونس العرب اذا ارتحلوا عن الدار قالوا انظروا انساكم اى
الشي اليسير نحو العصا والقدح والشظاظ تمنت لو كانت شيا تافها لا يوبه له من شانه
وحقه ان ينسى في العادة وقد نسي وطرح فوجد فيه النسيان الذى هو حقه وذلك لما
لحقها من فرط الحياء والتشوير من الناس على حكم العادة البشرية لا كراهة لحكم الله او لشدة

التكليف عليها اذا بهتوها وهي عارفة ببراءة الساحة وبضد ما قرفت به من اختصاص الله
اياها بغاية الاجلال والاكرام لانه مقام دحض قلما تثبت عليه الاقدام ان تعرف اغتباطك
بامر عظيم وفضل باهر تستحق به المدح وتستوجب التعظيم ثم تراه عند الناس لجهلهم به عيبا
تعاب به وتعنف بسببه او لخوفها على الناس ان يعصوا الله بسببها وقرا ابن وثاب والاعمش
وحمزة نسيا بالفتح قال الفراء هما لغتان كالوتر والوتر والجسر والجسر ويجوز ان يكون مسمى بالمصدر
كالحمل وقرا محمد بن كعب القرظي نسأ بالهمزة وهو الحليب المخلوط بالماء ينسأه اهله لقلته
ونزارته وقرا الاعمش منسيا بالكسر على الاتباع كالمغيرة والمنخر من تحتها هو جبريل عليه السلام
قيل كان يقبل الولد كالقابلة وقيل هو عيسى وهي قراءة عاصم وابي عمرو وقيل تحتها اسفل
من مكانها كقوله تجري من تحتها الانهار وقيل كان اسفل منها تحت الاكمة فصاح بها
الا تحزني وقرا نافع وحمزة والكسائي وحفص من تحتها وفي ناداها ضمير الملك او
عيسى وعن قتادة الضمير في تحتها للنخلة وقرا زر وعلقمة فخاطبها من تحتها سئل النبي صلى الله
عن السري فقال هو الجدول قال لبيد فتوسطا عرض السري فصدعا مسجورة متجاورا
قلامها وقيل هو من السرو والمراد عيسى وعن الحسن كان والله عبدا سريا فان قلت
ما كان حزنها لفقد الطعام والشراب حتى تسلى بالسري والرطب قلت
لم تقع التسلية بهما من حيث انهما طعام وشراب ولكن من حيث انهما معجزتان تريان
الناس انها من اهل العصمة والبعد من الريبة وان مثلها مما قرفوها به بمعزل وان لها امورا
الهية خارجة من العادات خارقة لما الفوا واعتادوا حتى يتبين لهم ان ولادها من غير
فحل ليس ببدع من شانها تساقط فيه تسع قراءات تساقط بادغام التاء وتتساقط باظهار
التاءين وتساقط بطرح الثانية ويساقط بالياء وادغام التاء وتساقط وتسقط ويسقط

ويسقط وتسقط التاء للنخلة والياء للجذع رطبا تمييز او مفعول على حسب القراءة وعن
المبرد جواز انتصابه بهزي وليس بذلك والباء في بجذع النخلة صلة للتأكيد كقوله
تعالى ولا تلقوا بايديكم او على معنى افعلي الهز به كقوله يجرح في عراقيبها نصلي قالوا التمر
للنفساء عادة من ذلك الوقت وكذلك التحنيك وقالوا كان من العجوة وقيل ما للنفساء
خير من الرطب ولا للمريض من العسل وقيل اذا عسر ولادها لم يكن لها خير من الرطب عن
طلحة بن سليمان جنيا بكسر الجيم للاتباع اي جمعنا لك في السري والرطب فائدتين احداهما
الماكل والشرب والثانية سلوة الصدر لكونهما معجزتين وهو معنى قوله فكلي واشربي
وقري عينا اي وطيبي نفسا ولا تغتمي وارفضي عنك ما احزنك واهمك وقرئ وقري بالكسر
لغة نجد فاما ترين بالهمز ابن الرومي عن ابي عمرو وهذا من لغة من يقول لبأت بالحج وحلأت
السويق وذلك لتآخ بين الهمزة وحروف اللين في الابدال صوما صمتا وفي مصحف عبد الله
صمتا وعن انس بن مالك مثله وقيل صياما وكانوا لا يتكلمون في صيامهم وقد نهى
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صوم الصمت لانه نسخ في امته امرها الله بان تنذر الصوم لئلا
تشرع مع البشر المتهمين لها في الكلام لمعنيين احدهما ان عيسى صلوات الله عليه يكفيها الكلام
بما يبرئ به ساحتها والثاني كراهة مجادلة السفهاء ومناقلتهم وفيه ان السكوت عن
السفيه واجب ومن اذل الناس سفيه لم يجد مسافها وقيل اخبرتهم بانها نذرت الصوم
بالاشارة وقيل سوغ لها ذلك بالنطق انسيا اي اكلم الملائكة دون الانس فريا بديعا
وهو من فري الجلد هارون كان اخاها من ابيها من امثل بني اسرائيل وقيل هو اخو
موسى صلوات الله عليهما وعن النبي صلى الله عليه وسلم انما عنوا هرون النبي وكانت من اعقابه
في طبقة الاخوة وبينها وبينه الف سنة واكثر وعن السدي كانت من ولده وانما قيل

اخت هرون كما تقول يا اخا همدان اي يا واحدا منهم وقيل رجل صالح او طالح في زمانها شبهوها
به اي كنت عندنا مثله في الصلاح او شتموها به ولم ترد اخوة النسب ذكر ان هرون الصالح
تبع جنازته اربعون الفا كلهم يسمى هرون تبركا به وباسمه فقالوا كنا نشبهك بهرون
هذا وقرأ عمر بن لجاء التيمي ما كان اباك امرؤ سوء وقيل احتمل يوسف النجار مريم وابنها
الى غار فلبثوا فيه اربعين يوما حتى تعلت من نفاسها ثم جاءت تحمله فكلمها عيسى في
الطريق فقال يا اماه ابشري فاني عبد الله ومسيحه فلما دخلت به على قومها وهم اهل بيت
صالحون تباكوا وقالوا ذلك وقيل هموا برجمها حتى تكلم عيسى فتركوها فاشارت اليه اي
هو الذي يجيبكم اذا استنطقتموه وقيل كان المستنطق لعيسى زكريا عليه السلام وعن السدي
لما اشارت اليه غضبوا وقالوا لسخريتها بنا اشد علينا من زناها وروي انه كان يرضع
فلما سمع ذلك ترك الرضاع واقبل عليهم بوجهه واتكأ على يساره واشار بسبابته وقيل
كلمهم بذلك ثم لم يتكلم حتى بلغ مبلغا يتكلم فيه الصبيان كان لايقاع مضمون الجملة في
زمان ماض مبهم يصلح لقريبه وبعيده وهو ها هنا لقريبه خاصة والدال عليه معنى الكلام
وانه مسوق للتعجب ووجه اخر وهو ان يكون نكلم حكاية حال ماضية اي كيف عهد قبل
عيسى ان نكلم الناس صبيا في المهد فيما سلف من الزمان حتى نكلم هذا انطقه الله اولا
بانه عبد الله ردا لقول النصارى والكتاب هو الانجيل واختلفوا في نبوته وقيل اعطيها في
طفوليته اكمل الله عقله واستنبأه طفلا نظرا الى ظاهر الاية وقيل معناه ان ذلك سبق في
قضائه او جعل الاتي لا محالة كانه قد وجد مباركا اينما كنت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
نفاعا حيث كنت وقيل معلما للخير وقرئ وبرا عن ابي نهيك جعل ذاته برا لفرط بره او نصبه
بفعل في معنى اوصاني وهو كلفني لان اوصاني بالصلوة وكلفنيها واحد والسلام علي قيل

ادخل لام التعريف لتعرفه بالذكر قبله كقولك جاءنا رجل فكان من فعل الرجل كذا والمعنى
وذلك السلام الموجه الى يحيى في المواطن الثلاثة موجه الى والصحيح ان يكون هذا
التعريف تعريضا باللعنة على متهمي مريم عليها السلام واعدائها من اليهود وتحقيقه
ان اللام للجنس فاذا قال وجنس السلام على خاصة فقد عرض بان ضده عليكم ونظيره
قوله تعالى والسلام على من اتبع الهدى يعني ان العذاب على من كذب وتولى وكان
المقام مقام مناكرة وعناد فهو مئنة لنحو هذا من التعريض قرأ عاصم وابن عامر قول الحق
بالنصب وعن ابن مسعود قال الحق وقال الله وعن الحسن قُول الحق بضم القاف وكذلك
في الانعام قوله الحق والقول والقال والقُول في معنى واحد كالرَهَب والرُهب وارتفاعه
على انه خبر بعد خبر او بدل وخبر مبتدا محذوف واما انتصابه فعلى المدح ان فسر
بكلمة الله وعلى انه مصدر مؤكد لمضمون الجملة ان اريد قول الثبات والصدق كقولك
هو عبد الله الحقَّ لا الباطل وانما قيل لعيسى كلمة الله وقول الحق لانه لم يولد الا بكلمة الله وحدها
وهي قوله كن من غير واسطة اب تسمية للمسبب باسم السبب كما سمي العشب بالسماء
والشحم بالندى ويحتمل اذا اريد بقول الحق عيسى ان يكون الحق اسم الله عز وجل وان يكون بمعنى
الثبات والصدق ويعضده قوله الذي فيه يمترون اي امر حق يقين وهم فيه شاكون
يمترون يشكون والمرية الشك او يتمارون يتلاحون قالت اليهود ساحر كذاب وقالت
النصارى ابن الله وثالث ثلاثة وقرأ علي بن ابي طالب رضي الله عنه تمترون على الخطاب
عن ابي بن كعب قول الحق الذي كان الناس فيه يمترون كذب النصارى وبكتهم بالدلالة
على انتفاء الولد عنه وانه مما لا يتاتى ولا يتصور في العقول وليس بمقدور عليه اذ من المحال
غير المستقيم ان تكون ذاته كذات من ينشا منه الولد ثم بين احالة ذلك بان من اذا اراد شيئا

من الاجناس

من الاجناس كلها اوجده بكن كان منزها من شبه الحيوان الوالد والقول ها هنا مجاز
ومعناه ان ارادته للشيء يتبعها كونه لا محالة من غير توقف فشبه ذلك بامر الآمر المطاع اذا
ورد على المامور الممتثل قرأ المدنيون وابو عمرو بفتح ان ومعناه ولانه ربي وربكم فاعبدوه
كقوله وان المساجد لله فلا تدعوا مع الله احدا والاسناد وابو عبيد بالكسر على الابتداء وفي
حرف ابي ان الله بالكسر بغير واو وبان الله اي بسبب ذلك فاعبدوه الاحزاب اليهود
والنصارى عن الكلبي وقيل النصارى لتحزبهم ثلاث فرق نسطورية ويعقوبية وملكانية
وعن الحسن الذين تحزبوا على الانبياء لما قص عليهم قصة عيسى اختلفوا فيه من بين الناس
من مشهد يوم عظيم اي من شهودهم هول الحساب والجزاء في يوم القيمة او من مكان الشهود
فيه وهو الموقف او من وقت الشهود او من شهادة ذلك اليوم العظيم عليهم وان
تشهد عليهم الملائكة والانبياء والسنتهم وايديهم وارجلهم بالكفر وسوء الاعمال او من مكان
الشهادة او وقتها وقيل هو ما قالوه وشهدوا به في عيسى وامه لا يوصف الله تعالى
بالتعجب وانما المراد ان اسماعهم وابصارهم يومئذ جدير بان يتعجب منهما بعد ما كانوا صما
وعميا في الدنيا وقيل معناه التهديد بما سيسمعون وسيبصرون مما يسوءهم ويصدع قلوبهم
اوقع الظاهر اعني الظالمين موقع الضمير اشعارا بان لا ظلم اشد من ظلمهم حيث اغفلوا
الاستماع والنظر حين يجدي عليهم ويسعدهم والمراد بالضلال المبين اغفال النظر والاستماع
قضي الامر فرغ من الحساب وتصادر الفريقان الى الجنة والنار وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل
عنه فقال حين يذبح الكبش والفريقان ينظران واذ بدل من يوم الحسرة او منصوب
بالحسرة وهم في غفلة متعلق بقوله في ضلال مبين عن الحسن وانذرهم اعتراض او هو متعلق
بانذرهم اي وانذرهم على هذه الحال غافلين غير مؤمنين يحتمل انه يميتهم ويخرب ديارهم

وانه يغني اجسادهم وبني الارض ويذهب بها الصديق من ابنيه المبالغه ونظيره الضحيك
والنطوق والمراد فرط صدقه وكثرة ما صدق به من غيوب الله واياته وكتبه ورسله ف
كان الرجحان والغلبة في هذا التصديق للكتب والرسل اي كان مصدقا لجميع الانبياء
وكتبهم وكان نبيا في نفسه كقوله تعالى بل جاء بالحق وصدق المرسلين او كان بليغا في
الصدق لان ملاك امر النبوة الصدق ومصدق الله باياته ومعجزاته تحري ان يكون كذلك
وهذه الجمله وقعت اعتراضا بين المبدل منه وبدله اعني ابرهيم واذ قال نحو قولك رايت
زيدا ونعم الرجل اخاك ويجوز ان يتعلق اذ بكان او بصديقا نبيا اي كان جامعا لخصايص
الصديقين والانبياء حين خاطب اباه تلك المخاطبات والمراد بذكر الرسول اياه
وقصته في الكتاب ان يتلو ذلك على الناس ويبلغه اياهم كقوله واتل عليهم نبا ابرهيم
والا فالله عز وعلا هو ذاكره ومورده في تنزيله التاء في يا ابت عوض من ياء الاضافه ولا يقال
يا ابتي لئلا يجمع بين العوض والمعوض منه وقيل يا ابتا لكون الالف بدلا من الياء وشبه
ذلك سيبويه باينق وتعويض الياء فيه بدلا عن الواو الساقطه انظر حين اراد ان ينصح
اباه ويعظه فيما كان متورطا فيه من الخطاء العظيم والارتكاب الشنيع الذي عصى فيه امر
العقل وانسلخ عن قضية التمييز ومن الغباوة التي ليس بعدها كيف رتب الكلام معه في احسن
اتساق وساقه ارشق مساق مع استعمال المجامله واللطف والرفق واللين والادب الجميل
والخلق الحسن منتصحا في ذلك بنصيحة ربه جل وعلا حدث ابو هريره قال قال رسول الله
صلى الله عليه اوحى الله الى ابرهيم عليه السلام انك خليلي حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مداخل
الابرار فان كلمتي سبقت لمن حسن خلقه اظله تحت عرشي واسكنه حظيرة القدس وادنيه
من جواري وذلك انه طلب منه اولا العلة في خطائه طلب منبه على تماديه موقظ لافراطه

ومناهيه

وتناهيه لان المعبود لو كان حيا مميزا سميعا بصيرا مقتدرا على الثواب والعقاب نافعا
ضارا الا انه بعض الخلق لا ستخف عقل من اهله للعباده ووصفه بالربوبيه ولسجل عليه
بالغي المبين والظلم العظيم وان كان اشرف الخلق واعلاهم منزلة كالملائكة والنبيين قال الله
تعالى ولا يامركم ان تتخذوا الملائكه والنبيين اربابا ايامركم بالكفر بعد اذ انتم مسلمون وذلك
ان العباده هي غاية التعظيم فلا تحق الا لمن له غاية الانعام وهو الخالق الرازق المحيي المميت
المثيب المعاقب الذي منه اصول النعم وفروعها فاذا وجهت الى غيره وتعالى علوا كبيرا ان
تكون هذه الصفه لغيره لم يكن الا ظلما وعتوا وغيا وكفرا وجحودا وخروجا عن الصحيح النير
الى الفاسد المظلم فما ظنك بمن وجه عبادته الى جماد ليس به حس وشعور فلا يسمع يا عابده ذكرك
له وثناك عليه ولا يرى هيات خضوعك وخشوعك له فضلا ان يغني عنك بان تستدفعه
بلاء فيدفعه او تسنح لك حاجه فيكفيكها ثم ثنى بدعوته الى الحق مترفقا به متلطفا فلم يسم اباه
بالجهل المفرط ولا نفسه بالعلم الفائق ولكنه قال ان معي طائفة من العلم وشيئا منه ليس لك
معك وذلك علم الدلاله على الطريق السوي فلا تستنكف وهب اني واياك في مسير
وعندي معرفة بالهداية دونك فاتبعني انجك من ان تضل وتتيه ثم ثلث بتثبيطه ونهيه
عما كان عليه بان الشيطان الذي استعصى على ربك الرحمن الذي جميع ما عندك من النعم
من عنده وهو عدوك الذي لا يريد بك الا كل هلاك وخزي ونكال وعدو ابيك ادم و
ابناء جنسك كلهم هو الذي ورطك في هذه الضلاله وامرك بها وزينها لك فانت ان
حققت النظر عابد الشيطان الا ان ابرهيم عليه السلام لامعانه في الاخلاص ولارتقاء همته
في الربانيه لم يذكر من جنايتي الشيطان الا التي تختص منهما برب العزه من عصيانه واستكباره
ولم يلتفت الى ذكر معاداته لادم وذريته كان النظر في عظم ما ارتكب من ذلك غمر فكره واطبق

ما ذهب اليه ثم ربّع بتخويفه سوٴ العاقبه وما يجرّه ما هو فيه من التبعه والوبال ولم يخل ذلك من
حسن الادب حيث لم يصرح بان العقاب لاحق له وان العذاب لاصق به ولكنه قال
اخاف ان يمسك عذاب فذكر الخوف والمس ونكر العذاب وجعل ولايه الشيطن و
دخوله في جمله اشياعه واوليائه اكبر من العذاب وذلك ان رضوان الله اكبر من الثواب
نفسه وسماه الله المشهود له بالفوز العظيم حيث قال ورضوان من الله اكبر ذلك هو الفوز
العظيم فكذلك ولايه الشيطن التي هي معارضه رضوان الله اكبر من العذاب نفسه واعظم
وصدّر كل نصيحه من النصائح الاربع بقوله يا ابت توسلا اليه واستعطافا ما في ما لا يسمع
وما لا يبصر يجوز ان يكون موصوله وموصوفه والمفعول في لا يسمع ولا يبصر منسي غير منوي
كقولك ليس به استماع ولا ابصار وشيا يحتمل وجهين احدهما ان يكون في موضع المصدر اي
شيا من الغنا ويجوز ان يقدر نحوه مع الفعلين السابقين والثاني ان يكون في موضع
مفعولا به من قولهم اغن عني وجهك قد جاني فيه تجدد العلم عنده لما اطلع على سماجه
صوره امره وهدم مذهبه بالحجج القاطعه وناصحه المناصحه العجيبه مع تلك الملاطفات اقبل
عليه الشيخ بفظاظه الكفر وغلظه العناد فناداه باسمه ولم يقابل يا ابت بيا بني وقدم الخبر
على المبتدا في قوله اراغب انت عن الهتي لانه كان اهم عنده وهو عنده اعنى وفيه ضرب
من التعجب والانكار لرغبته عن الهته وان الهته ما ينبغي ان يرغب عنها احد وفي هذا سلوان
وثلج لصدر رسول الله صلى الله عليه عما كان يلقى من مثل ذلك من كفار قومه لارجمنك لارمينك
بلساني يريد الشتم والذم ومنه الرجيم المرمي باللعن او لاقتلنك من رجم الزاني او لاطردنك
رميا بالحجاره واصل الرجم الرمي بالرجام مليا زمانا طويلا من الملاوه او مليا بالذهاب عني
والهجران قبل ان اثخنك بالضرب حتى لا تقدر ان تبرح فلان ملي بكذا اذا كان مطيقا له مضطلعا

به فان

فان قلت علام عطف واهجرني قلت على معطوف عليه محذوف يدل عليه
لارجمنك اي فاحذرني واهجرني لان لارجمنك تهديد وتقريع سلام عليك سلام توديع
ومتاركه كقوله تعالى لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وقوله واذا خاطبهم
الجاهلون قالوا سلاما وهذا دليل على جواز متاركه المنصوح له والحال هذه ويجوز ان يكون
قد دعا له بالسلامه استماله له الا ترى انه وعده الاستغفار فان قلت كيف جاز له
ان يستغفر للكافر وان يعده ذلك قلت قالوا اراد اشتراط التوبه عن الكفر كما ترد
الاوامر والنواهي الشرعيه على الكفار والمراد اشتراط الايمان وكما يومر المحدث والفقير
بالصلوه والزكوه ويراد اشتراط الوضوٴ والنصاب وقالوا انما استغفر له بقوله واغفر لابي
انه كان من الضالين لانه وعده ان يومن واستشهدوا بقوله تعالى وما كان استغفار ابرهيم
لابيه الا عن موعده وعدها اياه ولقائل ان يقول الذي منع من الاستغفار للكافر انما
هو السمع فاما القضيه العقليه فلا تاباه فيجوز ان يكون الوعد بالاستغفار والوفا به قبل
ورود السمع بناء على قضيه العقل والذي يدل على صحته قوله تعالى الا قول ابرهيم لابيه لا
ستغفرن لك فلو كان شارطا للايمان لم يكن مستنكرا ومستثنى عما وجبت فيه الاسوه
واما عن موعده وعدها اياه فالواعد هو ابرهيم لا ازر اي ما قال واغفر لابي الا عن قوله
لاستغفرن لك وتشهد له قراه حماد الراويه وعدها اباه والله اعلم الحفي البليغ في البر
والالطاف حفي به وتحفى به اراد بالاعتزال المهاجره الى الشام المراد بالدعا العباده لانه منها
ومن وسائطها ومن قوله عليه السلام الدعا هو العباده ويدل عليه قوله فلما اعتزلهم وما
يعبدون ويجوز ان يراد الدعا الذي حكاه الله في سوره الشعرا عرض بشقاوتهم بدعا
الهتهم في قوله عسى ان لا اكون بدعا ربي شقيا مع التواضع لله في كلمه عسى وما فيه من هضم

النفس ما جسر على الله احد ترك الكفار الفسقة لوجهه فخوضه اولادا مومنين انبياء من رحمتنا
هي النبوة عن الحسن وعن الكلبي المال والولد ويكون عامه في كل خير ديني ودنيوي اوتوه
لسان الصدق الثنا الحسن وعبر باللسان عما يوجد باللسان كما عبر باليد عما يطلق باليد
وهي العطية قال اني اتتني لسان لا اسر بها من الرساله ولسان العرب لغتهم وكلامهم استجاب الله
دعوته واجعل لي لسان صدق في الاخرين فصيره قدوة حتى ادعاه اهل الاديان كلهم وقال عز
وجل ملة ابيكم ابراهيم وملة ابرهيم حنيفا ثم اوحينا اليك ان اتبع ملة ابرهيم حنيفا واعطى
ذلك ذريته فاعلى ذكرهم واثنى عليهم كما اعلى ذكره واثنى عليه المخلص بالكسر الذي اخلص
العباده عن الشرك والريا او اخلص نفسه واسلم وجهه لله وبالفتح الذي اخلصه الله الرسول
الذي معه كتاب من الانبياء والنبي الذي ينبئ عن الله عز وجل وان لم يكن معه كتاب كيوشع
الايمن من اليمين اي من ناحيته اليمنى او من اليمن صفة للطور او للجانب شبهه بمن قربه
بعض العظماء للمناجاة حيث كلمه بغير واسطة ملك وعن ابي العاليه قربه حتى سمع صريف القلم
الذي كتبت به التورية من رحمتنا من اجل رحمتنا له وترؤفنا عليه وهبنا له هرون او بعض
رحمتنا كما في قوله ووهبنا لهم من رحمتنا واخاه على هذا الوجه بدل وهرون عطف بيان
كقولك رايت رجلا اخاك زيدا وكان هرون اكبر من موسى فوقعت الهبة على معاضدته
وموازرته كذا عن ابن عباس رضي الله عنه ذكر اسمعيل عليه السلام بصدق الوعد وان كان
موجودا في غيره من الانبياء تشريفا له واكراما كالتلقيب بنحو الحليم والاواه والصديق ولانه المشهور
المتواصف من خصاله عن ابن عباس انه وعد صاحبا له ان ينتظره في مكان فانتظره سنة و
ناهيك انه وعد من نفسه الصبر على الذبح فوفى حيث قال ستجدني ان شاء الله من الصابرين
كان يبدا باهله في الامر بالصلاح والعبادة ليجعلهم قدوة لمن وراءهم ولانهم اولى من سائر الناس

واذكر

وانذر عشيرتك الاقربين وامر اهلك ان اهله امته كلهم من القرابة وغيرهم لان امم النبيين في
عداد اهاليهم وفيه ان من حق الصالح ان لا يالو نصحا للاجانب فضلا عن الاقارب والمتصلين
وان يحظيهم بالفوائد الدينية ولا يفرط في ذلك قيل سمي ادريس لكثرة دراسته كتاب الله
وكان اسمه اخنوخ وهو غير صحيح لانه لو كان افعيلا من الدرس لم يكن فيه الا سبب
واحد وهو العلمية وكان منصرفا فامتناعه من الصرف دليل العجمة وكذلك ابليس اعجمي و
ليس من الابلاس كما يزعمون ولا يعقوب من العقب ولا اسرائيل من اسرال كما زعم ابن السكيت
ومن لم يحقق ولم يتدرب بالصناعة كثرت منه امثال هذه الهنات ويجوز ان يكون معنى
ادريس في تلك اللغة قريبا من ذلك فحسبه الراوي مشتقا من الدرس المكان العلي
شرف النبوة والزلفى عند الله وقد انزل الله عليه ثلثين صحيفة وهو اول من خط بالقلم و
نظر في علم النجوم والحساب واول من خاط الثياب ولبسها وكانوا يلبسون الجلود وعن
انس بن مالك يرفعه انه رفع الى السماء الرابعة وعن ابن عباس الى السماء السادسة
وعن الحسن الى الجنة لا شيء اعلى من الجنة وعن النابغة الجعدي انه لما انشد رسول الله صلى
الله عليه وسلم الشعر الذي اخره بلغنا السماء مجدنا وسناءنا وانا لنرجو فوق ذلك مظهرا قال رسول
الله الى اين يا ابا ليلى قال الى الجنة اولئك اشارة الى المذكورين في السورة من لدن زكريا الى ادريس
ومن في من النبيين للبيان مثلها في قوله تعالى في اخر سورة الفتح وعد الله الذين امنوا
وعملوا الصالحات منهم مغفرة لان جميع الانبياء منعم عليهم ومن الثانية للتبعيض وكان ادريس
من ذرية ادم لقربه منه لانه جد ابي نوح وابرهيم من ذرية من حمل مع نوح لانه من ولد
سام بن نوح واسمعيل من ذرية ابرهيم وموسى وهارون وزكريا ويحيى من ذرية اسرائيل وكذلك
عيسى لان مريم من ذريته وممن هدينا يحتمل العطف على من الاولى والثانية ان جعلت الذين

خبر لأولئك كان الذين تتلى كلاماً مستأنفاً وإن جعلته صفة له كان خبراً لخروا. قرأ شبل بن عباد
المكي يتلى بالتذكير لأن التأنيث غير حقيقي مع وجود الفاصل. البكي جمع باك كالسجود و
القعود في جمع ساجد وقاعد. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم اتلوا القرآن وابكوا فإن لم تبكوا
فتباكوا. وعن صالح المري قرأت القرآن على رسول الله صلى الله عليه في المنام فقال لي يا
صالح هذه القراءة فأين البكاء. وعن ابن عباس إذا قرأتم سجدة سبحان فلا تعجلوا بالسجود
حتى تبكوا فإن لم تبك عين أحدكم فليبك قلبه. وعن رسول الله صلى الله عليه إن القرآن
نزل بحزن فإذا قرأتموه فتحازنوا. وقالوا يدعو في سجدة التلاوة بما يليق بآيتها فإن قرأ آية
تنزيل السجدة قال اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك المسبحين بحمدك وأعوذ بك
أن أكون من المستكبرين عن أمرك. وإن قرأ سجدة سبحان قال اللهم اجعلني من الباكين
إليك الخاشعين لك. وإن قرأ هذه قال اللهم اجعلني من عبادك المنعم عليهم المهتدين الساجدين
لك الباكين عند تلاوة آياتك. خلفه إذا عقبه ثم قيل في عقب الخير خلف بالفتح وفي
عقب السوء خلف بالسكون كما قالوا وعد في ضمان الخير ووعيد في ضمان الشر. عن ابن
عباس رضي الله عنه هم اليهود تركوا الصلاة المفروضة وشربوا الخمر واستحلوا نكاح الأخت
من الأب. وعن إبراهيم ومجاهد أضاعوها بالتأخير. وينصر الأول قوله إلا من تاب وآمن
يعني الكفار. وعن علي رضي الله عنه في قوله واتبعوا الشهوات من بنى الشديد المشيد
وركب المنظور ولبس المشهور. وعن قتادة هو في هذه الأمة. وقرأ ابن مسعود والحسن و
الضحاك الصلوات بالجمع. كل شر عند العرب غي وكل خير رشاد قال فمن يلق خيراً يحمد الناس
أمره ومن يغو لا يعدم على الغي لائماً. وعن الزجاج جزاء الغي كقوله يلق أثاماً أي مجازاة أثام أو
غياً عن طريق الجنة. وقيل غي واد في جهنم تستعيذ منه أوديتها. وروى الأخفش يلقون. قرئ

يُدخلون ويَدخلون. أي لا ينقصون شيئاً من جزاء أعمالهم ولا يمنعونه بل يضاعف لهم بياناً لأن
تقدم الكفر لا يضرهم إذا تابوا من قولك ما ظلمك أن تفعل كذا بمعنى ما منعك أو لا يظلمون
البتة أي شيئاً من الظلم. لما كانت الجنة مشتملة على جنات عدن أبدلت منها كقولك
أبصرت دارك القاعة والعلالي. وعدن معرفة علم لمعنى العدن وهو الإقامة كما
جعلوا فينة وسحر وأمس فيمن لم يصرفه أعلاماً لمعاني الفينة والسحر والأمس فجرى مجرى
العلم لذلك أو هو علم لأرض الجنة لكونها مكان إقامة ولولا ذلك لما ساغ الإبدال لأن
النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة ولما ساغ وصفها بالتي. وقرئ جنات عدن و
جنة عدن بالرفع على الابتداء. أي وعدها وهي غائبة عنهم غير حاضرة أو هم غائبون عنها لا يشاهدونها
أو بتصديق الغيب والإيمان به. مأتياً مفعول بمعنى فاعل والوجه أن الوعد هو
الجنة وهم يأتونها أو هو من قولك أتى إليه إحساناً أي كان وعده مفعولاً منجزاً. اللغو فضول
الكلام وما لا طائل تحته وفيه تنبيه ظاهر على وجوب تجنب اللغو واتقائه حيث نزه
الله عنه الدار التي لا تكليف فيها وما أحسن قوله وإذا مروا باللغو مروا كراماً وإذا
سمعوا اللغو أعرضوا عنه وقالوا لنا أعمالنا ولكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين نعوذ بالله
من اللغو والجهل والخوض فيما لا يعنينا. أي إن كان تسليم بعضهم على بعض أو تسليم الملائكة
عليهم لغواً فلا يسمعون لغواً إلا ذلك فهو من وادي قوله ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم
بهن فلول من قراع الكتائب. أو لا يسمعون فيها إلا قولاً يسلمون فيه من العيب والنقيصة
على الاستثناء المنقطع. أو لأن معنى السلام هو الدعاء بالسلامة ودار السلام هي دار السلامة
وأهلها عن الدعاء بالسلامة أغنياء فكان ظاهره من باب اللغو وفضول الحديث لولا ما فيه
من فائدة الإكرام. من الناس من يأكل الوجبة ومنهم من يأكل متى وجد وهي عادة المنهومين

ومنهم من يتغدى ويتعشى وهو العادة الوسطى المحمودة ولا يكون ثم ليل ولا نهار ولكن على التقدير
ولان المتنعم عند العرب من وجد غداء وعشاء وقيل اراد دوام الرزق ودروره كما
تقول انا عند فلان صباحا ومساء وبكرة وعشيا تريد الديمومة ولا تقصد الوقتين المعلومين
نورث وقرئ نورّث استعارة اي نبقي عليه الجنة كما نبقي على الوارث مال المورث ولان
الاتقياء يلقون ربهم يوم القيمة قد انقضت اعمالهم وثمرتها باقية وهي الجنة فاذا ادخلهم
الجنة فقد اورثهم من تقواهم كما يورث الوارث المال من المتوفى وقيل اورثوا من الجنة المساكن
التي كانت لاهل النار لو اطاعوا وما نتنزل حكاية قول جبريل صلوات الله عليه حين
استبطاه رسول الله روي انه احتبس اربعين يوما وقيل خمسة عشر وذلك حين سئل عن قصة
اصحاب الكهف وذي القرنين والروح فلم يدر كيف يجيب ورجا ان يوحى اليه فيه فشق
ذلك عليه مشقة شديدة وقال المشركون ودعه ربه وقلاه فلما نزل جبريل قال له النبي صلى الله
عليه ابطأت حتى ساء ظني واشتقت اليك قال اني كنت اشوق ولكني عبد مامور اذا
بعثت نزلت واذا حبست احتبست وانزل الله هذه الاية وسورة والضحى والتنزل على
معنيين معنى النزول على مهل ومعنى النزول على الاطلاق كقوله فلست لانسي ولكن لملاك تنزل
من جو السماء يصوب لانه مطاوع نزّل ونزّل يكون بمعنى انزل وبمعنى التدريج واللائق بهذا
الموضع هو النزول على مهل والمراد ان نزولنا في الاحايين وقتا غب وقت ليس الا بامر الله و
على ما يراه صوابا وحكمة وله ما قدامنا وما خلفنا من الجهات والاماكن وما نحن فيها فلا نتمالك
ان ننتقل من جهة الى جهة ومكان الى مكان الا بامر المليك ومشيئته وهو الحافظ العالم
بكل حركة وسكون وما يحدث ويتجدد من الاحوال لا يجوز عليه الغفلة والنسيان فانى
لنا ان نتقلب في ملكوته الا اذا راى ذلك مصلحة وحكمة واطلق لنا الاذن فيه وقيل ما سلف

من امر الدنيا وما نستقبل من امر الاخرة وما بين ذلك ما بين النفختين وهو اربعون سنة وقيل ما
مضى من اعمارنا وما غبر منها والحال التي نحن فيها وقيل ما قبل وجودنا وما بعد فنائنا وقيل
الارض التي بين ايدينا اذا نزلنا والسماء التي وراءنا وما بين السماء والارض والمعنى
انه المحيط بكل شيء لا تخفى عليه خافية ولا يعزب عنه مثقال ذرة فكيف نقدم على فعل
نحدثه الا صادرا عما توجبه حكمته ويامرنا به ويأذن لنا فيه وقيل معنى وما كان ربك
نسيا وما كان تاركا لك كقوله ما ودعك ربك وما قلى اي ما كان امتناع النزول الا
لامتناع الامر به واما احتباس الوحي فلم يكن عن ترك الله لك وتوديعه اياك ولكن لتوقفه على
المصلحة وقيل هي حكاية قول المتقين حين يدخلون الجنة اي وما ننزل الجنة الا باذن من الله
علينا بثواب اعمالنا وامرنا بدخولها وهو المالك لرقاب الامور كلها السالفة والمترقبة
والحاضرة اللاطف في اعمال الخير والموفق لها والمجازي عليها ثم قال الله تعالى تقريرا لقولهم
وما كان ربك نسيا لاعمال العاملين غافلا عما يجب ان يثابوا به وكيف يجوز النسيان
والغفلة على ذي ملكوت السماء والارض وما بينهما ثم قال لرسوله صلى الله عليه حين عرفه
على هذه الصفة فاقبل على العمل واعبده يثبك كما اثاب غيرك من المتقين وقرا الاعرج و
ما يتنزل بالياء على الحكاية عن جبريل والضمير للوحي وعن ابن مسعود الا بقول ربك يجب
ان يكون الخلاف في النبي مثله في الشئ رب السموات والارض بدل من ربك ويجوز
ان يكون خبر مبتدأ محذوف اي هو رب السموات والارض فاعبده كقوله وقائلة خولان
فانكح فتاتهم وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون وما كان ربك نسيا من كلام المتقين وما بعده
من كلام رب العزة فان قلت لان العبادة جعلت بمنزلة القرن في قولك للمحارب
اصطبر لقرنك اي اثبت له فيما يورد عليك من شداته اريد ان العبادة تورد عليك شدائد

ومشاق فانت لها ولا تغتمّ ولا يضق صدرك عن الغاتك من اهل الكتاب اليك المغايظ
وعن احتباس الوحي عليك مدة وشماتة المشركين بك هل تعلم له سميا لم يسم شيء بالله قط وكانوا يقولون
لاصنامهم آلهة والعزى إله واما الذي عوض منه الالف واللام من الهمزة فمخصوص به
المعبود الحق غير مشارك فيه وعن ابن عباس لا يسمى احد الرحمن غيره ووجه اخر هل
تعلم من يسمى باسمه على الحق دون الباطل لان التسمية على الباطل في كونها غير معتد بها كلا
تسمية وقيل مثلا وشبيها اي اذا صح ان لا معبود يوجه اليه العبادة الا هو وحده
لم يكن بد من عبادته والاصطبار على مشاقها وتكاليفها يحتمل ان يراد بالانسان الجنس
باسره وان يراد بعض الجنس وهم الكفرة **فان قلت** لم جازت ارادة الاناسي
كلهم وكلهم غير قائلين ذلك **قلت** لما كانت هذه المقالة موجودة فيمن هو من جنسهم
صح اسناده الى جميعهم كما يقولون بنو فلان قتلوا فلانا وانما القاتل رجل منهم وقال الفرزدق
فسيف بني عبس وقد ضربوا به نبا بيدي ورقاء عن رأس خالد فقد اسند الضرب الى بني
عبس مع قوله نبا بيدي ورقاء وهو ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي **فان قلت** بم
انتصب اذا وانتصابه باخرج ممتنع لاجل اللام لا تقول اليوم لزيد قائم **قلت** بفعل
مضمر يدل عليه المذكور **فان قلت** لام الابتداء الداخلة على المضارع تعطي معنى
الحال فكيف جامعت حرف الاستقبال **قلت** لم تجامعها الا مخلصة للتوكيد كما
اخلصت الهمزة في يا الله للتعويض واضمحل عنها معنى التعريف وما في اذا ما للتوكيد ايضا فكانهم
قالوا أحقا انا سنخرج احياء حين يتمكن فينا الموت والهلاك على وجه الاستبعاد والمراد الخروج
من الارض او من حال الفناء او هو من قولهم خرج فلان عالما وخرج شجاعا اذا كان نادرا في
ذلك يريد سأخرج حيا نادرا على سبيل الهزء وقرأ الحسن وابو حيوة لسوف اخرج وعن طلحة

بن مصرف لساخرج كقراءة ابن مسعود ولسيعطيك وتقدم الظرف وايلاؤه حرف الانكار
من قبل ان ما بعد الموت هو وقت كون الحياة منكرة ومنه جاء انكارهم فهو كقولك
للمسيء الى المحسن أحين تمت عليك نعمة فلان اسأت اليه الواو عطفت لا يذكر على يقول
ووسطت همزة الانكار بين المعطوف عليه وحرف العطف يعني ايقول ذلك ولا يتذكر حال
النشأة الاولى حتى لا ينكر الاخرى فان تلك اعجب واغرب وادل على قدرة الخالق
حيث اخرج الجواهر والاعراض من العدم الى الوجود ثم اوقع التأليف مشحونا بضروب الحكم
التي تحار الفطن فيها من غير حذو على مثال واقتداء بمؤلف ولكن اختراعا وابداعا من
عند قادر جلت قدرته ودقت حكمته واما الثانية فقد تقدمت نظيرتها وعادت لها
كالمثال المحتذى عليه وليس فيها الا تأليف الاجزاء الموجودة الباقية وتركيبها
وردها الى ما كانت عليه مجموعة بعد التفكيك والتفريق وقوله ولم يك شيئا دليل على هذا
المعنى وكذلك قوله وهو اهون عليه على ان رب العزة سواء عليه النشأتان لا تفاوت
في قدرته الصعب والسهل ولا يحتاج الى احتذاء على مثال ولا استعانة بحكيم ولا نظر في
مقياس ولكن يواجه جاحد البعث بذلك دفعا في نحر معاندته وكشفا عن صفحة
جهله القراء كلهم لا يذكر بالتشديد الا نافعا وابن عامر وعاصما وقد خففوا وفي حرف
ابي يتذكر من قبل من قبل الحالة التي هو فيها وهي حالة بقائه في اقسام الله تعالى باسمه تقدست
اسماؤه مضافا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم تفخيم لشأن رسول الله ورفع منه كما رفع من شأن
السماء والارض في قوله فورب السماء والارض انه لحق والواو في والشياطين يجوز ان تكون
للعطف وبمعنى مع وهي بمعنى مع اوقع والمعنى انهم يحشرون مع قرنائهم من الشياطين الذين
اغووهم يقرن كل كافر مع شيطان في سلسلة **فان قلت** هذا اذا اريد بالانسان

الكفرة خاصة فان اريد الاناسي على العموم فكيف يستقيم حشرهم مع الشيطان **قلت**
اذا حشر جميع الناس حشرا واحدا وفيهم الكفرة مقرونين بالشياطين فقد حشروا مع الشياطين
كما حشروا مع الكفرة **فان قلت** فهلا عزل السعداء عن الاشقياء في الحشر كما عزلوا
عنهم في الجزاء **قلت** لم تفرق بينهم وبينهم في المحشر واحضروا حيث تجاثوا حول
جهنم واوردوا معهم النار ليشاهد السعداء الاحوال التي نجاهم الله منها وخلصهم فيزدادوا
لذلك غبطة الى غبطة وسرورا الى سرور ويشمتوا باعداء الله واعدائهم فتزداد مساءتهم وحسرتهم
وما تغيظهم من سعادة اولياء الله وشماتتهم بهم **فان قلت** ما معنى احضارهم جثيا
قلت اما اذا فسر الانسان بالخصوص فالمعنى انهم يعتلون من المحشر الى شاطئ جهنم
عتلا على حالهم التي كانوا عليها في الموقف جثاة على ركبهم غير مشاة
على اقدامهم وذلك ان اهل الموقف وصفوا بالجثو قال الله تعالى وترى كل امة جاثية
على العادة المعهودة في مواقف المقاولات والمناقلات من تجاثي على الركب لما
في ذلك من الاستيفاز والقلق واطلاق الحبى وخلاف الطمانينة او لما بدههم من شدة
الامر التي لا يطيقون معها القيام على ارجلهم فيحبون على ركبهم حبوا وان فسر بالعموم
فالمعنى انهم يتجاثون عند موافاة شاطئ جهنم على ان جثيا حال مقدرة كما كانوا
في الموقف متجاثين لانه من التوابع المواقف للحساب قبل التوصل الى الثواب والعقاب
والمراد بالشيعة وهي فعلة كفرقة وفئة الطائفة التي شاعت اي تبعت غاويا من الغواة
قال الله تعالى ان الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا يريد نمتاز من كل طائفة من طوائف الغي
والفساد اعصاهم فاعصاهم واعتاهم فاعتاهم فاذا اجتمعوا طرحناهم في النار على الترتيب
نقدم اولاهم بالعذاب فاولاهم او اراد بالذين هم اولى بها صليا المنتزعين كانهم كانه قال

26

١٣

لنحن اعلم بتصليه هؤلاء وهم اولى بالصلي من بين سائر الصالين ودركاتهم اسفل وعذابهم اشد ويجوز
ان يريد باشدهم عتيا رؤساء الشيع وائمتهم لتضاعف جرمهم بكونهم ضلالا ومضلين قال الله
تعالى ان الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون
وليحملن اثقالهم واثقالا مع اثقالهم واختلف في اعراب ايهم اشد فعن الخليل انه مرتفع على
الحكاية تقديره لننزعن الذين يقال فيهم ايهم اشد وسيبويه على انه مبني على الضم لسقوط
صدر الجملة التي هي صلته حتى لو جيء به لاعرب وقيل ايهم هو اشد ويجوز ان يكون النزع واقعا
على من كل شيعة كقوله ووهبنا لهم من رحمتنا اي لننزعن بعض كل شيعة فكان قائلا
قال من هم فقيل ايهم اشد عتيا وايهم اشد بالنصب عن طلحة بن مصرف وعن معاذ بن مسلم
الهراء استاذ الفراء **فان قلت** بم يتعلق على والباء اللتان فان تعلقهما بالمصدر
لا سبيل اليه **قلت** هما للبيان لا للصلة او يتعلقان بافعل اي عتوهم اشد على الرحمن
وصليهم اولى بالنار كقولهم هو اشد على خصمه وهو اولى بكذا وان منكم التفات الى الانسان
نعضده قراءة ابن عباس وعكرمة وان منهم او خطاب للناس من غير التفات الى المذكور فان
اريد الجنس كله فمعنى الورود دخولهم فيها وهي جامدة فيعبرها المؤمنون وتنهار بغيرهم عن
ابن عباس يردونها كانها اهالة وروى دواية وعن جابر بن عبد الله انه سال رسول الله صلى الله
عليه عن ذلك فقال اذا دخل اهل الجنة الجنة قال بعضهم لبعض اليس وقد
وعدنا ربنا ان نرد النار فيقال لهم قد وردتموها وهي جامدة وعنه رضي الله عنه انه سئل
عن هذه الآية فقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول الورود الدخول لا يبقى بر ولا فاجر
الا دخلها فتكون على المؤمنين بردا وسلاما كما كانت على ابرهيم حتى ان للنار ضجيجا
من بردها واما قوله اولئك عنها مبعدون فالمراد عن عذابها وعن ابن مسعود والحسن وقتادة

هو الجواز على الصراط لان الصراط ممدود عليها وعن ابن عباس قد يرد الشيء ولم يدخله كقوله
ولما ورد ماء مدين ووردت القافلة البلد وان لم تدخله ولكن قربت منه وعن مجاهد ورود
المؤمن النار هو مس الحمى جسده في الدنيا لقوله عليه السلام الحمى من فيح جهنم وفي الحديث الحمى
حظ كل مؤمن من النار ويجوز ان يراد بالورود جثوهم حولها وان اريد الكفار خاصة فالمعنى
بين الحتم مصدر حتم الامر اذا اوجبه فسمى به الموجب كقولهم خلق الله وضرب الامير اي كان
ورودهم واجبا على الله اوجبه على نفسه وقضى به وعزم على ان لا يكون غيره قرئ ننجي وننجي ونَجّي
ونُنحي على ما لم يسم فاعله ان اريد الجنس باسره فهو ظاهر وان اريد الكفرة وحدهم فمعنى ثم ننجي
الذين اتقوا ان المتقين يساقون الى الجنة عقيب ورود الكفار لا انهم يواردونهم ثم يتخلصون
وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس والجحدري وابن ابي ليلى ثم ننجي بفتح الثاء اي هناك
وقوله ونذر الظالمين فيها جثيا دليل على ان المراد بالورود الجثو حولها وان المؤمنين
يفارقون الكفرة الى الجنة بعد تجاثيهم وتبقى الكفرة في مكانهم جاثين بينات مرتلات الالفاظ
ملخصات المعاني مبينات المقاصد اما محكمات او متشابهات قد تبعها البيان بالمحكمات
او بتبيين الرسول قولا او فعلا او ظاهرات الاعجاز تحدي بها فلم يقدر على معارضتها او حججا
وبراهين والوجه ان تكون حالا مؤكدة كقوله تعالى وهو الحق مصدقا لان ايات الله لا تكون
الا واضحة وحججا للذين آمنوا يحتمل انهم يناطقون المؤمنين بذلك ويواجهونهم به وانهم يفوهون
به لاجلهم وفي معناهم كقوله تعالى وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه
قرأ ابن كثير مقاما بالضم وهو موضع الاقامة والمنزل والباقون بالفتح وهو موضع القيام والمراد
المكان والموضع والندي المجلس ومجتمع القوم وحيث ينتدون والمعنى انهم اذا سمعوا
الايات وهم لا يعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا وذلك مبلغهم من العلم قالوا اي الفريقين من

المؤمنين بالايات والجاحدين لها اوفر حظا من الدنيا حتى يجعل ذلك عيارا على الفضل
والنقص والرفعة والضعة وروي انهم كانوا يرجلون شعورهم ويدهنون ويتطيبون ويتزينون
بالثياب الفاخرة ثم يدعون مفتخرين على فقراء المسلمين انهم اكرم على الله منهم كم مفعول اهلكنا
ومن تبيين لابهامها اي كثيرا من القرون اهلكنا وكل اهل عصر قرن لمن بعدهم لانهم يتقدمونهم
وهم احسن في محل النصب صفة لكم الا ترى انك لو تركت هم لم يكن لك بد من نصب احسن
على الوصفية الاثاث متاع البيت وقيل هو ما جد من الفرش والخرثي ما لبس منها وانشد
للحسن بن علي الطوسي تقادم العهد من ام الوليد بنا دهرا وصار اثاث البيت خرثيا وقرئ
على خمسة اوجه رئيا وهو المنظر والهيئة فعل بمعنى مفعول من رايت ورئيا على القلب كقولهم
راء في راى وريا على قلب الهمزة ياء والادغام او من الري الذي هو النعمة والترفه من قولهم ريان
من النعيم وريا على حذف الهمزة راسا ووجهه ان يخفف المقلوب وهو رئيا بحذف همزته
والقاء حركتها على الياء الساكنة قبلها وزيا واشتقاقه من الزي وهو الجمع لان الزي محاسن
مجموعة والمعنى احسن من هؤلاء اي مد له الرحمن يعني امهله واملى له في العمر فاخرج على لفظ
الامر ايذانا بوجوب ذلك وانه مفعول لا محالة كالمأمور به الممتثل لتقطع معاذير الضال
ويقال له يوم القيامة اولم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر او كقوله انما نملي لهم ليزدادوا اثما
او من كان في الضلالة فليمدد له الرحمن في معنى الدعاء بان يمهله الله وينفس في مدة حياته
في هذه الاية وجهان احدهما ان تكون متصلة بالاية التي هي رابعتها والايتان اعتراض بينهما
اي قالوا اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا حتى اذا راوا ما يوعدون اي لا يبرحون
يقولون هذا القول ويتولعون به لا يتكافون عنه الى ان يشاهدوا الموعود راي العين اما
العذاب في الدنيا وهو غلبة المسلمين عليهم وتعذيبهم اياهم قتلا واسرا واظهار الله دينه على الدين

كله على ايديهم واما يوم القيمه وما ينالهم من الخزى والنكال فحينئذ يعلمون عند المعاينه ان الامر على
عكس ما قدروه وانهم شر مكانا واضعف جندا لا خير مقاما واحسن نديا وان المومنين على
خلاف صفتهم والثانى ان تتصل بما يليها والمعنى ان الذين فى الضلاله ممدود لهم فى ضلالتهم والخذلان
لاصق بهم لعلم الله بهم وبان الالطاف لا تنفع فيهم وليسوا من اهلها والمراد بالضلاله
ما دعاهم من جهلهم وغلوهم فى كفرهم الى القول الذى قالوه لا ينفكون عن ضلالتهم الى ان
يعاينوا نصرة الله المومنين ويشاهدوا الساعة ومقدماتها **فان قلت** حتى
هذه ما هى **قلت** هى التى تحكى بعدها الجمل الا ترى الجمله الشرطيه واقعه بعدها
وهى قوله اذا راوا ما يوعدون فسيعلمون من هو شر مكانا واضعف جندا فى مقابله خير مقاما
واحسن نديا لان مقامهم هو مكانهم ومسكنهم والندى المجلس الجامع لوجوه قومهم واعوانهم
وانصارهم والجند هم الانصار والاعوان ويزيد معطوف على موضع فليمدد لانه واقع موقع
الخبر تقديره من كان فى الضلاله مد او يمد له الرحمن ويزيد اى يزيد فى ضلال الضال بخذلانه
ويزيد المهتدين هدايه بتوفيقه والباقيات الصالحات اعمال الاخرة كلها وقيل الصلوات
وقيل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اى هى خير ثوابا من مفاخرات الكفار
وخير مردا اى مرجعا وعاقبه او منفعه من قولهم ليس لهذا الامر مرد وهل يرد بكاى زندا
فان قلت كيف قيل خير ثوابا كان لمفاخراتهم ثوابا حتى يجعل ثواب الصالحات خيرا
منه **قلت** كانه قيل ثوابهم النار على طريقه قوله فاعتبوا بالصيلم وقوله فاعتبى
نجعاء جرتها الذميل تلوكه اصلا اذا راح المطى غراثا وقوله تحية بينهم ضرب وجيع
خير ثوابا وفيه ضرب من التهكم الذى هو اغيظ للمهدد من ان يقال له عقابك النار **فان قلت**
فما وجه التفضيل فى الخير كان لمفاخرهم شركا فيه **قلت** هذا من وجيز كلامهم يقولون

الصيف احر من الشتاء اى ابلغ فى حره منه فى برده لما كانت مشاهدة الاشياء
ورويتها طريقا الى الاحاطه بها علما وصحة الخبر عنها استعملوا ارايت فى معنى اخبر والفاء
جاءت لافاده معناها الذى هو التعقيب كانه قال اخبر ايضا بقصه هذا الكافر واذكر
حديثه عقيب حديث اولئك اطلع الغيب من قولهم اطلع الجبل اذا ارتقى الى اعلاه وطلع
الثنيه قال جرير لاقيت مطلع الجبال وعورا ويقولون مر مطلعا لذلك الامر اى عاليا له
مالكا له ولاختيار هذه الكلمه شان يقول اوقد بلغ من عظمه شانه ان ارتقى الى علم الغيب
الذى توحد به الواحد القهار والمعنى ان ما ادعى ان يوتاه وتالى عليه لا يتوصل اليه الا
باحد هذين الطريقين اما علم الغيب واما عهد من عالم الغيب فبايهما توصل الى ذلك
قرا حمزه والكسائى ولدا وهو جمع ولد كاسد فى اسد او بمعنى الولد كالعرب والعرب وعن يحيى
بن يعمر ولدا بالكسر وقيل فى العهد كلمه الشهاده وعن قتاده هل له عمل صالح قدمه فهو يرجو ذلك
ما يقول وعن الكلبى هل عهد الله اليه انه يوتيه ذلك عن الحسن رحمه الله نزلت الايه
فى الوليد بن المغيره والمشهور انها فى العاص بن وائل قال خباب بن الارت كان لى عليه دين فاقتضيته
فقال لا والله حتى تكفر بمحمد قلت لا والله لا اكفر بمحمد حيا ولا ميتا ولا حين تبعث قال فانى
اذا مت بعثت قلت نعم قال اذا بعثت جئتنى وسيكون لى ثم مال وولد فاعطيك وقيل
صاغ له خباب حليا فاقتضاه الاجر فقال انكم تزعمون انكم تبعثون وان فى الجنه ذهبا وفضه
وحريرا فانا اقضيك ثم فانى اوتى مالا وولدا حينئذ كلا ردع وتنبيه على الخطا اى هو مخطئ فيما
يصوره لنفسه ويتمناه فليرتدع عنه **فان قلت** كيف قيل سنكتب بسين التسويف
وهو كما قاله كتب من غير تاخير قال الله تعالى ما يلفظ من قول الا لديه رقيب عتيد **قلت**
فيه وجهان احدهما سنظهر له ونعلمه انا كتبنا قوله على طريقه قوله اذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمه

اى بين وعلم بالانتساب اى لست بارئيه والثانى ان المتوعد يقول للجانى سوف انتقم منك
يعنى انه لا يخل بالانتصار وان تطاول به الزمان واستاخر فجردها هنا لمعنى الوعيد ونمد له
من العذاب اى نطول له من العذاب ما يستاهله ونعذبه بالنوع الذى يعذب به الكفار
المستهزئون ونزيده من العذاب ونضاعف له من المدد يقال مده وامده بمعنى وتدل عليه
قراءة على ابن ابى طالب رضى الله عنه ونمد له بالضم واكد ذلك بالمصدر وذلك من فرط
غضب الله نعوذ به من التعرض لما نستوجب به غضبه ونرثه ما يقول اى نزوى عنه ما زعم
انه يناله فى الاخرة ونعطيه من يستحقه والمعنى مسمى ما يقول ومعنى ما يقول وهو المال والولد
يقول الرجل انا املك كذا فتقول له ولى فوق ما تقول ويحتمل انه قد تمنى وطمع ان يوتيه الله
فى الدنيا مالا وولدا وبلغت به اشعبيته ان تالى على ذلك فى قوله لاوتين لانه جواب قسم مضمر
ومن يتالى على الله يكذبه فيقول الله عز وعلا هب انا اعطيناه ما اشتهاه اما نرثه منه فى العاقبة
ويأتينا فردا غدا بلا مال ولا ولد كقوله عز وعلا ولقد جئتمونا فرادى الاية فما يجدى عليه تمنيه
وتاليه ويحتمل ان هذا القول انما يقوله ما دام حيا فاذا قبضناه حلنا بينه وبين ان يقوله و
ياتينا رافضا له منفردا عنه غير قائل له او لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه بل نثبته فى صحيفته لنضرب
به وجهه فى الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد لم نوله سؤله
ولم نوته متمناه فيجتمع عليه الخطبان تبعة قوله ووباله وفقد المطموع فيه فردا على الاول
حال مقدرة نحو فادخلوها خالدين لانه وغيره سواء فى اتيانه فردا حين ياتى ثم يتفاوتون
بعد ذلك اى ليتعززوا بالهتهم حيث يكونون لهم عند الله شفعاء وانصارا ينقذونهم من
العذاب كلا ردع لهم وانكار لتعززهم بالالهة وقرا ابن نهيك كلا سيكفرون بعبادتهم كقولك
مررت بغلامه وفى محتسب ابن جنى كلا بفتح الكاف والتنوين وزعم ان معناه كل هذا الراى

والاعتقاد كلا ولقائل ان يقول ان صحت هذه الرواية فهى كلا التى هى للردع قلب الواقف
عليها الفها نونا كما فى قواريرا والضمير فى سيكفرون للالهة اى سيجحدون عبادتهم و
ينكرونها ويقولون والله ما عبدتمونا وانتم كاذبون قال الله تعالى واذا راى الذين اشركوا
شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فالقوا اليهم القول انكم لكاذبون
او للمشركين اى ينكرون لسوء العاقبة ان يكونوا قد عبدوها قال الله تعالى ثم لم تكن فتنتهم الا
ان قالوا والله ربنا ما كنا مشركين عليهم ضدا فى مقابلة لهم عزا والمراد ضد العز وهو الذل
والهوان اى يكونون عليهم ضدا لما قصدوه وارادوه كانه قيل ويكونون عليهم ذلا لا لهم عزا او
يكونون عليهم عونا والضد العون يقال من اضدادكم اى اعوانكم وكان العون سمى ضدا
لانه يضاد عدوك وينافيه باعانته لك عليه فان قلت لم وحد قلت
وحد توحيد قوله عليه السلام وهم يد على من سواهم لاتفاق كلمتهم وانهم كشئ واحد لفرط تضامهم و
توافقهم ومعنى كون الالهة عونا عليهم انهم وقود النار وحصب جهنم ولانهم عذبوا بسبب
عبادتها وان رجعت الواو فى سيكفرون ويكونون الى المشركين فان المعنى ويكونون عليهم
اى اعداءهم ضدا اى كفرة بهم بعد ان كانوا يعبدونها الاز والهز والاستفزاز اخوات و
معناها التهييج وشدة الازعاج اى تغريهم على المعاصى وتهيجهم لها بالوساوس والتسويلات
والمعنى خلينا بينهم وبينهم ولم نمنعهم ولو شاء لمنعهم قسرا والمراد تعجيب رسول الله صلى الله عليه
بعد الايات التى ذكر فيها العتاة المردة من الكفار واقاويلهم وملاحتهم ومعاندتهم للرسل
واستهزائهم بالدين من تماديهم فى تغطية الغى وافراطهم فى العناد وتصميمهم على الكفر و
اجتماعهم على دفع الحق بعد وضوحه وانتفاء الشك عنه وانهماكهم لذلك فى اتباع الشياطين
وما تسول لهم عجلت عليه بكذا اذا استعجلته منه اى لا تعجل عليهم بان يهلكوا ويبيدوا حتى

تستريح انت والمسلمون من شرورهم وتطهر الارض بقطع دابرهم فليس بينك وبين ما
تطلب من هلاكهم الا ايام محصورة وانفاس معدودة كانها في سرعة تقضيها الساعة
التي تعد لو عدت ونحوه قوله ولا تستعجل لهم كانهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا الا ساعة
من نهار وعن ابن عباس رضي الله عنه انه كان اذا قراها بكى وقال اخر العدد خروج نفسك
اخر العدد فراق اهلك اخر العدد دخول قبرك وعن ابن السماك انه كان عند المامون
فقراها فقال اذا كانت الانفاس بالعدد ولم يكن لها مدد فما اسرع ما تنفد نصب يوم بمضمر
اي يوم نحشر ونسوق نفعل بالفريقين ما لا يحيط به الوصف او اذكر يوم نحشر ويجوز ان ينتصب
بلا يملكون ذكر المتقون بلفظ التبجيل وهو انهم يجمعون الى ربهم الذي غمرهم برحمته و
خصهم برضوانه وكرامته كما يفد الوفاد على الملوك منتظرين للكرامة عندهم وعن علي
رضي الله عنه ما يحشرون والله على ارجلهم ولكنهم على نوق رحالها ذهب وعلى نجائب
سروجها ياقوت وذكر الكافرون بانهم يساقون الى النار باهانة واستخفاف كانهم نعم عطاش
تساق الى الماء والورد العطاش لان من يرد الماء لا يرده الا لعطش وحقيقة الورد المسير
الى الماء قال ردي ردي ورد قطاة صما كدرية اعجبها برد الماء فسمي به الواردون
وقرا الحسن يحشر المتقون ويساق المجرمون الواو في لا يملكون ان جعل ضميرا فهو للعباد
ودل عليه ذكر المتقين والمجرمين لانهم على هذه القسمة ويجوز ان يكون علامة للجمع كالتي
في اكلوني البراغيث والفاعل من اتخذ لانه في معنى الجمع ومحل من اتخذ رفع على البدل او
على الفاعلية ويجوز ان ينتصب على تقدير حذف المضاف اي الا شفاعة من اتخذ والمراد
لا يملكون ان يشفع لهم واتخاذ العهد الاستظهار بالايمان والعمل وعن ابن مسعود ان النبي
صلى الله عليه قال لاصحابه ذات يوم ايعجز احدكم ان يتخذ كل صباح ومساء عند الله

١٧

عهدا قالوا وكيف ذلك قال يقول كل صباح ومساء اللهم فاطر السموات والارض
عالم الغيب والشهادة اني اعهد اليك باني اشهد ان لا اله الا انت وحدك لا شريك
لك وان محمدا عبدك ورسولك وانك ان تكلني الى نفسي تقربني من الشر
وتباعدني من الخير واني لا اثق الا برحمتك فاجعل لي عهدا توفينيه يوم القيمة انك لا تخلف
الميعاد فاذا قال ذلك طبع عليه بطابع ووضع تحت العرش فاذا كان يوم القيمة نادى مناد
اين الذين لهم عند الرحمن عهد فيدخلون الجنة وقيل كلمة الشهادة او يكون من عهد الامير
الى فلان بكذا اذا امره به اي لا يشفع الا المامور بالشفاعة الماذون له فيها وتعضده مواضع
في التنزيل وكم من ملك في السموات لا تغني شفاعتهم شيئا الا من بعد ان ياذن الله
لمن يشاء ويرضى ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من
اذن له الرحمن ورضي له قولا قرئ اِدًّا بالكسر والفتح قال ابن خالويه الادّ العجب وقيل
العظيم المنكر والادة الشدة وادّني الامر وآدني اثقلني وعظم علي اِدًّا تكاد قراءة الكسائي
ونافع بالياء وقرئ ينفطرن الانفطار من فطره اذا شقه والتفطر من فطره اذا شققه وكرر
الفعل فيه وقرا ابن مسعود ينصدعن اي تهد هدًّا او مهدودة او مفعول له اي لانها تهد
فان قلت ما معنى انفطار السموات وانشقاق الارض وخرور الجبال ومن اين
تؤثر هذه الكلمة في الجمادات قلت فيه وجهان احدهما ان الله سبحانه يقول
كدت افعل هذا بالسموات والارض والجبال عند وجود هذه الكلمة غضبا مني على من تفوه
بها لولا حلمي ووقاري واني لا اعجل بالعقوبة كما قال ان الله يمسك السموات والارض ان
تزولا ولئن زالتا ان امسكهما من احد من بعده انه كان حليما غفورا والثاني ان يكون استعظاما
للكلمة وتهويلا من فظاعتها وتصوير الاثرها في الدين وهدمها لاركانه وقواعده وان

مثال ذلك الاثر في المحسوسات ان يصيب هذه الاجرام العظيمة التي هي قوام العالم
ما تنفطر منه وتنشق وتخر وفي قوله لقد جئتم وما فيه من المخاطبة بعد الغيبة وهو الذي يسمى
الالتفات في علم البلاغة زيادة تسجيل عليهم بالجراءة على الله والتعرض لسخطه وتنبيه على
عظم ما قالوا في ان دعوا ثلاثة اوجه ان يكون مجرورا بدلا من الهاء في منه كقوله على حالة لو
ان في القوم حاتما على جوده لضن بالماء حاتم ومنصوبا بتقدير سقوط اللام وافضاء الفعل
اي هذا لان دعوا علل الخرور بالهد والهد بدعاء الولد للرحمن ومرفوعا بانه فاعل هدا اي
هدها دعاء الولد للرحمن وفي اختصاص الرحمن وتكريره مرات من الفائدة انه هو الرحمن و
حده لا يستحق هذا الاسم غيره من قبل ان اصول النعم وفروعها منه خلق العالمين وخلق لهم جميع
ما معهم كما قال بعضهم فلينكشف عن بصرك غطاؤه فانت وجميع ما عندك عطاؤه فمن
اضاف اليه ولدا فقد جعله كبعض خلقه واخرجه بذلك عن استحقاق اسم الرحمن هو
من دعا بمعنى سمى المتعدي الى مفعولين فاقتصر على احدهما الذي هو الثاني طلبا
للعموم والاحاطة بكل ما دعي له ولدا او من دعا بمعنى نسب الذي مطاوعه ما في قوله
عليه السلام من ادعى الى غير مواليه وقول الشاعر انا ابن بني نهشل لا ندعي لاب عنه ولا نبتغيه
اليه انبغى مطاوع بغى اذا طلب اي ما يتأتى له اتخاذ الولد وما ينطلب لو طلب مثلا
لانه محال غير داخل تحت الصحة اما الولادة المعروفة فلا مقال في استحالتها واما التبني
فلا يكون الا فيما هو من جنس المتبنى وليس للقديم سبحانه جنس تعالى الله عما يقول الظالمون
علوا كبيرا من موصوفة لانها وقعت بعد كل نكرة وقوعها بعد رب في قوله رب من انضجت
غيظا صدره وقرا ابن مسعود وابو حيوة آت الرحمن على اصله قبل الاضافة احصاهم حصرهم
يعني حصرهم بعلمه واحاط بهم وعدهم عدا الذين اعتقدوا في الملائكة وعيسى وعزير انهم اولاد

الله اولادا في عبادته كما يخدم الناس ابناء الملوك خدمتهم لابائهم فهدم الله الكفر الاول
مما تقدم من الايات ثم عقبه بهدم الكفر الاخر والمعنى ما من معبود لهم في السموات والارض
من الملائكة ومن الناس الا وهو ياتي الرحمن اي ياوي اليه ويلتجئ الى ربوبيته عبدا منقادا مطيعا
خاشعا خاشيا راجيا كما يفعل العبيد وكما يجب عليهم لا يدعي لنفسه ما يدعيه له هؤلاء الضلال
ونحوه قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب ويرجون رحمته
ويخافون عذابه وكلهم متقلبون في ملكوته مقهورون بقهره وهو مهيمن عليهم محيط بهم وبجمل
امورهم وتفاصيلها وكيفيتهم وكميتهم لا يفوته شيء من احوالهم وكل واحد منهم ياتيه يوم القيمة
منفردا ليس معه من هؤلاء المشركين احد وهم برآء منهم وقرئ جناح ابن حبيش ودا بالكسر والمعنى
سيحدث لهم في القلوب مودة ويزرعها لهم فيها من غير تودد منهم ولا تعرض للاسباب التي
يكتسب الناس بها مودات القلوب من قرابة او صداقة او اصطناع مبرة او غير ذلك وانما هو اختراع
منه ابتداء اختصاصا منه لاوليائه بكرامة خاصة كما قذف في قلوب اعدائهم الرعب
والهيبة اعظاما لهم واجلالا لمكانهم والسين اما لان السورة مكية وكان المؤمنون حينئذ
ممقوتين بين الكفرة فوعدهم الله ذلك اذا دجا الاسلام واما ان يكون ذلك يوم القيمة
يحببهم الى خلقه بما يعرض من حسناتهم وينشر من ديوان اعمالهم وروي ان النبي صلى الله
عليه قال لعلي رضي الله عنه يا علي قل اللهم اجعل لي عندك عهدا واجعل لي في صدور
المؤمنين مودة فانزل الله هذه الاية وعن ابن عباس يعني يحبهم الله ويحببهم الى خلقه وعن
رسول الله صلى الله عليه يقول الله عز وجل يا جبريل قد احببت فلانا فاحبه فيحبه جبريل
ثم ينادي في اهل السماء ان الله قد احب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السماء ثم يضع له المحبة
في الارض وعن قتادة ما اقبل العبد الى الله الا اقبل الله بقلوب العباد اليه هذه خاتمة السورة

ومقطوعا فكأنه قال بلغ هذا المنزل او بشّر به وانذر فانما انزلناه ﴿لدا﴾ لدّ اشداء الخصومة
بالباطل الآخذون في كل لديد اي في كل شق من المراء والجدال لفرط لجاجهم يريد
اهل مكة وقوله وكم اهلكنا تخويف لهم وانذار وقرئ تحس من حسّه اذا شعر به ومنه الحواس
والمحسوسات وقرأ حنظلة تُسمع مضارع اُسمعت والركز الصوت الخفي ومنه ركز الرمح
اذا غيّب طرفه في الارض والركاز المال المدفون عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة
مريم اعطي عشر حسنات بعدد من كذب زكريا وصدق به ويحيى ومريم وعيسى وابرهيم
واسحاق ويعقوب وموسى وهارون واسماعيل وادريس وعشر حسنات بعدد من دعا لله
في الدنيا وبعدد من لم يدع لله

سورة طه مكية وهي مائة واربع آيات

بسم الله الرحمن الرحيم

ابو عمرو فخم الطا لاستعلائها وامال الهاء وفخمهما ابن كثير وابن عامر على الاصل والباقون
امالوهما وعن الحسن طه وفسر بانه امر بالوطء وان النبي صلى الله عليه كان يقوم في تهجده على
احدى رجليه فامر بان يطأ الارض بقدميه معا وان الاصل طأ فقلبت همزته هاء او قلبت في
يطأ الفا كقوله لا هناك المرتع ثم بني عليه الامر والهاء للسكت ويجوز ان يكتفي بشطري الاسمين
وهما الدالان بلفظهما على المسميين والله اعلم بصحة ما يقال ان طاها في لغة عك في معنى
يا رجل ولعل عكا تصرفوا في يا هذا كانهم في لغتهم قالبون الياء طاء فقالوا في يا طا واختصروا
هذا فاقتصروا على ها واثر الصنعة ظاهر لا يخفى في البيت المستشهد به ان السفاهة طاها في
خلائقكم لا قدس الله اخلاق الملاعين والاقوال الثلثة في الفواتح اعني التي قدمتها في اول الكتاب

عن حمائل التنزيل هي التي يعول عليها الالباء المتقنون ما انزلنا ان جعلت طه تعديدا لاسماء
الحروف على الوجه السابق ذكره فهو ابتداء كلام وان جعلتها اسما للسورة احتمل ان يكون
خبرا عنها وهي في موضع المبتدا والقرآن ظاهرا وقع موقع الضمير لانها قرآن وان يكون جوابا
لها وهي قسم وقرئ ما نزل عليك القرآن لتشقى لتتعب بفرط تاسفك عليهم وعلى كفرهم و
تحسرك على ان يؤمنوا كقوله لعلك باخع نفسك والشقاء يجيء في معنى التعب ومنه المثل اتعب
من رائض مهر واشقى من رائض مهر اي ما عليك الا ان تبلغ وتذكر ولم يكتب عليك ان يؤمنوا لا
محالة بعد ان لم تفرط في اداء الرسالة والموعظة الحسنة وقيل ان ابا جهل والنضر بن الحارث
قالا له انك شقي لانك تركت دين آبائك فاريد رد ذلك بان دين الاسلام وهذا القرآن
هو السلم الى نيل كل فوز والسبب في درك كل سعادة وما فيه الكفرة هو الشقاوة بعينها و
روي انه عليه السلام صلى بالليل حتى اسمغدت قدماه فقال له جبريل ابق على نفسك فان
لها عليك حقا اي ما انزلناه لتنهك نفسك بالعبادة وتذيقها المشقة الفادحة وما بعثت
الا بالحنيفية السمحة وكل واحد من لتشقى وتذكرة علة للفعل الا ان الاول وجب مجيئه
مع اللام لانه ليس لفاعل الفعل المعلل ففاتته شريطة الانتصاب على المفعولية والثاني
جاز قطع اللام عنه ونصبه لاستجماعه الشرائط **فان قلت** اما يجوز ان تقول
ما انزلنا عليك القرآن ان تشقى كقوله ان تحبط اعمالكم **قلت** بلى ولكنها نصبة
طارئة كالنصبة في واختار موسى قومه واما النصبة في تذكرة فهي كالتي في ضربت زيدا لانه
احد المفاعيل الخمسة التي هي اصول وقوانين لغيرها **فان قلت** هل يجوز ان تكون
تذكرة بدلا من محل لتشقى **قلت** لا لاختلاف الجنسين ولكنها نصب على الاستثناء
المنقطع الذي الا فيه بمعنى لكن ويحتمل ان يكون المعنى انا انزلنا عليك القرآن لتحمل متاعب

التلمظ ومقاولة العتاة من اعداء الاسلام ومقاتلتهم وغير ذلك من انواع المشاق وتكاليف
النبوة وما انزلنا عليك هذا المتعب الشاق الا ليكون تذكرة وعلى هذا الوجه يجوز ان يكون
تذكرة حالا ومفعولا له لمن يخشى لمن يؤول امره الى الخشية ولمن يعلم الله منه انه يبدل
بالكفر ايمانا وبالقسوة خشية في نصب تنزيلا وجوه ان يكون بدلا من تذكرة اذا جعل حالا
لا اذا كان مفعولا له لان الشيء لا يعلل بنفسه وان ينصب بنزل مضمرا وان ينصب
بانزلنا لان معنى ما انزلناه الا تذكرة انزلناه تذكرة وان ينصب على المدح والاختصاص وان
ينصب بيخشى مفعولا به اي انزله الله تذكرة لمن يخشى تنزيل الله وهو معنى حسن واعراب بين
وقرئ تنزيل بالرفع على خبر مبتدا محذوف ما بعد تنزيلا الى قوله له الاسماء الحسنى
تعظيم وتفخيم لشان المنزل لنسبته الى من هذه افعاله وصفاته ولا يخلو من ان يكون
متعلقه اما تنزيلا نفسه فيقع صلة له واما محذوفا فيقع صفة له **فان قلت** ما
فائدة النقلة من لفظ المتكلم الى لفظ الغائب **قلت** غير واحدة منها عادة
الافتنان في الكلام وما يعطيه من الحسن والروعة ومنها ان هذه الصفات انما تسردت مع
لفظ الغيبة ومنها انه قال اولا انزلنا ففخم بالاسناد الى ضمير الواحد المطاع ثم ثنى بالنسبة
الى المختص بصفات العظمة والتمجيد فضوعفت الفخامة من طريقين ويجوز ان يكون انزلنا
حكاية لكلام جبريل والملائكة النازلين معه وصف السموات بالعلى دلالة على عظم قدرة من
يخلق مثلها في علوها وبعد مرتقاها قرئ الرحمن مجرورا صفة لمن خلق والرفع احسن لانه اما
ان يكون رفعا على المدح على تقدير هو الرحمن واما ان يكون مبتدا مشارا بلامه الى من خلق
فان قلت الجملة التي هي على العرش استوى ما محلها اذا جررت الرحمن او رفعته
على المدح **قلت** اذا جررت فهي خبر مبتدا محذوف لا غير وان رفعت جاز

ان

ان يكون كذلك وان يكون مع الرحمن خبرين للمبتدا لما كان الاستواء على العرش وهو سرير
الملك مما يردف الملك جعلوه كناية عن الملك فقالوا استوى فلان على العرش يريدون ملك وان لم
يقعد على السرير البتة وقالوه ايضا لشهرته في ذلك المعنى ومساواته ملك في مؤداه وان
كان اشرح وابسط وادل على صورة الامر ونحوه قولك يد فلان مبسوطة ويد فلان مغلولة
بمعنى انه جواد او بخيل لا فرق بين العبارتين الا فيما قلت حتى ان من لم يبسط يده قط بالنوال
او لم تكن له يد راسا قيل فيه يده مبسوطة لمساواته عندهم قولهم جواد ومنه قول الله عز وجل
وقالت اليهود يد الله مغلولة اي هو بخيل بل يداه مبسوطتان اي هو جواد من غير تصور
يد ولا غل ولا بسط والتفسير بالنعمة والتمحل للتثنية من ضيق العطن والمسافرة عن علم البيان
مسيرة اعوام وما تحت الثرى ما تحت سبع الارضين عن محمد بن كعب وعن السدي هو الصخرة
التي تحت الارض السابعة اي يعلم ما اسررته الى غيرك واخفى من ذلك وهو ما اخطرته ببالك
او ما اسررته في نفسك واخفى منه وهو ما ستسره فيها وعن بعضهم ان اخفى فعل يعني انه يعلم
اسرار العباد واخفى عنهم ما يعلمه هو كقوله يعلم ما بين ايديهم وما خلفهم ولا يحيطون به
علما وليس بذاك **فان قلت** كيف طابق الجزاء الشرط **قلت** معناه وان تجهر
بذكر الله من دعاء او غيره فاعلم انه غني عن جهرك فاما ان يكون نهيا عن الجهر كقوله واذكر
ربك في نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول واما تعليما للعباد ان الجهر ليس لاسماع
الله وانما هو لغرض اخر الحسنى تانيث الاحسن وصفت بها الاسماء لان حكمها حكم المؤنث كقولك
الجماعة الحسنى ومثلها مارب اخرى ومن اياتنا الكبرى والذي فضلت به اسماؤه في الحسن
سائر الاسماء دلالتها على معاني التقديس والتمجيد والتعظيم والربوبية والافعال التي هي
النهاية في الحسن قفاه بقصة موسى عليه السلام ليأتسي به في تحمل اعباء النبوة وتكاليف الرسالة

والصبر على مقاساة الشدائد حتى نال عبد الله الفوز والمقام المحمود نحو ان ينصب اد طرف الحدث لانه حدث او لمضمر اى حين راى نارا كان كيت وكيت او مفعول لاذكر استاذن موسى شعيبا عليهما السلام فى الخروج الى امه وخرج باهله فولد له فى الطريق ابن فى ليلة شاتية مظلمة مثلجة وقد ضل الطريق وتفرقت ماشيته ولا ماء عنده وقدح فصلد زنده فراى النار عند ذلك قيل كانت ليلة جمعة امكثوا اقيموا فى مكانكم الايناس الابصار البين الذى لا شبهة فيه ومنه انسان العين لانه يبين به الشئ والانس لظهورهم كما قيل الجن لاستتارهم اللتى وقيل هو ابصار ما يونس به لما وجد منه الايناس وكان مقطوعا متيقنا حققه لهم بكلمة ان ليوطن انفسهم ولما كان الاتيان بالقبس ووجود الهدى مترقبين متوقعين بنى الامر فيهما على الرجاء والطمع وقال لعلى ولم يقطع فيقول انى اتيكم لئلا يعد ما ليس يستيقن الوفاء به القبس النار المقتبسة فى راس عود او فتيلة او غيرهما ومنه قيل المقبسة لما تقتبس فيه من سعفة او نحوها هدى اى قوما يهدونني الطريق او ينفعوني بهداهم فى ابواب الدين عن مجاهد وقتادة وذلك لان افكار الابرار مغمورة بالهمة الدينية فى جميع احوالهم لا يشغلهم عنها شاغل والمعنى ذوى هدى او اذا وجد الهداة فقد وجد الهدى ومعنى الاستعلاء فى على النار ان اهل النار يستعلون المكان القريب منها كما قال سيبويه فى مررت بزيد انه لصوق بمكان يقرب من زيد او لان المصطلين بها والمستمعين اذا تكنفوها قياما وقعودا كانوا مشرفين عليها ومنه قول الاعشى وبات على النار الندى والمحلق قرا ابو عمرو وابن كثير انى بالفتح اى نودى بانى وكسر الباقون اى نودى فقيل يا موسى او لان النداء ضرب من القول فعومل معاملته تكرير الضمير فى انى انا ربك اى نودى فقيل يا موسى لتوكيد الدلالة وتحقيق المعرفة واماطة الشبهة روى انه لما نودى يا موسى قال من المتكلم فقال الله عز وجل انا ربك وان ابليس وسوس

اليه لعلك تسمع كلام شيطان فقال انا عرفت انه كلام الله بانى اسمعه من جميع جهاتى الست واسمعه بجميع اعضائى وروى انه حين انتهى راى شجرة خضراء من اسفلها الى اعلاها كانها نار بيضاء تتقد وسمع تسبيح الملائكة وراى نورا عظيما فخاف وبهت فالقيت عليه السكينة ثم نودى وكانت الشجرة عوسجة وروى كلما دنا او بعد لم يختلف ما كان يسمع من الصوت وعن ابن اسحق لما دنا استاخرت عنه فلما راى ذلك رجع واوجس فى نفسه خيفة فلما اراد الرجعة دنت منه ثم كلم قيل امر بخلع النعلين لانهما كانتا من جلد حمار ميت غير مدبوغ عن السدى وقتادة وقيل ليباشر الوادى بقدميه متبركا به وقيل لان الحفوة تواضع لله ومن ثم طاف السلف بالكعبة حافين ومنهم من استعظم دخول المسجد بنعليه وكان اذا ندر منه الدخول منتعلا تصدق والقران يدل على ان ذلك احترام للبقعة وتعظيم لها وتشريف لقدسها وروى انه خلع نعليه والقاهما من وراء الوادى طوى بالضم والكسر منصرف وغير منصرف بتاويل المكان والبقعة وقيل مرتين نحو ثنى اى نودى نداءين او قدس الوادى كرة بعد كرة اخترتك اصطفيتك للنبوة وقرا حمزة وانا اخترناك لما يوحى للذى يوحى او للوحى تعلق اللام باستمع او باخترتك لذكرى لتذكرنى فان ذكرى ان اعبد ويصلى لى او لتذكرنى فيها لاشتمال الصلوة على الاذكار عن مجاهد او لانى ذكرتها فى الكتب وامرت بها او لان اذكرك بالمدح والثناء واجعل لك لسان صدق او لذكرى خاصة لا تشوبه بذكر غيرى او لاخلاصك ذكرى وطلب وجهى لا ترائى بها ولا تقصد بها غرضا اخر او لتكون لى ذاكرا غير ناس فعل المخلصين فى جعلهم ذكر ربهم على بال منهم وتوكيل هممهم وافكارهم به كما قال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله او لاوقات ذكرى وهى مواقيت الصلوة كقوله ان الصلوة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا واللام مثلها فى قولك جئتك لوقت كذا وكان

ذلك لست بالخلون وقوله تعالى بالسنى ندمت لحيوتى وقد حمل على ذكر الصلوة
بعد نسيانها من قوله عليه السلام من نام عن صلوة او نسيها فليصلها اذا ذكرها وكان
حق العباد ان يقال لذكرها كما قال رسول الله اذا ذكرها ومن يتمحل له يقول اذا ذكر
الصلوة فقد ذكر الله او يقدر بحذف المضاف اى لذكر صلوتى او لان الذكر والنسيان
من الله عز وجل في الحقيقة وقرا رسول الله صلى الله عليه للذكرى اى اكاد اخفيها فلا اقول
هي آتية لفرط ارادتي اخفاءها ولولا ما في الاخبار باتيانها مع تعمية وقتها من اللطف لما
اخبرت به وقيل معناه اكاد اخفيها من نفسي ولا دليل في الكلام على هذا المحذوف ومحذوف
لا دليل عليه مطرح والذي غرهم منه ان في مصحف ابي اكاد اخفيها من نفسي وفي بعض
المصاحف اكاد اخفيها من نفسي فكيف اظهركم عليها وعن ابي الدرداء وسعيد بن جبير اخفيها
بالفتح من خفاه اذا اظهره اى قرب اظهارها كقوله اقتربت الساعة وقد جاء في بعض اللغات
اخفاه بمعنى خفاه وبه فسر بيت امرئ القيس فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب
لا نقعد فاكاد اخفيها محتمل للمعنيين لتجزى متعلق بآتية بما تسعى بسعيها اى لا يصدنك عن
تصديقها والضمير للقيمة ويجوز ان يكون للصلوة **فان قلت** العبارة لنهي من
لا يؤمن عن صد موسى والمقصود نهي موسى عن التكذيب بالبعث او امره بالتصديق فكيف
صلحت هذه العبارة لاداء هذا المقصود **قلت** فيه وجهان احدهما ان صد
الكافر عن التصديق بها سبب للتكذيب فذكر السبب ليدل على المسبب والثاني ان
صد الكافر مسبب عن رخاوة الرجل في الدين ولين شكيمته فذكر المسبب ليدل على السبب
كقولهم لا ارينك هاهنا المراد نهيه عن مشاهدته والكون بحضرته وذلك سبب رؤيته اياه
وكان ذكر المسبب دليلا على السبب كانه قيل فكن شديد الشكيمة صليب المعجم حتى لا يتلوح

منك لمن يكفر بالبعث انه يطمع في صدك عما انت عليه يعني ان من لا يؤمن بالآخرة هم
الجم الغفير اذ لا شيء اطم على الكفرة ولا هم اشد له نكيرا من البعث فلا يهولنك وفور
دهمائهم وعظم سوادهم ولا تجعل الكثرة مزلة قدمك واعلم انهم وان كثروا تلك الكثرة
فقدوتهم فيما هم فيه هو الهوى واتباعه لا البرهان وتدبره وفي هذا حث عظيم على العمل
بالدليل وزجر بليغ عن التقليد وانذار بان الهلاك والردى مع التقليد واهله تلك
بيمينك كقوله وهذا بعلي شيخا في انتصاب الحال بمعنى الاشارة ويجوز ان يكون تلك
اسما موصولا صلته بيمينك انما سأله ليريه عظم ما يخترعه عز وعلا في الخشبة اليابسة
من قلبها حية نضناضة وليقرر في نفسه المباينة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب اليه
وينبهه على قدرته الباهرة ونظيره ان يريك الزراد زبرة من حديد ويقول لك ما هي فتقول
زبرة حديد ثم يريك بعد ايام لبوسا مسردا فيقول لك هي تلك الزبرة صيرتها الى ما ترى
من عجيب الصنعة وانيق السرد قرأ ابن ابي اسحق عصي على لغة هذيل ومثله يا بشرى ارادوا
كسر ما قبل ياء المتكلم فلم يقدروا عليه فقلبوا الالف الى اخت الكسرة وقرأ الحسن عصاي بكسر
الياء لالتقاء الساكنين وهو مثل قراءة حمزة بمصرخي وعن ابن ابي اسحق سكون الياء اتوكأ
عليها اعتمد عليها اذا اعييت او وقفت على رأس القطيع وعند الطفرة هش الورق خبطه
على رؤوس غنمي تأكله وعن لقمن بن عاد اكلت حقا وابن لبون وجذع وهشة تخب وسيلا
دفع والحمد لله من غير شبع سمعته من غير واحد من العرب ونخب واد قريب من الطائف
كثير السدر وفي قراءة النخعي اهش وكلاهما من هش الخبز يهش اذا كان ينكسر لهشاشته وعن
عكرمة اهس بالسين اي انحى عليها زاجرا لها والهس زجر الغنم ذكر على التفصيل والاجمال المنافع
المتعلقة بالعصا كانه احس بما يعقب هذا السؤال من امر عظيم يحدثه الله فقال ما هي الا

عصا لا تنفع الا منافع بنات جنسها وكما تنفع العيدان ليكون جوابه مطابقا للغرض الذي
فهمه من فحوى كلام ربه ويجوز ان يريد عز وجل ان يعدد المرافق الكثيرة التي علقها
بالعصا ويستكثرها ويستعظمها ثم يريه على عقب ذلك الآية العظيمة كانه يقول له اين
انت عن هذه المنفعة العظمى والمأربة الكبرى المنسية عندها كل منفعة ومأربة كنت
تعتد بها وتحتفل بشأنها وقالوا انما سأله ليبسط منه ويقلل هيبته وقالوا انما اجمل موسى
ليسأله عن تلك المآرب مرة في اكرامه وقالوا انقطع لسانه بالهيبة فاجمل وقالوا اسم
العصا نبعة وقيل في المآرب كانت ذات شعبتين ومحجن فاذا طال الغصن حناه بالمحجن
واذا طلب كسره لواه بالشعبتين واذا سار القاها على عاتقه فعلق بها ادواته من
القوس والكنانة والحلاب وغيرها واذا كان في البرية ركزها وعرض الزندين على شعبتيها
والقى عليها الكساء واستظل واذا قصر رشاؤه وصله بها وكان يقاتل بها السباع عن غنمه
وقيل كان فيها من المعجزات انه كان يستقي بها فتطول بطول البئر وتصير شعبتاه دلوا وتكونان
شمعتين بالليل واذا ظهر عدو حاربت عنه واذا اشتهى ثمرة ركزها فاورقت واثمرت و
كان يحمل عليها زاده وسقاءه فجعلت تماشيه ويركزها فينبع الماء فاذا رفعها نضب وكانت
تقيه الهوام السعي المشي بسرعة وخفة حركة **فان قلت** كيف ذكرت بالفاظ
مختلفة بالحية والجان والثعبان **قلت** اما الحية فاسم جنس يقع على الذكر و
الانثى والصغير والكبير واما الثعبان والجان فبينهما تناف لان الثعبان العظيم من
الحيات والجان الدقيق وفي ذلك وجهان احدهما انها كانت وقت انقلابها حية
تنقلب حية صفراء دقيقة ثم تتورم ويتزايد جرمها حتى تصير ثعبانا فاريد بالجان اول حالها
وبالثعبان مآلها والثاني انها كانت في ضخم الثعبان وسرعة حركة الجان والدليل عليه قوله

فلما

فلما رآها تهتز كانها جان وقيل كان لها عرف كعرف الفرس وقيل بين لحييها اربعون ذراعا
لما راى ذلك الامر العجيب الهائل ملكه من الفزع والنفار ما يملك البشر عند الاهوال
والمخاوف وعن ابن عباس انقلبت ثعبانا ذكرا يبتلع الصخر والشجر فلما رآه يبتلع كل شيء
خاف ونفر وعن بعضهم انما خافها لانه عرف ما لقي آدم منها وقيل لما قال له ربه لا تخف
بلغ من ذهاب خوفه وطمانينة نفسه ان ادخل يده في فمها واخذ بلحييها السيرة من السير
كالركبة من الركوب يقال سار فلان سيرة حسنة ثم اتسع فيها فنقلت الى معنى المذهب
والطريقة وقيل سير الاولين فيجوز ان ينتصب على الظرف اي سنعيدها في طريقتها الاولى
اي في حال ما كانت عصا وان يكون اعاد منقولا من عاده بمعنى عاد اليه ومنه بيت
زهير وعادك ان تلاقيها عداء فيتعدى الى مفعولين ووجه ثالث حسن وهو ان يكون
سنعيدها مستقلا بنفسه غير متعلق بسيرتها بمعنى انها انشئت اول ما انشئت عصا
ثم ذهبت وبطلت بالقلب حية فسنعيدها بعد الذهاب كما انشاناها اولا وينصب سيرتها
بفعل مضمر اي تسير سيرتها الاولى يعني سنعيدها سائرة سيرتها الاولى حيث كنت تتوكا
عليها ولك فيها المآرب التي عرفتها قيل لكل ناحيتين جناحان كجناحي العسكر لمجنبتيه
وجناحا الانسان جنباه والاصل المستعار منه جناحا الطائر سميا جناحين لانه
يجنحهما عند الطيران والمراد الى جنبك تحت العضد دل على ذلك قوله تخرج السوء
الرداءة والقبح في كل شيء فكني عن البرص كما كني به عن العورة بالسوأة وكان جذيمة صاحب
الزباء ابرص فكنوا عنه بالابرش والبرص ابغض شيء الى العرب وبهم عنه نفرة عظيمة واسماعهم
لاسمه مجاجة فكان جديرا بان يكنى عنه ولا ترى احسن ولا الطف ولا احز للمفاصل
من كنايات القرآن وآدابه يروى انه كان آدم فاخرج يده من مدرعته بيضاء لها شعاع كشعاع

الشمس يغشي البصر بضاءة وآية حالان معا ومن غير سوء من صلة البيضاء كما تقول ابيضت من
غير سوء وفي نصب آية وجه آخر وهو ان يكون باضمار نحو خذ ودونك وما اشبه ذلك حذف
لدلالة الكلام وقد تعلق بهذا المحذوف لنريك اي خذ هذه الآية ايضا بعد قلب العصا حية
لنريك بهاتين بعض آياتنا الكبرى او لنريك بهما الكبرى من آياتنا او لنريك
من آياتنا الكبرى فعلنا ذلك لما امره بالذهاب الى فرعون الطاغي لعنه الله عرف انه
كلف امرا عظيما وخطبا جسيما يحتاج معه الى احتمال ما لا يحتمله الا ذو جاش رابط وصدر
فسيح فاستوهب ربه ان يشرح صدره ويفسح قلبه ويجعله حليما حمولا يستقبل ما عسى
يرد عليه من الشدائد التي يذهب معها صبر الصابر بجميل الصبر وحسن الثبات وان يسهل
عليه في الجملة امره الذي هو خلافة الله في ارضه وما يصحبها من مزاولة معاظم الشؤون
ومقاساة جلائل الخطوب **فان قلت** لي في قوله اشرح لي صدري ويسر لي امري
ما جدواه والكلام بدونه مستتب **قلت** قد ابهم الكلام اولا فقيل اشرح لي ويسر لي
فعلم ان ثم مشروحا وميسرا ثم بين ورفع الابهام بذكرهما فكان آكد لطلب الشرح والتيسير لصدره
وامره من ان يقول اشرح صدري ويسر امري على الايضاح الساذج لانه تكرير للمعنى
الواحد من طريقي الاجمال والتفصيل عن ابن عباس كان في لسانه رتة لما روي من حديث
الجمرة وروي ان يده احترقت وان فرعون اجتهد في علاجها فلم تبرأ ولما دعاه قال الى اي
رب تدعوني قال الى الذي ابرأ يدي وقد عجزت عنها وعن بعضهم انما لم تبرأ يده لئلا
يدخلها مع فرعون في قصعة واحدة فتنعقد بينهما حرمة المواكلة واختلف في زوال العقدة
بكمالها فقيل بقي بعضها لقوله واخي هرون هو افصح مني لسانا وقوله ولا يكاد يبين وكان
في لسان الحسين بن علي رضي الله عنهما رتة فقال رسول الله صلى الله عليه ورثها من عمه موسى وقيل

زالت

زالت لقوله قد اوتيت سؤلك يا موسى وفي تنكير العقدة وان لم يقل عقدة لساني انه طلب حل
بعضها ارادة ان يفهم عنه فهما جيدا ولم يطلب الفصاحة الكاملة ومن لساني صفة للعقدة
كانه قيل عقدة من عقد لساني الوزير من الوزر لانه يتحمل عن الملك اوزاره ومؤنه او من
الوزر لان الملك يعتصم برأيه ويلتجئ اليه في اموره او من الموازرة وهي المعاونة عن الاصمعي
قال وكان القياس ازيرا فقلبت الهمزة الى الواو ووجه قلبها ان فعيلا جاء في معنى مفاعل
مجيئا صالحا كقولهم عشير وجليس وقعيد وخليل وصديق ونديم فلما قلبت في اخيه قلبت
فيه وحمل الشيء على نظيره ليس بعزيز ونظرا الى يوازر واخواته والى الموازرة وزيرا وهارون
مفعولا قوله اجعل قدم ثانيهما على اولهما عناية بامر الوزارة او لي ووزيرا مفعولاه وهارون
عطف بيان للوزير واخي في الوجهين بدل من هرون وان جعل عطف بيان آخر جاز و
حسن قرأوا جميعا اشدد واشركه على الدعاء وابن عامر وحده اشدد واشركه على الجواب
وفي مصحف ابن مسعود اخي واشدد وعن ابي بن كعب اشركه في امري واشدد به ازري
ويجوز فيمن قرأ على لفظ الامر ان يجعل اخي مرفوعا على الابتداء واشدد به خبره ويوقف
على هارون الازر القوة وآزره قواه اي اجعله شريكي في الرسالة حتى نتعاون على عبادتك
وذكرك فان التعاون لانه مهيج الرغبات يتزايد به الخير ويتكاثر انك كنت بنا بصيرا
عالما باحوالنا وبان التعاضد مما يصلحنا وان هارون نعم المعين والشاد لعضدي فانه
اكبر مني سنا وافصح لسانا السؤل الطلبة فعل بمعنى مفعول كقولك خبز بمعنى مخبوز واكل
بمعنى ماكول الوحي الى ام موسى اما ان يكون على لسان نبي في وقتها كقوله واذ اوحيت الى الحواريين
او بعث اليها ملكا لا على وجه النبوة كما الى مريم او يريها ذلك في المنام فتتنبه عليه او
يلهمها كقوله واوحى ربك الى النحل اي اوحينا اليها امرا لا سبيل الى التوصل اليه ولا الى العلم

الا بالوحى وفيه مصلحة دينه ووجب ان يوحى ولا يخل به اى هو مما يوحى لا محالة وهو امر
عظيم مثله يحق ان يوحى ان هى المفسرة لان الوحى بمعنى القول القذف مستعمل فى معنى الالقاء
والوضع ومنه قوله تعالى وقذف فى قلوبهم الرعب وكذلك الرمى قال غلام رماه الله بالحسن
يافعا اى حصل فيه الحسن ووضعه فيه والضماير كلها راجعة الى موسى ورجوع بعضها اليه
وبعضها الى التابوت فيه هجنة لما يؤدى اليه من تنافر النظم **فان قلت** المقذوف
فى البحر هو التابوت وكذلك الملقى الى الساحل **قلت** ما ضرك لو قلت المقذوف والملقى
هو موسى فى جوف التابوت حتى لا تفرق الضماير فيتنافر عليك النظم الذى هو ام اعجاز
القرآن والقانون الذى وقع عليه التحدى ومراعاته اهم ما يجب على المفسر لما كانت
مشية الله وارادته ان لا تخطى جرية ماء اليم الوصول به الى الساحل والقاؤه اليه سلك فى ذلك سبيل
المجاز وجعل اليم كانه ذو تمييز امر بذلك ليطيع الامر ويمتثل رسمه فقيل فليلقه اليم با
بالساحل روى انها جعلت فى التابوت قطنا محلوجا ووضعته فيه وجصصته وقيرته ثم القته
فى اليم وكان يشرع منه الى بستان فرعون نهر كبير فبينا هو جالس على راس بركة مع آسيه
اذا بالتابوت فامر به فاخرج ففتح فاذا اصبح الناس وجها فاحبه عدو الله حبا شديدا
لا يتمالك ان يصبر عنه وظاهر اللفظ على ان البحر القاه بساحله وهو شاطيه لان الماء
يسحله اى يقشره وقذف به ثمة فالتقط من الساحل الا ان يكون قد القاه اليم بموضع من
الساحل فيه فوهة نهر فرعون ثم اداه النهر الى حيث البركة منى لا يخلوا اما ان يتعلق بالقيت
فيكون المعنى على انى احببتك ومن احبه الله احبته القلوب واما ان يتعلق بمحذوف
هو صفة لمحبة اى محبة حاصلة او واقعة منى قد ركزتها انا فى القلوب وزرعتها فيها
فلذلك احبك فرعون وكل من ابصرك روى انه كانت على وجهه مسحة جمال وفى عينيه ملاحة لا يكاد

يصبر



يصبر عنه من رآه على عينى لتربى ويحسن اليك وانا مراعيك وراقبك كما يراعى الرجل
الشى بعينه اذا اعتنى به وتقول للصانع اصنع هذا على عينى انظر اليك لئلا تخالف به
عن مرادى وبغيتى ولتصنع معطوف على علة مضمرة مثل ليتعطف عليك وترام ونحوه
او حذف معلله اى ولتصنع فعلت ذلك وقرى ولتصنع بكسر اللام وسكونها والجزم على
انه امر وقرى ولتصنع بفتح التاء والنصب اى وليكون عملك وتصرفك على عين منى العامل
فى اذ تمشى القيت او تصنع ويجوز ان يكون بدلا من اذ اوحينا **فان قلت** كيف يصح
البدل والوقتان مختلفان متباعدان **قلت** كما يصح وان اتسع الوقت وتباعد
طرفاه ان يقول لك الرجل لقيت فلانا سنة كذا فتقول وانا لقيته اذ ذاك وربما لقيه
هو فى اولها وانت فى آخرها روى ان اخته واسمها مريم جاءت متعرفة خبره فصادفتهم يطلبون
له مرضعة يقبل ثديها وذلك انه كان لا يقبل ثدى امرأة فقالت هل ادلكم فجاءت بالام
فقبل ثديها وروى ان آسية استوهبته من فرعون وتبنته وهى التى اشفقت عليه وطلبت
له المراضع هى النفس القبطى الذى استغاثه عليه الاسرائيلى قتله وهو ابن ثنتى عشرة سنة اغتم
بسبب القتل خوفا من عقاب الله ومن اقتصاص فرعون فغفر الله له باستغفاره حين قال
رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى ونجاه من فرعون ان ينشب فيه اظفاره حين هاجر به الى مدين
فتونا يجوز ان يكون مصدرا على فعول فى المتعدى كالثبور والشكور والكفور وجمع فتن
او فتنة على ترك الاعتداد بتاء التانيث كحجوز وبدور فى حجزة وبدرة اى فتناك ضروبا
من الفتن سال سعيد بن جبير ابن عباس رضى الله عنه فقال خلصناك من محنة بعد محنة ولد
فى عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير والقته امه فى البحر وهم فرعون بقتله
وقتل قبطيا واجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وتفرقت غنمه فى ليلة مظلمة عند كل واحدة وكان يقول

فهذه فتنه يا ابن جبير والفتنه المحنه وكل ما شق على الانسان وكل ما يبتلى الله به عباده
فتنه قال ونبلوكم بالشر والخير فتنه مدين على ثمان مراحل من مصر وعن وهب لبث
عند شعيب ثمانيا وعشرين سنه منها مهر ابنته عشر وقضى اوفى الاجلين اى سبق فى
قضاى وقدرى ان اكلمك واستنبئك فى وقت بعينه قد وقته لذلك فما جئت الا على ذلك
القدر غير مستقدم ولا مستاخر وقيل على مقدار من الزمان يوحى فيه الى الانبيا وهو راس
اربعين سنه هذا تمثيل لما خوله من منزلة التقريب والتكريم والتكليم مثل حاله بحال من يراه بعض
الملوك لجوامع خصال فيه وخصايص فهو اهلا لئلا يكون اقرب منزلة منه اليه ولا الطف
محلا فيصطنعه بالكرامة والاثرة ويستخلصه لنفسه ولا يبصر ولا يسمع الا بعينه واذنه ولا
ياتمن على مكنون سره الا سوا ضميره الونى الفتور والتقصير وقرى لا تنيا بكسر حرف المضارعة
للاتباع اى لا تنسياني ولا ازال منكما على ذكر حيثما تقلبتما واتخذا ذكرى جناحا يطيران
به مستمدين بذلك العون والتاييد منى معتقدين ان امرا من الامور لا يتمشى لاحد
الا بذكرى ويجوز ان يريد بالذكر تبليغ الرسالة فان الذكر يقع على ... روى ان الله اوحى الى هرون
وهو بمصر ان يتلقى موسى وقيل سمع باقباله وقيل الهم ذلك فقولا له قولا لينا بالتلطف والقول اللين
نحو قوله تعالى هل لك الى ان تزكى واهديك الى ربك فتخشى لان ظاهره الاستفهام و
المشوره وعرض ما فيه الفوز العظيم وقيل عداه شبابا لا يهرم بعده وملكا لا ينزع منه الا
بالموت وان يبقى له لذة المطعم والمشرب والمنكح الى حين موته وقيل لا تجبهاه بما يكره و
والطفا له فى القول لما له من حق تربيه موسى ولما ثبت له من مثل حق الابوه وقيل كنياه وهو من
ذوى الكنى الثلاث ابو العباس وابو الوليد وابو مرة والترجى لهما اى اذهبا على رجائكما و
طمعكما وباشرا الامر مباشرة من يرجو ويطمع ان يثمر عمله ولا يخيب سعيه فهو يجتهد بطوقه ويحتشد بما

باقضى

٢٦

باقصى وسعه وجدوى ارسالهما اليه مع العلم بانه لن يؤمن الزام الحجه وقطع المعذره ولو انا
اهلكناهم بعذاب من قبله لقالوا ربنا لولا ارسلت الينا رسولا فنتبع اياتك اى يتذكر ويتامل
فيبذل النصفه من نفسه والاذعان للحق او يخشى ان يكون الامر كما تصفان فيجره انكاره الى
الهلكه فرط سبق وتقدم ومنه الفارط الذى يتقدم الواردة وفرس فرط يسبق الخيل اى
نخاف ان يعجل علينا بالعقوبه ويبادرنا بها وقرى يفرط من افرطه غيره اذا حمله على العجله
خافا ان يحمله حامل على المعاجله بالعقاب من شيطان او من جبروته واستكباره وادعايه
الربوبيه او من حبه الرياسه او من قومه القبط المتمردين الذين حكى عنهم رب العزه قال
الملا من قومه وقال الملا من قومه وقرى يفرط من الافراط فى الاذيه اى نخاف ان يحول بيننا
وبين تبليغ الرسالة بالمعاجله او يجاوز الحد فى معاقبتنا ان لم يعاجلنا على ما عرفنا وجربنا من
من شرارته وعتوه او ان يطغى بالتخطى الى ان يقول فيك ما لا ينبغى لجراته عليك وقسوة
قلبه وفى المجى به هكذا على الاطلاق وعلى سبيل الرمز باب من حسن الادب وتحاش عن
التفوه بالعظيمه معكما اى حافظكما وناصركما اسمع وارى ما يجرى بينكما وبينه من قول وفعل
فافعل ما يوجبه حفظى ونصرتى لكما فجاز ان يكون ... اقوالكم وافعالكم وجاز ان لا يقدر شى
وكانه قيل انا حافظ لكما وناصر سامع مبصر واذا كان الحافظ والناصر كذلك تم الحفظ وصحت
النصره وذهبت المبالاه بالعدو وكانت بنو اسرايل فى ملكه فرعون والقبط يعذبونهم
بتكليف الاعمال الصعبه من الحفر والبنا ونقل الحجاره والسخره اى فى كل شى مع قتل الولدان
اى واستخدام النساء قد جئناك بايه من ربك جمله جاريه من الجمله الاولى وهى انا رسولا
ربك مجرى البيان والتفسير لان دعوى الرسالة لا تثبت الا ببينتها التى هى المجى بالايه
انما وحد قوله بايه ولم يثن ومعه اثنان لان المراد فى هذا الموضع تثبيت الدعوى ببرهانها

وكانه قال قد جئناك بمعجزة وبرهان وحجة على ما ادعيناه من الرسالة وكذلك قد جئتكم
بينة من ربكم فات بها ان كنت من الصادقين او لو جئتك بشي مبين والسلام الملايكة
الذين هم خزنة الجنة على المهتدين وتوبيخ خزنة النار والعذاب على المكذبين خاطب الاثنين
ووجه النداء الى احدهما وهو موسى لانه الاصل في النبوة وهارون وزيره وتابعه ويحتمل ان
يحمله خبثه ودعارته على استدعاء كلام موسى دون كلام اخيه لما عرف من فصاحة
هارون والرتة في لسان موسى ويدل عليه قوله ام انا خير من هذا الذي هو مهين ولا يكاد يبين
خلقه اول مفعولي اعطى اي اعطى خليقته كل شي يحتاجون اليه ويرتفقون به او ثانيهما اي
اعطى كل شي صورته وشكله الذي يطابق المنفعة المنوطة به كما اعطى العين الهيئة التي تطابق
الابصار والاذن الشكل الذي يوافق الاستماع وكذلك الانف واليد والرجل واللسان
كل واحد منها مطابق لما علق به من المنفعة غير ناب عنه او اعطى كل حيوان نظيره في
الخلق والصورة حيث جعل الحصان والحجر زوجين والبعير والناقة والرجل والمراة فلم يزاوج
منهما شيا غير جنسه وما هو على خلاف خلقه وقرى خلقه صفة للمضاف او للمضاف اليه
اي كل شي خلقه الله لم يخله من عطائه وانعامه ثم هدى اي عرف كيف يرتفق بما اعطى
وكيف يتوصل اليه ولله در هذا الجواب ما اخصره وما اجمعه وما ابينه لمن القى الذهن ونظر بعين
الانصاف وكان طالبا للحق سائلا عن حال من تقدم وخلا من القرون وعن شقاء من شقي
منهم وسعادة من سعد فاجابه بان هذا السوال سوال عن الغيب وقد استاثر الله به
لا يعلمه الا هو وما انا الا عبد مثلك لا اعلم منه الا ما اخبرني به علام الغيوب وعلم احوال
القرون مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ لا يجوز على الله ان يخطى شيا او ينساه يقال
ضللت الشي اذا اخطاته في مكانه فلم تهتد له كقولك ضللت الطريق والمنزل وقرى

جي

يضل من اضله اذا ضيعه وعن ابن عباس لا يترك من كفر به حتى ينتقم منه ولا يترك من وحده
حتى يجازيه ويجوز ان يكون فرعون قد نازعه في احاطة الله بكل شي وتبينه لكل معلوم
فتعنت وقال ما تقول في سوالف القرون وتمادي كثرتهم وتباعد اطراف عددهم كيف
احاط بهم وباجزايهم وجواهرهم فاجاب بان كل كاين محيط به علمه وهو مثبت عنده
في كتاب ولا يجوز عليه الخطا والنسيان كما يجوزان عليك ايها العبد الذليل والبشر الضئيل
اي لا يضل كما تضل انت ولا ينسى كما تنسى يا مدعي الربوبية بالجهل والوقاحة الذي جعل مرفوع
صفة لربي او خبر مبتدا محذوف او منصوب على المدح وهذا من مظانه ومحازه مهدا
قراءة اهل الكوفة اي مهدها مهدا او يتمهدونها فهي لهم كالمهد وهو ما يمهد للصبي وسلك
من قوله تعالى ما سلككم في سقر سلكناه نسلكه في قلوب المجرمين اي جعل لكم فيها
سبلا ووسطها بين الجبال والاودية والبراري فاخرجنا انتقل فيه من لفظ الغيبة الى
لفظ المتكلم المطاع لما ذكرت من الافتنان والايذان بانه مطاع تنقاد الاشياء المختلفة
لامره وتذعن الاجناس المتفاوتة لمشيته لا يمتنع شي على ارادته ومثله قوله تعالى وهو الذي
انزل من السماء ماء فاخرجنا به نبات كل شي الم تر ان الله انزل من السماء ماء فاخرجنا به
ثمرات مختلفا الوانها امن خلق السموات والارض وانزل لكم من السماء ماء فانبتنا به
حدايق ذات بهجة وفيه تخصيص ايضا بانا نحن نقدر على مثل هذا ولا يدخل تحت قدرة احد
ازواجا اصنافا سميت بذلك لانها مزدوجة مقترنة بعضها مع بعض شتى صفة للازواج
جمع شتيت كمريض ومرضى ويجوز ان يكون صفة للنبات والنبات مصدر سمي به النابت
كما سمي بالنبت فاستوى فيه الواحد والجمع يعني انها شتى مختلفة النفع والطعم واللون
والرايحة والشكل بعضها يصلح للناس وبعضها للبهايم قالوا من نعمته عز وعلا ان ارزاق

العباد انما يحصل بعمل الانعام وقد جعل الله علفها مما يفضل عن حاجتهم ولا يقدرون
على اكله اى قائلين كلوا وارعوا حال من الضمير فى فاخرجنا المعنى اخرجنا اصناف
النبات آذنين فى الانتفاع بها مبيحين ان تاكلوا بعضها وتعلفوا بعضها اراد بخلقهم
من الارض خلق اصلهم وهو آدم عليه السلام منها وقيل ان الملك لينطلق فياخذ من
تربة المكان الذى يدفن فيه فيبذرها على النطفة فيخلق من التراب والنطفة معا
واراد باخراجهم منها انه يولف اجزاءهم المتفرقة المختلطة بالتراب ويردهم كما كانوا احياء
ويخرجهم الى المحشر يوم يخرجون من الاجداث سراعا عدد الله عليهم ما علق بالارض
من مرافقهم حيث جعلها لهم فراشا ومهادا يتقلبون عليها وسوى لهم فيها مسالك يترددون
فيها كيف شاءوا وانبت فيها اصناف النبات التى منها اقواتهم وعلوفات بهائمهم وهى
اصلهم الذى منه تفرعوا وامهم التى منها ولدوا ثم هى كفاتهم اذا ماتوا ومن ثم قال رسول الله
صلى الله عليه تمسحوا بالارض فانها بكم برة ارينا بصرناه او عرفناه صحتها ويقناه بها وانما
كذب لظلمه كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا وقوله لقد
علمت ما انزل هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر وفى قوله اياتنا كلها وجهان احدهما
ان يحذى بهذا التعريف الاضافى حذو التعريف باللام لو قيل الايات كلها اعنى انها
كانت لا تعطى الايات كلها اعنى انها كانت لا تعطى التعريف العهد والاشارة الى
الايات المعلومة التى هى تسع الايات المختصة بموسى عليه السلام العصا واليد وفلق البحر والحجر
والجراد والضفادع والدم ونتق الجبل والثانى ان يكون موسى قد اراه اياته وعدد عليه
ما اوتيه غيره من الانبياء من اياتهم ومعجزاتهم وهو نبى صادق لا فرق بين ما يشاهده فكذبها
جميعا وابى ان يقبل شيئا منها وقيل فكذب الايات وابى قبول الحق يلوح من جيب قوله

اجئتنا

٢٨

لتخرجنا من ارضنا بسحرك ان فرايصه كانت ترعد خوفا مما جاء به موسى عليه السلام
لعلمه وايقانه انه على الحق وان المحق لو اراد قود الجبال لانقادت له وان مثله لا يخذل ولا
يقل ناصره وانه غالبه على ملكه لا محالة وقوله بسحرك تعلل وتحير والا فكيف يخفى عليه
ان ساحرا لا يقدر ان يخرج ملكا مثله من ارضه ويغلبه على ملكه بالسحر لا يخلو الموعد فى
قوله اجعل بيننا وبينك موعدا من ان يجعل زمانا او مكانا او مصدرا فان
جعلته زمانا نظرا فى ان قوله موعدكم يوم الزينة مطابق له لزمك شيئان ان تجعل الزمان
مخلفا وان يعضل عليك ناصب مكانا وان جعلته مكانا لقوله مكانا سوى لزمك
ايضا ان توقع الاخلاف على المكان وان لا يطابق قوله موعدكم يوم الزينة وقراءة الحسن
غير مطابقة له مكانا وزمانا جميعا لانه قرا يوم الزينة بالنصب فبقى ان يجعل مصدرا بمعنى
الوعد ويقدر مضاف محذوف اى مكان موعد ويجعل الضمير فى نخلفه للموعد ومكانا
بدل من المكان المحذوف **فان قلت** فكيف طابقه قوله موعدكم يوم الزينة
ولا بد من ان تجعله زمانا والسؤال واقع عن المكان لا عن الزمان **قلت** هو
مطابق معنى وان لم يطابق لفظا لانه لا بد لهم من ان يجتمعوا يوم الزينة فى مكان بعينه
مشتهر باجتماعهم فيه فى ذلك اليوم فبذكر الزمان علم المكان واما قراءة الحسن فالموعد
فيها مصدر لا غير والمعنى انجاز وعدكم يوم الزينة وطباق هذا ايضا من طريق المعنى و
يجوز ان لا يقدر مضاف محذوف ويكون المعنى اجعل بيننا وبينك وعدا لا نخلفه
فان قلت فكيف يطابقه الجواب **قلت** اما على قراءة الحسن فظاهر واما
على قراءة العامة فعلى تقدير وعدكم وعد يوم الزينة ويجوز على قراءة الحسن ان يكون
موعدكم مبتدا بمعنى الوقت وضحى خبره على نية التعريف فيه لانه ضحى ذلك اليوم

فان قلت فبم ينتصب مكانا قلت بالمصدر او بفعل يدل عليه المصدر صح

بعينه وقيل في يوم الزينة يوم عاشورا ويوم النيروز ويوم عيد كان لهم في كل عام ويوم كانوا
يتخذون فيه سوقا ويتزينون ذلك اليوم وقرئ يحلفه بالرفع على الوصف للموعد وبالجزم
على جواب الامر وقرئ سوى بالكسر والضم منونا وغير منون ومعناه منصفا بيننا وبينك عن
مجاهد وهو من الاستواء لان المسافة من الوسط الى الطرفين مستوية لا تفاوت فيها ومن لم
ينون فوجهه ان يجرى الوصل مجرى الوقف وقرئ وان تحشر الناس بالتاء والياء يريد انت
تحشر يا فرعون وان يحشر اليوم ويجوز ان يكون فيه ضمير فرعون ذكره بلفظ الغيبة اما على
العادة التي تخاطب بها الملوك او خاطب القوم بقوله موعدكم وجعل يحشر لفرعون ومحل
ان يحشر الرفع او الجر عطفا على اليوم او الزينة وانما واعدهم ذلك اليوم ليكون علو كلمة الله و
ظهور دينه وكبت الكافر وزهوق الباطل على رؤس الاشهاد وفي المجمع الغاص لتقوى رغبة
من رغب في اتباع الحق ويكل حد المبطلين واشياعهم ويكثر المحدث بذلك الامر العلم في كل
بدو وحضر ويشيع في جمع اهل الوبر والمدر لا تفتروا على الله كذبا اي لا تدعوا اياته ومعجزاته
سحرا وقرئ فيسحتكم والسحت لغة اهل الحجاز والاسحات لغة اهل نجد وبني تميم ومنه قول الفرزدق
الا مسحتا او مجلف في بيت لا تزال الركب تصطك في تسوية اعرابه عن ابن عباس ان
نجواهم ان غلبنا موسى اتبعناه وعن قتادة ان كان ساحرا فسنغلبه وان كان من السماء فله امر
وعن وهب لما قال ويلكم الاية قالوا ما هذا بقول ساحر والظاهر انهم تشاوروا في السر وتجاذبوا
اهداب القول ثم قالوا ان هذان لساحران فكانت نجواهم في تلفيق هذا الكلام وتزويره خوفا
من غلبتهما وتثبيطا للناس عن اتباعهما قرا ابو عمرو ان هذين لساحران على الجهة الظاهرة المكشوفة
وابن كثير وحفص ان هذان لساحران على قولك ان زيد لمنطلق واللام هي الفارقة بين ان النافية
والمخففة من الثقيلة وقرا ابي ان ذان الا ساحران وقرا ابن مسعود ان هذان ساحران
بفتح ان وبغير لام بدل من النجوى وقيل في القراءة المشهورة ان هذان لساحران

وسوى ج

انها لغة بلحارث بن كعب جعلوا الاسم المثنى نحو الاسماء التي في اخرها الف كعصا وسعدى
فلم يقلبوها ياء في الجر والنصب وقال بعضهم ان بمعنى نعم وساحران خبر مبتدا محذوف واللام
داخلة على الجملة تقديره لهما ساحران وقد اعجب به ابو اسحق سموا مذهبهم الطريقة المثلى
والسنة الفضلى وكل حزب بما لديهم فرحون وقيل ارادوا اهل طريقتكم المثلى وهم بنو اسرائيل
لقول موسى ارسل معنا بني اسرائيل وقيل الطريقة اسم لوجوه الناس واشرافهم الذين هم قدوة
لغيرهم يقال هم طريقة قومهم ويقال للواحد ايضا هو طريقة قومه فاجمعوا كيدكم يعضده
قوله فجمع كيده وقرئ فاجمعوا كيدكم اي ازمعوه واجعلوه مجمعا عليه حتى لا تختلفوا ولا يتخلف
عنه واحد منكم كالمسالة المجمع عليها امروا بان ياتوا صفا لانه اهيب في صدور الرائين وروى
انهم كانوا سبعين الفا مع كل واحد منهم حبل وعصا وقد اقبلوا اقبالة واحدة وعن ابي عبيدة انه
فسر الصف بالمصلى لان الناس يجتمعون فيه لعيدهم وصلاتهم مصطفين ووجه صحته
ان يقع علما لمصلى بعينه فامروا بان ياتوه او يراد ائتوا مصلى من المصليات وقد افلح اليوم من استعلى
اعتراض يعني وقد فاز من غلب ان مع ما بعده اما منصوب بفعل مضمر او مرفوع بانه خبر
مبتدا محذوف معناه اختر احد الامرين او الامر القاؤك او القاؤنا وهذا التخيير منهم
استعمال ادب حسن معه وتواضع له وخفض جناح وتنبيه على اعطائهم النصفة من انفسهم
وكان الله عز وعلا الهمهم ذلك وعلم موسى عليه السلام اختيار القائهم اولا مع ما فيه من مقابلة
ادب بادب حتى يبرزوا ما معهم من مكائد السحر ويستنفدوا اقصى طوقهم ومجهودهم فاذا
فعلوا ذلك اظهر الله سلطانه وقذف بالحق على الباطل فدمغه وسلط المعجزة على السحر
فمحقته وكانت اية نيرة للناظرين وعبرة بينة للمعتبرين يقال في اذا هذه اذا المفاجاة و
التحقيق فيها انها اذا الكائنة بمعنى الوقت الطالبة ناصبا لها وجملة تضاف اليها خصت في

بعض المواضع بان يكون ناصبها فعلا مخصوصا وهو فعل المفاجاة والجملة ابتدائية لا غير فتقدير
قوله تعالى فاذا حبالهم وعصيهم ففاجا موسى وقت تخييل سعي حبالهم وعصيهم وهذا تمثيل
والمعنى على مفاجاته حبالهم وعصيهم مخيلة اليه السعي وقرى عُصيهم بالضم وهو الاصل والكسر اتباع
ونحوه دلي ودلي وقسي وقسي وقرى تخيل على اسناده الى ضمير الحبال والعصي وابدال قوله
انها تسعى من الضمير بدل الاشتمال كقولك اعجبني زيد كرمه وتُخيّل على كون الحبال والعصي
مخيلة سعيها وتخيّل بمعنى تتخيل وطريقه طريق تُخيّل ويُخيّل على ان الله هو المخيل للمحنة
والابتلا يروى انهم لطخوها بالزيبق فلما ضربت عليها الشمس اضطربت واهتزت فخيلت
ذلك ايجاس الخوف اضمار شي منه وكذلك توجس الصوت تسمع نباة يسيرة منه وكان
ذلك لطبع الجبلة البشرية وانه لا يكاد يمكن الخلو من مثله وقيل خاف ان يخالج الناس شك
فلا يتبعوه انك انت الاعلى فيه تقرير لغلبته وقهره وتوكيد بالاستيناف وبكلمة
التشديد وتكرير الضمير ولام التعريف وبلفظ العلو وهو الغلبة الظاهرة وبالتفضيل
وقوله ما في يمينك ولم يقل عصاك جايز ان يكون تصغيرا لها اي لا تبال بكثرة حبالهم وعصيهم والق
العويد الفرد الصغير الجرم الذي في يمينك فانه بقدرة الله تعالى يتلقفها على وحدته وكثرتها
وصغره وعظمها وجايز ان يكون تعظيما لها اي لا تحتفل بهذه الاجرام الكبيرة الكثيرة
فان في يمينك شيا اعظم منها كلها وهذه على كثرتها اقل شي وانزر عنده فالقه يتلقفها
باذن الله ويمحقها وقرى تلقف بالرفع على الاستيناف وعلى الحال اي القها متلقفة وقرى
تلقف بالتخفيف صنعوا ههنا بمعنى زوروا وافتعلوا كقوله تعالى تلقف ما يافكون
قرى كيد ساحر بالرفع والنصب فمن رفع فعلى ان ما موصولة ومن نصب فعلى انها كافة
وقرى كيد سحر بمعنى ذي سحر او ذوي سحر او هم لتوغلهم في سحرهم كانهم السحر بعينه وبذاته او بين

الكيد

الكيد لانه يكون سحرا وغير سحر كما تبين المائة بدرهم ونحوه علم فقه وعلم نحو **فان قلت**
لم وحد ساحرا ولم يجمع **قلت** لان القصد في هذا الكلام الى معنى الجنسية لا الى معنى
العدد فلو جمع لخيل ان المقصود هو العدد الا ترى الى قوله ولا يفلح الساحر اي هذا الجنس
فان قلت فلم نكر اولا وعرف ثانيا **قلت** انما نكر من اجل تنكير المضاف اليه
لا من اجل تنكيره في نفسه كقول العجاج في سعي دنيا طالما قد مدت وفي حديث عمر رضي الله عنه
لا في امر دنيا ولا في امر آخرة المراد تنكير الامر كانه قيل ان ما صنعوا كيد سحري وفي سعي دنيوي
واخروي حتى في كونهم حيث سيرواية سلك وانما كان سبحان الله ما اعجب امرهم قد القوا
حبالهم وعصيهم للكفر والجحود ثم القوا روسهم بعد ساعة للشكر والسجود فما اعظم الفرق بين
الالقاين وروي انهم لم يرفعوا روسهم حتى راوا الجنة والنار وراوا ثواب اهلها وعن عكرمة
لما خروا سجدا اراهم الله في سجودهم منازلهم التي يصيرون اليها في الجنة لكبيركم اي لعظيمكم
يريد انه اسحرهم واعلاهم درجة في صناعتهم او لمعلمكم من قول اهل مكة للمعلم امرني كبيري
وقال لي كبيري كذا يريدون معلمهم واستاذهم في القران وفي كل شي قرى لاقطعن ولاصلبن
بالتخفيف والقطع من خلاف ان تقطع اليد اليمنى والرجل اليسرى لان كل واحد من العضوين
خالف الآخر بان هذا يد وذاك رجل وهذا يمين وذاك شمال ومن لابتداء الغاية لان القطع
مبتدي وناشي من مخالفة العضو العضو لا من موافقته اياه ومحل الجار والمجرور النصب على
الحال اي لاقطعنها مختلفات لانها اذا خالف بعضها بعضا فقد اتصفت بالاختلاف
شبه تمكن المصلوب في الجذع بتمكن الشي الموعى في وعائه فلذلك قال في جذوع النخل اينا
يريد نفسه لعنه الله وموسى صلى الله عليه بدليل قوله امنتم له واللام مع الايمان في كتاب الله
لغير الله كقوله يومن بالله ويومن للمومنين وفيه نفاجة باقتداره وقهره وما الفه وضري به من تعذيب

وامر دنيوي

الناس بانواع العذاب وتوضح لموسى عليه السلام واستضعاف له مع الغربة لان موسى
لم يكن قط من التعذيب في شي والذي فطرنا عطف على ما جانا او قسم وقري تقضي هذه
الحيوة الدنيا ووجها ان الحيوة في القراة المشهورة منتصبة على الظرف فاتسع في الظرف
باجرايه مجرى المفعول به في صمت يوم الجمعة صيم يوم الجمعة روي ان السحرة يعني روسهم كانوا
اثنين وسبعين الاثنان من القبط والسابر من بني اسرايل وكان فرعون اكرمهم على تعلم
السحر وروي انهم قالوا لفرعون ارنا موسى نايما ففعل فوجده تحرسه عصاه فقالوا ما هذا بسحر
الساحر اذا نام بطل سحره فابى الا ان تعارضوه تزكى تطهر من ادناس الذنوب وعن
ابن عباس قال لا اله الا الله قيل في هذه الايات الثلاث هي حكاية قولهم وقيل خبر من الله
لا على وجه الحكاية فاضرب لهم طريقا فاجعل لهم من قولهم ضرب له في ماله سهما وضرب اللبن
عمله اليبس مصدر وصف به يقال يبس يبسا ونحوهما العدم والعدم ومن ثم وصف به المونث
فقيل شاتنا يبس وناقتنا يبس اذا جف لبنها وقري يبسا ويابسا ولا يخلو اليبس من ان يكون
مخففا من اليبس او صفة على فعل او جمع يابس كصاحب وصحب وصف به الواحد تاكيدا
كقوله ومعا جياعا جعله لفرط جماعة جياعا لا تخاف حال من الضمير في فاضرب وقري
لا تخف على الجواب وقري لا تخف على الجواب وقرا ابو حيوة دركا بالسكون والدرك
والدرك اسمان من الادراك اي لا يدركك فرعون وجنوده ولا يلحقونك في ولا تخشى اذا
اذا قري لا تخف ثلاثة اوجه ان يستانف كانه قيل وانت لا تخشى اي ومن شانك انك
امن لا تخشى وان لا يكون الالف المنقلبة عن الياء التي هي لام الفعل ولكن زايدة للاطلاق
من اجل الفاصلة كقوله فاضلونا السبيلا وتظنون بالله الظنونا وان يكون مثل قوله كان لم
ترى قبلي اسيرا يمانيا ما غشيهم من باب الاختصار ومن جوامع الكلم التي تستقل مع قلتها

بالمعاني

٣١

بالمعاني الكثيرة اي غشيهم ما لا يعلم كنهه الا الله وقري فغشاهم من اليم ما غشاهم والتغشية
التغطية وفاعل غشاهم اما الله سبحانه او ما غشاهم او فرعون لانه الذي ورط جنوده وتسبب
لهلاكهم وقوله وما هدى تهكم به في قوله وما اهديكم الا سبيل الرشاد يا بني اسرايل خطاب لهم
بعد انجايهم من البحر واهلاك ال فرعون وقيل هو للذين كانوا منهم في عهد رسول الله صلى الله
عليه من الله عليهم بما فعل بابايهم والوجه هو الاول اي قلنا يا بني اسرايل وحذف القول كثير في
وقري انجيتكم الى رزقتكم وعلى لفظ الوعد والمواعدة وقري الايمن بالجر على الجوار نحو جحر ضب خرب
ذكرهم النعمة في نجاتهم وهلاك عدوهم وفيما واعد موسى صلوات الله عليه من المناجاة بجانب
الطور وكتب التورية في الالواح وانما عدى المواعدة اليهم لانها لابستهم واتصلت بهم حيث
كانت لنبيهم ونقبايهم واليهم رجعت منافعها التي قام بها دينهم وشرعهم وفيما افاض عليهم
من ساير نعمه وارزاقه طغيانهم في النعمة ان يتعدوا حدود الله فيها بان يكفروها ويشغلهم اللهو
والتنعم عن القيام بشكرها وان ينفقوها في المعاصي وان يزووا حقوق الفقراء فيها وان يسرفوا
في انفاقها وان لا يبطروا فيها ويأشروا ويتكبروا وقري فيحل وعن عبد الله لا يحلن ومن يحلل
المكسور في معنى الوجوب من حل الدين يحل اذا وجب اداوه ومنه قوله تعالى حتى يبلغ الهدي
محله والمضموم في معنى النزول وغضب الله عقوباته ولذلك وصف بالنزول هوى هلك واصله
ان يسقط من جبل فيهلك قال هوى من راس مرقبة ففتت تحتها كبده ويقولون هوت امه
او سقط سقوطا لا نهوض بعده الاهتداء هو الاستقامة والثبات على الهدى المذكور وهو التوبة
والايمان والعمل الصالح ونحوه قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا وكلمة التراخي دلت
على تباين المنزلتين دلالتها
على تباين الوقتين في جانى زيد ثم عمرو اعني ان منزلة الاستقامة على الخير مباينة لمنزلة الخير نفسه
لانها اعلى منها وافضل وما اعجلك اي شي عجل بك عنهم على سبيل الانكار وكان قد مضى مع النقباء

الى الطور على الموعد المضروب ثم تقدمهم شوقا الى كلام ربه وتنجز ما وعد به بناء على اجتهاده
وظنه ان ذلك اقرب الى رضى الله وزل عنه انه عز وجل ما وقت افعاله الا نظرا الى دواعي
الحكمة وعلما بالمصالح المتعلقة بكل وقت فالمراد بالقوم النقباء وليس لقول من جوز ان يراد جميع
قومه وان يكون قد فارقهم قبل الميعاد وجه صحيح يأباه قوله هم اولاء على اثري وعن
ابي عمرو ويعقوب اثري بالكسر وعن عيسى بن عمر أُثري بالضم وعنه ايضا أُولى بالقصر والأثر افصح
من الإثر واما الأثر فمسموع في فرند السيف مدون في الاصول يقال أثر السيف وأُثره وهو بمعنى
الأثر غريب فان قلت ما اعجلك سؤال عن سبب العجلة فكان الذي ينطبق عليه من
الجواب ان يقال طلب زيادة رضاك او الشوق الى كلامك وتنجز موعدك وقوله هم اولاء على
اثري كما ترى غير منطبق عليه قلت قد تضمن ما واجهه به رب العزة شيئين احدهما
انكار العجلة في نفسها والثاني السؤال عن سبب المستنكر والحامل عليه فكان اهم الامرين
الى موسى بسط العذر وتمهيد العلة في نفس ما انكر عليه فاعتل بانه لم يوجد مني الا تقدم
يسير مثله لا يعتد به في العادة ولا يحتفل به وليس بيني وبين من سبقته الا مسافة قريبة يتقدم
بمثلها الوفد رأسهم ومقدمهم ثم عقبه بجواب السؤال عن السبب فقال وعجلت اليك رب
لترضى ولقائل ان يقول حار لما ورد عليه من التهيب لعتاب الله فاذهله ذلك عن الجواب
المنطبق المرتب على حدود الكلام اراد بالقوم المفتونين الذين خلفهم مع هارون وكانوا
ستمائة الف ما نجا من عبادة العجل منهم الا اثنا عشر الفا فان قلت في القصة
انهم اقاموا بعد مفارقته عشرين ليلة وحسبوها اربعين مع ايامها وقالوا قد اكملنا العدة
ثم كان امر العجل بعد ذلك فكيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى لموسى عند مقدمه انا قد فتنا
قومك قلت قد اخبر الله تعالى عن الفتنة المترقبة بلفظ الموجودة الكائنة على عادته

او

٣٠٢

او افترض السامري غيبته فعزم على اضلالهم غب انطلاقه واخذ في تدبير ذلك فكان
بدء الفتنة موجودا قرئ واضلهم السامري اي وهو اشدهم ضلالا لانه ضال مضل وهو منسوب
الى قبيلة من بني اسرائيل يقال لها السامرة وقيل السامرة قوم من اليهود يخالفونهم في بعض دينهم
وقيل كان من اهل باجرما وقيل كان علجا من كرمان واسمه موسى بن ظفر وكان منافقا قد
اظهر الاسلام وكان من قوم يعبدون البقر الاسف الشديد الغضب ومنه قوله عليه السلام
في موت الفجاءة رحمة للمؤمن واخذة اسف للكافر وقيل الحزين فان قلت متى رجع
الى قومه قلت بعد ما استوفى الاربعين ذا القعدة وعشر ذي الحجة وعدهم الله سبحانه
وتعالى ان يعطيهم التوراة التي فيها هدى ونور ولا وعد احسن من ذلك واجمل حكي لنا انها
كانت الف آية يحمل اسفارها سبعون جملا العهد الزمان يريد مدة مفارقته لهم يقال طال سورة كل سورة الف آ
عهدي بك اي طال زماني بسبب مفارقتك وعدوه ان يقيموا على امره وما تركهم
عليه من الايمان فاخلفوا موعده بعبادتهم العجل بملكنا قرئ بالحركات الثلاث اي ما اخلفنا
موعدك بان ملكنا امرنا اي لو ملكنا امرنا وخلينا ورأينا لما اخلفناه ولكن غلبنا من جهة
السامري وكيده اي حملنا احمالا من حلي القبط التي استعرناها منهم او اراد بالاوزار
انها آثام وتبعات لانهم كانوا معهم في حكم المستأمنين في دار الحرب وليس للمستأمن
ان يأخذ مال الحربي على ان الغنائم لم تكن تحل حينئذ فقذفناها في نار السامري التي ا
وقدها في الحفرة وامرنا ان نطرح فيها الحلي وقرئ حملنا فكذلك القى السامري اراهم انه
يلقي حليا في يده مثل ما القوا وانما القى التربة التي اخذها من موطئ حيزوم فرس جبريل اوحى
اليه وليه الشيطان انها اذا خالطت مواتا صارت حيوانا فاخرج لهم السامري من الحفرة
عجلا خلقه الله من الحلي التي سبكتها النار يخور كما تخور العجاجيل فان قلت كيف اثرت

تلك التربة في احيا الموات **قلت** اما يصح ان يوثر الله سبحانه روح القدس بهذه الكرامة
الخاصة كما آثره بغيرها من الكرامات وهي ان باشر فرسه بحافره تربة اذا لاقت تلك التربة
جمادًا انشاه الله انشا عند مباشرته حيوانا الا ترى كيف انشاء المسيح من غرائب عند
نفخه في الدرع **فان قلت** فلم خلق الله العجل من الحلي حتى صار فتنة لبني اسرائيل وضلالا
قلت ليس باول محنة محن الله بها عباده ليثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في
الحيوة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ومن عجب من خلق العجل فليكن من خلق ابليس
اعجب والمراد بقوله انا قد فتنا قومك هو خلق العجل للامتحان اي امتحناهم بخلق العجل
وحملهم السامري على الضلال واوقعهم فيه حين قال لهم هذا الهكم واله موسى فنسي اي فنسي
موسى ان يطلبه هاهنا وذهب يطلبه عند الطور او فنسي السامري اي ترك ما كان عليه
من الايمان الظاهر يرجع من رفعه فعلى ان ان مخففة من الثقيلة ومن نصب فعلى انها الناصبة
للافعال من قبل من قبل ان يقول لهم السامري ما قال كانهم اول ما وقعت عليه ابصارهم حين
طلع من الحفرة افتتنوا به واستحسنوه فقبل ان ينطق السامري بادرهم هرون عليه السلام بقوله
انما فتنتم به وان ربكم الرحمن لا مزيد والمعنى ما منعك ان تتبعني في الغضب لله وشدة الزجر على
الكفر والمعاصي وهلا قاتلت من كفر بمن آمن ومالك لم تباشر الامر كما كنت باشره انا
لو كنت شاهدا ومالك لم تلحقني قرئ بلحيتي بفتح اللام وهي لغة اهل الحجاز كان موسى
صلوات الله عليه رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة والتصلب في كل شيء شديد الغضب
لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون عجلا من دون الله تعالى من بعد ما راوا من الآيات العظام
ان القى الواح التوراة لما غلب ذهنه من الدهشة العظيمة غضبا لله واستنكافا وحمية وعنف
باخيه وخليفته على قومه فاقبل عليه اقبال العدو المكاشف قابضا على شعر راسه

وكان

وكان افرع وعلى شعر وجهه يجره اليه اي لو قاتلت بعضهم ببعض لتفرقوا وتفانوا فاستانيتك
ان يكون انت المتدارك بنفسك المتلافي برايك وخشيت عتابك على اطراح ما وصيتني
به من ضم النشر وحفظ الدهماء ولم يكن لي بد من رقبة وصيتك والعمل على موجبها الخطب مصدر
خطب الامر اذا طلبه فاذا قيل لمن يفعل شيئا ما خطبك فمعناه ما طلبك له قرئ بصرت بما لم
تبصروا به بالكسر والمعنى علمت ما لم تعلموه وفطنت ما لم تفطنوا له قرا الحسن قبصة بضم القاف
وهي اسم المقبوض كالغرفة والمضغة واما القبضة فالمرة من القبض واطلاقها على المقبوض من
تسمية المفعول بالمصدر كضرب الامير وقرا ايضا فقبصت قبصة بالصاد الضاد بجميع الكف
والصاد باطراف الاصابع ونحوهما الخضم والقضم الخاء بجميع الفم والقاف بمقدمه قرا ابن مسعود
من اثر فرس الرسول **فان قلت** لم سماه الرسول دون جبريل وروح القدس **قلت**
حين حل ميعاد الذهاب الى الطور ارسل الله الى موسى جبريل راكب حيزوم فرس الحيوة
ليذهب به فابصره السامري فقال ان لهذا شانا فقبض قبضة من تربة موطئه فلما ساله
موسى عن قصته قال قبضت من اثر فرس المرسل اليك يوم حلول الميعاد ولعله لم يعرف
انه جبريل عوقب في الدنيا بعقوبة لا شيء اطم منها واوحش وذلك انه منع من مخالطة
الناس منعا كليا وحرم عليهم ملاقاته ومكالمته ومبايعته ومواجهته وكل ما يعايش به الناس
بعضهم بعضا واذا اتفق ان يماس احدا رجلا او امراة حم الماس والممسوس فتحامى الناس
وتحاموه وكان يصيح لا مساس وعاد في الناس اوحش من القاتل اللاجي الى الحرم ومن الوحشي
النافر في البرية ويقال ان قومه باق فيهم ذلك الى اليوم وقرئ لا مساس بوزن فجار ونحوه قولهم
في الظباء اذا وردت الماء فلا عباب وان فقدته فلا اباب وهي اعلام للمسة والعبة
والابة وهي المرة من الاب وهو الطلب لن تخلفه اي لن يخلفك الله موعده الذي

وعدك على الشرك والفساد في الارض نجزه لك في الاخرة بعد ما عاقبك بذلك في الدنيا
فانت ممن خسر الدنيا والاخرة ذلك هو الخسران المبين وقرى لن تُخلِفَه وهذا من احلفت
الموعد اذا وجدته خلفا قال الاعشى أثْوَى وقَصّر ليلةً ليزوّدا فمضى واخلف من قُتيلةَ موعدا
وعن ابن مسعود نخلفه بالنون اي لن نخلفه الله كانه حكى قوله عز وجل كما مرّ في لاهب
لك ظلت وظلت وظللت والاصل ظللت فخففوا اللام الاولى ونقلوا حركتها الى الظاء
ومنهم من لم ينقل لنحرقنه ولنحرقنه ولنحرقنه وفي حرف ابن مسعود لنذبحنه لنحرقنه لنحرقنه
القراءتان من الاحراق وذكر ابو على الفارسي في لنحرقنه انه يجوز ان يكون حرق مبالغة في
حرق مبالغة في حرق اذا برد بالمبرد وعليه القراءة الثالثة وهي قراءة علي بن ابي طالب رضي الله
عنه لننسفنه بكسر السين وضمها وهذه عقوبة ثالثة وهي ابطال ما افتتن وفتن واهدار
سعيه وهدم مكره ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين وقرا طلحة الله الذي لا اله الا هو رب
العرش وسع كل شيء علما وعن مجاهد وقتادة وسّع ووجهه ان وسع متعد الى مفعول واحد
وهو كل شيء واما علما فانتصابه على التمييز وهو في المعنى فاعل فلما ثُقّل نقل الى التعدية الى مفعولين
فنصبهما معا على المفعولية لان المميز فاعل في المعنى كما تقول في خاف زيد عمرا خوّفت زيدا عمرا
فترد بالنقل ما كان فاعلا مفعولا الكاف في كذلك منصوب المحل وهذا موعد من الله عز
وجل لرسوله اي مثل ذلك الاقتصاص ونحو ما اقتصصنا عليك قصة موسى وفرعون نقص
عليك من سائر اخبار الامم وقصصهم واحوالهم تكثيرا لبيناتك وزيادة في معجزاتك وليعتبر
السامع ويزداد المستبصر في دينه بصيرة وتتاكد الحجة على من عاند وكابر وان هذا الذكر الذي
اتاك يعني القران مشتملا على هذه الاقاصيص والاخبار الحقيقة بالتفكر والاعتبار لذكر
عظيم وقران كريم فيه النجاة والسعادة لمن اقبل عليه ومن اعرض عنه فقد هلك وشقي ويريد

بالوزر العقوبة الثقيلة الباهظة سماها وزرا تشبيها في ثقلها على المعاقب وصعوبة
احتمالها بالحمل الذي يفدح الحامل وينقض ظهره ويلقي عليه بهره او لانها جزاء الوزر وهو الاثم
وقرى يحمّل جمع خالدين على المعنى لان من مطلق متناول لغير معرض واحد وتوحيد الضمير
في اعرض وما بعده للحمل على اللفظ ونحوه قوله تعالى ومن يعص الله ورسوله فان له نار جهنم
خالدين فيها ابدا فيه اي في ذلك الوزر او في احتماله ساء في حكم بئس والضمير الذي فيه يجب
ان يكون مبهما يفسره حملا والمخصوص بالذم محذوف لدلالة الوزر السابق عليه تقديره ساء
حملا وزرهم كما حذف في قوله تعالى نعم العبد انه اواب ايوب الذي هو المخصوص بالمدح
ومنه قوله تعالى وساءت مصيرا اي وساءت مصيرا جهنم فان قلت اللام في لهم
ما هي وبم يتعلق قلت هي للبيان كما في هيت لك فان قلت ما انكرت
ان يكون في ساء ضمير الوزر قلت لا يصح ان يكون في ساء وحكمه حكم بئس ضمير شيء بعينه
غير مبهم فان قلت فلا يكون ساء الذي حكمه حكم بئس ولكن ساء الذي منه
قوله تعالى سيئت وجوه الذين كفروا ومعناه اهم واحزن قلت كفاك صادا عنه
ان يؤول كلام الله الى قولك واحزن الوزر لهم يوم القيمة حملا وذلك بعد ان تخرج من
عهدة هذه اللام وعهدة هذا المنصوب اسند النفخ الى الامر به فيمن قرا ننفخ بالنون
ولان الملائكة المقربين واسرافيل منهم بالمنزلة التي هم بها من رب العزة فصح لكرامتهم عليه و
قربهم منه ان يسند ما يتولونه الى ذاته وقرى ينفخ بلفظ ما لم يسم فاعله وينفخ ويحشر بالياء
المفتوحة على لفظ الغيبة والضمير لله تعالى او لاسرافيل عليه السلام واما يحشر المجرمون
فلم يقرا به الا الحسن وقرى في الصور بفتح الواو جمع صورة وفي الصور قولان احدهما انه بمعنى
الصور وهذه القراءة تدل عليه والثاني انه القرن قيل في الزرق قولان احدهما ان الزرقة

ابغض شيء من الوان العيون الى العرب لان الروم اعداؤهم وهم زرق العيون ولذلك
قالوا في صفة العدو اسود الكبد اصهب السبال ازرق العين والثاني ان المراد العمى لان
حدقة من يذهب نور بصره تزراق يتخافتون لما يملأ صدورهم من الرعب والهول يستقصرون
مدة لبثهم في الدنيا اما لما يعاينون من الشدائد التي تذكرهم ايام النعمة والسرور فيتأسفون
عليها ويصفونها بالقصر لان ايام السرور قصار واما لانها ذهبت عنهم وتقضت والذاهب
وان طالت مدته قصير بالانتهاء ومنه توقيع عبد الله بن المعتز تحت اطال الله بقاءك كفى با
لانتهاء قصرا واما لاستطالتهم الاخرة وانها ابد سرمد يستقصر اليها عمر الدنيا ويتقال لبث
اهلها فيها بالقياس الى لبثهم في الاخرة وقد استرجح الله قول من يكون اشد تقالا منهم في قوله
اذ يقول امثلهم طريقة ان لبثتم الا يوما ونحوه قوله تعالى قال كم لبثتم في الارض عدد سنين قالوا
لبثنا يوما او بعض يوم فسئل العادين وقيل المراد لبثهم في القبور ويعضده قوله عز وجل ويوم
تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة كذلك كانوا يؤفكون وقال الذين اوتوا
العلم والايمان لقد لبثتم في كتاب الله الى يوم البعث ينسفها يجعلها كالرمل ثم يرسل عليها
الرياح فتفرقها كما يذرى الطعام فيذرها اي فيذر مقارها ومراكزها او يجعل الضمير
للارض وان لم يجر لها ذكر كقوله ما ترك على ظهرها من دابة **فان قلت** قد فرقوا بين
العوج والعوج بالكسر في المعاني والعوج بالفتح في الاعيان والارض عين فكيف صح فيها وقالوا العوج
المكسور العين **قلت** اختيار هذا اللفظ له موقع حسن بديع في وصف الارض
بالاستواء والملاسة ونفي الاعوجاج عنها على ابلغ ما يكون وذلك انك لو عمدت الى
قطعة ارض فسويتها وبالغت في التسوية على عينك وعيون البصراء من الفلاحة و
اتفقتم على انه لم يبق فيها اعوجاج قط ثم استطلعت رأي المهندس فيها وامرته ان يعرض

استواءها

استواءها على المقاييس الهندسية لعثر فيها على عوج في غير موضع لا يدرك ذلك بحاسة
البصر ولكن بالقياس الهندسي فنفى الله عز وعلا ذلك العوج الذي دق ولطف عن الادراك
اللهم الا بالقياس الذي يعرفه صاحب التقدير والهندسة وذلك الاعوجاج لما لم
يدرك الا بالقياس دون الاحساس لحق بالمعاني فقيل فيه عوج بالكسر الامت النتو اليسير
يقال مد حبله حتى ما فيه امت اضاف اليوم الى وقت نسف الجبال في قوله يومئذ اي يوم اذ
نسفت ويجوز ان يكون بدلا بعد بدل من يوم القيامة والمراد الداعي الى المحشر قالوا
هو اسرافيل قائما على صخرة بيت المقدس يدعو الناس فيقبلون من كل اوب الى صوبه
لا يعدلون لا عوج له اي لا يعوج له مدعو بل يستوون اليه من غير انحراف متبعين لصوته
اي خفضت الاصوات من شدة الفزع وخفتت فلا تسمع الا همسا وهو الركز الخفي ومنه
الحروف المهموسة وقيل هو من همس الابل وهو صوت اخفافها اذا مشت اي لا تسمع الا خفق
الاقدام ونقلها الى المحشر من يصلح ان يكون مرفوعا ومنصوبا فالرفع على البدل من الشفاعة
بتقدير حذف المضاف اي لا تنفع الشفاعة الا شفاعة من اذن له الرحمن والنصب
على المفعولية ومعنى اذن له ورضي له لاجله اي اذن للشافع ورضي قوله لاجله ونحو هذه
اللام اللام في قوله وقال الذين كفروا للذين آمنوا لو كان خيرا ما سبقونا اليه اي يعلم
ما تقدمهم من الاحوال وما يستقبلونه ولا يحيطون بمعلوماته علما المراد بالوجوه وجوه
العصاة وانهم اذا عاينوا يوم القيامة الخيبة والشقوة وسوء الحساب صارت وجوههم عانية
اي ذليلة خاشعة مثل وجوه العناة وهم الاسارى ونحوه قوله فلما رأوه زلفة سيئت وجوه
الذين كفروا ووجوه يومئذ باسرة وقوله وقد خاب وما بعده اعتراض كقولك خابوا وخسروا
وكل من ظلم فهو خائب خاسر الظلم ان يأخذ من صاحبه فوق حقه والهضم ان يكسر من حق اخيه

فلا يوفيه له كصفة المطففين الذين اذا اكتالوا على الناس يستوفون ويبخسون واذا كالوهم
يخسرون اى فلا يخاف جزاء ظلم ولا هضم لانه لم يظلم ولم يهضم وقرئ فلا يخف على النهي
وكذلك عطف على كذلك نقص له ومثل ذلك الانزال وكما انزلنا عليك هؤلاء الايات المتضمنة
للوعيد انزلنا القرآن كله على هذه الوتيرة مكررين فيه ايات الوعيد ليكونوا بحيث
يراد منهم ترك المعاصي او فعل الخير والطاعة والذكر كما ذكر يطلق على الطاعة والعبادة
قرئ نحدث بالنون والتاء اى تحدث انت وسكن بعضهم التاء للتخفيف كما في واليوم وتحدث
اشرب غير مستحقب فتعالى الله الملك الحق استعظام له ولما يصرف عليه عباده من اوامره
ونواهيه ووعده ووعيده والادارة بين ثوابه وعقابه على حسب اعمالهم وغير ذلك مما يجري
عليه امر ملكوته ولما ذكر القرآن وانزاله قال على سبيل الاستطراد واذا لقنك جبريل ما يوحي
اليك من القرآن فتأن عليك ريثما يسمعك ويفهمك ثم اقبل عليه بالتحفظ بعد ذلك
ولا تكن قراءتك مساوقة لقراءته ونحوه قوله تعالى لا تحرك به لسانك لتعجل به وقيل معناه
لا تبلغ ما كان منه مجملا حتى يأتيك البيان وقرئ حتى نقضي اليك وحيه وقوله رب زدني
علما متضمن للتواضع لله والشكر له عندما علم من ترتيب التعلم اى علمتني يا رب لطيفة في باب
التعلم وادبا جميلا ما كان عندي فزدني علما الى علم فان لك في كل شيء حكمة وعلما وقيل ما امر الله
رسوله بطلب الزيادة في شيء الا في العلم تعالى اوامر الملوك ووصاياهم تقدم الملك الى
فلان واوعز اليه وعزم عليه وعهد اليه عطف الله سبحانه قصة آدم على قوله وصرفنا
فيه من الوعيد لعلهم يتقون والمعنى واقسم قسما لقد امرنا اباهم آدم ووصيناه ان لا يقرب
الشجرة وتوعدناه بالدخول في جملة الظالمين ان قربها وذلك من قبل وجودهم ومن قبل ان يتوعدهم
فخالف الى ما نهي عنه وتوعد في ارتكابه مخالفتهم ولم يلتفت الى الوعيد كما لا يلتفتون كأنه

يقول

٣٠٦

يقول ان اساس امر بني آدم على ذلك وعرقهم راسخ فيه **فان قلت** ما المراد بالنسيان
قلت يجوز ان يراد النسيان الذي هو نقيض الذكر وانه لم يعن بالوصية العناية
الصادقة ولم يستوثق منها بعقد القلب عليها وضبط النفس حتى تولد من ذلك النسيان
وان يراد الترك وانه ترك ما وصي به من الاحتراس عن الشجرة واكل ثمرتها وقرئ فنسي اى نساه
الشيطان والعزم التصميم والمضي على ترك الاكل وان يتصلب في ذلك تصلبا يؤيسه
من التسويل له والوجود يجوز ان يكون بمعنى العلم ومفعولاه له عزما وان يكون بنقيض العدم
كانه قال وعدمنا له عزما اذ منصوب بمضمر اى واذكر وقت ما جرى عليه من معاداة ابليس
ووسوسته اليه وتزيينه له الاكل من الشجرة وطاعته له بعد ما تقدمت معه النصيحة والموعظة
البليغة والتحذير من كيده حتى يتبين لك انه لم يكن من اولي العزم والثبات **فان قلت**
ابليس كان جنيا بدليل قوله تعالى كان من الجن ففسق عن امر ربه ثم ان ساوله الامر وهو
للملائكة خاصة **قلت** كان في صحبتهم وكان يعبد الله تعالى عبادتهم فلما امروا بالسجود
لآدم والتواضع له كرامة له كان الجني الذي معهم اجدر بان يتواضع كما لو قام لمقبل على
المجلس علية اهله وسراتهم كان القيام على واحد بينهم هو دونهم في المنزلة اوجب حتى ان لم
يقم عنف به وقيل له قد قام فلان وفلان فمن انت حتى تترفع عن القيام **فان قلت** فكيف
صح استثناؤه وهو جني عن الملائكة **قلت** عمل على حكم التغليب في اطلاق اسم الملائكة
عليهم وعليه فاخرج الاستثناء على ذلك كقولك الا فلانة لامرأة بين الرجال ابى جملة مستانفة خرجوا
كانه جواب قائل قال لم لم يسجد والوجه ان لا يقدر له مفعول وهو السجود المدلول عليه بقوله
فسجدوا وان يكون معناه اظهر الاباء وتوقف وتثبط فلا يخرجنكما فلا يكونن سببا لاخراجكما
وانما اسند الى آدم وحده فعل الشقاء دون حواء بعد اشراكهما في الخروج لان في ضمن شقاء

الرجل وهو فتم اهله وامرهم شقاءهم كما ان في ضمن سعادته سعادتهم فاختصر الكلام باسناده
اليه دونهما مع المحافظة على الفاصلة او اريد بالشقا التعب في طلب القوت وذلك
معصوب براس الرجل وهو راجع اليه وروى انه اهبط الى ادم ثور احمر فكان يحرث
عليه ويمسح العرق من جبينه قرى وانك بالكسر والفتح ووجه الفتح العطف على ان لا يجوع
فان قلت ان لا يدخل على ان فلا يقال ان ان زيدا منطلق والواو نايبة عن ان
وقايمة مقامها فلم ادخلت عليها **قلت** الواو ولم توضع لتكون ابدا نايبة عن ان انما هي
نايبة عن كل عامل فلما لم تكن حرفا موضوعا للتحقيق خاصة كان لم يمنع اجتماعهما كما
امتنع اجتماع ان وان الشبع والري والكسوة والكن هي الاقطاب التي يدور عليها
كفاف الانسان فذكر استجماعها له في الجنة وانه مكفي لا يحتاج الى كفاية كاف ولا الى كسب
كاسب كما يحتاج الى ذلك اهل الدنيا وذكر بلفظ النفي لنقايضها التي هي الجوع والعري
والظماء والضحو ليطرق سمعه باسامي اصناف الشقوة التي حذره منها حتى يتحامى
السبب الموقع فيها كراهة لها **فان قلت** كيف عدي وسوس تارة باللام في قوله فوسوس
لهما الشيطان واخرى بالى **قلت** وسوسة الشيطان كولولة الثكلى ووعوعة
الذيب ووقوقة الدجاجة في انها حكايات للاصوات وحكمها حكم صوت واجرس ومنه
وسوس المبرسم وهو موسوس بالكسر والفتح لحن وانشد ابن الاعرابي وسوس يدعو مخلصا
رب الفلق فاذا قلت وسوس له فمعناه لاجله كقوله اجرس لها يا ابن ابي كباش ومعنى
ومعنى وسوس اليه انهى اليه الوسوسة كقولك حدث اليه واسر اليه اضاف الشجرة الى
الخلد وهو الخلود لان من اكل منها خلد بزعمه كما قيل لحيزوم فرس الحيوة لان من باشر اثره حي
وملك لا يبلى دليل على قراءة الحسن بن علي وابن عباس رضي الله عنهم الا ان تكونا ملكين بالكسر

طفق

٣٠

طفق يفعل كذا مثل جعل يفعل واخذ وانشأ وحكمها حكم كاد في وقوع الخبر فعلا مضارعا
وبينها وبينه مسافة قصيرة هي للشروع في اول الامر وكاد لمشارفته والدنو منه قرى
يخصفان للتكثير والتكرير من خصف النعل وهو ان يخرز عليها الخصاف اي يلزقان
الورق بسواتهما للستر وهو ورق التين وقيل كان مدورا فصار على هذا الشكل من تحت اصابعها
وقيل كان لباسهما الظفر فلما اصابا الخطيئة نزع عنهما وتركت هذه البقايا في اطراف
الاصابع عن ابن عباس لا شبهة في ان آدم صلوات الله عليه لم يمتثل ما رسم الله له وتخطى فيه
ساحة الطاعة وذلك هو العصيان ولما عصى خرج فعله من ان يكون رشدا وخيرا فكان
غيا لا محالة لان الغي خلاف الرشد ولكن قوله وعصى آدم ربه فغوى بهذا الاطلاق
وبهذا التصريح وحيث لم يقل وزل آدم واخطاء وما اشبه ذلك مما يعبر عن الزلات و
الفرطات فيه لطف بالمكلفين ومزجرة بليغة وموعظة كافة وكانه قيل لهم انظروا واعتبروا
كيف نعيت على النبي المعصوم حبيب الله الذي لا يجوز عليه الا اقتراف الصغيرة غير المنفرة
زلته بهذه الغلظة وبهذا اللفظ الشنيع فلا تتهاونوا بما يفرط منكم من السيئات والصغاير
فضلا ان تجسروا على التورط في الكبائر وعن بعضهم فغوى فبشم من كثرة الاكل وهذا
وان صح على لغة من يقلب الياء المكسورة ما قبلها الفا فيقول فنى في فني وبقا في بقي وهم
بنو طي تفسير خبيث **فان قلت** ما معنى ثم اجتباه ربه **قلت** ثم قبله بعد التوبة
وقربه اليه من جبى الي كذا فاجتبيته ونظيره جليت على العروس فاجتليتها ومنه قوله عز وعلا
واذا لم تأتهم باية قالوا لولا اجتبيتها اي هلا جبيت اليك فاجتبيتها واصل الكلمة الجمع
ويقولون اجتبت الفرس نفسها اذا اجتمعت نفسها راجعة بعد النفار وهدى اي وفقه
لحفظ التوبة وغيره من اسباب العصمة والتقوى لما كان آدم وحواء عليهما السلام اصل

البصر والسبين اللذين منهما نسوا او تعرضوا جعلا كانهما البشر في انفسهما فخوطبا مخاطبتهم فقيل
فاتيا بالتكم على لفظ الجماعة ونظيره اسنادهم الفعل الى السبب وهو في الحقيقة للمسبب
هدى كتاب وشريعة وعن ابن عباس رضي الله عنه لمن اتبع القران ان لا يضل في الدنيا ولا يشقى في
الاخرة ثم تلا قوله فمن اتبع هداى فلا يضل ولا يشقى والمعنى ان الشقاء في الاخرة هو عقاب
من ضل في الدنيا عن طريق الدين فمن اتبع كتاب الله وامتثل اوامره وانتهى عن نواهيه نجا
من الضلال ومن عقابه الضنك مصدر يستوى في الوصف به المذكر والمؤنث وقرى
ضنكى على فعلى ومعنى ذلك ان مع الدين التسليم والقناعة والتوكل على الله وعلى قسمته
فصاحبه ينفق ما رزقه بسماح وسهولة فيعيش عيشا رافغا كما قال عز وجل فلنحيينه حيوة
طيبة والمعرض عن الدين مستول عليه الحرص الذى لا يزال يطمح به الى الازدياد من الدنيا
مسلط عليه الشح الذى يقبض يده عن الانفاق فعيشه ضنك وحاله مظلمة كما قال بعض
المتصوفة لا يعرض احد عن ذكر ربه الا اظلم عليه وقته وتشوش عليه رزقه ومن الكفرة من ضرب الله
عليه الذلة والمسكنة لكفره قال الله تعالى وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤ بغضب من الله
ذلك بانهم كانوا يكفرون بايات الله وقال ولو انهم اقاموا التورية والانجيل وما انزل اليهم
من ربهم لاكلوا من فوقهم ومن تحت ارجلهم وقال ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا لفتحنا
عليهم بركات من السماء والارض وقال استغفروا ربكم انه كان غفارا يرسل السماء عليكم
مدرارا وقال وان لو استقاموا على الطريقة لاسقيناهم ماء غدقا وعن الحسن هو الضريع
والزقوم في النار وعن ابى سعيد الخدرى عذاب القبر وقرى ونحشره بالجزم عطفا على محل
فان له معيشة ضنكا لانه جواب الشرط وقرى ونحشره بسكون الهاء على لفظ الوقف
وهذا مثل قوله ونحشرهم يوم القيمة على وجوههم عميا وبكما وصما فقرن الزرق بالعمى كذلك

اى

اى مثل ذلك فعلت انت ثم فسر بان اياتنا اتتك واضحة مستنيرة فلم تنظر اليها
بعين المعتبر ولم تتبصر وتركتها وعميت عنها فكذلك اليوم نتركك على عماك ولا نزيل غطاه
عن عينيك لما توعد المعرض عن ذكره بعقوبتين المعيشة الضنك في الدنيا وحشره
اعمى في الاخرة ختم ايات الوعيد بقوله ولعذاب الاخرة اشد وابقى كانه قال وللحشر على
العمى الذى لا يزول ابدا اشد من ضيق العيش المنقضى او اراد ولتركنا اياه في
العمى اشد وابقى من تركه لاياتنا فاعل لم يهد الجملة بعده يريد الم يهد لهم هذا بمعناه ومضمونه
ونظيره قوله تعالى وتركنا عليه في الاخرين سلام على نوح في العالمين اى تركنا عليه هذا
الكلام ويجوز ان يكون فيه ضمير الله او الرسول ويدل عليه القراءة بالنون وقرى يمشون يريد
ان قريشا يتقلبون في بلاد عاد وثمود ويمشون في مساكنهم ويعاينون اثار هلاكهم الكلمة السابقة
هى العدة بتاخير جزائهم الى الاخرة يقول لولا هذه العدة لكان مثل اهلاكنا عادا وثمود لازما
لهولاء الكفرة واللزام اما مصدر لازم وصف به واما فعال بمعنى مفعل اى ملزم كانه آلة اللزوم لفرط
لزومه كما قالوا لزاز خصم واجل مسمى لا يخلو من ان يكون معطوفا على كلمة او على الضمير في كان
اى لكان الاخذ العاجل واجل مسمى لازمين له كما كانا لازمين لعاد وثمود ولم ينفرد الاجل
المسمى دون الاخذ العاجل بحمد ربك في موضع الحال اى وانت حامد لربك على
ان وفقك للتسبيح واعانك عليه المراد بالتسبيح الصلوة او على ظاهره قدم الفعل على الاوقات
اولا والاوقات على الفعل اخرا فكانه قال صل لله قبل طلوع الشمس يعنى الفجر وقبل غروبها يعنى
الظهر والعصر لانهما واقعتان في النصف الاخير من النهار بين زوال الشمس وغروبها وتعمد اناء
الليل واطراف النهار مختصا لها بصلاتك وذلك ان افضل الذكر ما كان بالليل لاجتماع القلب
وهدو الرجل والخلو بالرب وقال الله عز وجل ان ناشئة الليل هى اشد وطأ واقوم قيلا وقال

امن هو قانت آناء الليل ساجدا وقائما ولان الليل وقت السكون والراحة فاذا صرف الى
العبادة كانت على النفس اشد واشق وللبدن اتعب وانصب وكانت ادخل في معنى
التكليف وافضل عند الله وقد تناول التسبيح في آناء الليل صلوة العتمة وفي اطراف النهار
صلوة المغرب وصلوة الفجر على التكرار ارادة الاختصاص كما اختصت في قوله حافظوا
على الصلوات والصلوة الوسطى عند بعض المفسرين **فان قلت** ما وجه قوله واطراف
النهار على الجمع وانما هما طرفان كما قال واقم الصلوة طرفي النهار **قلت** الوجه امن
الالباس وفي التثنية زيادة بيان ونظير مجيء الامرين في الآية مجيئهما في قوله ظهراهما مثل ظهور
الترسين وقرئ واطراف النهار عطفا على آناء الليل ولعل للمخاطب اي اذكر الله في هذه
الاوقات طمعا ورجاء ان تنال عند الله ما به ترضى نفسك ويسر قلبك وقرئ ترضى اي يرضيك
ربك ولا تمدن عينيك اي نظر عينيك ومد النظر تطويله وان لا يكاد يرده استحسانا للمنظور
اليه واعجابا به وتمنيا ان يكون له كما فعل نظارة قارون حين قالوا يا ليت لنا مثل ما اوتي قارون
انه لذو حظ عظيم حتى واجههم اولوا العلم والايمان بويلكم ثواب الله خير لمن آمن وعمل صالحا
وفيه ان النظر غير الممدود معفو عنه وذلك مثل نظر من باده الشيء بالنظر ثم غض الطرف ولما
كان النظر الى الزخارف كالمركوز في الطباع وان من ابصر منها شيئا احب ان يمد اليه
نظره ويملأ منه عينيه قيل ولا تمدن عينيك اي لا تفعل ما انت معتاد له وضار به ولقد شدد
العلماء من اهل التقوى في وجوب غض البصر عن ابنية الظلمة وعدد الفسقة في اللباس
والمراكب وغير ذلك لانهم انما اتخذوا هذه الاشياء لعيون النظارة فالناظر اليها محصل
لغرضهم وكالمغري لهم على اتخاذها ازواجا منهم اصنافا من الكفرة ويجوز ان ينتصب حالا من هاء
الضمير والفعل واقع على منهم كانه قال الى الذي متعنا به وهو اصناف بعضهم وناسا منهم

قلت

فان قلت علام انتصب زهرة **قلت** على احد اربعة اوجه على الذم وهو
النصب على الاختصاص وعلى تضمين متعنا معنى اعطينا وخولنا وكونه مفعولا ثانيا له
وعلى ابداله من محل الجار والمجرور وعلى ابداله من ازواجا على تقدير ذوي زهرة
فان قلت ما معنى الزهرة فيمن حرك **قلت** معنى الزهرة بعينه وهو الزينة و
البهجة كما جاء في الجهرة الجهرة قرئ ارنا الله جهرة وان يكون جمع زاهر وصفا لهم بانهم زاهروا
هذه الدنيا لصفاء الوانهم مما يلهون ويتنعمون وتهلل وجوههم وبهاء زيهم وشارتهم بخلاف
ما عليه المؤمنون والصلحاء من شحوب الالوان والتقشف في الثياب لنفتنهم لنبلوهم حتى
يستوجبوا العذاب لوجود الكفران منهم او لنعذبهم في الآخرة بسببه ورزق ربك هو
ما ادخر له من ثواب الآخرة الذي هو خير منه في نفسه وادوم او ما رزقه من نعمة الاسلام
والنبوة او لان اموالهم الغالب عليها الغصب والسرقة والحرمة من بعض الوجوه والحلال خير
وابقى لان الله لا ينسب الى نفسه الا ما حل وطاب دون ما حرم وخبث والحرام لا يسمى
رزقا وعن عبد الله بن قسيط عن رافع قال بعثني رسول الله صلى الله عليه الى يهودي وقال
قل له يقول لك رسول الله اقرضني الى رجب فقال والله لا اقرضته الا برهن فقال رسول الله
اني لامين في السماء واني لامين في الارض احمل اليه درعي الحديد فنزلت ولا تمدن عينيك
وامر اهلك بالصلوة اي واقبل انت مع اهلك على عبادة الله والصلوة واستعينوا بها على
خصاصتكم ولا تهتم بامر الرزق والمعيشة فان رزقك مكفي من عندنا ونحن رازقوك ولا نسألك
ان ترزق نفسك ولا اهلك ففرغ بالك لامر الآخرة وفي معناه قول الناس من كان
في عمل الله كان الله في عمله وعن عروة بن الزبير انه كان اذا رأى ما عند السلاطين قرأ ولا
تمدن عينيك الآية ثم نادى الصلوة الصلوة رحمكم الله وعن بكر بن عبد الله المزني كان اذا

اصاب اهله خصاصه قال قوموا فصلوا بهذا امر الله ورسوله ثم تلو هذه الاية امر حوا على
عادتهم في التعنت ايه على النبوه فقيل لهم اولم ياتكم ايه هي ام الايات واعظمها في باب
الاعجاز يعني القران من قبل ان القران برهان ما في ساير الكتب المنزله ودليل صحته
لانه معجز وتلك ليست بمعجزات فهي مفتقره الى شهادته على صحة ما فيها افتقار المحتج
عليه الى شهادة الحجه وقرى الصحف بالتخفيف ذكر الضمير الراجع الى البينه لانها في
معنى البرهان والدليل وقرى نذل ونخزى على لفظ ما لم يسم فاعله كل اى كل واحد
منا ومنكم متربص للعاقبه ولما يوول اليه امرنا وامركم وقرى السواء بمعنى الوسط والجيد والسوى
او المستوى والسوء والسوء والسو والسوى تصغير السوء وقرى فتمتعوا فسوف تعلمون قال
ابو رافع حفظته من رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة طه اعطى يوم القيمة ثواب المهاجرين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
والانصار وقال لا يقرا اهل الجنة من القران الا طه ويس   والله اعلم بالصواب

سورة الانبيا مكية مائة واثنا عشرة اية

بسم الله الرحمن الرحيم

هذه اللام لا تخلو من ان تكون صله لاقترب او تاكيدا لاضافه الحساب اليهم كقولك ازف
للحي رحيلهم الاصل ازف رحيل الحي ثم ازف للحي الرحيل ثم ازف للحي رحيلهم ونحوه ما اورده
سيبويه في باب ما تثنى فيه المستقر توكيدا عليك زيد حريص عليك وفيك زيد راغب
فيك ومنه قولهم لا اباك لان اللام موكده لمعنى الاضافه وهذا الوجه اغرب من الاول
والمراد اقتراب الساعة واذا اقتربت الساعة فقد اقترب ما يكون

٤٠

فيها من الحساب والثواب والعقاب وغير ذلك ونحوه واقترب الوعد الحق والدليل عليه قوله عز وعلا ويستعجلونك
فان قلت كيف وصف بالاقتراب وقد عدت دون هذا القول اكثر من بالعذاب وان يوما عند ربك كالف
خمسمائة عام **قلت** هو مقترب عند الله والدليل عليه قوله عز وجل ويستعجلونك بالعذاب وان يوما عند ربك كالف سنة مما تعدون صح
ولات كل آت وان طالت اوقات استقباله
وترقبه قريب وانما البعيد هو الذي وجد وانقرض ولان ما بقي من الدنيا اقصروا
قل مما سلف منها بدليل انبعاث خاتم النبيين الموعود بعثته في اخر الزمان وقال عليه السلام
بعثت في نسم الساعة وفي خطبة بعض المتقدمين ولت الدنيا حذاء ولم تبق الا صبابة
كصبابة الاناء واذا كانت بقية الشيء وان كثرت في نفسها قليله بالاضافه الى معظمه
كانت خليقه بان توصف بالقله وقصر الذرع وعن ابن عباس ان المراد بالناس المشركون
وهذا من اطلاق اسم الجنس على بعضه للدليل القايم وهو ما يتلوه من صفات المشركين وصفهم
بالغفله مع الاعراض على معنى انهم غافلون عن حسابهم ساهون لا يتفكرون في عاقبتهم ولا
يتفطنون لما ترجع اليه خاتمة امرهم مع اقتضاء عقولهم انه لا بد من جزاء للمحسن والمسيء صح
اذا قرعت لهم العصا ونبهوا عن سنة الغفله وفطنوا لذلك بما يتلى عليهم من الايات
والنذر اعرضوا وسدوا اسماعهم ونفروا وقرر اعراضهم عن تنبيه المنبه وايقاظ الموقظ
بان الله يجدد لهم الذكر وقتا فوقتا ويحدث الاية بعد الاية والسوره بعد السوره ليكرر على اسماعهم بعد الايه صح
التنبيه والموعظه لعلهم يتعظون فما يزيدهم استماع الاى والسور وما فيها من فنون المواعظ
والبصاير التي هي احق الحق واجد الجد الا لعبا وتلهيا واستسخارا والذكر هو الطايفه
النازله من القران وقرا ابن ابي عبله محدث بالرفع صفه على المحل قوله وهم يلعبون لاهيه
قلوبهم حالان مترادفتان او متداخلتان ومن قرا لاهيه بالرفع فالحال واحدة لان
لاهيه قلوبهم خبر بعد خبر لقوله وهم واللاهيه من لهى عنه اذا ذهل وغفل يعني انهم وان فطنوا

منهم في قلة جدوى فطنتهم كانهم لم يتفطنوا اصلا وثبتوا على راس غفلتهم وذهولهم
عن التامل والتبصر بقلوبهم **فان قلت** النجوى وهي اسم من التناجي لا تكون الا خفية
فما معنى قوله واسروا **قلت** معناه وبالغوا في اخفائها او جعلوها بحيث
لا يفطن احد لتناجيهم ولا يعلم انهم متناجون ابدل الذين ظلموا من واو واسروا
اشعارا بانهم الموسومون بالظلم الفاحش فيما اسروا به او جاء على لغة من قال اكلوني
البراغيث او هو منصوب المحل على الذم او هو مبتدا خبره اسروا النجوى قدم عليه والمعنى
وهولاء اسروا النجوى فوضع المظهر موضع المضمر تسجيلا على فعلهم بانه ظلم هل هذا الا بشر مثلكم
افتاتون السحر وانتم تبصرون هذا الكلام كله في محل النصب بدلا من النجوى اي واسروا
هذا الحديث ويجوز ان يتعلق بقالوا مضمرا اعتقدوا ان رسول الله لا يكون الا ملكا وان كل
من ادعى الرسالة من البشر وجاء بالمعجزة فهو ساحر ومعجزته سحر فلذلك قالوا على سبيل الانكار
افتحضرون السحر وانتم تشاهدون وتعاينون انه سحر **فان قلت** لم اسروا هذا الحديث
وبالغوا في اخفائه **قلت** كان ذلك شبه التشاور فيما بينهم والتحاور في طلب
الطريق الى هدم امره وعمل المنصوبة في التثبيط عنه وعادة المتشاورين في خطب ان لا
يشركوا اعداءهم في شوراهم ويتجاهدوا في طي سرهم عنهم ما امكن واستطيع ومنه قول
الناس استعينوا على حوائجكم بالكتمان ويرفع الى رسول الله صلى الله عليه ويجوز ان يسروا
نجواهم بذلك ثم يقولوا لرسول الله والمومنين ان كان ما تدعونه حقا فاخبرونا بما اسررناه
فان قلت هلا قيل يعلم السر لقوله واسروا النجوى **قلت** القول عام يشمل السر
والجهر فكان في العلم به العلم بالسر وزيادة فكان اكد في بيان الاطلاع على نجواهم
من ان يقول يعلم السر كما ان قوله يعلم السر اكد من ان يقول يعلم سرهم ثم بين ذلك بانه السميع

العليم

٤٠١

العليم لذاته فكيف تخفى عليه خافية **فان قلت** فلم ترك هذا الاكد في سورة الفرقان
في قوله قل انزله الذي يعلم السر في السموات والارض **قلت** ليس بواجب ان يجي بالاكد
في كل موضع ولكن يجي بالوكيد تارة وبالاكد اخرى كما يجي بالحسن في موضع وبالاحسن
في غيره ليفتن الكلام افتنانا وتجمع الغاية وما دونها على ان اسلوب تلك الاية خلاف
اسلوب هذه من قبل انه قدم ههنا انهم اسروا النجوى فكانه اراد ان يقول ان ربي يعلم
ما اسروه فوضع القول موضع ذلك للمبالغة وثم قصد وصف ذاته بان انزله الذي يعلم السر في
السموات والارض فهو كقوله علام الغيوب عالم الغيب لا يعزب عنه مثقال ذرة وقرئ
قال ربي حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه اضربوا عن قولهم هو سحر الى انه تخاليط
احلام ثم الى انه كلام مفترى من عنده ثم الى انه قول شاعر وهكذا الباطل لجلج والمبطل متحير
رجاع غير ثابت على قول واحد ويجوز ان يكون تنزيلا من الله تعالى لاقوالهم في درج الفساد
وان قولهم الثاني افسد من الاول والثالث افسد من الثاني وكذلك الرابع من الثالث صحة
التشبيه في قوله كما ارسل الاولون من حيث انه في معنى كما اوتي الاولون بالايات لان
ارسال الرسل متضمن للاتيان بالايات الا ترى انه لا فرق بين ان تقول ارسل محمد وبين — الاترى
قولك اتى محمد بالمعجزة اهم يؤمنون فيه انهم اعتى من الذين اقترحوا على انبيائهم الايات و
عاهدوا انهم يؤمنون عندها فلما جاءتهم نكثوا وخالفوا فاهلكهم الله فلو اعطيناهم ما يقترحون
لكانوا انكث وانكث امرهم ان يستعلموا اهل الذكر وهم اهل الكتاب حتى يعلموهم ان رسل الله
الموحى اليهم كانوا بشرا ولم يكونوا ملائكة كما اعتقدوا وانما احالهم على اولئك لانهم كانوا يشايعون — كانوا
المشركين في معاداة رسول الله قال الله تعالى ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن
الذين اشركوا اذى كثيرا فلا يكاذبونهم فيما هم فيه ردء لرسول الله لا ياكلون الطعام صفة

جسدا والمعنى وما جعلنا الانبيا قبله ذوي جسد غير طاعمين ووحد الجسد لارادة الجنس
كانه قال ذوي ضرب من الاجساد وهذا رد لقولهم ما لهذا الرسول ياكل الطعام فان قلت
نعم قد رد ذلك انكارهم ان يكون الرسول بشرا ياكل ويشرب بما ذكرت فماذا رد من قولهم بقوله
وما كانوا خالدين قلت يحتمل ان يقولوا انه بشر مثلنا يعيش كما نعيش ويموت كما
نموت او يقولوا هلا كان ملكا لا يطعم ويخلد اما معتقدين ان الملايكة لا يموتون او مسمين
حياتهم المتطاولة وبقاءهم الممتد خلودا صدقناهم الوعد مثل واختار موسى قومه والاصل
في الوعد ومن قولهم صدقوهم القتال وصدقني سن بكره ومن نشاء هم المومنون ومن
في بقائه مصلحة ذكركم شرفكم وصيتكم كما قال وانه لذكر لك ولقومك او موعظتكم او فيه
مكارم الاخلاق التي كنتم تطلبون بها الثنا وحسن الذكر كحسن الجوار والوفا بالعهد وصدق
الحديث واداء الامانة والسخاء وما اشبه ذلك وكم قصمنا من قرية واردة عن غضب شديد
ومنادية على سخط عظيم لان القصم افظع الكسر وهو الكسر الذي يبين تلاؤم الاجزا بخلاف
الفصم واراد بالقرية اهلها ولذلك وصفها بالظلم وقال قوما اخرين لان المعنى اهلكنا قوما
وانشانا قوما اخرين وعن ابن عباس انها حضورا وهي وسحول قريتان باليمن ينسب اليهما
الثياب وفي الحديث كفن رسول الله صلى الله عليه في ثوبين سحوليين وروي حضوريين
بعث الله اليهم نبيا فقتلوه فسلط الله عليهم بخت نصر كما سلطه على اهل بيت المقدس
فاستاصلهم وروي انه لما اخذتهم السيوف ونادى منادي من السما يا لثارات
الانبيا ندموا واعترفوا بالخطا وذلك حين لم ينفعهم الندم وظاهر الاية على الكثرة ولعل ابن
عباس رضي الله عنه ذكر حضورا بانها احدى القرى التي ارادها الله بهذه الاية فلما علموا شدة
عذابنا وبطشنا علم حس ومشاهدة لم يشكوا فيها ركضوا من ديارهم والركض ضرب الدابة

بالرجل

بالرجل ومنه قوله تعالى اركض برجلك فيجوز ان يركبوا دوابهم يركضونها هاربين منهزمين من
قريتهم لما ادركتهم مقدمة العذاب ويجوز ان يشبهوا في سرعة عدوهم على ارجلهم بالراكبين
الراكضين لدوابهم فقيل لهم لا تركضوا والقول محذوف فان قلت من القايل قلت
يحتمل ان يكون بعض الملايكة او من ثم من المومنين او يجعلون خلقا بان يقال لهم ذلك و
ان لم يقل او يقوله رب العزة ويسمعه ملايكته لينفعهم في دينهم او يلهمهم ذلك فيحدثوا به
نفوسهم وارجعوا الى ما اترفتم فيه من العيش الرافه والحال الناعمة والاتراف ابطار النعمة وهي
الترفه لعلكم تسالون تهكم بهم وتوبيخ اي ارجعوا الى نعمكم ومساكنكم لعلكم تسالون غدا عما جرى
عليكم ونزل باموالكم ومساكنكم فتجيبوا السايل عن علم ومشاهدة او ارجعوا واجلسوا كما كنتم في
مجالسكم وترتبوا في مراتبكم حتى يسالكم عبيدكم وحشمكم ومن تملكون امره وينفذ فيه امركم
ونهيكم ويقولوا لكم بم تامرون وماذا ترسمون وكيف ناتي ونذر كعادة المنعمين المخدمين او
يسالكم الناس في انديتكم المعاون في نوازل الخطوب ويستشيرونكم في المهمات والعوارض
ويستشفون بتدابيركم ويستضيئون باراىكم او يسالكم الوافدون عليكم والطماع و
يستمطرون سحايب اكفكم ويمترون اخلاف معروفكم وايديكم اما لانهم كانوا اسخيا
ينفقون اموالهم رئا الناس وطلب الثنا او كانوا بخلا فقيل لهم ذلك تهكما الى تهكم وتوبيخا
الى توبيخ تلك اشارة الى يا ويلنا لانها دعوى كانه قيل فما زالت تلك الدعوى دعواهم
والدعوى بمعنى الدعوة قال الله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين فان قلت
لم سميت دعوى قلت لان المولول كانه يدعو الويل فيقول تعالى يا ويل فهذا
وقتك وتلك مرفوع او منصوب اسما او خبرا وكذلك دعواهم الحصيد الزرع المحصود
اي جعلناهم مثل الحصيد شبههم في استيصالهم واصطلامهم كما تقول جعلناهم رمادا اي مثل

الرماد والضمير المنصوب هو الذي كان مبتدأ والمنصوبان بعد كان الخبرين له فلما
دخل عليها جعل نصبها جميعا على المفعولية **فان قلت** كيف ينصب جعل ثلاثة مفاعيل
قلت حكم الاثنين الآخرين حكم الواحد لان معنى قولك جعلته حلوا حامضا
جعلته جامعا للطعمين وكذلك معنى ذلك جعلناهم جامعين لمماثلة الحصيد والخمود
اي وما سوينا هذا السقف المرفوع وهذا المهاد الموضوع وما بينهما من اصناف الخلائق
مشحونة بضروب البدائع والعجائب كما تسوي الجبابرة سقوفهم وفرشهم وساير زخارفهم
للهو واللعب وانما سويناها للفوائد الدينية والحكم الربانية لتكون مطارح افكار و
اعتبار واستدلال ونظر لعبادنا مع ما يتعلق لهم بها من المنافع التي لا تعد والمرافق التي
لا تحصى ثم بين ان السبب في ترك اتخاذ اللهو واللعب وانتفائه عن افعالي هو ان الحكمة
صارفة عنه والا فانا قادر على اتخاذه ان كنت فاعلا لاني على كل شيء قدير وقوله لاتخذناه
من لدنا كقوله رزقا من لدنا اي من جهة قدرتنا وقيل اللهو الولد بلغة اليمن وقيل المرأة
وقيل من لدنا اي من الملائكة لا من الانس ردا لولادة المسيح وعزير بل اضراب عن اتخاذ
اللهو واللعب وتنزيه منه لذاته كانه قال سبحاننا ان نتخذ اللهو واللعب بل من عادتنا و
موجب حكمتنا واستغنائنا عن القبيح ان نغلب اللعب بالجد وندحض الباطل بالحق
واستعار لذلك القذف والدمغ تصويرا لابطاله به واهداره ومحقه فجعله كانه جرم صلب
كالصخرة مثلا قذف به على جرم رخو اجوف فدمغه ثم قال ولكم الويل مما تصفونه مما لا يجوز
عليه وعلى حكمته وقرئ فيدمغه بالنصب وهو في ضعف قوله ساترك منزلي لبني تميم والحق
بالحجاز فاستريحا وقرئ فيدمغه من عنده هم الملائكة والمراد انهم مكرمون منزلون لكرامتهم
عليه منزلة المقربين عند الملوك على طريق التمثيل والبيان لشرفهم وفضلهم على جميع خلقه

فان قلت الاستحسار مبالغة في الحسور فكان الابلغ في وصفهم ان ينفي عنهم
ادنى الحسور **قلت** في الاستحسار بيان ان ما هم فيه يوجب غاية الحسور
واقصاه وانهم احقاء لتلك العبادات الباهظة بان يستحسروا فيما يفعلون اي تسبيحهم
متصل دائم في جميع اوقاتهم لا يتخلله فترة بفراغ او بشغل آخر هذه ام المنقطعة الكائنة
بمعنى بل والهمزة قد آذنت بالاضراب عما قبلها والانكار لما بعدها والمنكر هو اتخاذهم آلهة
من الارض هم ينشرون الموتى ولعمري ان من اعظم المنكرات ان ينشر الموتى بعض الموات
فان قلت كيف انكر عليهم اتخاذ آلهة تنشر وما كانوا يدعون ذلك لآلهتهم
وكيف وهم ابعد شيء عن هذه الدعوى وذلك انهم كانوا مع اقرارهم لله عز وجل بانه خالق
السموات والارض ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وبانه القادر على
المقدورات كلها وعلى النشأة الاولى منكرين البعث ويقولون من يحيي العظام وهي رميم
وكان عندهم من قبيل المحال الخارج عن قدرة القادر كالثاني القديم فكيف يدعونه للجماد الذي
لا يوصف بالقدرة راسا **قلت** الامر كما ذكرت ولكنهم بادعائهم لها الالهية
يلزمهم ان يدعوا لها الانشار لانه لا يستحق هذا الاسم الا القادر على كل مقدور والانشار
من جملة المقدورات وفيه باب من التهكم بهم والتوبيخ والتجهيل واشعار بان ما استبعدوه
من الله لا يصح استبعاده لان الالهية لما صحت صح معها الاقتدار على الابداء والاعادة ونحو
قوله من الارض قولك فلان من مكة او من المدينة تريد مكي او مدني ومعنى نسبتها الى الارض
الايذان بانها الاصنام التي تعبد في الارض لان الآلهة على ضربين ارضية وسماوية ومن ذلك
حديث الامة التي قال لها رسول الله صلى الله عليه اين ربك فاشارت الى السماء فقال انها مؤمنة
لانه فهم منها ان مرادها نفي الآلهة الارضية التي هي الاصنام لا اثبات السماء مكانا لله عز وجل

ويجوز ان يراد آلهة من جنس الارض لانها اما ان تنحت من بعض الحجارة او تعمل من بعض جواهر
الارض **فان قلت** لا بد من نكتة في قوله هم **قلت** النكتة فيه افادة معنى
الخصوصية كانه قيل ام اتخذوا آلهة لا يقدر على الانشار الا هم وحدهم وقرئ ينشرون
وهما لغتان انشر الله الموتى ونشرها وصفت آلهة بالا كما توصف بغير لو قيل آلهة غير الله
فان قلت ما منعك من الرفع على البدل **قلت** لان لو بمنزلة ان في ان الكلام
معه موجب والبدل لا يسوغ الا في الكلام غير الموجب كقوله تعالى ولا يلتفت منكم احد
الا امراتك وذلك لان اعم العام يصح نفيه ولا يصح ايجابه والمعنى لو كان يتولاهما ويدبر
امرهما آلهة شتى غير الواحد الذي هو فاطرهما لفسدتا وفيه دلالة على امرين احدهما وجوب الا اياه وحده
ان لا يكون مدبرهما الا واحدا والثاني ان لا يكون ذلك الواحد لقوله الا الله **فان قلت**
لم وجب الامران **قلت** لعلمنا ان الرعية تفسد بتدبير الملكين لما يحدث بينهما من
التغالب والتناكر والاختلاف وعن عبد الملك بن مروان حين قتل عمرو بن
سعيد الاشدق كان والله اعز علي من دم ناظري ولكن لا يجتمع فحلان في شول وهذا
ظاهر واما طريقة التمانع فللمتكلمين فيها تجاول وطراد ولان هذه الافعال محتاجة الى تلك
الذات المتميزة بتلك الصفات حتى تثبت وتستقر اذا كانت عادة الملوك والجبابرة ان
لا يسالهم من في مملكتهم عن افعالهم وعما يوردون ويصدرون من تدبير ملكهم تهيبا واجلالا مع
جواز الخطأ والزلل وانواع الفساد عليهم كان ملك الملوك ورب الارباب خالقهم ورازقهم
اولى بان لا يسال عن افعاله مع ما علم واستقر في العقول من ان ما يفعله كله مفعول بدواعي الحكمة
ولا يجوز عليه الخطأ ولا فعل القبائح وهم يسالون اي هم مملوكون مستعبدون خطاؤون فما
اخلقهم بان يقال لهم لم فعلتم في كل شيء فعلوه كرر ام اتخذوا من دونه آلهة استفظاعا لشانهم

واستعظاما لكفرهم اي وصفتم الله تعالى بان له شركاء فهاتوا برهانكم على ذلك اما من جهة
العقل واما من جهة الوحي فانكم لا تجدون كتابا من كتب الاولين الا وتوحيد الله وتنزيهه
عن الانداد مدعو اليه والاشراك به منهي عنه متوعد عليه اي هذا الوحي الوارد في معنى
توحيد الله ونفي الشركاء عنه كما ورد علي فقد ورد على جميع الانبياء فهو ذكر اي عظة للذين
معي يعني امته وذكر للذين قبلي يريد امم الانبياء وقرئ ذكرٌ من معي وذكرٌ من قبلي بالتنوين و
من مفعول منصوب بالذكر كقوله او اطعام في يوم ذي مسغبة يتيما وهو الاصل والاضافة
من اضافة المصدر الى المفعول كقوله غلبت الروم وهم من بعد غلبهم سيغلبون وروي من
معي ومن قبلي على من الاضافة في هذه القراءة وادخال الجار على مع غريب والعذر فيه انه اسم
هو ظرف نحو قبل وبعد وعند ولدن وما اشبه ذلك فدخل عليه من كما يدخل على اخواته
وقرئ ذكرٌ معي وذكرٌ قبلي كانه قيل بل عندهم ما هو اصل الشر والفساد كله وهو الجهل وفقد العلم
وعدم التمييز بين الحق والباطل فمن ثم جاء هذا الاعراض ومن هنالك ورد هذا الانكار وقرئ
الحق بالرفع على توسط التوكيد بين السبب والمسبب والمعنى ان اعراضهم بسبب الجهل
هو الحق لا الباطل ويجوز ان يكون المنصوب ايضا على هذا المعنى كما تقول هذا عبد الله
الحق لا الباطل يوحى ونوحي مشهورتان وهذه الآية مقررة لما سبقها من آي التوحيد نزلت في
خزاعة حيث قالوا الملائكة بنات الله نزه ذاته عن ذلك ثم اخبر عنهم بانهم عباد والعبودية
تنافي الولادة الا انهم مكرمون مقربون عندي مفضلون على سائر العباد لما هم عليه من احوال
وصفات ليست لغيرهم فذلك غرّ منهم من زعم انهم اولادي تعاليت عن ذلك علوا كبيرا بعد الذين
وقرئ مكرّمون ولا يسبقونه بالضم من سابقته فسبقته اسبقه والمعنى انهم يتبعون قوله ولا
يقولون شيئا حتى يقوله فلا يسبق قولهم قوله والمراد بقولهم فانيب اللام مناب الاضافة

اي لا يتقدمون قوله بقولهم كما تقول سبقت بفرسي فرسه وكما ان قولهم تابع لقوله فعملهم
ايضا كذلك مبني على امره لا يعملون عملا ما لم يؤمروا به وجميع ما ياتون ويذرون مما قدموا
واخروا بعين الله وهو مجازيهم عليه فلاحاطتهم بذلك يضبطون انفسهم ويراعون احوالهم
ويعمرون اوقاتهم ومن تحفظهم انهم لا يجسرون ان يشفعوا الا لمن ارتضاه الله واهله للشفاعة
في ازدياد في ازدياد الثواب في التبجيل والتعظيم ثم انهم مع هذا كله من خشية الله مشفقون
اي متوقعون من امارة ضعيفة كائنون على حذر ورقبة لا يامنون مكر الله وعن رسول الله صلى الله
عليه انه راى جبريل ليلة المعراج ساقطا كالحلس من خشية الله وبعد ان وصف كرامتهم
عليه وقرب منزلتهم عنده واثنى عليهم واضاف اليهم تلك الافعال السنية والاعمال الكريمة
فاجا بالوعيد الشديد وانذر بعذاب جهنم من اشرك منهم ان كان ذلك على سبيل الفرض
والتمثيل مع احاطة علمه بانه لا يكون كما قال ولو اشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون فقصد
بذلك تفظيع امر الشرك وتعظيم شان التوحيد قرئ الم ير بغير واو ورتقا بفتح التاء وكلاهما
في معنى المفعول كالخلق والنقض اي كانتا مرتوقتين **فان قلت** الرتق صالح ان يقع موقع
مرتوقين لانه مصدر فما بال الرتق **قلت** هو على تقدير موصوف اي كانتا شيئا
رتقا ومعنى ذلك ان السماء كانت لاصقة بالارض لا فضاء بينهما او كانت السموات متلا
متلاصقات وكذلك الارضون لا فرج بينها ففتقها الله وفرج بينها وقيل ففتقناها بالمطر والنبات
بعد ما كانت مصمتة وانما قيل كانتا دون كن لان المراد جماعة السموات وجماعة الارض ونحوه
قولهم لقاحان سوداوان اي جماعتان فعل في المضمر نحو ما فعل في المظهر **فان قلت**
متى راوهما رتقا حتى جاء تقريرهم بذلك **قلت** فيه وجهان احدهما انه وارد في القران
الذي هو معجز في نفسه فقام مقام المرئي المشاهد والثاني ان تلاصق الارض والسماء وتباينهما كلاهما

جائز

جائز في العقل فلا بد للتباين دون التلاصق من مخصص وهو القديم سبحانه وجعلنا لا يخلو
ان يتعدى الى واحد او اثنين فان تعدى الى واحد فالمعنى خلقنا من الماء كل حيوان كقوله
والله خلق كل دابة من ماء او كانما خلقناه من الماء لفرط احتياجه اليه وحبه له وقلة صبره
عنه كقوله خلق الانسان من عجل وان تعدى الى اثنين فالمعنى صيرنا كل شيء حي بسبب من
الماء لا بد له منه ومن هذا نحو من في قوله عليه السلام ما انا من دد ولا الدد مني وقرئ حيا
وهو المفعول الثاني والظرف لغو ان تميد بهم اي كراهة ان تميل بهم وتضطرب او لان
لا تميد بهم فحذف لا واللام وانما جاز حذف لا لعدم الالتباس كما تزاد لذلك في نحو
قوله لئلا يعلم اهل الكتاب وهذا مذهب الكوفيين الفج الطريق الواسع **فان قلت**
في الفجاج معنى الوصف فما لها قدمت على السبل ولم تؤخر كما في قوله تعالى لتسلكوا منها سبلا
فجاجا **قلت** لم تقدم وهي صفة ولكن جعلت حالا كقوله لعزة موحشا طلل قديم
فان قلت ما الفرق بينهما من جهة المعنى **قلت** احدهما اعلام بانه جعل
فيها طرقا واسعة والثاني بانه حين خلقها خلقها على تلك الصفة فهو بيان لما ابهم ثمة محفوظا حفظه
بالامساك بقدرته من ان يقع على الارض ويتزلزل او بالشهب عن تسمع الشياطين على سكانه
من الملائكة عن اياتها اي عما وضع الله فيها من الادلة والعبر بالشمس والقمر وسائر النيرات ومسايرها
وطلوعها وغروبها على الحساب القويم والترتيب العجيب الدال على الحكمة البالغة والقدرة
الباهرة واي جهل اعظم من جهل من اعرض عنها ولم يذهب به وهمه الى تدبرها والاعتبار بها و
الاستدلال على عظمة شان من اوجدها عن عدم ودبرها ونصبها هذه النصبة واودعها
ما اودعها مما لا يعرف كنهه الا هو عزت قدرته ولطف علمه وقرئ عن ايتها على التوحيد اكتفاء
بالواحدة في الدلالة على الجنس اي هم متفطنون لما يرد عليهم من السماء من المنافع الدنيوية كالاستضاءة

بعمرتها والاهتداء بكواكبها وحيوة الارض والحيوان بامطارها وهم عن كونها اية بينة
على الخالق معرضون كل التنوين فيه عوض من المضاف اليه اى كلهم فى فلك يسبحون و
الضمير للشمس والقمر والمراد بهما جنس الطوالع كل يوم وليلة جعلوها متكاثرة لتكاثر مطالعها
وهو السبب فى جمعهما بالشموس والاقمار والا فالشمس واحدة والقمر واحد وانما جعل الضمير واو
العقلاء للوصف بفعلهم وهو السباحة **فان قلت** الجملة ما محلها **قلت**
محلها النصب على الحال من الشمس والقمر **فان قلت** كيف استبد بهما دون الليل
والنهار بنصب الحال عنهما **قلت** كما تقول رايت زيدا وهندا متبرجة ونحو ذلك
اذا جئت بصفة يختص بها بعض ما تعلق به العامل ومنه قوله تعالى فى هذه السورة ووهبنا له
اسحق ويعقوب نافلة او لا محل لها لاستينافها **فان قلت** لكل واحد من القمرين
فلك على حدة فكيف قيل جميعهم يسبحون فى فلك **قلت** هذا كقولهم كساهم الامير
حلة وقلدهم سيفا اى كل واحد منهم او كساهم وقلدهم هذين الجنسين فاكتفى بما يدل على الجنس
اختصارا ولان الغرض الدلالة على الجنس كانوا يقدرون انه سيموت فيشمتون بموته فنفى الله
عنه الشماتة بهذا اى قضى الله ان لا يخلد فى الدنيا بشرا فلا انت ولا هم الا عرضة للموت فاذا
كان الامر كذلك فان مت انت ايبقى هولاء وفى معناه قول القايل فقل للشامتين بنا افيقوا
سيلقى الشامتون كما لقينا اى نختبركم بما يجب فيه الصبر من البلايا وبما يجب فيه الشكر
من النعم والينا مرجعكم فنجازيكم على حسب ما يوجد منكم من الصبر او الشكر وانما سمى ذلك
ابتلاء وهو عالم بما سيكون من اعمال العاملين قبل وجودهم لانه فى صورة الاختبار وفتنة مصدر
موكد لنبلوكم من غير لفظه الذكر يكون بخير وبخلافه فاذا دلت الحال على احدهما اطلق ولم
يقيد كقولك للرجل سمعت فلانا يذكرك فان كان الذاكر صديقا فهو ثناء وان كان عدوا

فذم

٤٦

فذم ومنه قوله تعالى سمعنا فتى يذكرهم وقوله اهذا الذى يذكر الهتكم والمعنى انهم عاكفون هممهم
على ذكر الهتهم وما يجب ان لا يذكر به من كونهم شفعاء وشهداء ويسوءهم ان يذكرها ذاكر بخلاف
ذلك واما ذكر الله وما يجب ان يذكر به من الوحدانية فهم به كافرون لا يصدقون به اصلا فهم
احق بان يتخذوا هزوا منك فانك محق وهم مبطلون وقيل معنى بذكر الرحمن قولهم ما نعرف الرحمن
الا مسيلمة وقولهم وما الرحمن انسجد لما تامرنا وقيل بذكر الرحمن بما انزل عليك من القران والجملة
فى موضع الحال اى يتخذونك هزوا وهم على حال هى اصل الهزو والسخرية وهى الكفر بالله كانوا يستعجلون
عذاب الله واياته الملجية الى العلم والاقرار ويقولون متى هذا الوعد فاراد نهيهم عن الاستعجال
وزجرهم فقدم اولا ذم الانسان على افراط العجلة وانه مطبوع عليها ثم نهاهم وزجرهم كانه
قال ليس ببدع منكم ان تستعجلوا فانكم مجبولون على ذلك وهو طبعكم وسجيتكم وعن ابن
عباس انه اراد بالانسان ادم وانه حين بلغ الروح صدره ولم يتبالغ فيه اراد ان يقوم وروى
لما دخل الروح فى عينيه نظر الى ثمار الجنة ولما دخل جوفه اشتهى الطعام وقيل خلقه الله فى اخر
النهار يوم الجمعة قبل غروب الشمس فاسرع فى خلقه قبل مغيبها وعن ابن عباس انه النضر بن
الحارث والظاهر ان المراد الجنس وقيل العجل الطين بلغة حمير وقال شاعرهم والنخل ينبت
بين الماء والعجل والله اعلم بصحته **فان قلت** لم نهاهم عن الاستعجال مع قوله خلق الا نسان من عجل وقوله وكان الانسان
عجولا اليس هذا من تكليف ما لا يطاق **قلت** هذا كما ركب فيه الشهوة وامره
ان يغلبها لانه اعطاه القدرة التى يستطيع بها قمع الشهوة وترك العجلة وقرى خلق الانسان جواب
لو محذوف وحين مفعول به ليعلم اى لو يعلمون الوقت الذى يستعلمون عنه بقولهم متى
هذا الوعد وهو وقت صعب شديد تحيط بهم فيه النار من وراء وقدام فلا يقدرون على دفعها
ومنعها من انفسهم ولا يجدون ناصرا ينصرهم لما كانوا بتلك الصفة من الكفر والاستهزاء والاستعجال

ولكن حصلتم به هو الذي هو نه عندهم ويجوز ان يكون نعلم متروكا بلا تعديه يعني لو كان معهم
علم ولم يكونوا جاهلين لما كانوا مستعجلين وحين منصوب بمضمر اي حين لا يكفون عن وجوههم
النار يعلمون انهم كانوا على الباطل وينتفي عنهم هذا الجهل العظيم اي لا يكفونها بل تاتيهم بغتة فتغلبهم
يقال للمغلوب في المحاجه مبهوت ومنه فبهت الذي كفر اي غلب ابرهيم الكافر وقرا الاعمش
بانهم فيبهتهم على التذكير والضمير للوعد او للحين قال قلت فلم يرجع الضمير المؤنث
في هذه القراءة قلت الى النار او الى الوعد لانه في معنى النار وهي التي وعدوها او
على تاويل العدة والموعدة او الى الحين لانه في معنى الساعة او الى البغتة وقيل في القراءة الاولى الضمير
للساعة وقرأ الاعمش بغتة بفتح الغين ولا هم ينظرون تذكير بانظاره اياهم وامهاله وتنفيس من
التذكير عليهم اي لا يمهلون بعد طول الامهال تسلي رسول الله صلى الله عليه عن استهزائهم به
بان له في الانبياء عليهم السلام اسوة وان ما يفعلونه به يحيق بهم كما حاق بالمستهزئين بالانبياء ما
فعلوا من الرحمن اي من باسه وعذابه بل هم معرضون عن ذكره لا يخطرونه ببالهم فضلا ان يخافوا
باسه حتى اذا رزقوا الكلاءة منه عرفوا من الكالئ وصلحوا للسوال عنه والمراد انه امر رسوله بسوالهم
عن الكالئ ثم بين انهم لا يصلحون لذلك لاعراضهم عن ذكر من يكلؤهم ثم اضرب عن ذلك بما
في ام من معنى بل وقال ام لهم آلهة تمنعهم من العذاب تتجاوز منعنا وحفظنا ثم استانف
فبين ان ما ليس بقادر على نصر نفسه ومنعها ولا بمصحوب من الله بالنصر والتاييد كيف يمنع غيره
وينصره ثم قال بل ما هم فيه من الحفظ والكلاءة انما هو منا لا من مانع يمنعهم من اهلاكنا وما كلاناهم
وآباءهم الماضين الا تمتيعا لهم بالحيوة الدنيا وامهالا كما متعنا غيرهم من الكفار وامهلناهم حتى
طال عليهم الامد وامتدت ايام الروح والطمانينة فحسبوا ان لا يزالوا على ذلك لا يغلبون ولا
ينزع عنهم ثوب امنتهم واستمتاعهم وذلك طمع فارغ كاذب افلا يرون انا ننقص ارض الكفر

ودار

٤١

ودار الحرب وتخذف اطرافها بتسليط المسلمين عليها واظهارهم على اهلها وردها دار اسلام
قال قلت اي فائدة في قوله ناتي الارض قلت الفائدة فيه تصوير ما كان الله
يجريه على ايدي المسلمين وان عساكرهم وسراياهم كانت تغزو ارض المشركين وتاتيها غالبة عليها
ناقصة من اطرافها قرئ ولا تسمع الصم ولا يسمع الصم بالتاء والياء اي لا تسمع انت او لا يسمع رسول الله
ولا يسمع الصم من اسمع قال قلت الصم لا يسمعون دعاء المبشر كما لا يسمعون دعاء
المنذر فكيف قيل اذا ما ينذرون قلت اللام في الصم اشارة الى هؤلاء المنذرين
كائنة للعهد لا للجنس والاصل ولا يسمعون اذا ما ينذرون فوضع الظاهر موضع المضمر للدلالة
على تصامهم وسدهم اسماعهم اذا انذروا اي هم على هذه الصفة من الجراءة والجسارة على التصام
من آيات الانذار ولئن مستهم من هذا الذي ينذرون به ادنى شيء لاذعنوا وذلوا واقروا
بانهم ظلموا انفسهم حين تصاموا واعرضوا وفي المس والنفحة ثلاث مبالغات لان النفح في
معنى القلة والنزارة يقال نفحته الدابة وهو رمح يسير ونفحه بعطية رضخه ولبناء المرة ونصب
الموازين بالبسط وهو العدل مبالغة كانها في انفسها قسط او على حذف المضاف اي ذوات
القسط واللام في ليوم القيمة مثلها في قولك جئته لخمس ليال خلون من الشهر ومنه بيت
النابغة ترسمت آيات لها فعرفتها لستة اعوام وذا العام سابع وقيل لاهل يوم القيمة اي
لاجلهم قال قلت ما المراد بوضع الموازين قلت فيه قولان احدهما ارصاد
الحساب السوي والجزاء على حسب الاعمال بالعدل والنصفة من غير ان يظلم عباده مثقال
ذرة فمثل ذلك بوضع الموازين لتوزن بها الموزونات والثاني انه يضع الموازين الحقيقية
ويزن بها الاعمال عن الحسن هو ميزان له كفتان ولسان وروي ان داود عليه السلام سال
ربه ان يريه الميزان فلما راه غشي عليه ثم افاق فقال يا الهي من الذي يقدر ان يملا كفته حسنات

فيقال يا داود اني اذا رضيت عن عبدي ملاتها بتمرة **فان قلت** كيف توزن الاعمال
وانما هي اعراض **قلت** فيه قولان احدهما توزن صحايف الاعمال والثاني تجعل في
كفة الحسنات جواهر بيض مشرقة وفي كفة السيئات جواهر سود مظلمة وقرئ مثقال حبة على
كان التامة كقوله وان كان ذو عسرة وقرا ابن عباس ومجاهد آتينا بها وهي مفاعلة من الاتيان
بمعنى المجازاة والمكافاة لانهم اتوه بالاعمال واتاهم بالجزاء وقرا حميد اثبنا بها من الثواب وفي
حرف ابي جئنا بها وانث ضمير المثقال لاضافته الى الحبة كقولهم ذهبت بعض اصابعه اي
آتيناهما الفرقان وهو التورية وآتينا به ضياء وذكرا للمتقين والمعنى انه في نفسه ضياء وذكر او
آتيناهما بما فيه من الشرائع والمواعظ ضياء وذكرا وعن ابن عباس الفرقان الفتح كقوله يوم
الفرقان وعن الضحاك فلق البحر وعن محمد بن كعب المخرج من الشبهات وقرا ابن
عباس ضياء بغير واو وهو حال عن الفرقان والذكر الموعظة او ذكر ما يحتاجون اليه
في دينهم ومصالحهم او الشرف ومحل الذين جر على الوصفية او نصب على المدح او رفع عليه ذكر
مبارك هو القران وبركته كثرة منافعه وغزارة خيره الرشد الاهتداء لوجوه الصلاح
قال الله تعالى فان آنستم منهم رشدا فادفعوا اليهم اموالهم وقرئ رشده والرشد والرشد
كالعدم والعدم ومعنى اضافته اليه انه رشد مثله وانه رشد له شان من قبل من قبل موسى
وهارون ومعنى علمه به انه علم منه احوالا بديعة واسرارا عجيبة وصفات قد رضيها واحمدها
حتى اهله لمخالته ومخالصته وهذا كقولك في خير من الناس انا عالم بفلان فكلامك هذا
من الاحتواء على محاسن الاوصاف بمنزل اذ اما ان يتعلق بآتينا او برشده او بمحذوف
اي اذكر من اوقات رشده هذا الوقت قوله ما هذه التماثيل تجاهل لهم وتغاب ليحقر
آلهتهم ويصغر شانها مع علمه بتعظيمهم واجلالهم لها لم ينو للعاكفين مفعولا واجراه مجرى ما لا

٤٨

يتعدى كقولك فاعلون العكوف لها او واقفون لها **فان قلت** هلا قيل عليها عاكفون
كقوله يعكفون على اصنام لهم **قلت** لو قصد التعدية لعداه بصلته التي هي على ما
اقبح التقليد والقول المتقبل بغير برهان وما اعظم كيد الشيطان للمقلدين حتى استدرجهم
الى ان قلدوا آباءهم في عبادة التماثيل وعفروا لها جباههم وهم يعتقدون انهم على شيء وجادوا
في نصرة مذهبهم وجادلوا لاهل الحق عن باطلهم وكفى اهل التقليد سبة ان عبدة الا
صنام منهم انتم من التاكيد الذي لا يصح الكلام مع الاخلال به لان العطف على ضمير هو في
حكم بعض الفعل ممتنع ونحوه اسكن انت وزوجك الجنة اراد ان المقلدين جميعا منخرطون في سلك والمقلدين
ضلال لا يخفى على من به ادنى مسكة لاستناد الفريقين الى غير دليل بل الى هوى متبع و
شيطان مطاع لاستبعادهم ان يكون ما هم عليه ضلالا بقوا متعجبين من تضليله اياهم انما قاله
وحسبوا ان ما قاله على وجه المزاح والمداعبة لا على طريق الجد فقالوا له هذا الذي جئتنا به
اهو جد وحق ام لعب وهزل الضمير في فطرهن للسموات والارض او للتماثيل وكونه ادخل
للتماثيل ادخل في تضليلهم واثبت للاحتجاج عليهم وشهادته على ذلك ادلاؤه بالحجة عليه و
تصحيحه بها كما تصحح الدعوى بالشهادة كانه قال وانا ابين ذلك وابرهن عليه كما تبين
الدعاوى بالبينات لاني لست مثلكم فاقول ما لا اقدر على اثباته بالحجة كما لم تقدروا على الاحتجاج
لمذهبكم ولم تزيدوا على انكم وجدتم عليه آباءكم قرا معاذ بن جبل بالله وقرئ تولوا بمعنى تتولوا
ويقويها قوله فتولوا عنه مدبرين **فان قلت** ما الفرق بين الباء والتاء **قلت**
ان الباء هي الاصل والتاء بدل من الواو المبدلة منها وان التاء فيها زيادة معنى وهو التعجب
كانه تعجب من تسهل الكيد على يده وتاتيه لان ذلك كان امرا مقنوطا منه لصعوبته
وتعذره ولعمري ان مثله صعب متعذر في كل زمان خصوصا في زمن نمروذ مع عتوه واستكباره

وتموه سلطانه وتهالكه على نصرة دينه ولكن اذا الله سنى عقد شى تيسرا روى ان آزر خرج به
فى يوم عيد لهم فبدءوا ببيت الاصنام فدخلوه وسجدوا لها ووضعوا بينها طعاما خرجوا به معهم
وقالوا الى ان نرجع بركت الالهة على طعامنا فذهبوا وبقى ابرهيم فنظر الى الاصنام وكانت
سبعين صنما مصطفة وثم صنم عظيم مستقبل الباب وكان من ذهب وفى عينيه جوهرتان
تضيئان بالليل فكسرها كلها بفاس فى يده حتى لم يبق الا الكبير علق الفاس فى عنقه عن قتادة
قال ذلك سرا من قومه وروى سمعه رجل واحد جذاذا قطاعا من الجذ وهو القطع وقرى
بالكسر والفتح وقرى جذذا جمع جذيذ وجذذا جمع جذة وانما استبقى الكبير لانه غلب فى ظنه
انهم لا يرجعون الا اليه لما تسامعوه من انكاره لدينهم وسبه لالهتهم فيبكتهم بما اجاب به
من قوله بل فعله كبيرهم هذا فاسالوهم وعن الكلبى اليه الى كبيرهم ومعنى هذا لعلهم يرجعون اليه
كما يرجع الى العالم فى حل المشكلات فيقولون له ما لهؤلاء مكسورة ومالك صحيحا والفاس على
عاتقك قال هذا بناء على ظنه بهم لما جرب وذاق من مكابرتهم لعقولهم واعتقادهم فى
الهتهم وتعظيمهم لها او قاله مع علمه انهم لا يرجعون اليه استهزاء بهم واستجهالا وان قياس
حال من يسجد له ويؤهله للعبادة ان يرجع اليه فى حل المشكلات **فان قلت** فاذا
رجعوا الى الصنم بمكابرتهم لعقولهم ورسوخ الاشراك فى اعراقهم فاى فائدة دينية فى رجوعهم
اليه حتى يجعله ابراهيم صلوات عليه غرضا **قلت** اذا رجعوا اليه تبين انه عاجز لا
ينفع ولا يضر وظهر انهم فى عبادته على جهل عظيم اى ان من فعل هذا الكسر والحطم لشديد الظلم معدود
فى الظلمة اما لجراته على الالهة الحقيقة عنده بالتوقير والاعظام واما لانهم راوا افراطا فى حطمها
وتماديا فى الاستهانة بها **فان قلت** ما حكم الفعلين بعد سمعنا فتى واى فرق بينهما
قلت هما صفتان لفتى الا ان الاول وهو يذكرهم لا بد منه لسمع لانك لا تقول سمعت زيدا

وتسكت

٤٠١

وتسكت حتى تذكر شيئا مما تسمع واما الثانى فليس كذلك **فان قلت** ابرهيم ما هو **قلت**
قيل هو خبر مبتدا محذوف او منادى والصحيح انه فاعل يقال لان المراد الاسم لا المسمى
على اعين الناس فى محل الحال بمعنى معاينا مشاهدا اى بمراى منهم ومنظر **فان قلت**
ما معنى الاستعلاء فى على **قلت** هو وارد على طريق المثل اى يثبت اتيانه فى الاعين
ويتمكن فيها ثبات الراكب على المركوب وتمكنه منه لعلهم يشهدون عليه بما سمع منه او بما
فعله او يحضرون عقوبتنا له روى ان الخبر بلغ نمرود واشراف قومه فامروا باحضاره هذا
من معاريض الكلام ولطائف هذا النوع لا يتغلغل فيها الا الاذهان الراضة من علماء المعانى
والقول فيه ان قصد ابراهيم صلوات الله عليه لم يكن الى ان ينسب الفعل الصادر عنه
الى الصنم وانما قصد تقريره لنفسه واثباته لها على اسلوب تعريضى يبلغ فيه غرضه من
الزامهم الحجة وتبكيتهم وهذا كما لو قال لك صاحبك وقد كتبت كتابا بخط رشيق وانت شهير
بحسن الخط اانت كتبت هذا وصاحبك امى لا يحسن الخط ولا يقدر الا على خرمشة فاسدة
فقلت له بل كتبته انت كان قصدك بهذا الجواب تقريره لك مع الاستهزاء به لا نفيه عنك
واثباته للامى او المخرمش لان اثباته والامر دائر بينكما للعاجز منكما استهزاء به واثبات للقادر
ولقائل ان يقول غاظته تلك الاصنام حين ابصرها مصطفة مرتبة وكان غيظ كبيرها
اكبر واشد لما راى من زيادة تعظيمهم له فاسند الفعل اليه لانه هو الذى تسبب لاستهانته بها
وحطمه لها والفعل كما يسند الى مباشره يسند الى الحامل عليه ويجوز ان حكاية لما يقود الى (يكون صح)
تجويزه مذهبهم كانه قال لهم ما تنكرون ان يفعله كبيرهم فان من حق من يعبد ويدعى
الها ان يقدر على هذا واشد منه ويحكى انه قال فعله كبيرهم هذا غضب ان تعبد معه
هذه الصغار وهو اكبر منها وقرا محمد بن السميفع فعلّه يعنى فلعله اى فلعل الفاعل كبيرهم فلما

العتهم الحجة ولحت الحاخهم رجعوا الى انفسهم فقالوا انكم انتم الظالمون على الحقيقه
لا من ظلمتموه حين قلتم من فعل هذا بالهتنا انه لمن الظالمين نكسته قلبته فجعلت اسفله
اعلاه وانتكس انقلب اى استقاموا حين رجعوا الى انفسهم وجاؤا بالفكرة الصالحة ثم انتكسوا
وانقلبوا عن تلك الحالة فاخذوا فى المجادلة بالباطل والمكابرة وان هولاء مع تقاصر حالها
عن حال الحيوان الناطق الهة معبودة مضارة منهم او انتكسوا عن كونهم مجادلين لابرهيم
مجادلين عنه حتى نفوا عنها القدرة على النطق او قلبوا على رؤسهم حقيقة لفرط اطراقهم
خجلا وانكسارا وانخزالا مما بهتهم به ابرهيم فما اجاروا جوابا الا ما هو حجة عليهم وقرئ نكسوا
بالتشديد ونكسوا على لفظ ما سمى فاعله اى نكسوا انفسهم على رؤسهم قرا به رضوان عن المعبود
اف صوت اذا صوت به علم ان صاحبه متضجر اضجره ما راى من ثباتهم على عبادتها بعد
انقطاع عذرهم وبعد وضوح الحق وزهوق الباطل فتافف بهم واللام لبيان المتافف
به اى لكم ولالهتكم هذا التافف اجمعوا رايهم لما غلبوا باهلاكه وهكذا المبطل اذا قرعت شبهته
بالحجة وافتضح لم يكن احد ابعض اليه من المحق ولم يبق له مفزع الا مناصبته كما فعلت قريش
برسول الله صلى الله عليه حين عجزوا عن المعارضة والذى اشار باحراقه نمرود وعن ابن عمر
رضى الله عنه رجل من اعراب العجم يريد الاكراد وروى انهم حين هموا باحراقه حبسوه ثم
بنوا بيتا كالحظيرة بكوثى وجمعوا شهرا اصناف الخشب الصلاب حتى ان كانت المراة
لتمرض فتقول ان عافانى الله لاجمعن حطبا لابراهيم ثم اشعلوا نارا عظيمة كادت الطير تحترق
فى الجو من وهجها ثم وضعوه فى المنجنيق مقيدا مغلولا فرموا به فيها فناداها جبريل عليه السلام يا نار كونى
بردا وسلاما وحكى ما احرقت منه الا وثاقه وقال له جبريل حين رمى به هل لك حاجة فقال
اما اليك فلا قال فسل ربك قال حسبى من سؤالى علمه بحالى وعن ابن عباس انما نجا بقوله

حسبى

حسبى الله ونعم الوكيل واطلع عليه نمرود من الصرح فاذا هو فى روضة ومعه جليس له من
الملائكة فقال انى مقرب الى الهك فذبح اربعة الاف بقرة وكف عن ابراهيم وكان
ابرهيم اذ ذاك ابن ست عشرة سنة واختاروا المعاقبة بالنار لانها اهول ما يعاقب
به وافظعه ولذلك جاء لا تعذبوا بالنار الا خالقها ومن ثم قالوا ان كنتم فاعلين اى ان
كنتم ناصرين الهتكم نصرا مؤزرا فاختاروا له اهول المعاقبات وهى الاحراق بالنار
والا فرطتم فى نصرتها ولهذا عظموا النار وتكلفوا فى تشهير امرها وتفخيم شانها ولم يالوا جهدا
فى ذلك جعلت النار لمطاوعتها فعل الله وارادته كمامور امر بشئ فامتثله والمعنى ذات
برد وسلام فبولغ فى ذلك كان ذاتها برد وسلام والمراد ابردى فيسلم منك ابراهيم او
ابردى بردا غير ضار وعن ابن عباس لو لم يقل ذلك لاهلكته بردها **فان قلت**
كيف بردت النار وهى نار **قلت** نزع الله عنها طبعها الذى طبعها عليه من الحر
والاحراق وابقاها على الاضاءة والاشراق والاشتعال كما كانت والله على كل شئ قدير
ويجوز ان يدفع بقدرته عن جسم ابرهيم اذى حرها ويذيقه فيها عكس ذلك كما يفعل بخزنة
جهنم ويدل عليه قوله على ابرهيم وارادوا ان يكيدوه ومكروا به فما كانوا الا مغلوبين مقهورين
غالبوه بالجدال فغلبه الله ولقنه المبكت وفزعوا الى القوة والجبروت فنصره وقواه نجيناه من
العراق الى الشام وبركاته الواصلة الى العالمين ان اكثر الانبياء بعثوا فيه فانتشرت فى
العالمين شرائعهم وآثارهم الدينية وهى البركات الحقيقية وقيل بارك الله فيه بكثرة الماء
والشجر والثمر والخصب وطيب عيش الغنى والفقير وعن سفيان انه خرج الى الشام فقيل له
الى اين فقال الى بلد يملأ فيه الجراب بدرهم وقيل ما من ماء عذب الا وينبع اصله من تحت
الصخرة التى ببيت المقدس روى انه نزل بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما مسيرة يوم وليلة

النافلة ولد الولد وقيل سأل اسحق فاعطيه واعطى يعقوب نافلة اى زيادة وفضلا
من غير سؤال يهدون بامرنا فيه ان من صلح ليكون قدوة فى دين الله فالهداية محتومة
عليه مأمور هو بها من جهة الله ليس له ان يخل بها ويتثاقل عنها واول ذلك ان يهتدى بنفسه
لان الانتفاع بهداه اعم والنفوس الى الاقتداء بالمهدى اميل فعل الخيرات اصله ان تفعل
الخيرات ثم فعلا الخيرات ثم فعل الخيرات وكذلك اقام الصلوة وايتاء الزكوة حكما حكمة
وهو ما يجب فعله او فصلا بين الخصوم وقيل هو النبوة والقرية سدوم اى فى اهل رحمتنا او فى
الجنة ومنه الحديث هذه رحمتى ارحم بها من اشاء من قبل من قبل هؤلاء المذكورين
هو نصر الذى مطاوعه انتصر وسمعت هذليا يدعو على سارق اللهم انصرهم منه اى
اجعلهم منتصرين منه والكرب الطوفان وما كان فيه من تكذيب قومه اى واذكرهما
واذ بدل منهما والنفش الانتشار بالليل وجمع الضمير لانه ارادهما والمتحاكمين اليهما وقرئ
لحكمهما والضمير فى ففهمناها للحكومة او الفتوى وقرئ فافهمناها حكم داود بالغنم لصاحب
الحرث فقال سليمن وهو ابن احدى عشرة سنة غير هذا ارفق بالفريقين فعزم عليه ليحكمن فقال
ارى ان تدفع الغنم الى اهل الحرث ينتفعون بالبانها واولادها واصوافها والحرث الى ارباب
الشاء يقومون عليه حتى يعود كهيئته يوم افسد ثم يترادان فقال القضاء ما قضيت وامضى
الحكم بذلك **فان قلت** احكما بوحى ام باجتهاد **قلت** حكما جميعا
بالوحى الا ان حكومة داود نسخت بحكومة سليمان وقيل اجتهدا جميعا فجاء اجتهاد
سليمان اشبه بالصواب **فان قلت** ما وجه كل واحد من الحكومتين **قلت**
اما وجه حكومة داود فلان الضرر وقع بالغنم فسلمت بجنايتها الى المجنى عليه كما قال ابو حنيفة
فى العبد اذا جنى على النفس يدفعه المولى بذلك او يفديه وعند الشافعى يبيعه فى ذلك

او يفديه ولعل قيمة الغنم كانت على قدر النقصان فى الحرث ووجه حكومة سليمان انه جعل
الانتفاع بالغنم بازاء ما فات من الانتفاع بالحرث من غير ان يزول ملك المالك عن الغنم
واوجب على صاحب الغنم ان يعمل فى الحرث حتى يزول الضرر والنقصان مثاله ما قال اصحاب
الشافعى فيمن غصب عبدا فابق من يده انه يضمن القيمة فينتفع بها المغصوب منه بازاء
ما فوته الغاصب من منافع العبد فاذا ظهر ترادا **فان قلت** فان وقعت هذه الواقعة
فى شريعتنا ما حكمها **قلت** ابو حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون فيه ضمانا بالليل
او بالنهار الا ان يكون مع البهيمة سائق او قائد والشافعى يوجب الضمان بالليل وفى قوله
ففهمناها سليمان دليل على ان الاصوب كان مع سليمان وفى قوله وكلا آتينا حكما وعلما دليل
على انهما جميعا كانا على الصواب يسبحن حال بمعنى مسبحات او استيناف كان قائلا
قال كيف سخرهن فقال يسبحن والطير اما معطوف على الجبال واما مفعول معه **فان قلت**
لم قدمت الجبال على الطير **قلت** لان تسخيرها وتسبيحها اعجب وادل على القدرة
وادخل فى الاعجاز لانها جماد والطير حيوان ناطق روى انه كان يمر بالجبال مسبحا وهى
تجاوبه وقيل كانت تسير معه حيث سار **فان قلت** كيف تنطق الجبال وتسبح
قلت بان يخلق الله فيها الكلام كما خلقه فى الشجرة حين كلم موسى وجواب اخر
وهو ان يسبح من راها تسير بتسيير الله فلما حملت على التسبيح وصفت به وكنا فاعلين اى
قادرين على ان نفعل هذا وان كان عجبا عندكم وقيل وكنا نفعل مثل ذلك بالانبياء اللبوس
اللباس قال البس لكل حالة لبوسها والمراد الدرع قال قتادة كانت صفائح فاول من سردها
وحلقها داود فجمعت الخفة والتحصين لتحصنكم قرئ بالنون والتاء والياء وتخفيف الصاد
وتشديدها فالنون لله عز وجل والتاء للصنعة او اللبوس على تأويل الدرع والياء لداود او

للبوس وقرئ الريح والرياح بالرفع والنصب فيهما فالرفع على الابتداء والنصب للعطف على
الجبال **فان قلت** وصف هذه الرياح بالعصف تارة وبالرخاوة اخرى فما التوفيق
بينهما **قلت** كانت في نفسها رخية طيبة كالنسيم فاذا مرت بكرسيه ابعدت به
في مدة يسيرة على ما قال غدوها شهر ورواحها شهر فكان جمعها بين الامرين ان تكون رخاء في
نفسها وعاصفة في عملها مع طاعتها لسليمان وهبوبها على حسب ما يريد ويحتكم آية الى آية بعد
ومنحرج مع منحرج وقيل كانت في وقت رخاء وفي وقت عاصفا لهبوبها على حكم ارادته
وقد احاط علمنا بكل شيء فنجري الاشياء كلها على ما يقتضيه علمنا وحكمنا اي يغوصون
له في البحار فيستخرجون الجواهر ويتجاوزون ذلك الى الاعمال والمهن وبناء المدائن والقصور
واختراع الصنائع العجيبة كما قال يعملون له ما يشاء من محاريب وتماثيل والله حافظهم ان يزيغوا
عن امره او يبدلوا او يغيروا او يوجد منهم فساد في الجملة فيما هم مسخرون فيه اي بانى مسنى
وقرئ اني بالكسر على اضمار القول او تضمين النداء معناه والضر بالفتح الضرر في كل شيء وبا
لضم الضرر في النفس من مرض وهزال فرق بين البناءين لافتراق المعنيين الطف في السؤال
حيث ذكر نفسه بما يوجب الرحمة وذكر ربه بغاية الرحمة ولم يصرح بالمطلوب ويحكى ان
عجوزا تعرضت لسليمان بن عبد الملك فقالت يا امير المؤمنين مشت جرذان بيتي على العصي
فقال لها الطفت في السؤال لا جرم لاردنها تثب وثب الفهود وملأ بيتها حبا كان ايوب
عليه السلام روميا من ولد اسحق بن يعقوب عليهم السلام وقد استنباه الله وبسط عليه
الدنيا وكثر اهله وماله وكان له سبعة بنين وسبع بنات وله اصناف البهائم وخمسمائة
فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ونخيل فابتلاه الله بذهاب ولده انهدم عليهم
البيت فهلكوا وبذهاب ماله وبالمرض في بدنه ثماني عشرة سنة وعن قتادة ثلاث عشرة سنة وعن مقاتل

سبعا

سبعا وسبعة اشهر وسبع ساعات وقالت له امرأته يوما لو دعوت الله فقال لها كم كانت
مدة الرخاء فقالت ثمانين سنة فقال انا استحيي من الله ان ادعوه وما بلغت مدة بلائي
مدة رخائي فلما كشف الله عنه احيا ولده ورزقه مثلهم ونوافل منهم وروي ان امرأته ولدت
بعد ستة وعشرين ابنا اي لرحمتنا العابدين وانا نذكرهم بالاحسان لا ننساهم او رحمة منا
لايوب وتذكرة لغيره من العابدين ليصبروا كما صبر حتى يثابوا كما اثيب في الدنيا والآخرة
قيل في ذي الكفل هو الياس وقيل زكريا وقيل يوشع بن نون وقيل كان نبيا سمي بذلك لانه ذو الحظ
من الله والجد وعلى الحقيقة وقيل كان له ضعف عمل الانبياء في زمانه وضعف ثوابهم
وقيل خمسة من الانبياء ذوو اسمين اسرائيل ويعقوب الياس وذو الكفل عيسى والمسيح يونس
وذو النون محمد واحمد والنون الحوت فاضيف اليه برم بقومه لطول ما ذكرهم فلم يذكروا
واقاموا على كفرهم فراغمهم وظن ان ذلك يسوغ حيث لم يفعله الا غضبا لله وانفة لدينه
وبغضا للكفر واهله وكان عليه ان يصابر وينتظر الاذن من الله في المهاجرة عنهم فابتلي
ببطن الحوت ومعنى مغاضبته لقومه انه اغضبهم بمفارقته لخوفهم حلول العقاب عليهم
عندها وقرأ ابو شرف مغضبا وقرئ نقدر ونقدّر بالنون مخففا ومثقلا ويقدر بالياء بالتخفيف
ويُقدَر ويُقدَّر على البناء للمفعول مخففا ومثقلا وفسرت بالتضييق عليه وبتقدير الله عليه
عقوبة وعن ابن عباس انه دخل على معاوية فقال لقد ضربتني امواج القرآن البارحة فغرقت
فيها فلم اجد لنفسي خلاصا الا بك قال وما هي يا معاوية فقرأ هذه الآية وقال او يظن نبي
الله ان لا يقدر عليه فقال هذا من القدر لا من القدرة والمخفف يصح ان يفسر بالقدرة على معنى
ان لن نعمل فيه قدرتنا وان يكون من باب التمثيل بمعنى فكانت حاله ممثلة بحال من ظن ان
لن نقدر عليه في مراغمته قومه من غير انتظار لامر الله ويجوز ان يسبق ذلك الى وهمه بوسوسة

الشيطان ثم يردعه ويرده بالبرهان كما يفعل المؤمن المحقق نزغات الشيطان وما يوسوس
اليه في كل وقت ومنه قوله تعالى وتظنون بالله الظنونا والخطاب للمؤمنين في الظلمات
اي في الظلمة الشديدة المتكاثفة في بطن الحوت كقوله ذهب الله بنورهم وتركهم في ظلمات
وقوله يخرجونهم من النور الى الظلمات وقيل ظلمات بطن الحوت والبحر والليل وقيل ابتلع
حوته حوت اكبر منه فحصل في ظلمتي بطني الحوتين وظلمة البحر اي بانه لا اله الا انت او بمعنى
اي عن النبي صلى الله عليه ما من مكروب يدعو بهذا الدعاء الا استجيب له وعن الحسن ما نجاه الله
الا اقراره على نفسه بالظلم ننجي وننجي ونجي والنون لا تدغم في الجيم ومن تمحل لصحته فجعله فعّل
وقال نجي النجاء المؤمنين فاسكن الياء واسنده الى مصدره ونصب المؤمنين بالنجاء
فمتعسف بارد التعسف سال ربه ان يرزقه ولدا يرثه ولا يدعه وحيدا بلا وارث ثم رده
الى الله مستسلما فقال وانت خير الوارثين اي ان لم ترزقني من يرثني فلا ابالي فانك خير
وارث اصلاح زوجه ان جعلها صالحة للولد بعد عقرها وقيل تحسين خلقها وكانت سيئة
الخلق الضمير للمذكورين من الانبياء يريد انهم ما استحقوا الاجابة الى طلباتهم الا لمبادرتهم
ابواب الخير ومسارعتهم في تحصيلها كما يفعل الراغبون في الامور الجادون وقرى رغبا
ورهبا بالاسكان وهو كقوله يحذر الاخرة ويرجو رحمة ربه خاشعين قال الحسن ذللا
لامر الله وعن مجاهد الخشوع الخوف الدائم في القلب وقيل متواضعين وسئل الاعمش
فقال اما اني سالت ابرهيم فقال الا تدري قلت افدني قال بينه وبين الله اذا ارخى
ستره واغلق بابه فليرا الله منه خيرا لعلك ترى انه ان ياكل خشنا ويلبس خشنا و
يطاطي راسه احصنت فرجها احصانا كليا من الحلال والحرام جميعا كما قالت ولم يمسسني بشر
ولم اك بغيا **فان قلت** نفخ الروح في الجسد عبارة عن احيائه قال الله تعالى فاذا

سويته

٥٣

سويته ونفخت فيه من روحي اي احييته واذا ثبت ذلك كان قوله ونفخنا فيها من
روحنا ظاهر الاشكال لانه يدل على احياء مريم **قلت** معناه نفخنا الروح
في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت
في المزمار في بيته ويجوز ان يراد وفعلنا النفخ في مريم من جهة روحنا وهو جبريل صلوات الله
عليه لانه نفخ في جيب درعها فوصل النفخ الى جوفها **فان قلت** هلا قيل آيتين
كما قال وجعلنا الليل والنهار آيتين **قلت** لان حالهما بمجموعهما آية واحدة
وهي ولادتها اياه من غير فحل الامة الملة وهذه اشارة الى ملة الاسلام اي ان ملة الاسلام
هي ملتكم التي يجب ان تكونوا عليها لا تنحرفون عنها يشار اليها ملة واحدة غير مختلفة وانا الهكم اله
واحد فاعبدون ونصب الحسن امتكم على البدل من هذه ورفع امة خبرا وعنه رفعهما جميعا
خبرين لهذه او نوى للثاني مبتدا والخطاب للناس كافة والاصل وتقطعتم الا ان الكلام
حرف الى الغيبة على طريقة الالتفات كانه ينعى عليهم ما افسدوه الى الاخرين ويقبح عندهم
فعلهم ويقول لهم الا ترون الى عظيم ما ارتكب هولاء في دين الله والمعنى جعلوا امر دينهم
فيما بينهم قطعا كما يتوزع الجماعة الشيء ويتقسمونه فيطير لهذا نصيب ولذاك نصيب تمثيلا
لاختلافهم فيه وصيرورتهم فرقا واحزابا شتى ثم توعدهم بان هولاء الفرق المختلفة اليه
يرجعون فهو محاسبهم ومجازيهم الكفران مثل في حرمان الثواب كما ان الشكر مثل في
اعطائه اذا قيل لله شكور وقد نفى نفي الجنس ليكون ابلغ من ان يقول فلا نكفر سعيه وانا له
كاتبون اي نحن كاتبو ذلك السعي ومثبتوه في صحيفة عمله وما نحن مثبتوه فهو غير ضائع و
مثاب عليه صاحبه استعير الحرام للممتنع وجوده ومنه قوله عز وعلا ان الله حرمهما على الكافرين
اي منعهما منهم وابى ان يكونا لهم وقرى وحرم وحرم بالفتح والكسر وحرم وحرّم ومعنى اهلكناها

عزمنا على اهلاكها او قدرنا اهلاكها ومعنى الرجوع الرجوع من الكفر الى الاسلام والانابة او
مجاز الآية ان قوما عزم الله تعالى على اهلاكهم غير متصور ان يرجعوا وينيبوا الى ان تقوم القيمة
فحينئذ يرجعون ويقولون يا ويلنا قد كنا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين يعني انهم مطبوع
على قلوبهم فلا يزالون على كفرهم ويموتون عليه حتى يروا العذاب الاليم وقرئ انهم بالكسر
وحق هذا ان يتم الكلام قبله فلا بد من تقدير محذوف كانه قيل وحرام على قرية اهلكناها ذاك
وهو المذكور في الآية المتقدمة من العمل الصالح والسعي المشكور غير المكفور ثم علل فقيل انهم
لا يرجعون عن الكفر فكيف لا يمتنع ذلك والقراءة بالفتح يصح حملها على هذا اي لانهم لا يرجعون
ولا صلة على الوجه الاول **فان قلت** بم تعلقت حتى واقعة غاية له واية الثلث هي
قلت هي متعلقة بحرام وهي غاية له لان امتناع رجوعهم لا يزول حتى تقوم القيمة
وهي حتى التي يحكى بعدها الكلام والكلام المحكي الجملة من الشرط والجزاء اعني اذا وما في
حيزها حذف المضاف الى يأجوج ومأجوج وهو سدها كما حذف المضاف الى القرية
وهو اهلها وقيل فتحت كما قيل اهلكناها وقرئ آجوج وهما قبيلتان من جنس الانس يقال الناس
عشرة اجزاء تسعة منها يأجوج ومأجوج وهم راجع الى الناس المسوقين الى المحشر وقيل هم يأجوج
ومأجوج يخرجون حين يفتح السد الحدب النشز من الارض وقرأ ابن عباس من كل جدث
وهو القبر الثاء حجازية والفاء تميمية وقرئ ينسلون بضم السين ونسل وعسل اسرع واذا هي اذا
المفاجاة وهي تقع في المجازاة سادة مسد الفاء كقوله تعالى اذا هم يقنطون فاذا جاءت الفاء
معها تعاونتا على وصل الجزاء بالشرط فيتاكد ولو قيل اذا هي شاخصة او فهي شاخصة كان سديدا
هي ضمير مبهم توضحه الابصار وتفسره كما فسر الذين ظلموا واسروا يا ويلنا متعلق بمحذوف
تقديره يقولون يا ويلنا ويقولون في موضع الحال من الذين كفروا انكم وما تعبدون من دون الله

حصب

٥٤

حصب الاصنام وابليس واعوانه لانهم بطاعتهم لهم واتباعهم خطواتهم في حكم عبدتهم ويصدقه
ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش في الحطيم وحول الكعبة ثلثمائة
وستون صنما فجلس اليهم فعرض له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله حتى افحمه ثم تلا عليهم
انكم وما تعبدون من دون الله الآية فاقبل عبد الله بن الزبعرى فرآهم يتهامسون فقال فيم خوضكم
فاخبره الوليد بن المغيرة بقول رسول الله فقال عبد الله اما والله لو وجدته لخصمته فدعوه
فقال ابن الزبعرى انت قلت ذلك قال نعم قال قد خصمتك ورب الكعبة اليس اليهود عبدوا
عزيرا والنصارى عبدوا المسيح وبنو مليح عبدوا الملائكة فقال صلى الله عليه وسلم بل هم عبدوا
الشياطين التي امرتهم بذلك فانزل الله تعالى ان الذين سبقت لهم الآية يعني عزيرا
والمسيح والملائكة **فان قلت** لم قرنوا بالهتهم **قلت** لانهم لا يزالون لمقارنتهم
في زيادة غم وحسرة حيث اصابهم ما اصابهم بسببهم والنظر الى وجه العدو باب من العذاب ولانهم
قدروا انهم يستشفعون بهم في الآخرة ويستنفعون بشفاعتهم فاذا صادفوا الامر
على عكس ما قدروا لم يكن شيء ابغض اليهم منهم **فان قلت** اذا عنيت بما تعبدون
الاصنام فما معنى لهم فيها زفير **قلت** اذا كانوا هم واصنامهم في قرن واحد
جاز ان يقال لهم فيها زفير وان لم يكن الزافرين الا هم دون الاصنام للتغليب ولعدم الالباس
والحصب المحصوب به اي يحصب بهم في النار والحصب الرمي وقرئ بسكون الصاد
وصفا بالمصدر وقرئ حطب وحضب بالضاد متحركا وساكنا وعن ابن مسعود يجعلون في
توابيت من نار فلا يسمعون ويجوز ان يصمهم الله كما يعميهم الحسنى الخصلة المفضلة في الحسن
تانيث الاحسن اما السعادة واما البشرى بالثواب واما التوفيق للطاعة روي ان عليا رضي الله عنه
قرأ هذه الآية ثم قال انا منهم وابو بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن

من عوف ثم اقيمت الصلوة فقام يجر رداءه وهو يقول لا يسمعون حسيسها والحسيس الصوت
الذي يحس والشهوة طلب النفس اللذة وقرئ لا يحزنهم من احزن والفزع الاكبر قيل النفخة
الاخيرة لقوله يوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الارض وعن الحسن الانصراف
الى النار وعن الضحاك حين يطبق على النار وقيل حين يذبح الموت على صورة كبش املح اي
تستقبلهم الملائكة مهنئين على ابواب الجنة ويقولون هذا وقت ثوابكم الذي وعدكم ربكم
قد حل العامل في يوم نطوي لا يحزنهم او الفزع او تتلقاهم وقرئ تطوى السماء على البناء للمفعول
والسجل بوزن العتل والسجل بوزن الدلو وروي فيه الكسر وهو الصحيفة اي كما يطوى الطومار
للكتابة اي ليكتب فيه او لما يكتب فيه لان الكتاب اصله المصدر كالبناء ثم يوقع على المكتوب
ومن جمع فمعناه للمكتوبات اي لما يكتب فيه من المعاني الكثيرة وقيل السجل ملك يطوي كتب بني ادم
اذا رفعت اليه وقيل كاتب كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم والكتاب على هذا اسم الصحيفة
المكتوب فيها اول خلق مفعول نعيد الذي يفسره نعيده والكاف مكفوفة بما والمعنى نعيد
اول الخلق كما بدأناه تشبيها للاعادة بالابداء في تناول القدرة لهما على السواء **فان قلت**
وما اول الخلق حتى يعيده كما بداه **قلت** اوله ايجاده عن العدم فكما اوجده اولا عن
عدم يعيده ثانيا عن عدم **فان قلت** ما بال خلق منكرا **قلت** هو كقولك
هو اول رجل جاءني تريد اول الرجال ولكنك وحدته ونكرته ارادة تفصيلهم رجلا رجلا فكذلك
معنى اول خلق اول الخلق بمعنى اول الخلائق لان الخلق مصدر لا يجمع ووجه اخر وهو ان
ينتصب الكاف بفعل مضمر يفسره نعيده وما موصولة اي نعيد مثل الذي بدأناه نعيده واول
خلق ظرف لبدأناه اي اول ما خلق او حال من ضمير الموصول الساقط من اللفظ الثابت
في المعنى وعدا مصدر موكد لان قوله نعيده عدة للاعادة انا كنا فاعلين اي قادرين على ان

نفعل ذلك عن الشعبي رحمه الله زبور داود والذكر التورية وقيل اسم الجنس ما انزل على الانبياء من الكتب
والذكر ام الكتاب يعني اللوح اي يرثها المؤمنون بعد اجلاء الكفار كقوله واورثنا القوم
الذين كانوا يستضعفون مشارق الارض ومغاربها قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا
ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين وعن ابن عباس هي ارض الجنة وقيل الارض
المقدسة يرثها امة محمد صلى الله عليه وسلم الاشارة الى المذكور في هذه السورة من الاخبار و
الوعد والوعيد والمواعظ البالغة والبلاغ الكفاية وما تبلغ به البغية ارسل صلى الله عليه وسلم
رحمة للعالمين لانه جاء بما يسعدهم ان اتبعوه ومن خالف ولم يتبع فانما اتي من عند نفسه
حيث ضيع نصيبه منها ومثاله ان يفجر الله عينا غديقة فيسقي ناس زروعهم ومواشيهم بمائها
فيفلحوا ويبقى ناس مفرطون عن السقي فيضيعوا فالعين المفجرة في نفسها نعمة من الله ورحمة للفريقين
ولكن الكسلان محنة على نفسه حيث حرمها ما ينفعها وقيل كونه رحمة للفجار من حيث ان
عقوبتهم اخرت بسببه وامنوا به عذاب الاستيصال انما لقصر الحكم على شيء او لقصر
الشيء على حكم كقولك انما زيد قائم وانما يقوم زيد وقد اجتمع المثالان في هذه الاية لان
انما يوحى الي مع فاعله بمنزلة انما يقوم زيد وانما الهكم اله واحد بمنزلة انما زيد قائم وفائدة
اجتماعهما الدلالة على ان الوحي الى رسول الله مقصور على استيثار الله بالوحدانية وفي
قوله فهل انتم مسلمون ان الوحي الوارد على هذا السنن موجب ان تخلصوا التوحيد لله و
ان تخلعوا الانداد وفيه ان صفة الوحدانية يصح ان يكون طريقها السمع ويجوز ان يكون
المعنى ان الذي يوحى الي فتكون ما موصولة آذن منقول من اذن اذا علم ولكنه كثر استعماله
في الجري مجرى الانذار ومنه قوله تعالى فأذنوا بحرب من الله ورسوله وقول ابن حلزة آذنتنا
ببينها اسماء والمعنى اني بعد توليكم واعراضكم عن قبول ما عرض عليكم من وجوب توحيد الله

ونزهه عن الانداد والشركاء كرجل بينه وبين اعدائه هدنة فاحس منهم بغدرة فنبذ اليهم
العهد وشهر النبذ واشاعه وآذنهم جميعا بذلك على سواء اى مستوين فى الاعلام به لم يطو
عن احد منهم وكاشف كلهم وقشر العصا عن لحائها وما توعدون من غلبة المسلمين عليكم كائن
لا محالة ولا بد من ان يلحقكم بذلك الذلة والصغار وان كنت لا ادرى متى يكون ذلك
لان الله لم يعلمنى علمه ولم يطلعنى عليه والله عالم لا يخفى عليه ما تجاهرون به من كلام الطعانين
فى الاسلام وما تكتمونه فى صدوركم من الاحن والاحقاد للمسلمين وهو مجازيكم عليه وما ادرى
لعل تاخير هذا الموعد امتحان لكم لينظر كيف تعملون او تمتع لكم الى حين ليكون ذلك حجة
عليكم وليقع الموعد فى وقت هو فيه حكمة قرئ قل وقال على حكاية قول رسول الله ورب احكم
على الاكتفاء بالكسرة ورب احكم على الضم وربى احكم على افعل التفضيل وربى احكم من الاحكام
امر باستعجال العذاب لقومه فعذبوا ببدر ومعنى بالحق لا تحابهم وشدد عليهم كما هو حقهم
كما قال اشدد وطاتك على مضر قرئ تصفون بالتاء والياء كانوا يصفون الحال على خلاف
ما جرت عليه وكانوا يطمعون ان تكون لهم الشوكة والغلبة فكذب الله ظنونهم وخيب امالهم
ونصر رسول الله والمومنين وخذلهم قال رسول الله صلى الله عليه من قرا اقترب للناس حسابهم
حاسبه الله حسابا يسيرا وصافحه وسلم عليه كل نبى ذكر اسمه فى القران ۝

سورة الحج مكية غير ست ايات وهى هذان خصمان الى صراط الحميد ثمان وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم

الزلزلة شدة التحريك والازعاج وان يضاعف زليل الاشياء عن مقارها ومراكزها ولا يخلو

الساعة

٥٦

الساعة من ان تكون على تقدير الفاعلة لها كانها هى التى تزلزل الاشياء على المجاز
الحكمى فتكون الزلزلة مصدرا مضافا الى فاعله او على تقدير المفعول فيها على طريقة الاتساع
فى الظرف واجرائه مجرى المفعول به كقوله تعالى بل مكر الليل والنهار وهى الزلزلة المذكورة
فى قوله اذا زلزلت الارض زلزالها واختلف فى وقتها فعن الحسن انها تكون يوم القيمة وعن
علقمة والشعبى عند طلوع الشمس من مغربها امر بنى ادم بالتقوى ثم علل وجوبها عليهم بذكر
الساعة ووصفها باهول صفة لينظروا الى تلك الصفة ببصائرهم ويتصوروها بعقولهم حتى
يبقوا على انفسهم ويرحموها من شدائد ذلك اليوم بامتثال ما امرهم به ربهم من التردى بلباس
التقوى الذى لا يومنهم من تلك الافزاع الا ان يترد وابه وروى ان هاتين الايتين نزلتا ليلا فى
غزوة بنى المصطلق فقراهما رسول الله صلى الله عليه فلم ير اكثر باكيا من تلك الليلة فلما اصبحوا لم
يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الخيام وقت النزول ولم يطبخوا قدرا وكانوا
من بين حزين وباك ومفكر يوم ترونها منصوب بتذهل والضمير للزلزلة وقرى تذهل كل مرضعة
على البناء للمفعول وتذهل كل مرضعة اى تذهلها الزلزلة والذهول الذهاب عن الامر بدهشة
فان قلت لم قيل مرضعة دون مرضع قلت المرضعة التى هى فى حال الارضاع
ملقمة ثديها الصبى والمرضع التى شانها ان ترضع وان لم تباشر الارضاع فى حال وصفها به
فقيل مرضعة ليدل على ان ذلك الهول اذا فوجئت به هذه وقد القمت الرضيع ثديها نزعته
عن فيه لما يلحقها من الدهشة عما ارضعت عن ارضاعها او عن الذى ارضعته وهو الطفل وعن الحسن
تذهل المرضعة عن ولدها لغير فطام وتضع الحامل ما فى بطنها لغير تمام قرى وترى بالضم من اريتك
قائما او رايتك قائما والناس منصوب ومرفوع والنصب ظاهر ومن رفع جعل الناس اسم ترى وانثه
على تاويل الجماعة وقرى سكرى وبسكرى وهو نظير جوعى وعطشى فى جوعان وعطشان وسكارى

وسكارى نحو كسالى وعجالى وعن الاعمش سكرى وسكرى بالضم وهو غريب والمعنى
وتراهم سكارى على التشبيه وما هم بسكارى على التحقيق ولكن ما رهقهم من خوف عذاب الله
هو الذي اذهب عقولهم وطير تمييزهم وردهم في نحو حال من يذهب السكر بعقله وتمييزه (اي عقلهم) و
قيل وتراهم سكارى من الخوف وما هم بسكارى من الشراب **فان قلت** لم قيل اولا
ترون ثم قيل ترى على الافراد **قلت** لان الروية اولا علقت بالزلزلة فجعل الناس
جميعا رائين لها وهي معلقة اخيرا بكون الناس على حال السكر فلا بد ان يجعل كل واحد
منهم رائيا لسائرهم قيل نزلت في النضر بن الحارث وكان جدلا يقول الملائكة بنات الله و
القران اساطير الاولين والله غير قادر على احياء من بلي وصار ترابا وهي عامة في كل من تعاطى الجدال
فيما يجوز على الله وما لا يجوز من الصفات والافعال ولا يرجع الى علم ولا يعض فيه بضرس قاطع و
ليس فيه اتباع للبرهان ولا نزول على النصفة فهو يخبط خبط عشواء غير فارق بين الحق والباطل
ويتبع في ذلك خطوات كل شيطان عات علم من حاله وظهر وتبين انه من جعله وليا له لم تثمر له
ولايته الا الاضلال عن طريق الجنة والهداية الى النار وما ارى روسا اهل الاهوا والبدع
والحشوية المتلقبين بالامامة في دين الله الا داخلين تحت كل هذا دخولا اوليا بل هم اشد الشياطين
اضلالا واقطعهم لطريق الحق حيث دونوا الضلال تدوينا ولقنوه اشياعهم تلقينا وكانهم
ساطوه بلحومهم ودمائهم واياهم عنى من قال وبارت مثقف الخطي بين فوق مطرقونجاه عندهم مستوفها
ولو قراوا في اللوح ما خط فيه من بيان اعوجاج في طريقته عجوا اللهم ثبتنا على المعتقد
الصحيح الذي رضيته لملائكتك في سماواتك وانبيائك في ارضك وادخلنا برحمتك في عبادك
الصالحين والكتبة عليه مثل اي كانما كتب اضلال من يتولاه عليه ورقم به لظهور ذلك في حاله
وقرئ انه فانه بالفتح والكسر فمن فتح فلان الاول فاعل كتب والثاني عطف عليه ومن كسر فعلى حكاية

المكتوب

المكتوب كما هو كانما كتب عليه هذا الكلام كما تقول كتبت ان الله هو الغني الحميد او على تقدير
قيل او على ان كتب فيه معنى القول الحسن من البعث بالتحريك ونظيره الحلَب والطرد
في الحلْب والطرْد كانه قيل ان ارتبتم في البعث فمزيل ريبكم ان تنظروا في بدء خلقكم والعلقة
قطعة الدم الجامدة والمضغة اللحمة الصغيرة قدر ما يمضغ والمخلقة المسواة الملساء من النقصان
والعيب يقال خلق السواك والعود اذا سواه وملسه من قولهم صخرة خلقاء اذا كانت ملساء
كان الله تعالى يخلق المضغ متفاوتة منها ما هو كامل الخلقة املس من العيوب ومنها ما هو على
عكس ذلك فيتبع ذلك التفاوت تفاوت الناس في خلقهم وصورهم وطولهم وقصرهم
وتمامهم ونقصانهم وانما نقلناكم من حال الى حال ومن خلقة الى خلقة لنبين لكم بهذا التدريج
قدرتنا وحكمتنا وان من قدر على خلق البشر من تراب اولا ثم من نطفة ثانيا ولا تناسب بين التراب
والماء وقدر على ان يجعل النطفة علقة وبينهما تباين ظاهر ثم يجعل العلقة مضغة والمضغة عظاما
قدر على اعادة ما ابداه بل هذا ادخل في القدرة من تلك واهون في القياس وورود الفعل
غير معدى الى المبين اعلام بان افعاله هذه يتبين بها من قدرته وعلمه ما لا يكتنهه الذكر
ولا يحيط به الوصف وقرا ابن ابي عبلة ليبين لكم ويقر بالياء وقرئ ونقر ثم نخرجكم بالنون و
النصب ويقر ويخرجكم ويقر ويخرجكم بالنصب والرفع وعن يعقوب نقر بالنون وضم
القاف من قر الماء اذا صبه فالقراءة بالرفع اخبار بانه يقر في الارحام ما يشاء ان يقره من ذلك
الى اجل مسمى وهو وقت الوضع اخر ستة اشهر او تسعة او سنتين او اربع او كما شاء وقدر وما لم
يشا اقراره مجته الارحام او اسقطته والقراءة بالنصب تعليل معطوف على تعليل ومعناه
خلقناكم مدرجين هذا التدريج لغرضين احدهما ان نبين قدرتنا والثاني ان نقر في الارحام من نقر
حتى يولدوا وينشؤوا ويبلغوا حد التكليف فاكلفهم ويعضد هذه القراءة قوله ثم لتبلغوا

اشدكم وحده لان الغرض الدلالة على الجنس ويحتمل نخرج كل واحد منكم طفلا الاشد
كمال القوة والعقل والتمييز وهو من الفاظ الجموع التي لم يستعمل لها واحد كالاشدة و
القتود وغير ذلك وكانها شدة في غير شيء واحد فبنيت لذلك على لفظ الجمع وقرئ ومنكم
من يتوفى اي يتوفاه الله ارذل العمر الهرم والخرف حتى يعود كهيئته الاولى في اوان طفوليته
ضعف البنية سخيف العقل قليل الفهم بين انه كما قدر على ان يرقيه في درجات الزيادة
حتى يبلغه حد التمام فهو قادر على ان يحطه حتى ينتهي به الى الحالة السفلى لكيلا يعلم من بعد
علم شيئا اي ليصير نساء بحيث اذا كسب علما في شيء لم ينشب ان ينساه ويزل عنه علمه
حتى يسأل عنه من ساعته يقول لك من هذا فيقول فلان فما يلبث لحظة الا سألك عنه وقرأ
ابو عمرو العمر بسكون الميم الهامدة الميتة اليابسة وهذه دلالة ثانية على البعث ولظهورها كررها
مشاهدة معاينة كررها الله تعالى في كتابه اهتزت وربت تحركت بالنبات وانتفخت وقرئ
ربأت اي ارتفعت البهيج الحسن السار للناظر اليه اي ذلك الذي ذكرنا من خلق آدم
واحياء الارض مع ما في تضاعيف ذلك من اصناف الحكم واللطائف حاصل بهذا وهو السبب
في حصوله ولولاه لم يتصور كونه وهو ان الله هو الحق الثابت الموجود وانه قادر على احياء الموتى
وعلى كل مقدور وانه حكيم لا يخلف ميعاده وقد وعد الساعة والبعث فلا بد ان يفي بما
وعد عن ابن عباس انه ابو جهل بن هشام وقيل كرر كما كررت سائر الاقاصيص وقيل الاول في المقلدين
وهذا في المقلدين والمراد بالعلم العلم الضروري وبالهدى الاستدلال والنظر لانه يهدي الى
المعرفة وبالكتاب المنير الوحي اي يجادل بظن وتخمين لا باحد هذه الثلاثة وثني العطف عبارة
عن الكبر والخيلاء كتصعير الخد ولي الجيد وقيل عن الاعراض عن الذكر وعن الحسن ثاني عطفه
بفتح العين اي مانع تعطفه ليضل تعليل للمجادلة وقرئ بضم الياء وفتحها **فان قلت**

ما كان

ما كان غرضه في جداله الضلال عن سبيل الله فكيف علل به وما كان ايضا مهتديا حتى اذا جادل
خرج بالجدال من الهدى الى الضلال **قلت** لما ادى جداله الى الضلال جعل كانه
غرضه ولما كان الهدى معرضا له فتركه واعرض عنه واقبل على الجدال بالباطل جعل كالخارج
من الهدى الى الضلال وخزيه ما اصابه يوم بدر من الصغار والقتل والسبب فيما مني به من خزي
الدنيا وعذاب الآخرة هو ما قدمت يداه وعدل الله في معاقبته الفجار واثابته الصالحين على
حرف على طرف من الدين لا في وسطه وقلبه وهذا مثل لكونهم على قلق واضطراب في دينهم لا على
سكون وطمأنينة كالذي يكون على طرف من العسكر فان احس بظفر وغنيمة قر واطمأن و
الا فر وطار على وجهه قالوا نزلت في اعاريب قدموا المدينة وكان احدهم اذا صح بدنه ونتجت
فرسه مهرا سريا وولدت امرأته غلاما سويا وكثر ماله وماشيته قال ما اصبت منذ دخلت
في ديني هذا الا خيرا واطمأن وان كان الامر بخلافه قال ما اصبت الا شرا وانقلب وعن ابي
سعيد الخدري ان رجلا من اليهود اسلم فاصابته مصائب فتشاءم بالاسلام فاتى النبي
صلى الله عليه فقال اقلني فقال ان الاسلام لا يقال فنزلت المصاب بالمحنة بترك التسليم لقضاء الله
والخروج الى ما يسخط الله جامع على نفسه محنتين احداهما ذهاب ما اصيب به والثانية ذهاب
ثواب الصابرين فهو خسران الدارين وقرئ خاسر الدنيا والآخرة بالنصب والرفع فالنصب
على الحال والرفع على الفاعلية ووضع الظاهر موضع الضمير وهو وجه حسن او على انه خبر مبتدا
محذوف استعير الضلال البعيد من ضلال من ابعد في التيه ضالا فطالت وبعدت مسافة
ضلالته **فان قلت** الضر والنفع منفيان عن الاصنام مثبتان لها في الآيتين وهذا تناقض
قلت اذا حصل المعنى ذهب هذا الوهم وذلك ان الله تعالى سفه الكافر بانه
يعبد جمادا لا يملك ضرا ولا نفعا وهو يعتقد فيه بجهله وضلاله انه يستنفع به حين يستشفع به

ثم قال يوم القيامة يقول هذا الكافر بدعاء وصراخ حين يرى استضراره بالاصنام ودخوله
النار بعبادتها ولا يرى اثر الشفاعة التي ادعاها لها لمن ضره اقرب من نفعه لبئس المولى
ولبئس العشير او كرر يدعو كانه قال يدعو يدعو من دون الله ما لا يضره وما لا ينفعه ثم قال لمن
ضره بكونه معبودا اقرب من نفعه بكونه شفيعا لبئس المولى وفي حرف عبد الله من ضره بغير
لام المولى الناصر والعشير الصاحب كقوله فبئس القرين هذا الكلام قد دخله اختصار والمعنى
ان الله ناصر رسوله في الدنيا والآخرة فمن كان يظن من حاسديه واعاديه ان الله يفعل
خلاف ذلك ويطمع فيه ويغيظه انه لا يظفر بمطلوبه فليستقص وسعه وليستفرغ مجهوده في
ازالة ما يغيظه بان يفعل ما يفعل من بلغ منه الغيظ كل مبلغ حتى مد حبلا الى سماء بيته فاختنق
فلينظر وليصور في نفسه انه ان فعل ذلك هل يذهب نصر الله الذي يغيظه وسمي الاختناق
قطعا لان المختنق يقطع نفسه بحبس مجاريه ومنه قيل للبهر القطع وسمي فعله كيدا لانه وضعه
موضع الكيد حيث لم يقدر على غيره او على سبيل الاستهزاء لانه لم يكد به محسوده انما كاد به
نفسه والمراد ليس في يده الا ما ليس بمذهب لما يغيظ وقيل فليمدد بحبل الى السماء المظلة
فليصعد عليه فليقطع الوحي ان ينزل عليه وقيل كان قوم من المسلمين لشدة غيظهم وحنقهم
على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسوله من النصر وآخرون من المشركين يريدون اتباعه
ويخشون ان لا يثبت امره فنزلت وقد فسر النصر بالرزق وقيل معناه ان الارزاق بيد الله لا
تنال الا بمشيئته ولا بد للعبد من الرضا بقسمته فمن ظن ان الله غير رازقه وليس به صبر واستسلام
فليبلغ غاية الجزع وهو الاختناق فان ذلك لا يقلب القسمة ولا يرده مرزوقا اي ومثل ذلك
الانزال انزلنا القرآن كله آيات بينات ولان الله يهدي به الذين يعلم انهم يؤمنون
او يثبت الذين آمنوا او يزيدهم هدى انزله كذلك مبينا الفصل مطلق يحتمل الفصل بينهم في الاحوال

والاماكن

59

والاماكن جميعا فلا يجازيهم جزاء واحدا بغير تفاوت ولا يجمعهم في موطن واحد وقيل الاديان
خمسة اربعة للشيطان وواحد للرحمن جعل الصابئون مع النصارى لانهم نوع منهم وقيل
يفصل بينهم يقضي بينهم اي بين المؤمنين والكافرين وادخلت ان على كل واحد من جزئي
الجملة لزيادة التأكيد ونحوه قول جرير ان الخليفة ان الله سربله سربال ملك به ترجى الخواتيم
سميت مطاوعتها له فيما يحدث فيها من افعاله ويجريها عليه من تدبيره وتسخيره لها سجودا له
تشبيها لمطاوعتها بادخال افعال المكلف في باب الطاعة والانقياد وهو السجود الذي
كل خضوع دونه **فان قلت** فما تصنع بقوله وكثير من الناس وبما فيه من الاعتراضين
احدهما ان السجود على المعنى الذي فسرته لا يسجده بعض الناس دون بعض والثاني
ان السجود قد اسند على سبيل العموم الى من في الارض من الانس والجن اولا فاسناده الى
كثير منهم آخرا مناقضة **قلت** لا انظم كثيرا في المفردات المتناسقة الداخلة تحت
حكم الفعل وانما ارفعه بفعل مضمر يدل عليه قوله يسجد اي ويسجد له كثير من الناس سجود طاعة
وعبادة ولم اقل افسر يسجد الذي هو ظاهر بمعنى الطاعة والعبادة في حق هؤلاء لان اللفظ افسر صح
الواحد لا يصح استعماله في حالة واحدة على معنيين مختلفين او ارفعه على الابتداء والخبر
محذوف وهو مثاب لان خبر مقابله يدل عليه وهو قوله حق عليه العذاب ويجوز ان يجعل
من الناس خبرا له اي من الناس الذين هم الناس على الحقيقة وهم الصالحون والمتقون
ويجوز ان يبالغ في تكثير المحقوقين بالعذاب فيعطف كثير على كثير ثم يخبر عنهم بحق عليهم
العذاب وقرئ حق بالضم وقرئ حقا اي حق عليهم العذاب حقا ومن اهانه الله بان
كتب عليه الشقاوة لما سبق في علمه من كفره او فسقه فقد بقي مهانا لن يجد له مكرما وقرئ
مكرم بفتح الراء بمعنى الاكرام انه يفعل ما يشاء من الاكرام والاهانة ولا يشاء من ذلك

كانه قيل وكثير وكثير من الناس حق عليهم العذاب

الا ما يقتضيه عمل العاملين واعتقاد المعتقدين للخصم صفة وصف بها الفوج او الفريق
فكانه قيل فهذان فوجان او فريقان مختصمان وقوله هذان للفظ واختصموا للمعنى
كقوله ومنهم من يستمع اليك حتى اذا خرجوا ولو قيل هولاء خصمان او اختصما جاز يراد المومنون
والكافرون قال ابن عباس رجع الى اهل الاديان الستة في ربهم اي في دينه وصفاته
وروى ان اهل الكتاب قالوا للمومنين نحن احق بالله واقدم منكم كتابا ونبينا قبل نبيكم وقال
المومنون نحن احق بالله آمنا بمحمد وآمنا بنبيكم وبما انزل الله من كتاب وانتم تعرفون
كتابنا ونبينا ثم تركتموه وكفرتم به حسدا فهذه خصومتهم في ربهم فالذين كفروا هو فصل
الخصومة المعني بقوله تعالى ان الله يفصل بينهم يوم القيمة وفي رواية عن الكسائي خصمان
بالكسر وقرى قطعت بالتخفيف كان الله تعالى يقدر لهم نيرانا على مقادير جثثهم تشتمل
عليهم كما تقطع الثياب الملبوسة ويجوز ان تظاهر على كل واحد منهم تلك النيران كا
لثياب المتظاهرة على اللابس بعضها فوق بعض ونحوه سرابيلهم من قطران الحميم الماء
الحار عن ابن عباس لو سقطت منه نقطة على جبال الدنيا لاذابتها يصهر يذاب وعن
الحسن بتشديد الهاء للمبالغة اي اذا صب الحميم على رؤسهم كان تاثيره في الباطن نحو تاثيره
في الباطن نحو تاثيره في الظاهر فيذيب امعاءهم واحشاءهم كما يذيب جلودهم وهو ابلغ من قوله
وسقوا ماء حميما فقطع امعاءهم والمقامع السياط في الحديث لو وضعت مقمعة منها في
الارض فاجتمع عليها الثقلان ما اقلوها وقرا الاعمش ردوا فيها والاعادة والرد لا يكون
الا بعد الخروج والمعنى كلما ارادوا ان يخرجوا منها من غم فخرجوا اعيدوا فيها ومعنى الخروج
ما يروى عن الحسن ان النار تضربهم بلهيبها فترفعهم حتى اذا كانوا في اعلاها ضربوا
بالمقامع فهووا فيها سبعين خريفا وقيل لهم ذوقوا عذاب الحريق والحريق الغليظ من النار

المنتشر

٦٠

المنتشر العظيم الاهلاك ضربوا تحلون عن ابن عباس من حليت المراة فهي حال ولولوا بالنصب
على ويوتون لولوا كقوله وحورا عينا ولولوا بقلب الهمزة الثانية واوا ولوليا بقلبهما واو
ثم تقلب الثانية ياء كادل ولولى كادل فيمن جر ولولو وليليا بقلبهما ياء عن ابن عباس
وهداهم الله والهمهم ان يقولوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وهداهم الى طريق الجنة يقال
فلان يحسن الى الفقراء وينعش المضطهدين لا يراد حال ولا استقبال وانما يراد استمرار
وجود الاحسان منه والنعشة في جميع ازمنته واوقاته ومنه قوله ويصدون عن سبيل الله اي
الصدود منهم مستمر دائم للناس اي للذين يقع عليهم اسم الناس من غير فرق بين حاضر
المراد وباد وتاني وطاري ومكي وآفاقي وقد استشهد به اصحاب ابي حنيفة قائلين ان
بالمسجد الحرام مكة على امتناع جواز بيع دور مكة واجارتها وعند الشافعي لا يمتنع ذلك وقد
حاور اسحق بن راهويه فاحتج بقوله الذين اخرجوا من ديارهم وقال انسب الديار الى مالكيها
او غير مالكيها واشترى عمر بن الخطاب دار السجن من مالكيه او غير مالكيه سواء بالنصب
قراة حفص والباقون على الرفع ووجه النصب انه ثاني مفعولي جعلناه اي جعلناه مستويا
العاكف فيه والباد وفي القراة بالرفع الجملة مفعول ثان الالحاد العدول عن القصد
واصله الحاد الحافر وقوله بالحاد بظلم حالان مترادفتان ومفعول يرد متروك ليتناول كل
متناول كانه قال ومن يرد فيه مرادا ما عادلا عن القصد ظالما نذقه من عذاب اليم يعني
ان الواجب على من كان فيه ان يضبط نفسه ويسلك طريق السداد والعدل في جميع
ما يهم به ويقصده وقيل الالحاد في الحرم منع الناس عن عمارته وعن سعيد بن جبير الاحتكار
وعن عطاء قول الرجل في المبايعة لا والله وبلى والله وعن عبد الله بن عمر انه كان له فسطاطان
احدهما في الحل والاخر في الحرم فاذا اراد ان يعاتب اهله عاتبهم في الحل فقيل له فقال كنا

تحدثان من الالحاد فيه ان يقول الرجل لا والله وبلى والله وقرئ يرد بفتح اليا من الورود
ومعناه من اتى فيه بالحاد ظالما وعن الحسن ومن يرد الحاده بظلم اراد الحادا فيه فاضافه
على الاتساع في الظرف كمكر الليل ومعناه ومن يرد ان يلحد فيه ظالما وخبر ان محذوف لدلالة
جواب الشرط عليه تقديره ان الذين كفروا ويصدون عن المسجد الحرام نذيقهم من عذاب
اليم وكل من ارتكب فيه ذنبا فهو كذلك واذكر حين جعلنا لابرهيم مكان البيت مباءة
اي مرجعا يرجع اليه للعمارة والعبادة رفع البيت الى السماء ايام الطوفان وكان من ياقوته
حمرا فاعلم الله ابرهيم مكانه بريح ارسلها يقال لها الخجوج كنست ما حوله فبناه على اسه القديم
وان هي المفسرة **فان قلت** كيف يكون النهي عن الشرك والامر بتطهير البيت تفسيرا للتبوئة
قلت كانت التبوئة مقصودة من اجل العبادة فكانه قيل تعبدنا ابرهيم قلنا له لا تشرك
بي شيئا وطهر بيتي من الاصنام والاوثان والاقذار ان تطرح حوله وقرئ يشرك بالياء على الغيبة
واذن في الناس ناد فيهم وقرا ابن محيصن وآذن والنداء بالحج ان يقول حجوا او عليكم بالحج
وروي انه صعد ابا قبيس فقال يا ايها الناس حجوا بيت ربكم وعن الحسن انه خطاب لرسول الله
امر ان يفعل ذلك في حجة الوداع رجالا مشاة جمع راجل كقائم وقيام وقرئ رجالا بضم
الراء مخفف الجيم ومثقله ورجالي كعجالي عن ابن عباس وعلى كل ضامر حال معطوفة على حال
كانه قال رجالا وركبانا يأتين صفة لكل ضامر لانه في معنى الجمع وقرئ يأتون صفة للرجال والركبان
والعميق البعيد وقرا ابن مسعود معيق يقال بئر بعيدة العمق والمعق نكر المنافع لانه مختصة بهذه اراد منافع
العبادة دينية ودنيوية لا توجد في غيرها من العبادات وعن ابي حنيفة رضي الله عنه انه كان
يفاضل بين العبادات قبل ان يحج فلما حج فضل الحج على العبادات كلها لما شاهد من تلك الخصائص
وكنى عن النحر والذبح بذكر اسم الله لان اهل الاسلام لا ينفكون عن ذكر اسمه اذا نحروا او ذبحوا

وفيه

تنبيه على ان الغرض الاصلي فيما يتقرب به الى الله ان يذكر اسمه وقد حسن الكلام تحسينا بينا ان
جمع بين قوله ليذكروا اسم الله وقوله على ما رزقهم ولو قيل لينحروا في ايام معلومات بهيمة الانعام
لم تر شيئا من ذلك الحسن والروعة الايام المعلومات ايام العشر عند ابي حنيفة وهو قول
الحسن وقتادة وعند صاحبيه هي ايام النحر البهيمة مبهمة في كل ذات اربع في البر والبحر
فبينت بالانعام وهي الابل والبقر والضان والمعز الامر بالاكل منها امر اباحة لان اهل الجاهلية
كانوا لا ياكلون من نسائكهم ويجوز ان يكون ندبا لما فيه من مساواة الفقراء ومواساتهم و
من استعمال التواضع ومن ثم استحب الفقهاء ان ياكل الموسع من اضحيته مقدار الثلث وعن
ابن مسعود انه بعث بهدي وقال فيه اذا نحرته فكل وتصدق وابعث منه الى عتبة يعني
ابنه وفي الحديث كلوا وادخروا وائتجروا البائس الذي اصابه بؤس اي شدة والفقير الذي
اضعفه الاعسار قضاء التفث قص الشارب والاظفار ونتف الابط والاستحداد و
التفث الوسخ فالمراد قضاء ازالة التفث وقرئ وليوفوا بتشديد الفاء نذورهم مواجب
حجهم او ما عسى ينذرونه من اعمال البر في حجهم وليطوفوا طواف الافاضة وهو طواف الزيارة
الذي هو من اركان الحج ويقع به تمام التحلل وقيل طواف الصدر وهو طواف الوداع العتيق القديم
لانه اول بيت وضع للناس عن الحسن وعن قتادة اعتق من الجبابرة كم من جبار سار اليه
ليهدمه فمنعه الله وعن مجاهد لم يملك قط وعنه ايضا اعتق من الغرق وقيل بيت كريم
من قولهم عتاق الخيل والطير **فان قلت** قد تسلط عليه الحجاج فلم يمنع **قلت**
ما قصد التسلط على البيت وانما تحصن به ابن الزبير فاحتال لاخراجه ثم بناه ولما قصد التسلط
عليه ابرهة فعل به ما فعل ذلك خبر مبتدا محذوف اي الامر والشان ذلك كما يقدم
الكاتب جملة من كتابه في بعض المعاني ثم اذا اراد الخوض في معنى اخر قال هذا وقد كان كذا

والحرمة ما لا يحل هتكه وجميع ما كلفه الله عز وجل بهذه الصفة من مناسك الحج وغيرها فيحتمل
ان يكون عاما في جميع تكاليفه ويحتمل ان يكون خاصا فيما يتعلق بالحج وعن زيد بن اسلم
الحرمات خمس الكعبة الحرام والمسجد الحرام والبلد الحرام والشهر الحرام والمحرم حتى يحل فهو
خير له اي فالتعظيم خير له ومعنى التعظيم العلم بانها واجبة المراعاة والحفظ والقيام
بمراعاتها المتلو لا يستثنى من الانعام ولكن المعنى الا ما يتلى عليكم اية تحريمه وذلك قوله
في سورة المائدة حرمت عليكم الميتة والمعنى ان الله قد احل لكم الانعام كلها الا ما استثناه
في كتابه فحافظوا على حدوده واياكم ان تحرموا مما احل شيئا كتحريم عبدة الاوثان البحيرة
والسائبة وغير ذلك وان تحلوا مما حرم كاحلالهم اكل الموقوذة والميتة وغير ذلك
لما حث على تعظيم حرماته واحمد من يعظمها اتبعه الامر باجتناب الاوثان وقول الزور
لان توحيد الله ونفي الشركاء عنه وصدق القول اعظم الحرمات واسبقها خطوا وجمع الشرك
وقول الزور في قران واحد وذلك ان الشرك من باب الزور لان المشرك زاعم ان الوثن
يحق له العبادة فكانه قال فاجتنبوا عبادة الاوثان التي هي راس الزور واجتنبوا قول الزور
كله لا تقربوا شيئا منه لتماديه في القبح والسماجة وما ظنك بشيء من قبيله عبادة الاوثان
وسمى الاوثان رجسا وكذلك الخمر والميسر والازلام على طريق التشبيه يعني انكم كما تنفرون
بطباعكم عن الرجس وتجتنبونه فعليكم ان تنفروا عن هذه الاشياء مثل تلك النفرة ونبه
على هذا المعنى بقوله رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه جعل العلة في اجتنابه انه رجس والرجس
مجتنب من الاوثان بيان للرجس وتمييز له كقولك عندي عشرون من الدراهم لان الرجس
مبهم يتناول غير شيء كانه قيل فاجتنبوا الرجس الذي هو الاوثان والزور من الزور والازورار وهو
الانحراف كما ان الافك من افكه اذا صرفه وقيل قول الزور قولهم هذا حلال وهذا حرام وما اشبه

ذلك

62

ذلك من افترائهم وقيل شهادة الزور عن النبي صلى الله عليه وسلم انه صلى الصبح فلما سلم قام قائما
فاستقبل الناس بوجهه وقال عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور 3
الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله عدلت شهادة الزور الاشراك بالله وتلا
هذه الاية وقيل الكذب والبهتان وقيل قول اهل الجاهلية في تلبيتهم لبيك لا شريك لك
الا شريك هو لك تملكه وما ملك يجوز في هذا التشبيه ان يكون من المركب والمفرق فان
كان تشبيها مركبا فكانه قال من اشرك بالله فقد اهلك نفسه اهلاكا ليس بعده بان صور
حاله بصورة حال من خر من السماء فاختطفته الطير فتفرق مزعا في حواصلها او عصفت به
الريح حتى هوت به في بعض المطاوح البعيدة وان كان مفرقا فقد شبه الايمان في علوه
بالسماء والذي ترك الايمان واشرك بالله بالساقط من السماء والاهواء التي تتوزع افكاره بالطير
المختطفة والشيطان الذي يطوح به في وادي الضلالة بالريح التي تهوي بما عصفت
به في بعض المهاوي المتلفة وقرئ فتخطفه بكسر الخاء والطاء وبكسر التاء مع كسرهما وهي
قراءة الحسن واصلها تختطفه وقرئ الرياح تعظيم الشعائر وهي الهدايا لانها من معالم الحج
ان يختارها عظام الاجرام حسانا سمانا غالية الاثمان ويترك المكاس في شرائها فقد كانوا
في ثلاث ويتركون ويكرهون المكاس فيهن الهدي والاضحية والرقبة وروى ابن عمر
عن ابيه رضي الله عنهما انه اهدى نجيبة طلبت منه بثلاثمائة دينار فسال رسول الله ان يبيعها
ويشتري بثمنها بدنا فنهاه عن ذلك وقال بل اهدها واهدى رسول الله صلى الله عليه وسلم مائة
بدنة فيها جمل لابي جهل في انفه برة من ذهب وكان ابن عمر يسوق البدن مجللة بالقباطي
فيتصدق بلحومها وبجلالها ويعتقد ان طاعة الله في التقرب بها واهدائها الى بيته المعظم امر
عظيم لا بد ان يقام به ويسارع فيه فانها من تقوى القلوب اي فان تعظيمها من افعال ذوي

يغالون

القلوب فحذفت هذه المضافات ولا يستقيم المعنى الا بتقديرها لانه لا بد من راجع من
الجزاء الى من ليرتبط به وانما ذكرت القلوب لانها مراكز التقوى التي اذا ثبتت فيها وتمكنت
ظهر اثرها في ساير الاعضا الى اجل مسمى الى ان تنحر ويتصدق بلحومها ويوكل منها ثم للتراخي في
الوقت فاستعيرت للتراخي في الاحوال والمعنى ان لكم في الهدايا منافع كثيرة في دنياكم ودينكم
وانما يعتد الله بالمنافع الدينية قال سبحانه تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة واعظم هذه المنافع
وابعدها شوطا في النفع محلها الى البيت اي وجوب نحرها او وقت وجوب نحرها منتهية
الى البيت كقوله هديا بالغ الكعبة والمراد نحرها في الحرم الذي هو في حكم البيت لان الحرم هو
حريم البيت ومثل هذا في الاتساع قولك بلغنا البلد وانما شارفتموه واتصل مسيركم بحدوده
وقيل المراد بالشعاير المناسك كلها ومحلها الى البيت العتيق ياباه شرع الله لكل امة ان ينسكوا له
اي يذبحوا لوجهه على وجه التقرب وجعل العلة في ذلك ان يذكر اسمه تقدست اسماوه
اسماوه على المناسك وقرى منسكا بفتح السين وكسرها وهو مصدر بمعنى النسك والمكسور
يكون بمعنى الموضع فله اسلموا اي اخلصوا له الذكر خاصة واجعلوه لوجهه سالما اي خالصا
لا تشوبوه باشراك المخبتين المتواضعين الخاشعين من الخبت وهو المطمئن من الارض
وقيل هم الذين لا يظلمون واذا ظلموا لم ينتصروا وقرا الحسن والمقيمي الصلوة بالنصب على تقدير
النون وقرا ابن مسعود والمقيمين الصلاة على الاصل البدن جمع بدنة سميت لعظم بدنها وهي الابل
خاصة ولان رسول الله صلى الله عليه الحق البقر بالابل حين قال البدنة عن سبعة والبقرة عن سبعة
فجعل البقر في حكم الابل صارت البدنة في الشريعة متناولة للجنسين عند ابي حنيفة واصحابه
والا فالبدن هي الابل وعليه يدل الآية وقرا الحسن والبدن بضمتين كثمر في جمع ثمرة وابن
ابي اسحق بالضمتين وتشديد النون على لفظ الوقف وقرى بالنصب والرفع كقوله والقمر

قدرناه

٦٣

قدرناه من شعاير الله اي من اعلام الشريعة التي شرعها الله واضافها الى اسمه تعظيما لها لكم
فيها خير كقوله لكم فيها منافع ومن شان الحاج ان يحرص على شي فيه خير ومنافع بشهادة الله
عن بعض السلف انه لم يملك الا تسعة دنانير فاشترى بها بدنة فقيل له في ذلك فقال سمعت ربي
يقول لكم فيها خير وعن ابن عباس دنيا وآخرة وعن ابرهيم من احتاج الى ظهرها ركب ومن احتاج
الى لبنها شرب فاذكروا اسم الله ان يقول عند النحر الله اكبر لا اله الا الله والله اكبر اللهم منك واليك
صواف قائمات قد صففن ايديهن وارجلهن وقرى صوافن من صفون الفرس وهو ان يقوم
على ثلاث وينصب الرابعة على طرف سنبكه لان البدنة تعقل احدى يديها فيقوم على ثلاث
وقرى صوافي اي خوالص لوجه الله وعن عمرو بن عبيد صوافنا بالتنوين عوضا من حرف الاطلاق
عند الوقف وعن بعضهم صوافٍ نحو مثل العرب اعط القوس باريها بسكون الياء وجبت
جنوبها وقوعها على الارض من وجب الحائط وجبة اذا سقط ووجبت الشمس جبة
غربت والمعنى فاذا وجبت جنوبها وسكنت نسايسها حل لكم الاكل منها والاطعام القانع السائل
من قنعت اليه وكنعت اذا خضعت له وسالته قنوعا والمعتر المعترض بغير السوال او القانع
الراضي بما عنده وبما يعطى من غير السوال من قنعت قنعا وقناعة والمعتر المعترض بالسوال
وقرا الحسن والمعتري وعره وعراه واعتره واعتراه بمعنى وقرا ابو رجا القنع وهو الراضي
لا غير يقال قنع فهو قنع وقانع منّ الله على عباده واستحمد اليهم بان سخر لهم البدن مثل التسخير الذي
راوا وعلموا ياخذونها منقادة للآخذ طيعة فيعقلونها ويحبسونها صافة قوايمها ثم يطعنون
لباتها ولولا تسخير الله لم تطق ولم تكن باعجز من بعض الوحوش التي هي اصغر منها جرما واقل
قوة وكفى بما تابد من الابل شاهدا وعبرة اي لن تصيب رضى الله اللحوم المتصدق بها ولا الدماء
المهراقة بالنحر والمراد اصحاب اللحوم والدماء والمعنى لن يرضى المضحون والمقربون ربهم الا

بمراعاة النية والاخلاص والاحتفاظ بشروط التقوى في كل ما قرب به وغير ذلك من المحا[سن] (وقيل)
الشرعية واوامر الورع فاذا لم يراعوا ذلك لم تغن عنهم التضحية والتقريب وان كثر ذلك منهم
وقرئ لن تنال الله ولكن تناله بالياء والتاء وقيل كان اهل الجاهلية اذا نحروا البدن نضحوا
الدماء حول البيت ولطخوه بالدم فلما حج المسلمون ارادوا مثل ذلك فنزلت كرر تذكير
النعمة بالتسخير ثم قال لتشكروا الله على هدايته اياكم لاعلام دينه ومناسك حجه بان تكبروا وتهللوا
واختصر الكلام بان ضمن التكبير معنى الشكر وعدى تعديته خص المؤمنين بدفعه عنهم ونصرته
لهم كما قال انا لننصر رسلنا والذين آمنوا وقال انهم لهم المنصورون واخرى تحبونها نصر من الله
وفتح قريب وجعل العلة في ذلك انه لا يحب اضدادهم وهم الخونة الكفرة الذين يخونون الله
والرسول ويخونون اماناتهم ويكفرون نعم الله ويغمطونها ومن قرأ يدافع فمعناه يبالغ في الدفع
عنهم كما يبالغ من يغالب فيه لان فعل المغالب يجيء اقوى وابلغ اذن وقرئ على
لفظ المبني للفاعل والمفعول جميعا والمعنى اذن لهم في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة
يقاتلون عليه بانهم ظلموا اي بسبب كونهم مظلومين وهم اصحاب رسول الله كان مشركو مكة
يؤذونهم اذى شديدا وكانوا يأتون رسول الله صلى الله عليه من بين مضروب ومشجوج يتظلمون
اليه فيقول لهم اصبروا فاني لم اومر بالقتال حتى هاجر فانزلت هذه الآية وهي اول آية اذن
فيها بالقتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم
مشركو مكة فاذن لهم في مقاتلتهم والاخبار بكونه قادرا على نصرهم عدة منه بالنصر واردة
على سنن كلام الجبابرة وما مر من دفعه عن الذين آمنوا مؤذن بمثل هذه العدة ايضا ان يقولوا
في محل الجر على الابدال من حق اي بغير موجب سوى التوحيد الذي ينبغي ان يكون
موجب الاقرار والتمكين لا موجب الاخراج والتسيير ومثله هل تنقمون منا الا ان آمنا بالله دفع الله

بعض الناس ببعض اظهاره وتسليطه المسلمين منهم على الكافرين بالمجاهدة ولولا ذلك لاستولى
المشركون على اهل الملل المختلفة في ازمنتهم وعلى متعبداتهم فهدموها ولم يتركوا للنصارى
بيعا ولا لرهبانهم صوامع ولا لليهود صلوات ولا للمسلمين مساجد او لغلب المشركون في امة
محمد عليه السلام على المسلمين وعلى اهل الكتاب الذين في ذمتهم وهدموا متعبدات
الفريقين وقرئ دفاع ولهدمت بالتخفيف وسميت الكنيسة صلاة لانه يصلى فيها وقيل هي
كلمة معربة اصلها بالعبرانية صلوثا من ينصره اي ينصر دينه واولياءه هو اخبار من الله عز وجل
بظهر الغيب عما ستكون عليه سيرة المهاجرين رضي الله عنهم ان مكنهم في الارض وبسط لهم في
الدنيا وكيف يقومون بامر الدين وعن عثمان رضي الله عنه هذا والله ثناء قبل بلاء يريد ان الله
قد اثنى عليهم قبل ان يحدثوا من الخير ما احدثوا وقالوا فيه دليل على صحة امر الخلفاء الراشدين
لان الله لم يعط التمكين ونفاذ الامر مع السيرة العادلة غيرهم من المهاجرين لا حظ في
ذلك للانصار والطلقاء وعن الحسن هم امة محمد صلى الله عليه وقيل الذين منصوب بدل
من قوله من ينصره والظاهر انه مجرور تابع للذين اخرجوا ولله عاقبة الامور اي مرجعها الى حكمه
وتقديره وفيه تاكيد لما وعده من اظهار اوليائه واعلاء كلمتهم يقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
لست باوحد في التكذيب فقد كذب الرسل قبلك اقوامهم وكفاك بهم اسوة **فان قلت**
لم قيل وكذب موسى ولم يقل وقوم موسى **قلت** لان موسى ما كذبه قومه بنو اسرائيل
وانما كذبه غير قومه وهم القبط وفيه شيء آخر كانه قيل بعد ما ذكر تكذيب كل قوم رسولهم وكذب
موسى ايضا مع وضوح آياته وعظم معجزاته فما ظنك بغيره النكير بمعنى الانكار والتغيير حيث
ابدلهم بالنعمة محنة وبالحياة هلاكا وبالعمارة خرابا كل مرتفع اظلك من سقف بيت او خيمة او
ظلة او كرم فهو عرش والخاوي الساقط من خوى النجم اذا سقط او الخالي من خوى المنزل

٤٤

اذا خلا من اهله وخوى بطن الحامل وقوله على عروشها لا يخلو من ان يتعلق بخاويه فيكون المعنى
انها ساقطه على سقوفها اى خرت سقوفها على الارض ثم تهدمت حيطانها فسقطت فوق
السقوف وانها ساقطه او خاليه مع بقاء عروشها وسلامتها واما ان يكون خبرا بعد خبر كانه
قيل هى خاليه وهى على عروشها اى قائمه مظله على عروشها على معنى ان السقوف سقطت الى
الارض فصارت فى قرار الحيطان وبقيت الحيطان مائلة فهى مشرفه على السقوف الساقطة
فان قلت ما محل الجملتين من الاعراب اعنى وهى ظالمة فهى خاوية قلت
الاولى فى محل النصب على الحال والثانيه لا محل لها لانها معطوفه على اهلكناها وهذا الفعل ليس له
محل وبئر معطلة من اعطله بمعنى عطله ومعنى المعطله انها عامرة فيها الما ومعها الآلات
الاستقا الا انها عطلت اى تركت لا يستقى منها لهلاك اهلها والمشيد المجصص او المرفوع
البنيان والمعنى كم قرية اهلكنا وكم بئر عطلنا عن سقاتها وقصر مشيد اخليناه عن ساكنيه
فترك ذلك لدلالة معطلة عليه وفى هذا دليل على ان على عروشها بمعنى مع اوجه وروى ان
هذه بئر نزل عليها صالح مع اربعة الاف نفر ممن امن به ونجاهم الله من العذاب وهى بحضرموت
وانما سميت بذلك لان صالحا حين حضرها مات وثم بلدة عند البئر اسمها حاضورا بناها قوم
صالح وامروا عليهم جهلس بن جلاس واقاموا بها زمانا ثم كفروا وعبدوا صنما وارسل الله اليهم
حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فاهلكهم الله وعطل بئرهم وخرب قصورهم يحتمل انهم لم يسافروا فحثوا
على السفر ليروا مصارع من اهلكهم الله بكفرهم ويشاهدوا آثارهم فيعتبروا وان يكونوا قد سافروا
وراوا ذلك ولكن لم يعتبروا فجعلوا كان لم يسافروا ولم يروا وقرى فيكون لهم قلوب بالياء اى يعقلون
ما يجب ان يعقل من التوحيد ويسمعون ما يجب سماعه من الوحى فانها الضمير ضمير الشان والقصة
يجى مذكرا ومؤنثا وفى قراءة ابن مسعود فانه ويجوز ان يكون ضميرا مبهما يفسره الابصار وفى تعمى راجع اليه

٤٠

والمعنى ان ابصارهم صحيحه سالمه لا عمى بها وانما العمى بقلوبهم او لا يعتد بعمى الابصار فكانه
ليس بعمى بالاضافه الى عمى القلوب فان قلت اى فائدة فى ذكر الصدور قلت
الذى قد تعورف واعتقد ان العمى على الحقيقه مكانه البصر وهو ان تصاب الحدقة بما
يطمس نورها واستعماله فى القلب استعارة ومثل فلما اريد اثبات ما هو خلاف المعتقد من
نسبة العمى الى القلوب حقيقه ونفيه عن الابصار احتاج هذا التصوير الى زيادة تعيين وفضل
تعريف ليتقرر ان مكان العمى هو القلوب لا الابصار كما تقول ليس المضا للسيف ولكنه
للسانك الذى بين فكيك فقولك الذى بين فكيك تقرير لما ادعيته للسانه وتثبيت لان محل
المضا هو هو لا غير وكانك قلت ما نفيت المضا عن السيف واثبته للسانك فلتة ولا سهوا
منى ولكنى تعمدت به ايا بعينه تعمدا انكر استعجالهم بالمتوعد به من العذاب العاجل او الاجل
كانه قال ولم يستعجلون به كانهم يجوزون الفوت وانما يجوز ذلك على ميعاد من يجوز عليه
الخلف والله عز وعلا لا يخلف الميعاد وما وعده ليصيبنهم ولو بعد حين وهو سبحانه حليم
لا يعجل ومن حلمه ووقاره واستقصاره المدد الطوال ان يوما واحدا عنده كالف سنه
عندكم وقيل معناه كيف يستعجلون بعذاب من يوم واحد من ايام عذابه فى طول الف
سنه من سنيكم لان ايام الشدائد مستطاله او كان ذلك اليوم الواحد لشدة
عذابه كالف سنه من سنى العذاب وقيل ولن يخلف الله وعده فى النظرة والامهال وروى
تعدون بالتاء والياء ثم قال وكم من اهل قرية كانوا مثلكم ظالمين قد انظرتهم حينا ثم اخذتهم بالعذاب
والمرجع الى والى حكمى فان قلت لم كانت الاولى معطوفه بالفا وهذه بالواو
قلت الاولى وقعت بدلا عن قوله فكيف كان نكير واما هذه فحكمها حكم ما تقدمها
من الجملتين المعطوفتين بالواو اعنى قوله ولن يخلف الله وعده وان يوما عند ربك كالف سنه

يقال سعيت في امر فلان اذا اصلحه او افسده بسعيه وعاجزه سابقه لان كل واحد منهما في طلب
اعجاز الآخر عن اللحاق به فاذا سبقه قيل اعجزه وعجزه والمعنى سعوا في معناها بالفساد من
الطعن فيها حيث سموها سحرا وشعرا واساطير ومن تثبيط الناس عنها سابقين او مسابقين
في زعمهم وتقديرهم طامعين ان كيدهم للاسلام يتم لهم **فان قلت** كان القياس ان يقال
انما انا لكم بشير ونذير لذكر الفريقين بعده **قلت** الحديث مسوق الى المشركين و
يا ايها الناس نداء لهم وهم الذين قيل فيهم افلم يسيروا ووصفوا بالاستعجال وانما اقحم المومنون وثوابهم
ليغاظوا من رسول ولا نبي دليل بين على تغاير الرسول والنبي وعن النبي صلى الله عليه انه سئل
عن الانبياء فقال مائة الف واربعة وعشرون الفا قيل فكم الرسل منهم قال ثلثمائة وثلثة
عشر جما غفيرا والفرق بينهما ان الرسول من الانبياء من جمع الى المعجزة الكتاب المنزل عليه
والنبي غير الرسول من لم ينزل عليه كتاب وانما امر ان يدعو الى شريعة من قبله والسبب
في نزول هذه الاية ان رسول الله صلى الله عليه لما اعرض عنه قومه وشاقوه وخالفه عشيرته
ولم يشايعوه على ما جاء به تمنى لفرط ضجره من اعراضهم ولحرصه وتهالكه على اسلامهم ان لا ينزل
عليه ما ينفرهم لعله يتخذ ذلك طريقا الى استمالتهم واستنزالهم عن غيهم وعنادهم فاستمر به
ما تمناه حتى نزلت عليه سورة والنجم وهو في نادي قومه وذلك التمني في نفسه فاخذ يقراها
فلما بلغ قوله ومناة الثالثة الاخرى القى الشيطان في امنيته التي تمناها اي وسوس اليه
بما شيعها به فسبق لسانه على سبيل السهو والغلط الى ان قال تلك الغرانيق العلى وان
شفاعتهن لترتجى وروي الغرانقة ولم يفطن له حتى ادركته العصمة فتنبه عليه وقيل نبهه
جبريل عليه السلام او تكلم الشيطان بذلك فاسمعه الناس فلما سجد في آخرها سجد معه
جميع من في النادي وطابت نفوسهم وكان تمكين الشيطان من ذلك محنة من الله وابتلاء

زاد المنافقون به شكا وظلمة والمومنون نورا وايقانا والمعنى ان الرسل والانبياء من قبلك
كانت هجيراهم كذلك اذا تمنوا مثل ما تمنيت مكن الله الشيطان ليلقي في امانيهم مثل ما القى
في امنيتك ارادة امتحان من حولهم والله سبحانه له ان يمتحن عباده بما شاء من صنوف المحن
وانواع الفتن ليضاعف ثواب الثابتين ويزيد في عقاب المذبذبين وقيل تمنى قرا وانشد
تمنى كتاب الله اول ليله تمني داود الزبور على رسل وامنيته قراءته وقيل تلك الغرانيق
اشارة الى الملائكة اي هم الشفعاء لا الاصنام فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهب به ويبطله
ثم يحكم الله اياته اي يثبتها والذين في قلوبهم مرض المنافقون والشاكون والقاسية قلوبهم
المشركون المكذبون وان الظالمين يريد وان هولاء المنافقين والمشركين واصله وانهم
فوضع الضمير قضاء عليهم بالظلم انه الحق من ربك اي ليعلموا ان تمكين الشيطان من الالقاء هو الحق
من ربك والحكمة وان الله لهادي الذين امنوا الى ان يتاولوا ما تشابه في الدين بالتاويلات
الصحيحة ويطلبوا لما اشكل منه المحمل الذي تقتضيه الاصول المحكمة والقوانين الممهدة حتى
لا يلحقهم حيرة ولا تعتريهم شبهة ولا تزل اقدامهم وقرئ لهاد الذين امنوا بالتنوين الضمير في
مرية منه للقران او للرسول اليوم العقيم يوم بدر وانما وصف يوم الحرب بالعقيم لان الاولاد
النساء يقتلون فيه فيصرن كانهن عقم لم يلدن او لان المقاتلين يقال لهم ابناء الحرب فاذا
قتلوا وصف يوم الحرب بالعقيم على سبيل المجاز وقيل هو الذي لا خير فيه يقال ريح عقيم
اذا لم تنشئ مطرا ولم تلقح شجرا وقيل لا مثل له في عظم امره لقتال الملائكة فيه وعن الضحاك انه يوم القيمة
وان المراد بالساعة مقدماته ويجوز ان يراد بالساعة وبيوم عقيم يوم القيمة وكانه قيل حتى
تاتيهم الساعة او ياتيهم عذابها فوضع يوم عقيم موضع الضمير **فان قلت** التنوين في
يومئذ عن اي جملة ينوب **قلت** تقديره الملك يوم يومنون او يوم تزول مريتهم

الظاهر موضع الضمير

لقوله ولا يزال الذين كفروا في مرية منه حتى تاتيهم الساعة لما جمعتهم المهاجرة في سبيل الله سوى
بينهم في الموعد وان يعطي من مات منهم مثل ما يعطي من قتل منهم تفضلا منه واحسانا والله
بدرجات العاملين ومراتب استحقاقهم حليم عن تفريط المفرط منهم بفضله وكرمه روي ان
طوائف من اصحاب رسول الله قالوا يا نبي الله هولاء الذين قتلوا قد علمنا ما اعطاهم الله من الخير
ونحن نجاهد معك كما جاهدوا فما لنا ان متنا معك فانزل الله هاتين الايتين تسمية الابتدا
بالجزاء للملابسة له من حيث انه سبب وذاك مسبب عنه كما يحملون النظير على النظير والنقيض
على النقيض للملابسة **فان قلت** كيف طابق ذكر العفو الغفور هذا الموضع **قلت**
المعاقب مبعوث من جهة الله عز وجل على الاخلال بالعقاب والعفو عن الجاني على طريق
التنزيه ومندوب اليه ومستوجب عند الله المدح ان اثر ما ندب اليه وسلك سبيل التنزيه الى النعيم
فحين لم يوثر ذلك وانتصر وعاقب ولم ينظر في قوله تعالى فمن عفى واصلح فاجره على الله وان
تعفوا اقرب للتقوى ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور فان الله لعفو غفور اي لا يلومه
على ترك ما بعثه عليه وهو ضامن لنصره في كرته الثانية من اخلاله بالعفو وانتقامه من الباغي
عليه ويجوز ان يضمن له النصر على الباغي ويعرض مع ذلك بما كان اولى به من العفو ويلوح به بذكر هاتين
الصفتين او دل بذكر العفو والمغفرة على انه قادر على العقوبة لانه لا يوصف بالعفو الا
القادر على ضده ذلك اي ذلك النصر بسبب انه قادر ومن ايات قدرته البالغة انه يولج
الليل في النهار والنهار في الليل او بسبب انه خالق الليل والنهار ومصرفهما فلا يخفى عليه ما
يجري فيهما على ايدي عباده من الخير والشر والبغي والانصاف وانه سميع لما يقولون بصير بما
يفعلون **فان قلت** ما معنى ايلاج احد الملوين في الاخر **قلت** تحصيل ظلمة
هذا في مكان ضياء ذاك بغيبوبة الشمس وضياء ذاك في مكان ظلمة هذا بطلوعها كما يضيء

الشمس بالسراج ويظلم بفقده وقيل هو زيادة في احدهما ما ينقص من الاخر من الساعات وقرئ
تدعون بالتاء والياء وقرا اليماني وان ما يُدعَون بلفظ المبني للمفعول والواو راجعة الى ما لانه
في معنى الالهة اي ذلك الوصف بخلق الليل والنهار والاحاطة بما يجري فيهما وادراك
كل قول وفعل بسبب انه الله الحق الثابت الالهية وان كل ما يدعى الها دونه باطل الدعوة وانه
لا شيء اعلى منه شانا واكبر سلطانا وقرئ مُخْضَرَّة اي ذات خضر على مفعلة كمبقلة ومسبعة
فان قلت هلا قيل فاصبحت ولم صرف الى لفظ المضارع **قلت** لنكتة فيه
وهي افادة بقاء اثر المطر زمانا بعد زمان كما تقول انعم علي فلان عام كذا فاروح
واغدو شاكرا له ولو قلت فرحت وغدوت لم يقع ذلك الموقع **فان قلت** فما له
رفع ولم ينصب جوابا للاستفهام **قلت** لو نصب لاعطى ما هو عكس الغرض لان معناه
اثبات الاخضرار فينقلب بالنصب الى نفي الاخضرار مثاله ان تقول لصاحبك الم تر اني
انعمت عليك فتشكر ان نصبته فانت ناف لشكره شاك تفريطه فيه وان رفعته فانت
مثبت للشكر وهذا وامثاله مما يجب ان يرغب له من اتسم بالعلم في علم الاعراب وتوقير
اهله لطيف واصل علمه او فضله الى كل شيء خبير بمصالح الخلق ومنافعهم ما في الارض من البهائم
مذللة للركوب في البر ومن المراكب جارية في البحر وغير ذلك من سائر المسخرات وقرئ
والفلك بالرفع على الابتداء ان تقع كراهة ان تقع الا باذنه احياكم بعد ان كنتم جمادا ترابا
نطفة وعلقة ومضغة لكفور لجحود لما افاض عليه من ضروب النعم هو نهي لرسول الله اي لا
تلتفت الى قولهم ولا تمكنهم من ان ينازعوك او هو زجر لهم عن التعرض لرسول الله بالمنازعة في
الدين وهم جهال لا علم عندهم وهم كفار خزاعة روي ان بديل بن ورقاء وبشر بن سفيان الخزاعيين
وغيرهما قالوا للمسلمين ما لكم تاكلون ما قتلتم ولا تاكلون ما قتله الله يعنون الميتة وقال الزجاج

هو النهي له عن منازعتهم كما يقول لا يضاربنك فلان اى لا تضاربه وهذا جائز في الفعل الذي
لا يكون الا بين اثنين وقيل في امر النسائك وقرئ فلا ينزعنك اى اثبت في دينك اثبت
ثباتا لا يطمعون ان يجذبوك ليزيلوك عنه والمراد زيادة التثبيت لرسول الله بما يهيج حميته
ويلهب غضبه لله ولدينه ومنه قوله ولا يصدنك عن آيات الله ولا تكونن من المشركين فلا تكونن
ظهيرا للكافرين وهيهات ان ترتع همة رسول الله حول ذلك الحمى ولكنه وارد على ما قلت
لك من ارادة التهييج والالهاب وقال الزجاج هو من نازعته فنزعته انزعه اى غلبته
اى لا يغلبنك في المنازعة **فان قلت** لم جاءت نظيرة هذه الآية معطوفة بالواو
وقد نزعت عن هذه **قلت** لان تلك وقعت مع ما يدانيها ويناسبها من الآي الواردة
في امر النسائك فعطفت على اخواتها واما هذه فواقعة مع اباعد عن معناها فلم تجد معطفا
اى وان ابوا للجاجهم الا المجادلة بعد اجتهادك ان لا يكون بينك وبينهم تنازع وجدال فادفعهم
بان الله اعلم باعمالكم وبقبحها وبما تستحقون عليها من الجزاء فهو مجازيكم به وهذا وعيد وانذار
ولكن برفق ولين الله يحكم بينكم خطاب من الله للمؤمنين والكافرين اى يفصل بينكم بالثواب
والعقاب ومسلاة لرسول الله مما كان يلقى منهم وكيف يخفى عليه ما يعملون ومعلوم عند
العلماء بالله انه يعلم كل ما يحدث في السموات والارض وقد كتبه في اللوح قبل حدوثه و
الاحاطة بذلك واثباته وحفظه عليه يسير لان العالم الذات لا يتعذر عليه ولا يمتنع تعلق
بمعلوم ويعبدون ما لم يتمسكوا في صحة عبادته ببرهان سماوي من جهة الوحي والسمع ولا
الجأهم اليها علم ضروري ولا حملهم عليها دليل عقلي وما للذين ارتكبوا مثل هذا الظلم من احد
ينصرهم ويصوب مذهبهم المنكر المقطع من التجهم والبسور او الانكار كالمكرم بمعنى الاكرام وقرئ
يعرف والمنكر والسطو الوثب والبطش وقرئ النار بالرفع على انه خبر مبتدأ محذوف كان

قائلا

٦٨

قائلا قال ما هو فقيل النار اى هو النار والنصب على الاختصاص وبالجر على البدل من شر
من ذلكم من غيظكم على التالين وسطوكم عليهم او مما اصابكم من الكراهة والضجر بسبب ما
تلي عليكم وعدها الله استئناف كلام ويحتمل ان يكون النار مبتدأ ووعدها خبرا وان
يكون حالا عنها اذا نصبتها او جررتها باضمار قد فان **قلت** الذي جاء به ليس بمثل
فكيف سماه مثلا **قلت** قد سميت الصفة او القصة الرائعة المتلقاة بالاستحسان
والاستغراب مثلا تشبيها لها ببعض الامثال المسيرة لكونها مستحسنة مستغربة
عندهم قرئ تدعون بالتاء والياء ويدعون مبنيا للمفعول لن اخت لا في نفي المستقبل الا
ان لن تنفيه نفيا موكدا وتاكيده هنا الدلالة على ان خلق الذباب منهم مستحيل مناف
لاحوالهم كانه قال محال ان يخلقوا **فان قلت** ما محل ولو اجتمعوا له **قلت**
النصب على الحال كانه قال مستحيل ان يخلقوا الذباب مشروطا عليهم اجتماعهم جميعا
لخلقه وتعاونهم عليه وهذا من ابلغ ما انزله الله في تجهيل قريش واستركاك عقولهم والشهادة
على ان الشيطان قد خزمهم بخزائمه حيث وصفوا بالالهية التي تقتضي الاقتدار على المقدورات
كلها والاحاطة بالمعلومات عن آخرها صورا وتماثيل يستحيل منها ان تقدر على اقل ما خلقه الله
واذله واصغره واحقره ولو اجتمعوا لذلك وتساندوا وادل من ذلك على عجزهم وانتفاء
قدرتهم ان هذا الخلق الاقل الاذل لو اختطف منهم شيئا فاجتمعوا على ان يستخلصوه
منه لم يقدروا وقوله ضعف الطالب والمطلوب كالتسوية بينهم وبين الذباب في الضعف
واضعف ولو حققت وجدت الطالب اضعف لان الذباب حيوان وهو جماد وهو غالب وذاك
مغلوب وعن ابن عباس انهم كانوا يطلونها بالزعفران ورؤسها بالعسل ويغلقون عليها الابواب
فيدخل الذباب من الكوى فياكله ما قدروا الله حق قدره اى ما عرفوه حق معرفته حتى لا يسموا

باسمه من هو منسلخ عن صفاته باسرها ولا يوهلونه للعباده ولا يتخذونه شريكا له ان الله قادر غالب
فكيف يتخذ العاجز المغلوب شبيها به هذا رد لما انكروه من ان يكون الرسول من البشر وبيان
ان رسل الله على ضربين ملائكه وبشر ثم ذكر انه عز وجل دراك للمدركات عالم باحوال المكلفين
ما مضى منها وما غبر لا يخفى عليه منهم خافيه واليه مرجع الامور كلها والذى هو بهذه الصفات
لا يسال عما يفعل وليس لاحد ان يعترض عليه فى حكمه وتدابيره واختيار رسله للذكر شان ليس
لغيره من الطاعات وفى هذه السوره دلالات على ذلك فمن ثم دعا المومنين اولا الى
الصلوه التى هى خالص العبادة ثم الى العبادة بغير الصلوه كالصوم والحج والغزو ثم عم على سائر الخيرات ذكر
وقيل كان الناس اول ما اسلموا يسجدون بلا ركوع ويركعون بلا سجود فامروا ان تكون صلوتهم
بركوع وسجود وقيل معنى واعبدوا ربكم اقصدوا بركوعكم وسجودكم وجه الله وعن ابن عباس
فى قوله وافعلوا الخير صلة الارحام ومكارم الاخلاق لعلكم تفلحون اى افعلوا هذا كله وانتم
راجون للفلاح طامعون فيه غير مستيقنين ولا تتكلوا على اعمالكم وعن عقبه بن عامر رضى الله
قال قلت يا رسول الله فى سوره الحج سجدتان قال نعم ان لم تسجدهما فلا تقراهما وعن عبد الله
بن عمر فضلت سوره الحج بسجدتين وبذلك احتج الشافعى فراى سجدتين فى سورة الحج وابو حنيفه
واصحابه لا يرون فيها الا سجدة واحدة لانهم يقولون قرن السجود بالركوع فدل ذلك على انها
سجدة صلوة لا سجدة تلاوه وجاهدوا امر بالغزو وبمجاهدة النفس والهوى وهو الجهاد الاكبر
عن النبى صلى الله عليه انه رجع من بعض غزواته فقال رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر فى الله
اى فى ذات الله ومن اجله يقال هو حق عالم وجد عالم اى عالم حقا وجدا ومنه حق جهاده ○
فان قلت ما وجه هذه الاضافه وكان القياس حق الجهاد فيه او حق جهادكم فيه كما قال وجاهدوا
فى الله حق جهاده **قلت** الاضافه تكون بادنى ملابسه واختصاص فلما كان الجهاد مختصا

بالله

٦٩

بالله من حيث انه مفعول لوجهه ومن اجله صحت اضافته ويجوز ان يتسع فى الظرف كقوله و
يوم شهدناه سليما وعامرا اجتباكم اختاركم لدينه ولنصرته ما جعل عليكم فى الدين من حرج
فتح باب التوبه للمجرمين وفسح بانواع الرخص والكفارات والديات والاروش ونحوه
قوله يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وامة محمد هى الامة المرحومة الموسومة بذلك
فى الكتب المتقدمة نصب الملة بمضمون ما تقدمها كانه قيل وسع دينكم توسعة ملة ابيكم
ثم حذف المضاف واقام المضاف اليه مقامه او على الاختصاص اى اعنى بالدين ملة ابيكم
كقولك الحمد لله الحميد **فان قلت** لم يكن ابراهيم ابا للامة كلها **قلت** هو ابو
رسول الله صلى الله عليه وكان ابا لامته لان امة الرسول فى حكم اولاده هو يرجع الى الله تعالى
وقيل الى ابرهيم ويشهد للقول الاول قراءة ابى بن كعب الله سماكم من قبل وفى هذا اى من قبل
القران فى سائر الكتب وفى القران اى فضلكم على الامم وسماكم بهذا الاسم الاكرم ليكون الرسول
شهيدا عليكم انه قد بلغكم ويكونوا شهداء على الناس بان الرسل قد بلغتهم واذ خصكم بهذه
الكرامه والاثره فاعبدوه وثقوا به ولا تطلبوا النصره والولايه الا منه فهو خير مولى وناصر عن
رسول الله صلى الله عليه من قرا سوره الحج اعطى من الاجر كحجة حجها وعمرة اعتمرها بعدد من حج
واعتمر فيما مضى وفيما بقى

سورة المومنين مكية مائة وتسع عشرة اية وثمان عشرة عند الكوفيين

بسم الله الرحمن الرحيم

قد نقيضه لما هى تثبت المتوقع ولما تنفيه ولا شك ان المومنين كانوا متوقعين لمثل هذه
البشارة وهى الاخبار بثبات الفلاح لهم فخوطبوا بما دل على ثبات ما توقعوه والفلاح الظفر

بالمراد وقيل البقاء في الخير وافلح دخل في الفلاح كابشر دخل في البشارة ويقال افلحه اصاره
الى الفلاح وعليه قراءة طلحة بن مصرف أُفلح على البنا للمفعول وعنه افلحوا على اكلوني البراغيث
او على الابهام والتفسير وعنه أفلحُ بضمة بغير واو اجتزاءً بها عنها كقوله فلو ان الاطباء كانُ
حولي **فان قلت** ما المؤمن **قلت** هو في اللغة المصدق واما في الشريعة فقد
اختلف فيه على قولين احدهما ان كل من نطق بالشهادتين مواطئاً قلبه لسانه فهو مؤمن والآخر
انه صفة مدح لا يستحقها الا البر التقي دون الفاسق الشقي الخشوع في الصلوة خشية القلب
والباد البصر عن قتادة الزامه موضع السجود وعن النبي صلى الله عليه انه كان يصلي رافعاً بصره بصره
الى السماء فلما نزلت هذه الاية رمى ببصره نحو مسجده وكان الرجل من العلماء اذا قام الى الصلوة
هاب الرحمن ان يشد بصره الى الشيء او يحدث نفسه بشان من شان الدنيا وقيل هو جمع الهمة
لها والاعراض عما سواها ومن الخشوع ان يستعمل الاداب فيتوقى كف الثوب والعبث
بجسده وثيابه والالتفات والتمطي والتثاوب والتغميض وتغطية الفم والسدل والفرقعة
والتشبيك والاختصار وتقليب الحصى روي عن النبي صلى الله عليه انه ابصر رجلاً يعبث بلحيته
في الصلوة فقال لو خشع قلبه خشعت جوارحه ونظر الحسن الى رجل يعبث بالحصى وهو
يقول اللهم زوجني الحور العين فقال بئس الخاطب انت تخطب وانت تعبث **فان قلت**
لم اضيفت الصلوة اليهم **قلت** لان الصلوة دائرة بين المصلي والمصلى له فالمصلي هو
المنتفع بها وحده وهي عدته وذخيرته فهي صلاته واما المصلى له فغني متعال عن الحاجة اليها
والانتفاع بها اللغو ما لا يعنيك من قول او فعل كاللعب والهزل وما توجب المروءة الغاءه
واطراحه يعني ان بهم من الجد ما يشغلهم عن الهزل لما وصفهم بالخشوع في الصلوة اتبعه الوصف
بالاعراض عن اللغو ليجمع لهم الفعل والترك الشاقين على الانفس اللذين هما قاعدتا بناء التكليف

الزكوة

الزكوة اسم مشترك بين عين ومعنى فالعين القدر الذي يخرجه المزكي من النصاب الى الفقير
والمعنى فعل المزكي الذي هو التزكية وهو الذي اراده الله فجعل المزكين فاعلين له ولا يسوغ
فيه غيره لانه ما من مصدر الا يعبر عن معناه بالفعل ويقال لمحدثه فاعل تقول للضارب فاعل
الضرب وللقاتل فاعل القتل وللمزكي فاعل التزكية وعلى هذا الكلام كله والتحقيق فيه انك تقول
في جميع الحوادث من فاعل هذا فيقال لك فاعله الله او بعض الخلق ولم يمتنع الزكوة الدالة على
العين ان يتعلق بها فاعلون لخروجها من صحة ان يتناولها الفاعل ولكن لان الخلق ليسوا بفاعليها
وقد انشد لامية بن ابي الصلت المطعمون الطعام في السنة الازمة والفاعلون للزكوات و
يجوز ان يراد بالزكوة العين ويقدر مضاف محذوف وهو الاداء وحمل البيت على هذا اصح
لانها فيه مجموعة على ازواجهم في موضع الحال اي الا والين على ازواجهم او قوامين عليهن من قولك كان
فلان على فلانة فمات عنها فخلف عليها فلان ونظيره كان زياد على البصرة اي والياً عليها ومنه
قولهم فلانة تحت فلان ومن ثم سميت المراة فراشاً والمعنى انهم لفروجهم حافظون في كافة الاحوال
الا في حال تزوجهم او تسريهم او تعلق على بمحذوف يدل عليه غير ملومين كانه قيل يلامون الا على
ازواجهم اي يلامون على كل مباشر الا على ما أُطلق لهم فانهم غير ملومين عليه او تجعله صلة لحافظين
من قولك احفظ علي عنان فرسي على تضمينه معنى النفي كما ضمن قولهم نشدتك بالله الا فعلت
معنى ما طلبت منك الا فعلك **فان قلت** هلا قيل من ملكت **قلت** لانه اريد
من جنس العقلاء ما يجري مجرى غير العقلاء وهم الاناث جعل المستثنى حداً اوجب الوقوف عنده
ثم قال فمن احدث ابتغاء وراء هذا الحد مع فسحته واتساعه وهو اباحة اربع من الحرائر ومن الاماء
ما شئت فاولئك هم الكاملون في العدوان المتناهون فيه **فان قلت** هل فيه دليل على
تحريم المتعة **قلت** لا لان المنكوحة نكاح المتعة من جملة الازواج اذا صح النكاح وقرئ

لاماناتهم سمى الشي المؤتمن عليه والمعاهد عليه امانة وعهدا ومنه قوله تعالى ان الله يامركم ان
تؤدوا الامانات الى اهلها وقال وتخونوا اماناتكم وانما تؤدى العيون لا المعاني وتخان المؤتمن
عليه لا الامانة في نفسها والراعي القائم على الشي بحفظ واصلاح كراعي الغنم وراعي الرعية ويقال
من راعي هذا الشي اي متوليه وصاحبه ويحتمل العموم في كل ما ائتمنوا عليه وعوهدوا من جهة الله
عز وجل ومن جهة الخلق والخصوص فيما حملوه من امانات الناس وعهودهم وقرئ على صلوتهم **فان قلت**
كيف كرر ذكر الصلوة اولا واخرا **قلت** هما ذكران مختلفان فليس بتكرير وصفوا اولا
بالخشوع في صلوتهم واخرا بالمحافظة عليها وذلك ان لا يسهوا عنها ويؤدوها في اوقاتها ويقيموا
اركانها ويوكلوا نفوسهم بالاهتمام بها وبما ينبغي ان تتم به اوصافها وايضا فقد وحدت اولا ليفاد
الخشوع في جنس الصلوة اي صلوة كانت وجمعت اخرا ليفاد المحافظة على اعدادها وهي الصلوات
الخمس والوتر والسنن المرتبة مع كل صلوة وصلوة الجمعة والعيدين والجنازة والاستسقاء والكسوف
والخسوف وصلوة الضحى والتهجد وصلوة التسبيح وصلوة الحاجة وغيرها من النوافل اولئك
الجامعون لهذه الاوصاف هم الوارثون الاحقاء بان يسموا وراثا دون من عداهم ثم ترجم الوارثين
بقوله الذين يرثون الفردوس فجاء بفخامة وجزالة لارثهم لا يخفى على الناظر ومعنى الارث
ما مر في سورة مريم انث الفردوس على تاويل الجنة وهو البستان الواسع الجامع لاصناف الثمر
روي عن النبي صلى الله عليه ان الله عز وجل بنى جنة الفردوس لبنة من ذهب ولبنة من فضة
وجعل خلالها المسك الاذفر وفي رواية ولبنة من مسك مذرى وغرس فيها من جيد الفاكهة
وجيد الريحان ظهراني الطين **فان قلت** ما الفرق بين من ومن **قلت**
الاول للابتداء والثاني للبيان كقوله من الاوثان **فان قلت** ما معنى جعلنا الانسان
نطفة **قلت** معناه انه خلق جوهر الانسان اولا طينا ثم جعل جوهره بعد ذلك نطفة القرار

المستقر

71

المستقر والمراد الرحم وصفت بالمكانة التي هي صفة المستقر فيها كقولك طريق سائر او بمكانتها
في نفسها لانها مكنت بحيث هي واحرزت وقرئ عظما فكسونا العظم وعظاما فكسونا العظام
وعظما فكسونا العظام وعظاما فكسونا العظم وضع الواحد مكان الجمع لزوال اللبس لان الانسان ذو عظام كثيرة
خلقا اخر اي خلقا مباينا للخلق الاول مباينة ما ابعدها حيث جعله حيوانا وكان جمادا
وناطقا وكان ابكم وسميعا وكان اصم وبصيرا وكان اكمه واودع باطنه وظاهره بل كل عضو
من اعضائه وكل جزء من اجزائه عجائب فطرة وغرائب حكمة لا تدرك بوصف الواصف و
لا تبلغ بشرح الشارح وقد احتج به ابو حنيفة رضي الله عنه فيمن غصب بيضة فافرخت عنده قال
يضمن البيضة ولا يرد الفرخ لانه خلق اخر سوى البيضة فتبارك فتعالى امره في قدرته وعلمه
احسن الخالقين اي احسن المقدرين تقديرا فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه ونحوه طرح
المأذون فيه في قوله اذن للذين يقاتلون لدلالة الصلة وروي عن عمر رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه لما بلغ ولقد خلقنا اخر قال فتبارك الله احسن الخالقين وروي ان عبد الله
بن سعد بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله فنطق بذلك قبل املائه فقال له رسول الله اكتب هكذا
نزلت فقال عبد الله ان كان محمد نبيا يوحى اليه فانا نبي يوحى الي فلحق بمكة كافرا ثم
اسلم يوم الفتح وقرأ ابن ابي عبلة وابن محيصن لمائتون والفرق بين الميت والمائت ان الميت كالحي
صفة ثابتة واما المائت فيدل على الحدوث تقول زيد مائت الان ومائت غدا كقولك يموت
ونحوهما ضيق وضائق في قوله تعالى وضائق به صدرك جعل الاماتة التي هي اعدام الحيوة والبعث
الذي هو اعادة ما يفنيه ويعدمه دليلين ايضا على اقتدار عظيم بعد الانشاء والاختراع **فان قلت**
فاذن لا حيوة الا حيوة الانشاء وحيوة البعث **قلت** ليس في ذكر الحياتين نفي الثالثة
وهي حيوة القبر كما لو ذكرت ثلثي ما عندك وطويت ذكر ثلثه لم يكن دليلا على ان الثلث ليس

عندك وايضا فالغرض ذكر هذه الاجناس الثلاثة الانشاء والاماتة والاعادة والمطوى
ذكرها من جنس الاعادة الطرائق السموات لانه طورق بعضها فوق بعض كمطارقة النعل
وكل شئ فوقه مثله فهو طريقة او لانها طرق الملائكة ومتقلباتهم وقيل الافلاك لانها طرائق الكواكب
فيها مسيرها اراد بالخلق السموات كانه قال خلقناها فوقهم وما كنا عنها غافلين وعن حفظها
وامساكها ان تقع فوقهم بقدرتنا او اراد به الناس وانه انما خلقها فوقهم ليفتح عليهم الارزاق والبركات
منها وينفعهم بانواع منافعها وما كان غافلا عنهم وعما يصلحهم بقدر بتقدير يسلمون معه من المضرة
ويصلون الى المنفعة او بمقدار ما علمنا من حاجاتهم ومصالحهم فاسكناه في الارض كقوله فسلكه ينا
بيع في الارض وقيل جعلناه ثابتا في الارض وقيل انها خمسة انهار سيحون نهر الهند وجيحون نهر
بلخ ودجلة والفرات نهرا العراق والنيل نهر مصر انزلها الله من عين واحدة من عيون الجنة فاستودعها
الجبال واجراها في الارض وجعل فيها منافع للناس في اصناف معايشهم وكما قدر على انزاله فهو قادر
على رفعه وازالته وقوله على ذهاب به من اوقع النكرات واحزها للمفصل والمعنى على
وجه من وجوه الذهاب به وطريق من طرقه وفيه ايذان باقتدار المذهب وانه لا يتعايا عليه
شئ اذا اراده وهو ابلغ في الايعاد من قوله قل ارايتم ان اصبح ماؤكم غورا فمن ياتيكم بماء معين
فعلى العباد ان يستعظموا النعمة في الماء ويقيدوها بالشكر الدائم ويخافوا نفارها اذا لم
تشكر خص هذه الانواع الثلاثة لانها اكرم الشجر وافضلها واجمعها للمنافع ووصف النخل والعنب
بان ثمرهما جامع بين امرين انه فاكهة يتفكه بها وطعام يؤكل رطبا ويابسا رطبا وعنبا وتمرا و
زبيبا والزيتون بان دهنه صالح للاستصباح والاصطباغ جميعا ويجوز ان يكون قوله ومنها
تاكلون من قولهم فلان ياكل من حرفة يحترفها ومن ضيعة يغتلها ومن تجارة يتربح بها يعنون انها
طعمته وجهته التي منها يحصل رزقه كانه قال وهذه الجنات وجوه ارزاقكم ومعايشكم منها

ترتزقون وتتعيشون وشجرة عطف على جنات وقرئ مرفوعة على الابتداء اى ومما انشئ لكم شجرة
طور سيناء وطور سينين لا يخلو اما ان يضاف فيه الطور الى بقعة اسمها سيناء وسينون واما
ان يكون اسما للجبل مركبا من مضاف ومضاف اليه كامرئ القيس وكبعلبك فيمن اضاف فمن
كسر سين سيناء فقد منع الصرف للتعريف والعجمة او التانيث لانها بقعة وفعلاء لا يكون الفه
للتانيث كعلباء وحرباء ومن فتح فلم يصرفه لان الالف للتانيث كصحراء وقيل هو جبل فلسطين
وقيل بين مصر وايلة ومنه نودي موسى وقرأ الاعمش سينا على القصر بالدهن في موضع الحال
اى تنبت وفيها الدهن وقرئ تنبت وفيه وجهان احدهما ان انبت بمعنى نبت كقول زهير
رايت ذوي الحاجات حول بيوتهم قطينا لهم حتى اذا انبت البقل والثاني ان مفعوله محذوف
اى تنبت زيتونها وفيه الزيت وقرئ تنبت بضم التاء وفتح الباء وحكمه حكم تنبت وقرأ ابن مسعود
تخرج الدهن وصبغ الاكلين وغيره تخرج بالدهن وهي حروف اى تثمر بالدهن وعن بعضهم تنبت
بالدهان وقرأ الاعمش وصبغا وقرئ وصباغ ونحوهما دبغ ودباغ والصبغ الغمس للائتدام وقيل
هي اول شجرة نبتت بعد الطوفان ووصفها الله تعالى بالبركة في قوله توقد من شجرة مباركة
وقرئ تسقيكم بتاء مفتوحة اى تسقيكم الانعام ومنها تاكلون اى تتعلق بها منافع من الركوب
والحمل وغير ذلك كما تتعلق بما لا يؤكل لحمه من البغال والحمير والخيل وفيها منفعة زائدة وهي
الاكل الذي هو انتفاع بذواتها والقصد بالانعام الى الابل لانها هي المحمول عليها في العادة
وقرنها بالفلك التي هي السفائن لانها سفائن البر قال ذو الرمة سفينة بر تحت خدي زمامها
يريد صيدحه غيره بالرفع على المحل وبالجر على اللفظ والجملة استئناف تجري مجرى التعليل
للامر بالعبادة افلا تتقون افلا تخافون ان ترفضوا عبادة الله الذي هو ربكم وخالقكم ورازقكم
وشكر نعمته التي لا تحصونها واجب عليكم ثم تذهبوا فتعبدوا غيره مما ليس من استحقاق العبادة في

في شيء يفضل عليكم ان يطلب الفضل عليكم ويرأسكم كقوله تعالى وتكون لكما الكبرياء في الارض بهذا
اشارة الى نوح عليه السلام او الى ما كلمهم به من الحث على عبادة الله اي ما سمعنا بمثل هذا الكلام
او بمثل هذا الذي يدعي وهو بشر انه رسول الله وما اعجب شان الضلال لم يرضوا للنبوة ببشر
وقد رضوا للالهية بحجر وقولهم ما سمعنا بهذا يدل على انهم وآباءهم كانوا في فترة متطاولة او تكذبوا
في ذلك لانهماكهم في الغي وتشمرهم لان يدفعوا الحق بما امكنهم وبما عنّ لهم من غير تمييز منهم بين صدق
وكذب الا تراهم كيف جننوه وقد علموا انه ارجح الناس عقلا واوزنهم قولا والجنة الجنون او الجن
اي يخبله فتربصوا به حتى حين اي احتملوه واصبروا عليه الى زمان حتى ينجلي امره عن عاقبة فان افاق
من جنونه والا قتلتموه في نصرته اهلاكهم فكأنه قال اهلكهم بسبب تكذيبهم اياي او انصرني
بدل ما كذبوني كما تقول هذا بذاك اي بدل ذاك ومكانه والمعنى ابدلني من غم تكذيبهم سلوة
النصرة عليهم او انصرني بانجاز ما وعدتهم من العذاب وهو ما كذبوه فيه حين قال لهم اني اخاف عليكم
عذاب يوم عظيم باعيننا بحفظنا وكلاءتنا كأن معه من الله حفاظا يكلؤونه بعيونهم لئلا يتعرض له
ولا يفسد عليه مفسد عمله ومنه قولهم عليه من الله عين كالئة ووحينا اي نأمرك كيف تصنع ونعلمك
روي انه اوحي اليه ان يصنعها على مثال جؤجؤ الطائر وروي انه قيل لنوح اذا رايت الماء يفور من التنور
فاركب انت ومن معك في السفينة فلما نبع الماء من التنور اخبرته امرأته فركب وقيل كان تنور آدم
وكان من حجارة فصار الى نوح واختلف في مكانه فعن الشعبي في الكوفة عن يمين الداخل مما يلي حمله
باب كندة وكان نوح عمل السفينة وسط المسجد وقيل بالشام بموضع يقال له عين وردة وقيل بالهند
وعن ابن عباس التنور وجه الارض وعن قتادة اشرف موضع في الارض اي اعلاه وعن علي رضي الله
فار التنور طلع الفجر وقيل معناه ان فوران التنور كان عند تنوير الفجر وقيل هو مثل كقولهم حمي الوطيس
والقول هو الاول يقال سلكت فيه دخله وسلك غيره واسلكه قال حتى اذا اسلكوهم في قتائدة

مخطه

من كل زوجين من كل انثى زوجين وهما امة الذكر وامة الانثى كالجمال والنوق والحصن والرماك
اثنين واحدين مزدوجين كالجمل والناقة والحصان والرمكة روي انه لم يحمل الا ما يلد ويبيض
وقرئ من كلٍّ بالتنوين اي من كل امة زوجين واثنين تاكيد وزيادة بيان جيء بعلى مع سبق الضار
كما جيء باللام مع سبق النافع قال الله تعالى ان الذين سبقت لهم منا الحسنى ولقد سبقت كلمتنا
لعبادنا المرسلين ونحوه قوله تعالى لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وقول
عمر رضي الله عنه ليتها كانت كفافا لا علي ولا ليا **فان قلت** لم نهاه عن الدعاء لهم بالنجاة
قلت لما تضمنته الآية من كونهم ظالمين وايجاب الحكمة ان يغرقوا لا محالة لما عرف
من المصلحة في اغراقهم والمفسدة في استبقائهم وبعد ان املى لهم الدهر المتطاول فلم يزيدوا
الا ضلالا ولزمتهم الحجة البالغة لم يبق الا ان يجعلوا عبرة للمعتبرين ولقد بالغ في ذلك حيث
اتبع النهي عنه الامر بالحمد على هلاكهم والنجاة منهم كقوله عز وجل فقطع دابر القوم الذين ظلموا
والحمد لله رب العالمين ثم امره ان يدعو بدعاء هو اهم وانفع له وهو طلب ان ينزله في السفينة
او في الارض عند خروجه منها منزلا يبارك له فيه ويعطيه الزيادة في خير الدارين وان يشفع
الدعاء بالثناء عليه المطابق لمسالته وهو قوله وانت خير المنزلين **فان قلت** هلا قيل
فقولوا لقوله فاذا استويت انت ومن معك لانه في معنى فاذا استويتم **قلت** لانه نبيهم
وامامهم فكان قوله قولهم مع ما فيه من الاشعار بفضل النبوة واظهار كبرياء الربوبية وان رتبة
تلك المخاطبة لا يترقى اليها الا ملك او نبي وقرئ منزلا بمعنى انزالا او موضع انزال كقوله
ليدخلنهم مدخلا يرضونه ان هي المخففة من الثقيلة واللام هي الفارقة بين النافية وبينها والمعنى
وان الشان والقصة كنا مبتلين اي مصيبين قوم نوح ببلاء عظيم وعقاب شديد او مختبرين
بهذه الآيات عبادنا لننظر من يعتبر ويذكر كقوله ولقد تركناها آية فهل من مدكر قرنا آخرين

هم عاد قوم هود عن ابن عباس وتشهد له حكاية الله قول هود واذكروا اذ جعلكم خلفاء
من بعد قوم نوح ومجيء قصة هود على اثر قصة نوح في سورة الاعراف وسورة هود والشعراء
فان قلت حق ارسل ان يعدى بالى كاخواته التي هي وجه وانفذ وبعث فما باله عدي
في القرآن بالى تارة وبفي اخرى كقوله كذلك ارسلناك في امة وما ارسلنا في قرية من نذير
فارسلنا فيهم رسولا اي في عاد وفي موضع آخر والى عاد اخاهم هودا قلت لم يعد
بفي كما عدي بالى ولم يجعل صلة مثله ولكن الامة او القرية جعلت موضعا للارسال كما قال
رؤبة ارسلت فيها مصعبا ذا اقحام وقد جاء بعث على ذلك في قوله ولو شئنا لبعثنا
في كل قرية نذيرا ان مفسرة لارسلنا اي قلنا لهم على لسان الرسول اعبدوا الله فان قلت
ذكر مقال قوم هود في جوابه في سورة الاعراف وسورة هود بغير واو قال الملأ الذين كفروا
من قومه انا لنريك في سفاهة قالوا ما نريك الا بشرا مثلنا وههنا مع الواو فاي فرق بينهما
قلت الذي بغير واو على تقدير سؤال سائل قال فما ذا قال قومه فقيل له قالوا كيت
وكيت واما الذي مع الواو فعطف لما قالوه على ما قاله ومعناه انه اجتمع في الحصول هذا
الحق وهذا الباطل وشتان ما بينهما بلقاء الآخرة بلقاء ما فيها من الحساب والثواب والعقاب
كقولك يا حبذا جوار مكة اي جوار الله في مكة حذف الضمير والمعنى من مشربكم او حذف
منه لدلالة ما قبله عليه اذن واقع في جزاء الشرط وجواب للذين قاولوهم من قومهم اي
تخسرون عقولكم وتغبنون في آرائكم ثني انكم للتوكيد وحسن ذلك الفصل ما بين الاول والثاني
بالظرف ومخرجون خبر عن الاول او جعل انكم مخرجون مبتدأ واذا متم خبرا على معنى اخراجكم
اذا متم ثم اخبر بالجملة عن انكم او رفع انكم مخرجون بفعل هو جزاء للشرط كانه قيل اذا متم وقع
اخراجكم ثم اوقعت الجملة الشرطية خبرا عن انكم وفي قراءة ابن مسعود ايعدكم اذا متم وقرئ هيهات

74

بالفتح والكسر والضم كلها بتنوين وبلا تنوين وبالسكون على لفظ الوقف فان قلت
ما توعدون هو المستبعد ومن حقه ان يرتفع بهيهات كما ارتفع في قوله فهيهات هيهات
العقيق واهله فما هذه اللام قلت قال الزجاج في تفسيره البعد لما توعدون او بعد
لما توعدون فيمن نون فنزله منزلة المصدر وفيه وجه آخر وهو ان تكون اللام لبيان المستبعد
ما هو بعد التصويت بكلمة الاستبعاد كما جاءت اللام في هيت لك لبيان المهيت به
هذا ضمير لا يعلم ما يعنى به الا بما يتلوه من بيانه واصله ان الحياة الا حياتنا الدنيا ثم وضع هي
موضع الحياة لان الخبر يدل عليها ويبينها ومنه هي النفس تتحمل ما حملت وهي العرب تقول
ما شاءت والمعنى لا حياة الا هذه الحياة لان ان النافية دخلت على هي التي في معنى
الحياة الدالة على الجنس فنفتها فوازنت لا التي نفت ما بعدها نفي الجنس نموت ونحيا
اي يموت بعض ويولد بعض ينقرض قرن ويأتي قرن آخر ثم قال ما هو الا مفتر على الله فيما
يدعيه من استنبائه له وفيما يعدنا من البعث وما نحن بمصدقين قليل صفة للزمان كقديم
وحديث في قولك ما رأيته قديما ولا حديثا وفي معناه عن قريب وما توكيد لمعنى القلة
وقصرها الصيحة صيحة جبريل صاح عليهم فدمرهم بالحق بالوجوب لانهم قد استوجبوا
الهلاك او بالعدل من الله من قولك فلان يقضي بالحق اذا كان عادلا في قضاياه شبههم في دمارهم
بالغثاء وهو حميل السيل مما بلي واسود من الورق والعيدان ومنه قوله تعالى فجعله غثاء احوى
وقد جاء مشددا في قول امرئ القيس من السيل والغثاء فلكة مغزل بعدا وسحقا ودفرا
ونحوها مصادر موضوعة مواضع افعالها وهي من جملة المصادر التي قال سيبويه بافعال نصبت
لا يستعمل اظهارها ومعنى بعدا بعدوا اي هلكوا يقال بعد بعدا وبعدا نحو رشد
رشدا ورشدا وللقوم الظالمين بيان لمن دعي عليه بالبعد نحو هيت لك ولما في هيهات

تترى قرونا قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم وعن ابن عباس بنو اسرائيل اجلها الوقت
الذي حدّ لهلاكها وكتب تترى فعلى الالف للتانيث لان الرسل جماعة وقرئ تترى
بالتنوين والتاء بدل من الواو كما في تولج وتيقور اي متواترين واحدا بعد واحد من الوتر
وهو الفرد اضاف الرسل اليه والى اممهم ولقد جاءتهم رسلنا بالبينات ولقد جاءتهم رسلهم
بالبينات لان الاضافة تكون بالملابسة والرسول ملابس المرسِل والمرسَل اليه جميعا فاتبعنا الامم
والقرون بعضهم بعضا في الاهلاك وجعلناهم اخبارا يُسمر بها ويتعجب منها والاحاديث تكون
اسم جمع للحديث ومنه احاديث رسول الله وتكون جمعا للاحدوثة التي هي مثل الاضحوكة والا
لعوبة والاعجوبة وهي ما يتحدث به الناس تلهيا وتعجبا وهو المراد ههنا **فان قلت**
ما المراد بالسلطان المبين **قلت** يجوز ان يراد العصا لانها كانت ام آيات موسى
واولاها وقد تعلقت بها معجزات شتى من انقلابها حية وتلقفها ما افكته السحرة وانفلاق البحر
وانفجار العيون من الحجر بضربهما بها وكونها حارسا وشمعة وشجرة خضراء مثمرة ودلوا ورشاء
جعلت كانها ليست بعضها لما استبدت به من الفضل فلذلك عطفت عليها كقوله وجبريل
وميكال ويجوز ان يراد الآيات انفسها اي هي آيات وحجة بينة عالين متكبرين ان فرعون
علا في الارض لا يريدون علوا في الارض او متطاولين على الناس قاهرين بالبغي والظلم البشر
يكون واحدا وجمعا بشرا سويا لبشرين فاما ترين من البشر ومثل وغير يوصف بهما الاثنان والجمع
والمذكر والمونث انكم اذا مثلهم ومن الارض مثلهن ويقال ايضا هما مثلاه وهم امثاله ان
الذين تدعون من دون الله عباد امثالكم وقومهما يعني بني اسرائيل كانهم يعبدوننا خضوعا وتذللا
او لانه كان يدعي الالهية فادعى للناس العبادة وان طاعتهم له عبادة على الحقيقة موسى الكتاب
اي قوم موسى التوراة لعلهم يعملون بشرائعها ومواعظها كما قال على خوف من فرعون وملائهم

٧٥

يريد آل فرعون وكما يقولون هاشم وثقيف وتميم ويراد قومهم ولا يجوز ان يرجع الضمير في لعلهم
الى فرعون وملائه لان التوراة انما اوتيها بنو اسرائيل بعد اغراق فرعون وملائه ولقد
آتينا موسى الكتاب من بعد ما اهلكنا القرون الاولى **فان قلت** لو قيل آيتين هل
كان يكون له وجه **قلت** نعم لان مريم ولدت من غير مسيس وعيسى روح من الله
القي اليها وقد تكلم في المهد وكان يحيي الموتى مع معجزات اخر فكان آية من غير وجه
واللفظ يحتمل التثنية على تقدير وجعلنا ابن مريم آية وامه آية ثم حذفت الاولى لدلالة الثانية
عليها الربوة والرباوة في رائهما الحركات وقرئ ربوة ورباوة بالضم ورباوة بالكسر وهي الارض
المرتفعة قيل هي ايليا (بالمد والقصر) ارض بيت المقدس وانها كبد الارض واقرب الارض الى السماء بثمانية
عشر ميلا عن كعب وقيل دمشق وغوطتها وعن الحسن فلسطين والرملة وعن ابي هريرة الزموا
هذه الرملة رملة فلسطين فانها الربوة التي ذكرها الله وقيل مصر والقرار المستقر من ارض
مستوية منبسطة وعن قتادة ذات ثمار وماء يعني انه لاجل الثمار يستقر فيها ساكنوها والمعين
الماء الظاهر الجاري على وجه الارض وقد اختلف في زيادة ميمه واصالته فوجه من جعله مفعولا انه مدرك بالعين لظهوره من عانه اذا ادركه بالعين نحو ركبه اذا ضربه بركبته ووجه من جعله صح
فعيلا انه نفاع بظهوره وجريه من الماعون وهو المنفعة هذا النداء والخطاب ليسا
على ظاهرهما وكيف والرسل انما ارسلوا متفرقين في ازمنة مختلفة وانما المعنى الاعلام بان
كل رسول في زمانه نودي لذلك ووصي به ليعتقد السامع ان امرا نودي له جميع الرسل ووصوا به
حقيق ان يؤخذ به ويعمل عليه والمراد بالطيبات ما حل وطاب وقيل طيبات الرزق
حلال وصاف وقوام فالحلال الذي لا يعصى الله فيه والصافي الذي لا ينسى الله فيه
والقوام ما يمسك النفس ويحفظ العقل او اريد ما يستطاب ويستلذ من المآكل والفواكه
ويشهد له مجيئه على عقب قوله وآويناهما الى ربوة ذات قرار ومعين ويجوز ان يقع هذا الاعلام

عند ايواء عيسى وامه الى الربوة فذكر على سبيل الحكاية اى آويناهما وقلنا لهما هذا اى اعلمناهما
ان الرسل كلهم خوطبوا بهذا فكلا مما رزقناكما واعملا صالحا اقتداء بالرسل وقرى وان بالكسر على
الاستيناف وان بمعنى ولان وان مخففة من المثقلة وامتكم مرفوعة معها وقرى زبرا جمع
زبور اى كتبا مختلفة يعنى جعلوا دينهم اديانا وزبرا اوقطعا استعيرت من زبر الفضة والحديد
وزبرا مخففة الباء كرسل فى رسل اى كل فرقة من فرق هولاء المتحزبين المتقطعين دينهم فرح
بباطله مطمين النفس معتقدا انه على الحق الغمرة الماء الذى يغمر القامة فضربت مثلا لما هم مغمورون
فيه من جهلهم وعمايتهم او شبهوا باللاعبين فى غمر الماء لما هم عليه من الباطل قال كانني ضارب
فى غمرة لعب وعن على رضى الله عنه فى غمراتهم حتى حين الى ان يقتلوا او يموتوا تسلى لرسول الله
صلى الله عليه بذلك ونهى عن الاستعجال بعذابهم والجزع من تاخيره وقرى يمدهم ويسارع
والفاعل الله سبحانه ويجوز فى يسارع ونسرع ان يتضمن ضمير الممد به ويسارع مبنيا للمفعول والمعنى
ان هذا الامداد ليس الا استدراجا لهم الى المعاصى واستجرارا الى زيادة الاثم وهم يحسبونه مسارعة
لهم فى الخيرات وفيما لهم فيه نفع واكرام ومعاجلة بالثواب قبل وقته ويجوز ان يراد فى جزاء الخير
كما يفعل باهل الخير من المسلمين بل استدراك لقوله ايحسبون يعنى بل هم اشباه البهائم لا
فطنة بهم ولا شعور حتى يتاملوا ويتفكروا فى ذلك اهو استدراج ام مسارعة فى الخير
فان قلت اين الراجع من خبر ان الى اسمها اذا لم يستكن فيه ضميره **قلت** هو محذوف
تقديره نسارع لهم به كقوله ان ذلك لمن عزم الامور اى ان ذلك منه وذلك لا يسقط له
الكلام مع اسم الاشارة يؤتون ما اتوا يعطون ما اعطوا وفى قراءة رسول الله وعائشة ياتون
ما اتوا اى يفعلون ما فعلوا وعنها انها قالت قلت يا رسول الله هو الذى يزنى ويسرق ويشرب
الخمر وهو على ذلك يخاف الله قال لا يا ابنة الصديق ولكن هو الذى يصلى ويصوم ويتصدق

به ونسارع به ونسارع

وهو

وهو على ذلك يخاف الله ان لا يقبل منه يسارعون فى الخيرات يحتمل معنيين احدهما ان يراد يرغبون
فى الطاعات اشد الرغبة فيبادرونها والثانى انهم يتعجلون فى الدنيا المنافع ووجوه الاكرام
كما قال فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة وآتيناه اجره فى الدنيا وانه فى الاخرة
لمن الصالحين لانهم اذا سورع بها لهم فقد سارعوا فى نيلها وتعجلوها وهذا الوجه احسن طباقا
للاية المتقدمة لان فيه اثبات ما نفى عن الكفار للمؤمنين وقرى يسرعون فى الخيرات وهم لها
سابقون اى فاعلون السبق لاجلها او سابقون الناس لاجلها او اياها سابقون اى ينالونها
قبل الاخرة حيث عجلت لهم فى الدنيا ويجوز ان يكون لها سابقون خبرا بعد خبر ومعنى وهم
لها كمعنى قوله انت لها اجمد من بين البشر يعنى ان هذا الذى وصف به الصالحين غير خارج
من حد الوسع والطاقة وكذلك كل ما كلفه عباده وما عملوه من الاعمال فغير ضائع عنده بل
هو مثبت لديه فى كتاب يريد اللوح او صحيفة الاعمال ناطق بالحق لا يقرا منه يوم القيامة
الا ما هو صدق وعدل لا زيادة فيه ولا نقصان ولا نظلم منهم احدا او اراد ان الله لا يكلف
الا الوسع فان لم يبلغ المكلف ان يكون على صفة هولاء السابقين بعد ان يستفرغ وسعه
ويبذل طاقته فلا عليه ولدينا كتاب فيه عمل السابق والمقتصد ولا يظلم احدا من حقه ولا يحط
دون درجته بل قلوب الكفرة فى غفلة غامرة لها من هذا اى مما عليه هولاء الموصوفون من
المومنين ولهم اعمال متجاوزة متخطية لذلك اى لما وصف به المومنين هم لها معتادون وبها
ضارون لا يفطمون عنها حتى ياخذهم الله بالعذاب وحتى هذه هى التى يبتدا بعدها الكلام والكلام
الجملة الشرطية والعذاب قتلهم يوم بدر او الجوع حين دعا عليهم رسول الله فقال اللهم اشدد
وطاتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فابتلاهم الله بالقحط حتى اكلوا الجيف والكلاب
والعظام المحرقة والقد والاولاد الجوار الصراخ باستغاثة قال جار ساعات النيام لربه

لهم حسبك لا تجاروا فان الجوار غير نافع لكم منا لا تنصرون لا تغاثون ولا تمنعون منا او من جهتنا
لا يلحقكم نصر ومعونة قالوا الضمير في به للبيت العتيق او للحرم كانوا يقولون لا يظهر علينا احد ومعونة
لاننا اهل الحرم والذي سوغ هذا الاضمار شهرتهم بالاستكبار بالبيت وانه لم يكن لهم مفخر
الا انهم ولاته والقائمون به ويجوز ان يرجع الى اياتي الا انه ذكر لانها في معنى كتابي ومعنى
استكبارهم بالقران تكذيبهم به استكبارا ضمن مستكبرين معنى مكذبين فعدي تعديته او
يحدث لكم استماعه استكبارا وعتوا فانتم مستكبرون بسببه او يتعلق الباء بسامرا اي تسمرون
بذكر القران وبالطعن فيه وكانوا يجتمعون حول البيت بالليل يسمرون وكانت عامة سمرهم ذكر
القران وتسميته سحرا وشعرا وسب رسول الله صلى الله عليه وسلم او يهجرون والسامر نحو الحاضر
في الاطلاق على الجمع وقرئ سمرا وسمارا وتهجرون وتهجرون من اهجر في منطقه اذا افحش
والهجر بالضم الفحش ومن هجر الذي هو مبالغة في هجر اذا هذى والهجر بالفتح الهذيان القول القران
يقول افلم يتدبروه ليعلموا انه الحق المبين فيصدقوا به وبمن جاء به بل اجاءهم ما لم يات اباءهم
فلذلك انكروه واستبدعوه كقوله لتنذر قوما ما انذر اباؤهم فهم غافلون او ليخافوا عند
تدبر اياته واقاصيصه مثل ما نزل بمن قبلهم من المكذبين ام جاءهم من الامن ما لم يات
اباءهم حين خافوا الله فامنوا به وبكتبه ورسله واطاعوه واباؤهم اسماعيل واعقابه من عدنان
وقحطان وعن النبي صلى الله عليه وسلم لا تسبوا مضر ولا ربيعة فانهما كانا مسلمين ولا تسبوا قسا
فانه كان مسلما ولا تسبوا الحرث بن كعب ولا اسد بن خزيمة ولا تميم بن مر فانهم كانوا على
الاسلام وما شككتم فيه من شيء فلا تشكوا في ان تبعا كان مسلما وروي ان ضبة كان مسلما و
كان على شرطة سليمان بن داود ام لم يعرفوا محمدا وصحة نسبه وحلوله في سطة هاشم وامانته
وصدقه وشهامته وعقله واتسامه بانه خير فتيان قريش والخطبة التي خطبها ابو طالب في نكاح

خديجة

خديجة بنت خويلد كفى برغائها مناديا الجنة للجنون وكانوا يعلمون انه بري منها وانه
ارجحهم عقلا واثقبهم ذهنا ولكنه جاءهم بما خالف شهواتهم واهواءهم ولم يوافق ما نشأوا
عليه وسيط بلحومهم ودمائهم من اتباع الباطل ولم يجدوا له مردا ولا مدفعا لانه الحق الابلج
والصراط المستقيم فاخلدوا الى البهت وعولوا على الكذب من النسبة الى الجنون والسحر والشعر
فان قلت قوله واكثرهم فيه ان اقلهم كانوا لا يكرهون الحق قلت كان فيهم من
ترك الايمان به انفة واستنكافا من توبيخ قومه وان يقولوا صبا وترك دين ابائه لا كراهة
للحق كما يحكى عن ابي طالب فان قلت يزعم بعض الناس ان ابا طالب صح اسلامه
قلت يا سبحان الله كان ابو طالب كان اخمل اعمام رسول الله حتى يشتهر اسلام حمزة
والعباس ويخفى اسلام ابي طالب دل هذا على عظم شان الحق وان السموات والارض ما قامت
ولا من فيهن الا به فلو اتبع اهواءهم لانقلب باطلا ولذهب ما يقوم به العالم فلا يبقى له بعده
قوام او اراد ان الحق الذي جاء به محمد وهو الاسلام لو اتبع اهواءهم وانقلب شركا
لجاء الله بالقيامة ولاهلك العالم ولم يؤخر وعن قتادة ان الحق هو الله ومعناه ولو كان الله
الها يتبع اهواءهم ويامرهم بالشرك والمعاصي لما كان الها ولكان شيطانا ولما قدر على ان
يمسك السموات والارض بذكرهم اي بالكتاب الذي هو ذكرهم اي وعظهم او وصيتهم
وفخرهم او بالذكر الذي كانوا يتمنونه ويقولون لو ان عندنا ذكرا من الاولين لكنا عباد الله
المخلصين وقرئ بذكراهم وقرئ خرجا فخراج وخراجا فخرج وخرجا فخراج وهو ما تخرجه
الى الامام من زكوة ارضك والى كل عامل من اجرته وجعله وقيل الخرج ما تبرعت به والخراج
ما لزمك اداؤه والوجه ان الخرج اخص من الخراج كقولك خراج القرية وخرج الكردة
زيادة اللفظ لزيادة المعنى ولذلك حسنت قراءة من قرا خرجا فخراج ربك خير يعني ام تسالهم

على هذا اتيتك لهم قليلا من عطاء الخلق فالكثير من عطاء الخالق خير فقد الزمهم الحجة في هذه
الآيات وقطع معاذيرهم وعللهم بان الذي ارسل اليهم رجل معروف امره وحاله مخبور
سره وعلنه خليق بان يجتبى مثله للرسالة من بين ظهرانيهم وانه لم يعرض له حتى يدعي مثل
هذه الدعوى العظيمة بباطل ولم يجعل ذلك سلما الى النيل من دنياهم واستعطاء اموالهم
ولم يدعهم الا الى دين الاسلام الذي هو الصراط المستقيم مع ابراز المكنون من ادوائهم وهو
اخلالهم بالتدبر والتامل واستمساكهم بدين الآباء الضلال من غير برهان وتعللهم بانه
مجنون بعد ظهور الحق وثبات التصديق من الله بالمعجزات والآيات النيرة وكراهتهم
للحق واعراضهم عما فيه حظهم من الذكر يحتمل ان هؤلاء وصفهم بانهم لا يؤمنون بالآخرة لنا كبون
اي عادلون عن الصراط المذكور وهو قوله الى صراط مستقيم وان كل من لا يؤمن بالآخرة فهو هذام
عن القصد ناكب لما اسلم ثمامة بن اثال الحنفي ولحق باليمامة ومنع الميرة من اهل مكة واخذهم الله
بالسنين حتى اكلوا العلهز جاء ابو سفيان الى رسول الله عليه السلام فقال له انشدك الله
والرحم الست تزعم انك بعثت رحمة للعالمين فقال بلى فقال قتلت الآباء بالسيف والابناء بالجوع
والمعنى لو كشف الله عنهم هذا الضر وهو الهزال والقحط الذي اصابهم برحمته عليهم ووجدوا
الخصب لارتدوا الى ما كانوا عليه من الاستكبار وعداوة رسول الله والمؤمنين وافراطهم
فيها ولذهب عنهم هذا الابلاس وهذا التملق بين يديه يسترحمونه واستشهد على ذلك
بانا اخذناهم اولا بالسيوف وبما جرى عليهم يوم بدر من قتل صناديدهم واسرهم فما وجد
منهم بعد ذلك استكانة ولا تضرع حتى فتحنا عليهم باب الجوع الذي هو اشد من الاسر
والقتل وهو اطم العذاب فابلسوا الساعة وخضعت رقابهم وجاء اعتاهم واشدهم شكيمة
في العناد يستعطفك او محناهم بكل محنة من القتل والجوع فما رؤي فيهم لين مقادة وهم كذلك

حتى

٧٨

حتى اذا عذبوا بنار جهنم ابلسوا كقوله ويوم تقوم الساعة يبلس المجرمون لا يفتر عنهم
وهم فيه مبلسون والابلاس اليأس من كل خير وقيل السكوت مع التحير فان قلت ما وزن
استكان قلت استفعل من الكون اي انتقل من كون الى كون الى اسفل من كون
الى كون كما قيل استحال اذا انتقل من حال الى حال ويجوز ان يكون افتعل من السكون اشبعت
فتحة عينه كما جاء بمنتزاح فان قلت هلا قيل وما تضرعوا او فما يستكينون قلت
لان المعنى محناهم فما وجدت منهم عقيب المحنة استكانة وما من عادة هؤلاء ان يستكينوا
ويتضرعوا حتى يفتح عليهم باب العذاب الشديد وقرى فتحنا انما خص السمع والابصار
والافئدة لانه يتعلق بها من المنافع الدينية والدنيوية ما لا يتعلق بغيرها ومقدمة منافعها
ان يعملوا ابصارهم واسماعهم في آيات الله وافعاله ثم ينظروا ويستدلوا بقلوبهم ومن لم يعملها
فيما خلقت له فهو بمنزلة عادمها كما قال عز وجل فما اغنى عنهم سمعهم ولا ابصارهم ولا افئدتهم
من شيء اذ كانوا يجحدون بآيات الله ومقدمة شكر النعمة فيها الاقرار بالمنعم بها وان لا يجعل له
ند ولا شريك اي تشكرون شكرا قليلا وما مزيدة للتاكيد بمعنى حقا ذرأكم خلقكم وبثكم بالتناسل
واليه تحشرون يوم القيامة بعد تفرقكم وله اختلاف الليل والنهار اي هو مختص به وهو متوليه
ولا يقدر على تصريفهما غيره وقرى يعقلون بالياء عن ابي عمرو اي قال اهل مكة كما قال الكفار
ج اسطار قبلهم الاساطير جمع سطر قال رؤبة اني واسطار سطرن سطرا وهي ما كتبه الاولون مما لا
حقيقة له وجمع اسطورة اوفق اي اجيبوني عما استعلمتكم منه ان كان عندكم فيه علم
وفيه استهانة بهم وتجويز لفرط جهالتهم بالديانات ان يجهلوا مثل هذا الظاهر البين وقرى
تذكرون بحذف التاء الثانية ومعناه افلا تتذكرون فتعلموا ان من فطر الارض ومن فيها اختراعا
كان قادرا على اعادة الخلق وكان حقيقا بان لا يشرك به بعض خلقه في الربوبية قرى الاول

باللام لا غير والاخيران باللام وهو هكذا في مصاحف اهل الحرمين والكوفة والشام وبغير اللام
وهو هكذا في مصاحف اهل البصرة باللام على المعنى لان قولك من ربه ولمن هو في معنى
واحد وبغير اللام على اللفظ ويجوز قراءة الاول بغير لام ولكنها لم تثبت في الرواية افلا تتقون
افلا تخافونه فلا تشركوا به وتعصوا رسله اجرت فلانا على فلان اذا اغثته منه ومنعته
يعني وهو يغيث من يشاء ممن يشاء ولا يغيث احد منه احدا تسحرون تخدعون عن توحيده و
طاعته والخادع هو الشيطان والهوى وقرئ اتيتهم وآتيتهم بالفتح والضم بالحق بان نسبة
الولد اليه محال والشرك باطل وانهم لكاذبون حيث يدعون له ولدا ومعه شريكا لذهب
كل اله بما خلق لانفرد كل واحد من الآلهة بخلقه الذي خلقه واستبد به ولرأيتم ملك كل واحد
منهم متميزا من ملك الآخرين ولعلا بعضهم بعضا كما ترون حال ملوك الدنيا ممالكهم متمايزة
وهم متغالبون وحين لم تروا اثرا لتمايز الممالك والتغالب فاعلموا انه اله واحد بيده ملكوت
كل شيء **فان قلت** اذن لا تدخل الا على كلام هو جزاء وجواب فكيف وقع قوله لذهب جزاء
وجوابا ولم يتقدمه شرط ولا سؤال سائل **قلت** الشرط محذوف تقديره ولو كان معه
آلهة وانما حذف لدلالة قوله وما كان معه من اله عليه وهو جواب لمن معه المحاجة من المشركين
عما يصفون من الانداد والاولاد عالم الغيب بالجر صفة لله وبالرفع خبر مبتدأ محذوف ما والنون
مؤكدتان اي ان كان لا بد من ان تريني ما تعدهم من العذاب في الدنيا او في الآخرة فلا تجعلني
قرينا لهم ولا تعذبني بعذابهم عن الحسن اخبره الله ان له في امته نقمة ولم يخبره انه في حياته ام
بعد موته فامره ان يدعو بهذا الدعاء **فان قلت** كيف يجوز ان يجعل الله نبيه المعصوم
مع الظالمين حتى يطلب ان لا يجعله معهم **قلت** يجوز ان يسأل العبد ربه ما علم انه يفعله
وان يستعيذ به مما علم انه لا يفعله اظهارا للعبودية وتواضعا لربه واخباتا له واستغفاره

صلى الله

صلى الله عليه اذا قام من مجلسه سبعين مرة او مائة مرة لذلك وما احسن قول الحسن في قول ابي بكر
رضي الله عنه وليتكم ولست بخيركم كان يعلم انه خيرهم ولكن المؤمن يهضم نفسه وقرئ اما
ترئنهم بالهمزة مكان الياء كما قرئ فاما ترئن ولترؤن الجحيم وهي ضعيفة وقوله رب مرتين قبل الشرط وقبل
الجزاء حث على فضل تضرع وجؤار كانوا ينكرون الموعد بالعذاب ويضحكون منه واستعجالهم له
لذلك فقيل لهم ان الله قادر على انجاز ما وعد ان تأملتم فما وجه هذا الانكار هو ابلغ من ان يقال
بالحسنة السيئة لما فيه من التفضيل كانه قال ادفع بالحسنى السيئة والمعنى الصفح عن
اساءتهم ومقابلتها بما امكن من الاحسان حتى اذا اجتمع الصفح والاحسان وبذل الاستطاعة فيه
كانت حسنة مضاعفة بازاء سيئة وهذه قضية قوله بالتي هي احسن وعن ابن عباس هي شهادة
ان لا اله الا الله والسيئة الشرك وعن مجاهد السلام يسلم عليه اذا لقيه وعن الحسن الاغضاء والصفح
وقيل هي منسوخة بآية السيف وقيل محكمة لان المداراة محثوث عليها ما لم تؤد الى ثلم دين وازراء
بمروءة بما يصفون بما يذكرونه من احوالك بخلاف صفتها او بوصفهم لك وسوء ذكرهم والله اعلم
بذلك منك واقدر على جزائهم الهمز النخس والهمزات جمع المرة منه ومنه مهماز الرائض والمعنى
ان الشياطين يحثون الناس على المعاصي ويغرونهم عليها كما تهمز الراضة الدواب حثا لها على
المشي ونحو الهمز الأز في قوله تؤزهم ازا امر بالتعوذ من نخساتهم بلفظ المبتهل الى ربه المكرر لندائه
وبالتعوذ من ان يحضروه اصلا ويحوموا حوله وعن ابن عباس عند تلاوة القرآن وعن عكرمة عند
النزع حتى يتعلق يصفون اي لا يزالون على سوء الذكر الى هذا الوقت والآية فاصلة بينهما على
وجه الاعتراض والتأكيد للاغضاء عنهم مستعينا بالله على الشيطان ان يستزله عن الحلم ويغريه
على الانتصار منهم او على قوله وانهم لكاذبون خطاب الله بلفظ الجمع للتعظيم كقوله فان شئت حرمت
النساء سواكم وقوله الا فارحموني يا اله محمد اذا ايقن بالموت واطلع على حقيقة الامر ادركته الحسرة على

ما فرط فيه من الايمان والعمل الصالح فيه فسال ربه الرجعة وقال لعلي اعمل صلحا في الايمان الذي
تركته والمعنى لعلي آتي بما تركته من الايمان واعمل فيه صلحا كما تقول لعلي أبني على أس تريد
او شيء اسا وابني عليه وقيل فيما تركت من المال وعن النبي صلى الله عليه اذا عاين المؤمن الملائكة
قالوا نرجعك الى الدنيا فيقول الى دار الهموم والاحزان بل قدوما الى الله واما الكافر فيقول
رب ارجعون كلا ردع عن طلب الرجعة وانكار واستبعاد والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام
المنتظم بعضها مع بعض وهي قوله تعالى لعلي اعمل صلحا فيما تركت هو قائلها لا محاله لا يخليها ولا يسكت
عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم او هو قائلها وحده لا يجاب اليها ولا تسمع منه ومن
ورائهم برزخ والضمير للجماعة اي امامهم حائل بينهم وبين الرجعة الى يوم البعث وليس المعنى
انهم يرجعون يوم البعث وانما هو اقناط كلي لما علم انه لا رجعة يوم البعث الا الى الاخرة الصور
بفتح الواو عن الحسن والصور بالكسر والفتح عن ابي رزين وهذا دليل لمن فسر الصور بجمع الصورة ونفخ
الانساب يحتمل ان التقاطع يقع بينهم حيث يتفرقون متعاقبين ومتباينين ولا يكون التواصل
بينهم والتالف الا بالاعمال فتلغو الانساب وتبطل وانه لا يعتد بالانساب لزوال التعاطف
والتراحم من الاقارب اذ يفر المرء من اخيه وامه وابيه وصاحبته وبنيه وعن ابن مسعود ولا يساءلون
بادغام التاء في السين **فان قلت** قد ناقض هذا ونحو قوله ولا يسال حميم حميما وقوله واقبل
بعضهم على بعض يتساءلون وقوله يتعارفون بينهم فكيف التوفيق بينهما **قلت** فيه جوابان احدهما
ان يوم القيمة مقداره خمسون الف سنة ففيه ازمنة واحوال مختلفة يتساءلون ويتعارفون في
بعضها وفي بعضها لا يفطنون بذلك لشدة الهول والفزع والثاني ان التناكر يكون عند النفخة
الاولى فاذا كانت الثانية قاموا فتعارفوا وتساءلوا وعن ابن عباس الموازين جمع موزون وهي الموزونات
اي من الاعمال الصالحات التي لها وزن وقدر عند الله من قوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا في

جهنم

٨٠

جهنم خالدون بدل من خسروا انفسهم ولا محل للبدل والمبدل منه لان الصلة لا محل لها او
خبر بعد خبر لاولئك او خبر مبتدأ محذوف تلفح تسفع وقال الزجاج اللفح والنفح واحد
الا ان اللفح اشد تاثيرا والكلوح ان تتقلص الشفتان وتتشمرا عن الاسنان كما ترى الرؤس
المشوية وعن مالك بن دينار كان سبب توبة عتبة الغلام انه مر في السوق براس اخرج من
التنور فغشي عليه ثلاثة ايام ولياليهن وروي عن النبي صلى الله عليه انه قال تشويه النار فتقلص
شفته العليا حتى تبلغ وسط راسه وتسترخي شفته السفلى حتى تبلغ سرته وقرئ كالحون غلبت
علينا ملكتنا من قولك غلبني فلان على كذا اذا اخذه منك وامتلكه والسعادة سوء العاقبة التي
علم الله انهم يستحقونها بسوء اعمالهم قرئ شقوتنا وشقاوتنا بفتح الشين وكسرها فيهما اخسؤا فيها
ذلوا فيها وانزجروا كما تنزجر الكلاب اذا زجرت يقال خسأ الكلب وخسا بنفسه ولا تكلمون
في رفع العذاب فانه لا يرفع ولا يخفف قيل هو آخر كلام يتكلمون به ثم لا كلام بعد ذلك الا الشهيق
والزفير والعواء كعواء الكلاب لا يفهمون ولا يفهمون وعن ابن عباس ان لهم ست دعوات
اذا دخلوا النار قالوا الف سنة ربنا ابصرنا وسمعنا فيجابون حق القول مني فينادون الفا
ربنا امتنا اثنتين فيجابون ذلكم ~~ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا~~ بانه اذا دعي الله
فينادون الفا يا مالك ليقض علينا ربك فيجابون انكم ماكثون فينادون الفا ربنا اخرجنا
نعمل صالحا فيجابون اولم نعمركم فينادون الفا رب ارجعون فيجابون اخسؤا فيها وفي
حرف اي انه كان فريق بالفتح بمعنى لانه السخري بالضم والكسر مصدر سخر كالسخر الا ان في ياء
النسب زيادة قوة في الفعل كما قيل الخصوصية في الخصوص وعن الكسائي والفراء ان المكسور
من الهزء والمضموم من السخرة والعبودية اي تسخروهم واستعبدوهم والاول مذهب الخليل وسيبويه
قيل هم الصحابة وقيل اهل الصفة خاصة ومعناه اتخذتموهم هزؤا وتشاغلتم بهم ساخرين حتى

ربنا اخرنا فيجابون اولم تكونوا فينادون الفا م

انسوكم اشتغالكم بهم على تلك الصفة ذكرى وتركتموه اى تركتم ان تذكرونى فتخافونى فى اوليائى
وقرئ انهم بالفتح فالكسر استيناف اى قد فازوا حيث صبروا فجزوا بصبرهم احسن الجزاء
والفتح على انه مفعول جزيتهم كقولك جزيتهم فوزهم قال فى مصاحف اهل الكوفة وقل فى مصاحف
اهل الحرمين والبصرة والشام ففى قال ضمير الله او المامور بسؤالهم من الملائكة وفى قل ضمير الملك
او بعض رؤساء اهل النار استقصروا مدة لبثهم فى الدنيا بالاضافة الى خلودهم ولما هم فيه من
عذابها لان الممتحن يستطيل ايام محنته ويستقصر ما مر عليه من ايام الدعة اليها او لانهم كانوا
فى سرور وايام السرور قصار او لان المنقضى فى حكم ما لم يكن وصدقهم الله فى مقالهم لسنى لبثهم
فى الدنيا ووبخهم على غفلتهم التى كانوا عليها وقرئ فسل العادين والمعنى لا نعرف من عدد
تلك السنين الا انا نستقله ونحسبه يوما او بعض يوم لما نحن فيه من العذاب وما فينا ان نعدها
فسل من فيه ان يعد ومن يقدر ان يلقى اليه فكره وقيل فسل الملائكة الذين يعدون اعمار
العباد ويحصون اعمالهم وقرئ العادين بالتخفيف اى الظلمة فانهم يقولون كما نقول وقرئ
العاديين اى القدماء المعمرين فانهم يستقصرونها فكيف بمن دونهم وعن ابن عباس انساهم
ما كانوا فيه من العذاب بين النفختين عبثا حال اى عابثين كقوله لاعبين او مفعول له اى ما خلقناكم
للعبث ولم يدعنا الى خلقكم الا حكمة اقتضت ذلك وهى ان نتعبدكم ونكلفكم المشاق من الطاعات
وترك المعاصى ثم نرجعكم من دار التكليف الى دار الجزاء فنثيب المحسن ونعاقب المسىء وانكم
الينا لا ترجعون معطوف على انما خلقناكم ويجوز ان يكون معطوفا على عبثا اى للعبث ولترككم
غير مرجوعين وقرئ ترجعون بفتح التاء الحق الذى يحق له الملك لان كل شىء منه واليه وقرئ الكريم
واليه او الثابت الذى لا يزول ولا يزول ملكه وصف العرش بالكرم لان الرحمة تنزل منه
والخير والبركة او لنسبته الى اكرم الاكرمين كما يقال بيت كريم اذا كان ساكنوه كراما وقرئ الكريم

بالرفع ونحوه ذو العرش المجيد لا برهان له به كقوله ما لم ينزل به سلطانا وهى صفة لازمة نحو
قوله يطير بجناحيه جىء بها للتوكيد لا ان يكون فى الآلهة ما يجوز ان يقوم عليه برهان ويجوز
ان يكون اعتراضا بين الشرط والجزاء كقولك من احسن الى زيد لا احق بالاحسان منه فالله
مثيبه وقرئ انه لا يفلح بفتح الهمزة ومعناه حسابه عدم الفلاح والاصل حسابه انه لا يفلح هو
فوضع الكافرون موضع الضمير لان من يدع فى معنى الجمع وكذلك حسابه انه لا يفلح فى معنى حسابهم
انهم لا يفلحون جعل فاتحة السورة قد افلح المؤمنون واورد فى خاتمتها انه لا يفلح الكافرون
فشتان ما بين الفاتحة والخاتمة عن رسول الله صلى الله عليه من قرأ سورة المؤمنين بشرته
الملائكة بالروح والريحان وما تقر به عينه عند نزول ملك الموت وروى ان اول سورة
قد افلح واخرها من كنوز العرش من عمل بثلاث آيات من اولها واتعظ باربع آيات من اخرها
فقد نجا وافلح وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه اذا انزل عليه
الوحى يسمع عنده دوى كدوى النحل فمكثنا ساعة فاستقبل القبلة ورفع يديه وقال اللهم
زدنا ولا تنقصنا واكرمنا ولا تهنا واعطنا ولا تحرمنا وآثرنا ولا تؤثر علينا وارض عنا وارضنا
ثم قال لقد انزلت على عشر آيات من اقامهن دخل الجنة ثم قرأ قد افلح المؤمنون حتى ختم العشر

سورة النور مدنية وهى ثنتان فستون آية وقيل اربع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة خبر مبتدأ محذوف وانزلناها صفة او هى مبتدأ موصوف والخبر محذوف اى فيما
اوحينا اليك سورة انزلناها وقرئ بالنصب على زيدا ضربته ولا محل لانزلناها لانها مفسرة

او انزلناها فرضناها

للضمير وكانت في حكمه او على دونك سورة وانزلناها صفة ومعنى فرضناها فرضنا احكامها
التي فيها واصل الفرض القطع اي جعلناها واجبة مقطوعا بها والتشديد للمبالغة في الايجاب
وبتوكيدها ولان فيها فرائض شتى وانك تقول فرضت الفريضة وفرضت الفرائض او
لكثرة المفروض عليهم من السلف ومن بعدهم تذكرون بتشديد الذال وتخفيفها رفعهما على
الابتداء والخبر محذوف وعند الخليل وسيبويه على معنى فيما فرض عليكم الزانية والزاني
اي جلدهما ويجوز ان الخبر فاجلدوا وانما دخلت الفاء لكون الالف واللام بمعنى الذي و يكون
تضمينه معنى الشرط تقديره التي زنت والذي زنى فاجلدوهما كما تقول من زنى فاجلدوه
وكقوله والذين يرمون المحصنات ثم لم ياتوا باربعة شهداء فاجلدوهم وقرئ بالنصب على
اضمار فعل يفسره الظاهر وهو احسن من سورة انزلناها لاجل الامر وقرئ والزان بلا ياء والجلد
ضرب الجلد يقال جلده كقولك ظهره وبطنه وراسه **فان قلت** اهذا حكم جميع الزناة
والزواني ام حكم بعضهم **قلت** بل هو حكم من ليس بمحصن منهم فان المحصن حكمه الرجم
وشرائط الاحصان عند ابي حنيفة ست الاسلام والحرية والعقل والبلوغ والتزوج
بنكاح صحيح والدخول اذا فقدت واحدة منها فلا احصان وعند الشافعي الاسلام
ليس بشرط لما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين وحجة ابي حنيفة قوله عليه
السلام من اشرك بالله فليس بمحصن **فان قلت** اللفظ يقتضي تعلق الحكم بجميع الزناة و
الزواني لان قوله الزانية والزاني عام في الجميع يتناول المحصن وغير المحصن **قلت** الزانية
والزاني يدلان على الجنسين المنافيين لجنسي العفيف والعفيفة دلالة مطلقة والجنسية قائمة
في الكل والبعض جميعا فايهما قصد المتكلم فلا عليه كما يفعل بالاسم المشترك وقرئ ولا يأخذكم
مالينا ورأفة بفتح الهمزة ورآفة على فعالة والمعنى ان الواجب على المؤمنين ان يتصلبوا في دين الله

ويستعملوا

٨٢

ويستعملوا الجد والمتانة فيه ولا يأخذهم اللين والهوادة في استيفاء حدوده وكفى برسول الله
صلى الله عليه وسلم اسوة في ذلك حيث قال لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها
وقوله ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر من باب التهييج والهاب الغضب لله ولدينه وقيل
لا تترحموا عليهما حتى تعطلوا الحدود او حتى لا توجعوهما ضربا وفي الحديث يؤتى بوال نقص
من الحد سوطا فيقول رحمة لعبادك فيقال انت ارحم بهم مني فيؤمر به الى النار ويؤتى بمن
زاد سوطا فيقول لينتهوا عن معاصيك فيؤمر به الى النار وعن ابي هريرة اقامة حد بارض خير
لاهلها من مطر اربعين ليلة وعلى الامام ان ينصب للحدود رجلا عالما بصيرا يعقل كيف يضرب
والرجل يجلد قائما على مجرده ليس عليه الا ازاره ضربا وسطا لا مبرحا ولا هينا مفرقا على الاعضاء
كلها لا يستثنى منها الا ثلاثة الوجه والراس والفرج وفي لفظ الجلد اشارة الى انه لا ينبغي ان
يتجاوز الالم الى اللحم والمراة تجلد قاعدة ولا ينزع من ثيابها الا الحشو والفرو وبهذه الاية استشهد
ابو حنيفة على ان الجلد حد غير المحصن بلا تغريب وما احتج به الشافعي على وجوب التغريب
من قوله عليه السلام البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام وما روي عن الصحابة انهم جلدوا
ونفوا منسوخ عنده وعند اصحابه بالاية او محمول على وجه التعزير والتاديب من غير وجوب.
وقول الشافعي في تغريب الحر واحد وله في العبد ثلاثة اقاويل يغرب سنة كالحر ويغرب
نصف سنة كما يجلد خمسين جلدة ولا يغرب كما قال ابو حنيفة وبهذه الاية نسخ الحبس و
الاذى في قوله فامسكوهن في البيوت وقوله فآذوهما قيل تسميته عذابا دليل على انه عقوبة
ويجوز ان يسمى عذابا لانه يمنع المعاودة كما سمي نكالا الطائفة الفرقة التي يمكن ان تكون
حلقة واقلها ثلاثة او اربعة وهي صفة غالبة كانها الجماعة الحافة حول الشيء وعن ابن عباس
في تفسيرها اربعة الى اربعين رجلا من المصدقين بالله وعن الحسن عشرة وعن قتادة ثلاثة فصاعدا

فيقول لم نقصت من الحد سوطا
لم زدت على الحد سوطا فيقول

وعن عكرمة رجلان فصاعدا وعن مجاهد الواحد فما فوقه وفضل قول ابن عباس لان الاربعة هي الجماعة
التي يثبت بها هذا الحد والصحيح ان هذه الكبيرة من امهات الكبائر ولهذا قرنها الله
بالشرك وقتل النفس في قوله ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق اثاما وقال ولا تقربوا الزنا انه
كان فاحشة وساء سبيلا وعن النبي صلى الله عليه وسلم يا معشر الناس اتقوا الزنا فان فيه ست خصال الناس م
ثلاث في الدنيا وثلاث في الآخرة فاما اللاتي في الدنيا فيذهب البهاء ويورث الفقر وينقص العمر واما
اللاتي في الآخرة فيوجب السخطة وسوء الحساب والخلود في النار ولذلك وفى الله فيه عقد المائة
بكماله بخلاف حد القذف وشرب الخمر وشرع فيه القتلة الهولة وهي الرجم ونهى المؤمنين عن
الرأفة على المجلود فيه وامر بشهادة الطائفة للتشهير فوجب ان تكون طائفة يحصل بها التشهير
والواحد والاثنان ليسوا بتلك المثابة واختصاصه المؤمنين لان ذلك افضح والفاسقين
صلحاء قومه اخجل ويشهد له قول ابن عباس الى اربعين رجلا من المصدقين بالله الفاسق
الخبيث الذي من شأنه الزنى والتقحب لا يرغب في نكاح الصوالح من النساء واللاتي
على خلاف صفته وانما يرغب في فاسقة خبيثة من شكله او في مشركة والفاسقة الخبيثة المسافحة
كذلك لا يرغب في نكاحها الصلحاء من الرجال وينفرون عنها وانما يرغب فيها من هو من
شكلها من الفسقة او المشركين ونكاح المؤمن الممدوح عند الله الزانية ورغبته فيها وانخراطه
بذلك في سلك الفسقة المتسمين بالزنا محرم عليه لما فيه من التشبه بالفساق وحضور موقع محضور م
التهمة والتسبب لسوء القالة فيه والغيبة وانواع المفاسد ومجالسة الخطائين كم فيها من التعرض
لاقتراف الآثام فكيف بمزاوجة الزواني والقحاب وقد نبه على ذلك بقوله وانكحوا الايامى
منكم والصالحين من عبادكم وامائكم وقيل كان بالمدينة موسرات من بغايا المشركين فرغب
فقراء المهاجرين في نكاحهن فاستاذنوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها

ان الرجل

ان الرجل اذا زنى بامرأة ليس له ان يتزوجها لهذه الآية واذا باشرها كان زانيا وقد اجازه ابن عباس
وشبهه بمن سرق ثمر شجرة ثم اشتراها وعن النبي عليه السلام انه سئل عن ذلك فقال اوله سفاح
وآخره نكاح والحرام لا يحرم الحلال وقيل المراد بالنكاح الوطء وليس بقول لامرين احدهما ان هذه
الكلمة اينما وردت في القرآن لم ترد الا في معنى العقد والثاني فساد المعنى واداؤه الى قولك
الزاني لا يزني الا بزانية والزانية لا يزني بها الا زان وقيل كان نكاح الزانية محرما في اول الاسلام
ثم نسخ والناسخ قوله وانكحوا الايامى وقيل الاجماع وروي ذلك عن سعيد بن المسيب فان قلت
اي فرق بين معنى الجملة الاولى ومعنى الثانية قلت معنى الاولى صفة الزاني بكونه غير
راغب في العفائف ولكن في الفواجر ومعنى الثانية صفة الزانية بكونها غير مرغوب فيها
للاعفاء ولكن للزناة وهما معنيان مختلفان فان قلت كيف قدمت الزانية على
الزاني اولا ثم قدم عليها ثانيا قلت سيقت تلك الآية لعقوبتهما على ما جنيا والمرأة
هي المادة التي منها نشأت الجناية لانها لو لم تطمع الرجل ولم تومض له ولم تمكنه لم يطمع ولم
يتمكن فلما كانت اصلا واولا في ذلك بدئ بذكرها واما الثانية فمسوقة لذكر النكاح
والرجل اصل فيه لانه هو الراغب والخاطب ومنه بدء الطلب وعن عمرو بن عبيد لا ينكح
بالجزم على النهي والمرفوع ايضا فيه معنى النهي ولكن ابلغ وآكد كما ان رحمك الله ويرحمك ابلغ من
ليرحمك ويجوز ان يكون خبرا محضا على معنى ان عادتهم جارية على ذلك وعلى المؤمن ان لا يدخل
نفسه تحت هذه العادة ويتصون عنها وقرئ وحرم بفتح الحاء القذف يكون بالزنا وبغيره
والذي دل على ان المراد قذفهن بالزنا شيئان احدهما ذكر المحصنات عقيب الزواني و
الثاني اشتراط اربعة شهداء لان القذف بغير الزنا يكفي فيه شاهدان والقذف بالزنا ان يقول
الحر العاقل البالغ للمحصنة يا زانية او للمحصن يا زاني يا ابن الزانية يا ولد الزنا لست لابيك لست الزاني ويا ابن م

لرشده والقذف بغير الزنا ان يقول يا آكل الربا يا شارب الخمر يا يهودي يا مجوسي يا فاسق
يا خبيث يا ماص بظر امه فعليه التعزير ولا يبلغ به ادنى حد العبيد وهو اربعون بل ينقص
منه وقال ابو يوسف يجوز ان يبلغ به تسعة وسبعون وقال للامام ان يعزر الى المائة وشروط
احصان القذف خمسة الحرية والبلوغ والعقل والاسلام والعفة وقرى باربعة شهدا
بالتنوين وشهدا صفة **فان قلت** كيف يشهدون مجتمعين او متفرقين **قلت**
الواجب عند ابي حنيفة واصحابه ان يحضروا في مجلس واحد وان جاوا متفرقين كانوا قذفة
وعند الشافعي يجوز ان يحضروا متفرقين **فان قلت** هل يجوز ان يكون زوج المقذوفة
واحدا منهم **قلت** يجوز عند ابي حنيفة خلافا للشافعي **فان قلت** كيف يجلد
القاذف **قلت** كما جلد الزاني الا انه لا ينزع من ثيابه الا ما ينزع عن المراة من الحشو و
الفرو والقاذفة ايضا كالزانية واشد الضرب ضرب التعزير ثم ضرب الزنا ثم ضرب شرب
الخمر ثم ضرب القاذف قالوا لان سبب عقوبته محتمل للصدق والكذب الا انه عوقب
صيانة للاعراض وردعا عن هتكها **فان قلت** فاذا لم يكن المقذوف محصنا **قلت**
يعزر القاذف ولا يحد الا ان يكون المقذوف معروفا بما قذف به فلا حد ولا تعزير ورد
شهادة القاذف معلق عند ابي حنيفة باستيفاء الحد فاذا شهد قبل الحد او قبل تمام استيفائه
قبلت شهادته فاذا استوفي لم تقبل شهادته ابدا وان تاب وكان من الابرار الاتقيا وعند
الشافعي يتعلق رد شهادته بنفس القذف فاذا تاب عن القذف بان رجع عنه عاد مقبول
الشهادة وكلاهما متمسك بالاية فابو حنيفة جعل جزا الشرط الذي هو الرمي الجلد ورد الشهادة
عقيب الجلد على التابيد فكانوا مردودي الشهادة عنده في ابدهم وهو مدة حياتهم وجعل قوله
واولئك هم الفاسقون كلاما مستانفا غير داخل في حيز جزا الشرط كانه حكاية حال الرامين

عند الله

بعد انقضاء الجملة الشرطية والا الذين تابوا استثنا من الفاسقين ويدل عليه قوله فان الله
غفور رحيم والشافعي رضي الله عنه جعل جزاء الشرط الجملتين ايضا غير انه صرف الابد الى
مدة كونه قاذفا وهي تنتهي بالتوبة والرجوع عن القذف وجعل الاستثنا متعلقا بالجملة الثانية
وحق المستثنى عنده ان يكون مجرورا بدلا من هم في لهم وحقه عند ابي حنيفة ان يكون منصوبا
لانه عن موجب والذي يقتضيه ظاهر الاية ونظمها ان تكون الجمل الثلث مجموعهن جزاء
الشرط كانه قيل ومن قذف المحصنات فاجلدوهم وردوا شهادتهم وفسقوهم اي فاجمعوا لهم
الجلد والرد والتفسيق الا الذين تابوا عن القذف واصلحوا فان الله يغفر لهم فينقلبون غير مجلودين
ولا مردودين ولا مفسقين **فان قلت** الكافر يقذف فيتوب عن الكفر فتقبل شهادته
بالاجماع والقاذف من المسلمين يتوب عن القذف فلا تقبل شهادته عند ابي حنيفة كان القذف
مع الكفر اهون من القذف مع الاسلام **قلت** المسلمون لا يعباون بسب الكفار لانهم
شهروا بعداوتهم والطعن فيهم بالباطل فلا يلحق المقذوف بقذف الكافر من الشين والشنار ما
يلحقه بقذف مسلم مثله فشدد على القاذف من المسلمين ردعا وكفا عن الحاق الشنار
فان قلت هل للمقذوف او للامام ان يعفو عن حد القاذف **قلت** لهما ذلك
قبل ان يشهد الشهود ويثبت الحد والمقذوف مندوب الى ان لا يرافع القاذف ولا يطالبه
بالحد ويحسن من الامام ان يحمل المقذوف على كظم الغيظ ويقول له اعرض عن هذا ودعه
لوجه الله قبل ثبات الحد فاذا ثبت لم يكن لواحد منهما ان يعفو لانه خالص حق الله ولهذا
لم يصح ان يصالح عنه بمال **فان قلت** هل يورث الحد **قلت** عند ابي حنيفة
لا يورث لقوله عليه السلام الحد لا يورث ويورث عند الشافعي واذا تاب القاذف
قبل ان يثبت الحد سقط وقيل نزلت هذه الاية في حسان بن ثابت حين تاب مما قال

في عائشة رضي الله عنها وإذا قذف امرأته إذا كان مسلماً حراً عاقلاً بالغاً غير محدود في القذف
والمرأة بهذه الصفة مع العفة صح اللعان بينهما إذا قذفها بصريح الزنا وهو أن يقول لها
يا زانية أو زنيت أو رأيتك تزنين وإذا كان الزوج عبداً أو محدوداً في قذف والمرأة محصنة
حد كما في قذف المحصنات وما لم ترافعه إلى الإمام لم يجب اللعان واللعان أن يبدأ
الرجل فيشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين فيما رماها به من الزنا ويقول في الخامسة
أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنا وتقول المرأة أربع مرات أشهد
بالله إنه لمن الكاذبين فيما رماني به من الزنا ثم تقول في الخامسة أن غضب الله عليها إن كان
من الصادقين فيما رماني به من الزنا وعند الشافعي يقام الرجل قائماً حتى يشهد والمرأة قاعدة
وتقام المرأة والرجل قاعد حتى تشهد ويأمر الإمام من يضع يده على فيه ويقول له إني أخاف
على المنبر إن لم تكن صادقاً أن تبوء بلعنة الله وقال اللعان بمكة بين المقام والبيت وبالمدينة وببيت
المقدس في مسجده ولعان المشرك في الكنيسة وحيث يعظم وإذا لم يكن له دين ففي مساجدنا
إلا في المسجد الحرام لقوله تعالى إنما المشركون نجس فلا يقربوا المسجد الحرام ثم يفرق القاضي بينهما
ولا تقع الفرقة بينهما إلا بتفريقه عند أبي حنيفة وأصحابه إلا عند زفر فإن الفرقة تقع باللعان
وعن عثمان البتي لا فرقة أصلاً وعند الشافعي تقع بلعان الزوج وتكون هذه الفرقة في حكم
التطليقة البائنة عند أبي حنيفة ومحمد ولا يتأبد حكمها فإذا أكذب الرجل نفسه بعد
ذلك وحُدّ جاز أن يتزوجها وعند أبي يوسف وزفر والحسن بن زياد والشافعي هي فرقة بغير طلاق
توجب تحريماً مؤبداً ليس لهما أن يجتمعا بعد ذلك بوجه وروي أن آية القذف لما نزلت قرأها
رسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر فقام عاصم بن عدي الأنصاري فقال جعلني الله فداك إن وجد
رجل مع امرأته رجلاً فأخبر جُلد ثمانين ورُدّت شهادته أبداً وفُسّق وإن ضربه بالسيف قُتل

وإن

وإن سكت سكت على غيظ وإلى أن يجيء بأربعة شهداء فقد قضى الرجل حاجته ومضى اللهم
افتح وخرج فاستقبله هلال بن أمية أو عويمر فقال ما وراءك قال شر وجدت على بطن امرأتي
خولة وهي بنت عاصم شريك بن سحماء فقال هذا والله سؤالي ما أسرع ما ابتليت به فرجعا فأخبر
عاصم رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلم خولة فقالت لا أدري الغيرة أدركته أم بخلاً على الطعام
وكان شريك نزيلهم وقال هلال لقد رأيته على بطنها فنزلت ولاعن بينهما وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم عند قوله وقولها أن لعنة الله عليه أن غضب الله عليها آمين وقال القوم آمين
وقال لها إن كنت ألممت بذنب فاعترفي به فالرجم أهون عليك من غضب الله إن غضبه هو
النار وقال تحيّنوا بها الولادة فإن جاءت به أصيهب أثيبج يضرب إلى السواد فهو لشريك
وإن جاءت به أورق جعداً جمالياً خدلج الساقين فهو لغير الذي رميت به قال ابن عباس
فجاءت بأشبه خلق الله لشريك فقال عليه السلام لولا الأيمان لكان لي ولها شأن وقرئ ولم
يكن بالياء لأن الشهداء جماعة أو لأنهم في معنى الأنفس التي هي بدل ووجه من قرأ أربع أن ينصب
لأنه في حكم المصدر والعامل فيه المصدر الذي هو فشهادة أحدهم وهي مبتدأ محذوف الخبر تقديره
فواجب شهادة أحدهم أربع شهادات وقرئ أنْ لعنةُ الله وأنْ غضبُ الله على تخفيف أن ورفع
ما بعدها وقرئ أنْ غَضِبَ الله على فعل الغضب وقرئ بنصب الخامستين على معنى وتشهد
الخامسة **فإن قلت** لم خصت الملاعنة بأن تخمس بغضب الله **قلت** تغليظاً
عليها لأنها أصل الفجور ومنبعه بخلابتها وإطماعها ولذلك كانت مقدمة في آية الجلد ويشهد
لذلك قوله عليه السلام لخولة فالرجم أهون عليك من غضب الله الفضل الفضل وجواب لولا
متروك وتركه دال على أمر عظيم لا يكتنه ورب مسكوت عنه أبلغ من منطوق به الإفك أبلغ
ما يكون من الكذب والافتراء وقيل هو البهتان لا تشعر به حتى يفجأك وأصله الأفك وهو القلب

لانه قول مافوك عن وجهه والمراد ما افك به على عايشه رضي الله عنها والعصبه الجماعة من العشرة
الى الاربعين وكذلك العصابه واعصوصبوا اجتمعوا وهم عبد الله بن ابي راس النفاق
وزيد بن رفاعه وحسان بن ثابت ومسطح بن اثاثه وحمنة بنت جحش ومن ساعدهم وقرى
كبره بالضم والكسر وهو عظمه والذي تولاه عبد الله لامعانه في عداوة رسول الله وانتهازه الفرص
وطلبه سبيلا الى الغميزة اي يصيب كل خائض في حديث الافك من تلك العصبة نصيبه من
الاثم على مقدار خوضه والعذاب العظيم لعبد الله لان معظم الشر كان منه يحكى ان
صفوان مر بهودجها عليه وهو في ملا من قومه فقال من هذه فقالوا عايشه فقال والله ما نجت
منه ولا نجا منها وقال امراة نبيكم باتت مع رجل حتى اصبحت ثم جا يقودها والخطاب في
قوله وهو خير لكم لمن ساءه ذلك من المومنين وخاصة رسول الله وابو بكر وعايشه وصفوان
بن المعطل ومعنى كونه خيرا لهم انهم اكتسبوا فيه الثواب العظيم لانه كان بلاء مبينا ومحنة
ظاهرة وانه نزلت فيه ثماني عشرة اية كل واحدة منها مستقلة بما هو تعظيم لشان رسول الله
صلى الله عليه وسلم وتسلية له وتنزيه لام المومنين رضوان الله عليها وتطهير لاهل البيت وتهويل
لمن تكلم في ذلك او سمع به فلم تمجه اذناه وعدة الطاف للسامعين والتالين الى يوم القيمه
وفوايد دينيه واحكام واداب لا تخفى على متامليها بانفسهم اي بالذين منهم من المومنين و
المومنات كقوله ولا تلمزوا انفسكم وذلك نحو ما روى ان ابا ايوب الانصاري قال لام ايوب
الا ترين ما يقال فقالت لو كنت بدل صفوان اكنت تظن بحرمة رسول الله سوءا قال
لا قالت ولو كنت انا بدل عايشه ما خنت رسول الله فعايشة خير مني وصفوان خير منك
فان قلت هلا قيل لولا اذ سمعتموه ظننتم بانفسكم خيرا وقلتم ولم عدل عن الخطاب
الى الغيبه وعن الضمير الى الظاهر **قلت** ليبالغ في التوبيخ بطريقة الالتفات وليصرح

بلفظ

بلفظ الايمان دلالة على ان الاشتراك فيه مقتض ان لا يصدق مومن على اخيه ولا
مومنة على اختها قول عايب ولا طاعن وفيه تنبيه على ان حق المومن اذا سمع قالة في اخيه
ان يبني الامر فيها على الظن لا على الشك وان يقول بملء فيه بناء على ظنه بالمومن الخير
هذا افك مبين هكذا بلفظ المصرح ببراءة ساحته كما يقول المستيقن المطلع على حقيقة
الحال وهذا من الادب الحسن الذي قل القايم به والحافظ له وليتك تجد من يسمع فيسكت
ولا يشيع ما سمعه باخوات جعل الله التفصلة بين الرمي الصادق والكاذب ثبوت شهادة
الشهود الاربعة وانتفاءها والذين رموا عايشه لم تكن لهم بينة على قولهم فقامت عليهم الحجة
وكانوا عند الله اي في حكمه وشريعته كاذبين وهذا توبيخ وتعنيف للذين سمعوا الافك
فلم يجدوا في دفعه وانكاره واحتجاج عليهم بما هو ظاهر مكشوف في الشرع من وجوب
تكذيب القاذف بغير بينة والتنكيل به اذا قذف امراة محصنة من عرض نساء المسلمين فكيف
بام المومنين الصديقة بنت الصديق وحرمة رسول الله وحبيبة حبيب الله لولا الاولى
للتحضيض وهذه لامتناع الشي لوجود غيره والمعنى ولولا اني قضيت ان اتفضل عليكم في الدنيا
بضروب النعم التي من جملتها الامهال للتوبة وان اترحم عليكم في الاخرة بالعفو والمغفرة
لعاجلتكم بالعقاب على ما خضتم فيه من حديث الافك يقال افاض في الحديث واندفع و
هضب وخاض اذ ظرف لمسكم او لافضتم تلقونه ياخذه بعضكم من بعض يقال تلقى القول
وتلقنه وتلقفه ومنه قوله تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وقرى على الاصل تتلقونه
واذ تلقونه بادغام الذال في التاء وتلقونه من لقيه بمعنى لقفه وتلقونه من القائه بعضهم على
بعض وتلقونه وتالقونه من الالق والولق وهو الكذب وتلقونه محكية عن عايشه رضي الله عنها
وعن سفين سمعت امي تقرا اذ تثقفونه وكان ابوها يقرا بحرف عبد الله بن مسعود **فان قلت**

ما معنى قوله بأفواهكم والقول لا يكون إلا بالفم **قلت** معناه أن الشيء المعلوم يكون علمه
في القلب فيترجم عنه اللسان وهذا الإفك ليس إلا قولا يجري على ألسنتكم ويدور في أفواهكم
من غير ترجمة عن علم به في القلب كقوله تعالى يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم أي تحسبونه
صغيرة وهو عند الله كبيرة موجبة وعن بعضهم أنه جزع عند الموت فقيل له فقال أخاف ذنبا
لم يكن مني على بال وهو عند الله عظيم وفي كلام بعضهم لا تقولن لشيء من سيئاتك حقير فلعله
عند الله نخلة وهو عندك نقير وصفهم بارتكاب ثلاثة آثام وعلق مس العذاب العظيم
بها أحدها تلقي الإفك بألسنتهم وذلك أن الرجل كان يلقى الرجل فيقول له ما وراءك فيحدثه
بحديث الإفك حتى شاع وانتشر فلم يبق بيت ولا ناد إلا طار فيه والثاني التكلم مما لا علم لهم
به والثالث استصغارهم لذلك وهو عظيمة من العظائم **فإن قلت** كيف جاز الفصل
بين لولا وقلتم **قلت** للظروف شأن وهو تنزلها من الأشياء منزلة أنفسها لوقوعها
فيها وأنها لا تنفك عنها فلذلك يتسع فيها ما لا يتسع في غيرها **فإن قلت** فأي فائدة في
تقديم الظرف حتى أوقع فاصلا **قلت** الفائدة فيه بيان أنه كان الواجب عليهم أن
يتفادوا أول ما سمعوا بالإفك عن التكلم به فلما كان ذكر الوقت أهم وجب التقديم **فإن قلت**
فما معنى يكون والكلام بدونه متلئب لو قيل ما لنا أن نتكلم بهذا **قلت** معناه معنى ينبغي
ويصح أي ما ينبغي لنا أن نتكلم بهذا وما يصح لنا ونحوه ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق سبحانك
للتعجب من عظم الأمر **فإن قلت** ما معنى التعجب في كلمة التسبيح **قلت** الأصل
في ذلك أن يسبح الله عند رؤية العجيب من صنائعه ثم كثر حتى استعمل في كل متعجب منه
أو لتنزيه الله من أن تكون حرمة نبيه فاجرة **فإن قلت** كيف جاز أن تكون امرأة النبي
كافرة كامرأة نوح ولوط ولم يجز أن تكون فاجرة **قلت** لأن الأنبياء مبعوثون إلى الكفار

ليدعوهم

٨٧

ليدعوهم ويستعطفوهم فيجب أن لا يكون معهم ما ينفرهم عنهم ولم يكن الكفر عندهم مما
ينفر وأما الكشخنة فمن أعظم المنفرات أي أن تعودوا لمثله أو في أن تعودوا من قولك وعظت (كراهة م)
فلانا في كذا فتركه وأبدا ما دمتم أحياء مكلفين وإن كنتم مؤمنين فيه تهييج لهم ليتعظوا
وتذكير بما يوجب ترك العود وهو اتصافهم بالإيمان الصاد عن كل مقبح ويبين الله لكم الآيات (الآيات خ)
على علمه وحكمته بما ينزل عليكم من الشرائع ويعلمكم من الآداب الجميلة ويعظكم به من المواعظ
الشافية والله عالم بكل شيء فاعل لما يفعله بدواعي الحكمة المعنى يشيعون الفاحشة عن قصد
إلى الإشاعة وإرادة ومحبة لها وعذاب الدنيا الحد ولقد ضرب رسول الله عبد الله بن
أبي وحسانا ومسطحا وقعد صفوان لحسان فضربه ضربة بالسيف وكف بصره وقيل هو المراد
بقوله والذي تولى كبره منهم والله يعلم ما في القلوب من الأسرار والضمائر وأنتم لا تعلمون
يعني أنه قد علم محبة من أحب الإشاعة وهو معاقبه عليها وكرر المنة بترك المعاجلة بالعقاب
حاذفا جواب لولا كما حذفه ثمة وفي هذا التكرير مع حذف الجواب مبالغة عظيمة و
كذلك في التواب والرؤوف والرحيم الفحشاء والفاحشة ما أفرط قبحه قال أبو ذؤيب
ضرائر حرمي تفاحش غارها أي أفرطت غيرتها والمنكر ما تنكره النفوس فتنفر عنه ولا ترتضيه
وقرئ خطوات بفتح الطاء وسكونها وزكى بالتشديد والضمير لله عز وجل ولولا أن الله تفضل
عليكم بالتوبة الممحصة لما طهر منكم أحد آخر الدهر من دنس إثم الإفك ولكن الله يطهر التائبين
بقبول توبتهم إذا محضوها وهو سميع لقولهم عليم بضمائرهم وإخلاصهم وهو من ائتلى إذا حلف
افتعال من الألية وقيل من قولهم ما ألوت جهدا إذا لم تدخر منه شيئا ويشهد للأول قراءة
الحسن ولا يتأل والمعنى لا يحلفوا على أن لا يحسنوا إلى المستحقين للإحسان أو لا يقصروا
في أن يحسنوا إليهم وإن كانت بينهم وبينهم شحناء لجناية اقترفوها فليعودوا عليهم بالعفو

والصفح وليفعلوا بهم مثل ما يرجون ان يفعل بهم ربهم مع كثرة خطاياهم وذنوبهم نزلت
في شان مسطح وكان ابن خالة ابي بكر الصديق رضي الله عنه وكان فقيرا من فقراء المهاجرين
وكان ابو بكر ينفق عليه فلما فرط منه ما فرط آلى ان لا ينفق عليه وكفى به داعيا الى المجاملة وترك
الاشتغال بالمكافاة للمسي ويروى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قراها على ابي بكر فقال بلى
احب ان يغفر الله لي ورجع الى مسطح نفقته وقال والله لا انزعها ابدا وقرا ابو حيوة وابن قطيب
ان تؤتوا بالتاء على الالتفات ويعضده قوله الا تحبون ان يغفر الله لكم الغافلات السليمات
الصدور النقيات القلوب اللاتي ليس فيهن دهاء ولا مكر لانهن لم يجربن الامور ولم يرزن
الاحوال فلا يفطن لما تفطن له المجربات العارفات قال ولقد لهوت بطفلة ميالة بلهاء
تطلعني على اسرارها وكذلك البله من الرجال في قوله اكثر اهل الجنة البله وقرئ يشهد بالياء
والحق بالنصب صفة للدين وهو الجزاء وبالرفع صفة لله ولو فليت القران كله وفتشت عما
اوعد به العصاة لم تر الله عز وجل قد غلظ في شي تغليظه في افك عائشة رضوان الله عليها ولا
انزل من الآيات القوارع المشحونة بالوعيد الشديد والعتاب البليغ والزجر العنيف و
استعظام ما ركب من ذلك واستفظاع ما اقدم عليه ما انزل فيه على طرق مختلفة و
اساليب مفتنة كل واحد منها كاف في بابه ولو لم ينزل الا هذه الثلاث لكفى بها حيث جعل
القذفة ملعونين في الدارين جميعا وتوعدهم بالعذاب العظيم في الآخرة وبان السنتهم وايديهم
وارجلهم تشهد عليهم بما افكوا وبهتوا وانه يوفيهم جزاءهم الحق الواجب الذي هم اهله حتى
يعلموا عند ذلك ان الله هو الحق المبين فاوجز في ذلك واشبع وفصل واجمل واكد وكرر وجاء
بما لم يقع في وعيد المشركين عبدة الاوثان الا ما هو دونه في الفظاعة وما ذاك الا لامر وعن ابن عباس انه كان بالبصرة يوم عرفة
وكان يسال عن تفسير القران حتى سئل عن هذه الآيات فقال من اذنب ذنبا ثم تاب منه

قبلت

(باربعة)

قلت لونه الامر خاص في عائشة وهذا منه مبالغة وتعظيم لامر الافك ولقد برا الله اربعة
برا يوسف عليه السلام بلسان الشاهد وشهد شاهد من اهلها وبرا موسى من قول اليهود
فيه بالحجر الذي ذهب بثوبه وبرا مريم بانطاق ولدها حين نادى من حجرها اني عبد الله
وبرا عائشة بهذه الآيات العظام في كتابه المعجز المتلو على وجه الدهر مثل هذه التبرئة بهذه
المبالغات فانظر كم بينها وبين تبرئة اولئك وما ذاك الا لاظهار علو منزلة رسول الله والتنبيه
على انافة محل سيد ولد آدم وخيرة الاولين والآخرين وحجة الله على العالمين ومن اراد ان
يتحقق عظمة شانه وتقدم قدمه واحرازه لقصب السبق دون كل سابق فليتلق ذلك من آيات
الافك وليتامل كيف غضب الله له في حرمته وكيف بالغ في نفي التهمة عن حجابه **فان قلت**
ان كانت عائشة هي المرادة فكيف قيل المحصنات **قلت** فيه وجهان احدهما ان
يراد بالمحصنات ازواج رسول الله وان يخصصن بان من قذفهن فهذا الوعيد لاحق به
واذا اردن وعايشة كبراهن منزلة وقربة عند رسول الله كانت المرادة اولا والثاني انها
ام المؤمنين فجمعت ارادة لها ولبناتها من نساء الامة الموصوفات بالاحصان والغفلة
والايمان كما قال قدني من نصر الخبيبين قدي اراد عبد الله بن الزبير واشياعه وكان
اعداؤه يكنونه بخبيب ابنه وكان مضعوفا وكنيته المشهورة ابو بكر الا ان هذا في الاسم
وذاك في الصفة **فان قلت** ما معنى قوله هو الحق المبين **قلت** معناه ذو الحق
البين اي العادل الظاهر العدل الذي لا ظلم في حكمه والمحق الذي لا يوصف بباطل ومن
هذه صفته لم تسقط عنده اساءة مسي ولا احسان محسن فحق مثله ان يتقى وتجتنب محارمه
الخبيثات من القول تقال او تعد للخبيثين من الرجال والنساء والخبيثون منهم يتعرضون للخبيثات
من القول وكذلك الطيبات والطيبون واولئك اشارة الى الطيبين وانهم مبرؤون مما يقول

الخبيثون من خبيثات الكلم وهو كلام جار مجرى المثل لعائشة وما رميت به من قول لا يطابق
حالها في النزاهة والطيب ويجوز ان يكون اشارة الى اهل البيت وانهم مبرون مما يقول اهل
الافك وان يراد بالحسنات والطيبات النساء اى الخبائث يتزوجن الخباث والخباث الخبائث
وكذلك اهل الطيب وذكر الرزق الكريم ههنا مثله في قوله واعتدنا لها رزقا كريما وعن عائشة
رضي الله عنها لقد اعطيت تسعا ما اعطيتهن امراة لقد نزل جبريل عليه السلام بصورتي في راحته حين
امر رسول الله ان يتزوجني ولقد تزوجني بكرا غيري ولقد توفي وان راسه لفي حجري ولقد قبر
في بيتي ولقد حفته الملائكة في بيتي وان الوحي لينزل عليه في اهله فيتفرقون عنه وان كان لينزل
عليه وانا معه في لحافه واني لابنة خليفته وصديقه ولقد نزل عذري من السماء ولقد خلقت
طيبة عند طيب ولقد وعدت مغفرة ورزقا كريما تستانسوا فيه وجهان احدهما انه من الاستئناس
الظاهر الذي هو خلاف الاستيحاش لان الذي يطرق باب غيره لا يدري ايوذن له ام لا
فهو كالمستوحش من خفاء الحال عليه فاذا اذن له استانس فالمعنى حتى يوذن لكم كقوله لا
تدخلوا بيوت النبي الا ان يوذن لكم وهذا من باب الكناية والارداف لان هذا
النوع من الاستئناس يردف الاذن فوضع موضع الاذن والثاني ان يكون من الاستئناس
الذي هو الاستعلام والاستكشاف استفعال من آنس الشيء اذا ابصره ظاهرا مكشوفا والمعنى
حتى تستعلموا وتستكشفوا الحال هل يراد دخولكم ام لا ومنه قولهم استانس هل ترى احدا و
استانست فلم ار احدا اى تعرفت واستعلمت ومنه بيت النابغة على مستانس وحد
ويجوز ان يكون من الانس وهو ان يتعرف هل ثم انسان وعن ابي ايوب الانصاري قلنا يا رسول الله
ما الاستئناس قال يتكلم الرجل بالتسبيحة والتكبيرة والتحميدة يتنحنح يوذن اهل البيت والتسليم
ان يقول السلام عليكم ادخل ثلاث مرات فان اذن له والا رجع وعن ابي موسى الاشعري انه اتى باب

او لكرم

وما تزوج بكرا

ع

٦٩

عمر فقال السلام عليكم ادخل قالها ثلاثا ثم رجع وقال سمعت رسول الله صلى الله عليه يقول
الاستيذان ثلاث واستاذن رجل على رسول الله صلى الله عليه فقال أألج فقال عليه السلام
لامراة يقال لها روضة قومي الى هذا فعلميه فانه لا يحسن ان يستاذن قولي له يقول السلام
عليكم أأدخل فسمعها الرجل فقالها فقال ادخل وكان اهل الجاهلية يقول الرجل منهم اذا دخل
بيتا غير بيته حييتم صباحا وحييتم مساء ثم يدخل فربما اصاب الرجل مع امراته في لحاف واحد
فصد الله عن ذلك وعلم الاحسن الاجمل وكم من باب من ابواب الدين هو عند الناس كا
لشريعة المنسوخة قد تركوا العمل به وباب الاستئذان من ذلك بينا انت في بيتك اذا رعف
عليك الباب بواحد من غير استئذان ولا تحية من تحايا اسلام ولا جاهلية وهو ممن
سمع ما انزل الله فيه وما قال رسول الله ولكن اين الاذن الواعية وفي قراءة عبد الله حتى تسلموا
على اهلها وتستاذنوا وعن ابن عباس وسعيد بن جبير انما هو حتى تستاذنوا فاخطا الكاتب
ولا يعول على هذه الرواية وفي قراءة ابي حتى تستاذنوا ذلكم الاستئذان والتسليم خير لكم
من تحية الجاهلية والدمور وهو الدخول بغير اذن واشتقاقه من الدمار وهو الهلاك كان
صاحبه دامر لعظم ما ارتكب وفي الحديث من سبقت عينه استئذانه فقد دمر وروي ان
رجلا قال للنبي صلى الله عليه أأستاذن على امي قال انها ليس لها خادم غيري أأستاذن
عليها كلما دخلت قال اتحب ان تراها عريانة قال الرجل لا قال فاستاذن لعلكم تذكرون
اي انزل عليكم او قيل لكم هذا ارادة ان تذكروا وتتعظوا وتعملوا بما امرتم به في باب الاستئذان
يحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من الآذنين فلا تدخلوها واصبروا حتى تجدوا من ياذن لكم
ويحتمل فان لم تجدوا فيها احدا من اهلها ولكم فيها حاجة فلا تدخلوها الا باذن اهلها
وذلك ان الاستئذان لم يشرع لئلا يطلع الداخل على عورة ولا تسبق عينه الى ما لا يحل

رواية ع

خ

النظر إليه فقط وإنما شرع لئلا يوقف على الأحوال التي يطويها الناس في العادة عن غيرهم
ويتحفظون من اطلاع أحد عليها ولأنه تصرف في ملك غيرك فلا بد من أن يكون برضاه
وإلا أشبه الغصب والتغلب فارجعوا أي لا تلحوا في إطلاق الإذن ولا تلجوا في تسهيل
الحجاب ولا تقفوا على الأبواب منتظرين لأن هذا مما يجلب الكراهة ويقدح في
قلوب الناس خصوصاً إذا كانوا ذوي مروءة ومرتاضين بالآداب الحسنة وإذا نهى
عن ذلك لأدائه إلى الكراهة وجب الانتهاء عن كل ما يؤدي إليها من قرع الباب
بعنف والتصييح بصاحب الدار وغير ذلك مما يدخل في عادات من لم يتهذب
من أكثر الناس وعن أبي عبيد رحمه الله ما قرعت باباً على عالم قط وكفى بقصة بني أسد زاجرة
وما نزل فيها من قوله تعالى إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون **فإن قلت**
هل يصح أن يكون المعنى وإن لم يؤذن لكم وأمرتم بالرجوع فامتثلوا ولا تدخلوا مع كراهتهم
قلت بعد أن جزم النهي عن الدخول مع فقد الإذن وحده من أهل الدار حاضرين
وغائبين لم يبق شبهة في كونه منهياً عنه مع انضمام الأمر بالرجوع إلى فقد الإذن
فإن قلت فإذا عرض أمر في دار من حريق أو هجوم سارق أو ظهور منكر يجب
إنكاره **قلت** ذلك مستثنى بالدليل أي الرجوع أطيب لكم وأطهر لما فيه من سلامة
الصدور والبعد من الريبة أو أنفع وأنمى خيراً ثم أوعد المخاطبين بذلك بأنه عالم بما
يأتون وما يذرون مما خوطبوا به فموف جزاءه عليه استثنى من البيوت التي يجب الاستيذان
على داخلها ما ليس بمسكون منها وذلك نحو الفنادق وهي الخانات والربط وحوانيت
البياعين والمتاع المنفعة كالاستكنان من الحر والبرد وإيواء الرحال والسلع والشراء و
البيع ويروى أن أبا بكر رضي الله عنه قال يا رسول الله إن الله قد أنزل عليك آية في الاستيذان

وإنا نختلف في تجاراتنا فننزل هذه الخانات أفلا ندخلها إلا بإذن وقيل الخربات يتبرز فيها
والمتاع التبرز يعلم ما تبدون وما تكتمون وعيد للذين يدخلون الخربات والدور الخالية
من أهل الريبة من للتبعيض والمراد غض البصر عما يحرم والاقتصار به على ما يحل وجوز الأخفش
أن تكون مزيدة وأباه سيبويه **فإن قلت** كيف دخلت من في غض البصر دون حفظ
الفروج **قلت** دلالة على أن أمر النظر أوسع ألا ترى أن المحارم لا بأس بالنظر إلى شعورهن
وصدورهن وثديهن وأعضادهن وأسوقهن وأقدامهن وكذلك الجواري المستعرضات
والأجنبية ينظر إلى وجهها وكفيها وقدميها في إحدى الروايتين وأما أمر الفرج فمضيق وكفاك
فرقاً أن أبيح النظر إلا ما استثني منه وحظر الجماع إلا ما استثني منه ويجوز أن يراد مع حفظها
عن الإفضاء إلى ما لا يحل حفظها عن الإبداء وعن ابن زيد كل ما في القرآن من حفظ الفرج
فهو عن الزنى إلا هذا فإنه أراد به الاستتار ثم أخبر أنه خبير بأحوالهم وأفعالهم وكيف يجيلون أبصارهم
وكيف يصنعون بسائر حواسهم وجوارحهم فعليهم إذا عرفوا ذلك أن يكونوا منه على
تقوى وحذر في كل حركة وسكون النساء مأمورات أيضاً بغض الأبصار ولا يحل للمرأة أن
تنظر من الأجنبي إلى ما تحت سرته إلى ركبته وإن اشتهت غضت بصرها رأساً ولا تنظر
من المرأة إلا إلى مثل ذلك وغضها بصرها من الأجانب أصلاً أولى بها وأحسن ومنه حديث
ابن أم مكتوم عن أم سلمة قالت كنت عند النبي صلى الله عليه وعنده ميمونة فأقبل
ابن أم مكتوم وذلك بعد أن أمرنا بالحجاب فدخل علينا فقال احتجبا فقلنا يا رسول الله
أليس أعمى لا يبصرنا فقال أفعمياوان أنتما ألستما تبصرانه **فإن قلت** لم قدم غض الأبصار
على حفظ الفروج **قلت** لأن النظر بريد الزنى ورائد الفجور والبلوى فيه أشد و
أكثر ولا يكاد يقدر على الاحتراس منه الزينة ما تزينت به المرأة من حلي أو كحل أو خضاب

فما كان ظاهرا منها كالخاتم والفتخة والكحل والخضاب فلا باس بابدائه للاجانب وما خفي
منها كالسوار والخلخال والدملج والقلادة والاكليل والوشاح والقرط فلا تبديه الا لهولاء
المذكورين وذكر الزينة دون مواقعها للمبالغة في الامر بالتصون والتستر لان هذه الزين
واقعة على مواضع من الجسد لا يحل النظر اليها لغير هولاء وهي الذراع والساق والعضد
والعنق والراس والصدر والاذن فنهى عن ابداء الزين نفسها ليعلم ان النظر اليها غير ملابسة
لها لما حل فلما كان النظر الى المواقع انفسها متمكنا في الحظر ثابت القدم في الحرمة شاهدا
على ان النساء حقهن ان يحتطن في سترها ويتقين الله في الكشف عنها فان قلت ما تقول
في القراميل هل يحل نظر هولاء اليها قلت نعم فان قلت اليس موقعها الظهر
ولا يحل لهم النظر الى ظهرها وبطنها وربما ورد الشعر فوقعت القراميل على ما يحاذي ما تحت السرة
قلت الامر كما قلت ولكن امر القراميل خلاف امر سائر الحلي لانه لا يقع الا فوق اللباس
ويجوز النظر الى الثوب الواقع على الظهر والبطن للاجانب فضلا عن هولاء الا اذا كان
يصف لرقته فلا يحل النظر اليه فلا يحل النظر الى القراميل واقعة عليه فان قلت
ما المراد بموقع الزينة ذلك العضو كله ام المقدار الذي يلابسه الزينة منه قلت
الصحيح انه العضو كله كما فسرت مواقع الزينة الخفية وكذلك مواقع الزينة الظاهرة الوجه
موقع الكحل في عينيه والخضاب بالوسمة في حاجبيه وشاربيه والغمرة في خديه والكف والقدم
موقعا الخاتم والفتخة والخضاب بالحناء فان قلت لم سومح مطلقا في الزينة الظاهرة
قلت لان سترها فيه حرج فان المراة لا تجد بدا من مزاولة الاشياء بيديها ومن
الحاجة الى كشف وجهها خصوصا في الشهادة والمحاكمة والنكاح وتضطر الى المشي في الطرقات
وظهور قدميها وخاصة الفقيرات منهن وهذا معنى قوله الا ما ظهر منها يعني الا ما جرت

اذا لم يحل اليها
لملابستها تلك
المواقع بدليل
ان النظر م

العادة

91

العادة والجبلة على ظهوره والاصل فيه الظهور وانما سومح في الزينة الخفية اولئك المذكورون
لما كانوا مختصين به من الحاجة المضطرة الى مداخلتهم ومخالطتهم ولقلة توقع الفتنة من جهاتهم
ولما في الطباع من النفرة عن مماسة القرائب وتحتاج المراة الى صحبتهم في الاسفار للنزول
والركوب وغير ذلك كانت جيوبهن واسعة تبدو منها نحورهن وصدورهن وما حواليها
وكن يسدلن الخمر من ورائهن فتبقى مكشوفة فامرن بان يسدلنها من قدامهن حتى يغطينها
فلان م ويجوز ان يراد بالجيوب الصدور تسمية بما يليها ومنه قولهم ناصح الجيب وقولك ضربت
بخمارها على جيبها كقولك ضربت بيدي على الحائط اذا وضعتها عليه وعن عائشة
رضي الله عنها ما رايت نساء خيرا من نساء الانصار لما نزلت هذه الاية قامت كل واحدة
كان م منهن الى مرطها المرحل فصدعت منه صدعة فاختمرن فاصبحن على رؤسهن الغربان و
قرئ جيوبهن بكسر الجيم لاجل الياء وكذلك بيوتا غير بيوتكم قيل في نسائهن هن المومنات
لانه ليس للمومنة ان تتجرد بين يدي مشركة او كتابية عن ابن عباس والظاهر انه عنى بنسائهن
وما ملكت ايمانهن من في صحبتهن وخدمتهن من الحرائر والاماء والنساء كلهن سواء في
حل نظر بعضهن الى بعض وقيل ما ملكت ايمانهن هم الذكور والاناث جميعا وعن عائشة
انها اباحت النظر اليها لعبدها وقالت لذكوان انك اذا وضعتني في القبر وخرجت
فانت حر وعن سعيد بن المسيب مثله ثم رجع وقال لا تغرنكم اية النور فان المراد بها الاماء
وهذا هو الصحيح لان عبد المراة بمنزلة الاجنبي منها خصيا كان او فحلا وعن ميسون
بنت بحدل الكلابية ان معاوية دخل عليها ومعه خصي فتقنعت منه فقال هو خصي
فقالت يا معاوية اترى ان المثلة به تحلل ما حرم الله وعند ابي حنيفة رحمهما الله لا يحل امساك
الخصيان واستخدامهم وبيعهم وشراؤهم ولم ينقل عن احد من السلف امساكهم فان قلت

روى انه اهدى لرسول الله خصى فقبله قلت لا نقبل فيها تهمة البلوى الا حديث مكشوف
وان صح فلعله قبله ليعتقه او لسبب من الاسباب الاربة الحاجة قيل هم الذين يتبعونكم ليصيبوا
من فضل طعامكم ولا حاجة لهم الى النساء لانهم بله لا يعرفون شيئا من امرهن او شيوخ صلحاء
اذا كانوا معهن غضوا ابصارهم او بهم عنانة وقرى غير بالنصب على الاستثناء او الحال والجر
على الوصفية وضع الواحد موضع الجمع لانه يفيد الجنس ويبين ما بعده انه يراد به الجمع ونحوه ثم
يخرجكم طفلا لم يظهروا اما من ظهر على الشي اذا اطلع عليه اى لا يعرفون ما العورة ولا يميزون
بينها وبين غيرها واما من ظهر على فلان اذا قوى عليه على القران اخذ واطاقة اى وظهر
لم يبلغوا اوان القدرة على الوطء وقرى عورات وهي لغة هذيل فان قلت لم لم يذكر الله
الاعمام والاخوال قلت سيل الشعبي عن ذلك فقال لئلا يصفها العم عند ابنه و
الخال كذلك ومعناه ان ساير القرابات يشترك الاب والابن في المحرمية الا العم والخال
وابناهما فاذا راها الاب فربما وصفها لابنه وليس بمحرم فيداني تصوره لها بالوصف نظره
اليها وهذا ايضا من الدلالات البليغة على وجوب الاحتياط عليهن في التستر كانت المراة
تضرب الارض برجلها ليتقعقع خلخالها فيعلم انها ذات خلخال وقيل كانت تضرب باحدى
رجليها الاخرى ليعلم انها ذات خلخالين واذا نهين عن اظهار صوت الحلي بعدما نهين عن
اظهار الحلي علم بذلك ان النهي عن اظهار مواضع الحلي ابلغ وابلغ اوامر الله ونواهيه في كل
باب لا يكاد العبد الضعيف يقدر على مراعاتها وان ضبط نفسه واجتهد ولا يخلو من تقصير
يقع منه فلذلك وصى المومنين جميعا بالتوبة والاستغفار وبتاميل الفلاح اذا تابوا واستغفروا
وعن ابن عباس توبوا مما كنتم تفعلونه في الجاهلية لعلكم تسعدون في الدنيا والاخرة فان قلت
قد صحت التوبة بالاسلام والاسلام يجب ما قبله فما معنى هذه التوبة قلت اراد بها

ما تقوله

92

ما يقوله العلماء ان من اذنب ذنبا ثم تاب عنه يلزمه كلما يذكره ان يجدد عنه التوبة لانه يلزمه
ان يستمر على ندمه وعزمه الى ان يلقى ربه وقرى اية المومنون بضم الها ووجهه انها كانت
مفتوحة لوقوعها قبل الالف فلما سقطت الالف لالتقاء الساكنين اتبعت حركتها حركة
ما قبلها الايامى والسامى اصلهما ايايم ويتايم فقلبا والايم للرجل والمراة وقد ام وامت وتايما اذا
لم يتزوجا بكرين كانا او ثيبين قال فان تنكحي انكح وان تتايمي وان كنت افتى منكم اتايم وعن
رسول الله صلى الله عليه اللهم انا نعوذ بك من العيمة والايمة والكزم والقرم والمراد والقعة
انكحوا من تايم منكم من الاحرار والحرائر ومن كان فيه صلاح من غلمانكم وجواركم وقرى من عبيدكم
وهذا الامر للندب لما علم من ان النكاح امر مندوب اليه وقد يكون للوجوب في حق الاولياء
عند طلب المراة ذلك وعند اصحاب الظواهر النكاح واجب ومما يدل على كونه مندوبا
اليه قوله عليه السلام من احب فطرتي فليستن بسنتي وهو النكاح وعنه من كان له ما يتزوج
فلم يتزوج فليس منا وعنه اذا تزوج احدكم عج شيطانه يا ويله عصم ابن ادم مني ثلثي دينه
وعنه يا عياض لا تزوجن عجوزا ولا عاقرا فاني مكاثر والاحاديث فيه عن رسول الله
صلى الله عليه والاثار كثيرة وربما كان واجب الترك اذا ادى الى معصية او مفسدة و
عن النبي صلى الله عليه اذا اتى على امتي مائة وثمانون سنة فقد حلت لهم العزبة والعزلة و
الترهب على رؤوس الجبال وفي الحديث ياتي على الناس زمان لا تنال المعيشة فيه الا بالمعصية
فاذا كان ذلك الزمان حلت العزوبة فان قلت لم خص الصالحين قلت
ليحصن دينهم ويحفظ عليهم صلاحهم ولان الصالحين من الارقاء هم الذين مواليهم يشفقون
عليهم وينزلونهم منزلة الاولاد في الاثرة والمودة وكانوا مظنة للتوصية بشانهم والاهتمام
بهم وتقبل الوصية فيهم واما المفسدون منهم فحالهم عند مواليهم على عكس ذلك واريد بالصلاح

القيام بحقوق النكاح ينبغي أن يكون شريطة الله غير منسية في هذا الموعد ونظائره وهي
مشيئته ولا يشاء الحكيم إلا ما اقتضته الحكمة وما كان مصلحة ونحوه ومن يتق الله يجعل له مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب وقد جاءت الشريطة منصوصة في قوله وإن خفتم عيلة فسوف
يغنيكم الله من فضله إن شاء الله عليم حكيم ومن لم ينس هذه الشريطة لم ينتصب معترضا بعزب
كان غنيا فأفقره النكاح وبفاسق تاب واتقى الله [وكان له شيء ففنى وأصبح مسكينا وعن النبي صلى الله عليه وسلم] التمسوا الرزق بالنكاح وشكا إليه
رجل الحاجة فقال عليك بالباءة وعن عمر رضي الله عنه عجب لمن لا يطلب الغنى بالباءة
ولقد كان عندنا رجل رازح الحال ثم رأيته بعد سنين وقد انتعشت حاله وحسنت فسألته
فقال كنت في أول أمري على ما علمت وذلك قبل أن أرزق ولدا فلما رزقت بكر ولدي تراخيت
عن الفقر فلما ولد لي الثاني زدت خيرا فلما تتاموا ثلاثة صب الله علي الخير صبا فأصبحت إلى
ما ترى والله واسع أي غني ذو سعة لا يرزؤه إغناء الخلائق ولكنه عليم يبسط الرزق لمن يشاء
ويقدر وليستعفف وليجتهد في العفة وظلف النفس كأن المستعفف طالب من نفسه
العفاف وحاملها عليه لا يجدون نكاحا أي استطاعة تزوج ويجوز أن يراد بالنكاح ما ينكح
به من المال حتى يغنيهم الله ترجية للمستعففين وتقدمة وعد بالتفضل عليهم بالغنى ليكون
انتظار ذلك وتأميله لطفا لهم في استعفافهم وربطا على قلوبهم وليظهر بذلك أن فضله
أولى بالأعفاء وأدنى من الصلحاء وما أحسن ما رتب هذه الأوامر حيث أمر أولا بما يعصم من
الفتنة ويبعد من مواقعة المعصية وهو غض البصر ثم بالنكاح الذي يحصن به الدين ويقع به
الاستغناء بالحلال عن الحرام ثم بالحمل على النفس الأمارة بالسوء وعزفها عن الطموح إلى الشهوة
عند العجز عن النكاح إلى أن يرزق القدرة عليه والذين يبتغون مرفوع على الابتداء أو منصوب
بفعل مضمر يفسره فكاتبوهم كقولك زيدا فاضربه ودخلت الفاء لتضمن معنى الشرط والكتاب

والمكاتبة

٩٣

والمكاتبة كالعتاب والمعاتبة وهو أن يقول الرجل لمملوكه كاتبتك على ألف درهم
فإن أداها عتق ومعناه كتبت لك على نفسي أن تعتق مني إذا وفيت بالمال وكتبت لي
على نفسك أن تفي بذلك أو كتبت عليك الوفاء بالمال وكتبت علي العتق ويجوز عند أبي حنيفة
رحمه الله حالا ومؤجلا ومنجما وغير منجم لأن الله عز وجل لم يذكر التنجيم وقياسا على سائر العقود
وعند الشافعي رحمه الله لا يجوز إلا مؤجلا منجما ولا يجوز عنده بنجم واحد لأن العبد لا يملك
شيئا فعقده حالا منع من حصول الغرض لأنه لا يقدر على أداء البدل عاجلا ويجوز عقده
على مال قليل وكثير وعلى خدمة في مدة معلومة وعلى عمل معلوم مؤقت مثل حفر بئر في مكان
بعينه معلومة الطول والعرض وبناء دار قد أراه آجرها وجصها وما يبنى به وإن كاتبه على
قيمته لم يجز فإن أداها عتق وإن كاتبه على وصيف جاز لقلة الجهالة ووجب الوسط وليس له
أن يطأ المكاتبة وإذا أدى عتق وكان ولاؤه لمولاه لأنه جاد عليه بالكسب الذي هو في
الأصل له وهذا الأمر للندب عند عامة العلماء وعن الحسن ليس ذلك بعزم إن شاء كاتب
وإن شاء لم يكاتب وعن عمر رضي الله عنه هي عزمة من عزمات الله وعن ابن سيرين مثله
وهو مذهب داود خيرا قدرة على أداء ما يفارقون عليه وقيل أمانة وتكسبا وعن سلمان
أن مملوكا له ابتغى أن يكاتبه فقال أعندك مال قال لا قال أفتأمرني أن آكل غسالة أيدي
الناس وآتوهم أمر للمسلمين على وجه الوجوب بإعانة المكاتبين وإعطائهم سهمهم الذي
جعل الله لهم من بيت المال كقوله وفي الرقاب عند أبي حنيفة وأصحابه رحمهم الله [كذلك]
فإن قلت هل يحل للمولى إذا كان غنيا أن يأخذ ما تصدق به عليه **قلت**
نعم وكذلك إذا لم تف الصدقة بجميع البدل وعجز عن أداء الباقي طاب للمولى ما أخذ لأنه
لم يأخذه بسبب الصدقة ولكن بسبب عقد المكاتبة كمن اشترى الصدقة من الفقير أو ورثها

او وهبت له ومنه قوله عليه السلام في حديث بريرة هو لها صدقة ولنا هدية وعند
الشافعي رحمه الله هو للايجاب على الموالي ان يحطوا لهم من مال الكتابة وان لم يفعلوا اجبروا
وعن علي رضي الله عنه يحط له الربع وعن ابن عباس يرضخ له من كتابته شيئا وعن عمر
انه كاتب عبدا له يكنى ابا امية وهو اول عبد كوتب في الاسلام فاتاه باول نجم فدفعه
اليه عمر وقال استعن به على مكاتبتك فقال لو اخرته الى آخر نجم فقال اخاف ان لا ادرك ذلك
وهذا عند ابي حنيفة رحمه الله على وجه الندب وقال انه عقد معاوضة فلا يجبر على الحطيطة
كالبيع وقيل معنى وآتوهم اسلفوهم وقيل انفقوا عليهم بعد ان يؤدوا ويعتقوا وهذا كله مستحب
وروى ان حويطب بن عبد العزى مملوك يقال له الصبيح سأل مولاه ان يكاتبه فابى فنزلت كان م
كانت اماء اهل الجاهلية يساعين على مواليهن وكان لعبد الله بن ابي رأس النفاق ست جوار
معاذة ومسيكة واميمة وعمرة واروى وقتيلة يكرههن على البغاء وضرب عليهن ضرائب
فشكت ثنتان منهن الى رسول الله فنزلت ويكنى بالفتى والفتاة عن العبد والامة وفي الحديث
ليقل احدكم فتاي وفتاتي ولا يقل عبدي وامتي والبغاء مصدر البغي **فان قلت** لم اقحم
قوله ان اردن تحصنا **قلت** لان الاكراه لا يتأتى الا مع ارادة التحصن وآمر الطيعة
المواتية للبغاء لا يسمى مكرها ولا امره اكراها وكلمة ان وايثارها على اذا ايذان بان المساعيات
كن يفعلن ذلك برغبة وطواعية منهن وان ما وجد من معاذة ومسيكة من حيز الشاذ
النادر غفور رحيم لهم او لهن او لهم ولهن غفور رحيم **فان قلت** لا حاجة الى تعليق المغفرة
بهن لان المكرهة على الزنى بخلاف المكره عليه في انها غير آثمة **قلت** لعل الاكراه
كان دون ما اعتبرته الشريعة من اكراه بقتل او بما يخاف منه التلف او ذهاب العضو
من ضرب عنيف او غيره حتى تسلم من الاثم وربما قصرت عن الحد الذي تعذر فيه فتكون آثمة

ان تابوا واصلحوا وفي قراءة ابن عباس لهن

مبينات

مبينات هي الآيات التي بينت في هذه السورة واوضحت في معاني الاحكام والحدود ويجوز
ان يكون الاصل مبينا فيها فاتسع في الظرف وقرئ بالكسر اي بينت هي الاحكام والحدود
جعل الفعل لها على المجاز او من بين بمعنى تبين ومنه المثل قد بين الصبح لذي عينين ومثلا
من امثال من قبلكم اي قصة عجيبة من قصصهم كقصة يوسف ومريم يعني قصة عائشة رضي الله عنها
وموعظة ما وعظ به في الآيات والمثل من نحو قوله ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله لولا اذ
سمعتموه ولولا اذ سمعتموه يعظكم الله ان تعودوا لمثله ابدا نظير قوله الله نور السموات مع قوله
مثل نوره ويهدي الله لنوره قولك زيد كرم وجود ثم تقول ينعش الناس بكرمه وجوده والمعنى
ذو نور السموات وصاحب نور السموات ونور السموات والارض الحق شبهه بالنور في ظهوره
وبيانه كقوله الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات الى النور اي من الباطل الى الحق واضاف
النور الى السموات والارض لاحد معنيين اما للدلالة على سعة اشراقه وفشو اضاءته حتى تضيء له
السموات والارض واما ان يراد اهل السموات والارض وانهم يستضيئون به مثل نوره اي صفة
نوره العجيبة الشان في الاضاءة كمشكاة كصفة مشكاة وهي الكوة في الجدار غير النافذة فيها
مصباح سراج ضخم ثاقب في زجاجة اراد قنديلا من زجاج شامي ازهر شبهه في زهرته باحد
الدراري من الكواكب وهي المشاهير كالمشتري والزهرة والمريخ وسهيل ونحوها توقد هذا
المصباح من شجرة اي ابتداء ثقوبه من شجرة الزيتون يعني رويت ذبالته بزيتها مباركة كثيرة
المنافع او لانها تنبت في الارض التي بارك فيها للعالمين وقيل بارك فيها سبعون نبيا منهم
ابراهيم وعن النبي صلى الله عليه وسلم عليكم بهذه الشجرة زيت الزيتون فتداووا به فانه مصحة
من الباسور لا شرقية ولا غربية اي منبتها الشام واجود الزيتون زيتون الشام وقيل لا في
مضحى ولا مقنأة ولكن الشمس والظل يتعاقبان عليها وذلك اجود لحملها واصفى لدهنها

قال رسول الله صلى الله عليه لا خير في شجر في مقناة ولا نبات في مقناة ولا خير فيهما
في مضحى وقيل ليست مما تطلع عليه الشمس في وقت شروقها او غروبها فقط بل تصيبها بالغداة
والعشي جميعا فهي شرقية غربية ثم وصف الزيت بالصفاء والوبيص وانه لتلألؤه يكاد
يضي من غير نار نور على نور اي هذا الذي شبهت به الحق نور متضاعف قد تناصر
فيه المشكاة والزجاجة والمصباح والزيت حتى لم يبق مما يقوي النور ويزيده اشراقا
ويمده باضاءة بقية وذلك ان المصباح اذا كان في مكان متضايق كالمشكاة كان
اضوأ له واجمع لنوره بخلاف المكان الواسع فان الضوء ينبث فيه وينتشر والقنديل اعون
شي على زيادة الانارة وكذلك الزيت وصفاؤه يهدي الله لهذا النور الثاقب من يشاء
من عباده اي يوفق لاصابة الحق من نظر وتدبر بعين عقله والانصاف من نفسه ولم يذهب
عن الجادة الموصلة اليه يمينا وشمالا ومن لم يتدبر فهو كالاعمى الذي سواء عليه جنح الليل
الدامس وضحوة النهار الشامس وعن علي رضي الله عنه الله نور السموات والارض اي نشر
فيها الحق وبثه فاضاءت بنوره او نور قلوب اهلها به وعن ابي بن كعب مثل نور من آمن به
وقرئ زجاجة الزجاجة بالفتح والكسر ودري منسوب الى الدر اي ابيض متلألئ ودري بوزن
سكيت يدرأ الظلام بضوئه ودرئ كمريق ودري كالسكينة عن ابي زيد وتوقد بمعنى تتوقد
والفعل للزجاجة ويوقد وتوقد للتخفيف ويوقد بالتشديد ويوقد بفتح الياء وحذف التاء
لاجتماع حرفين زائدين وهو غريب ويسبح بالياء لان الثاني ليس بحقيقي والضمير فاصل
في بيوت يتعلق بما قبله اي كمشكاة في بعض بيوت الله وهي المساجد كانه قيل مثل نوره كما
يرى في المسجد نور المشكاة التي من صفتها كيت وكيت او بما بعده وهو يسبح اي يسبح له
رجال في بيوت وفيها تكرير كقولك زيد في الدار جالس فيها او بمحذوف كقوله في تسع آيات

في

اي سبحوا في بيوت والمراد بالاذن الامر ورفعها بناؤها كقوله بناها رفع سمكها فسواها واذ يرفع
ابراهيم القواعد وعن ابن عباس هي المساجد امر الله ان تبنى او تعظيمها والرفع من قدرها وعن الحسن
ما امر الله ان ترفع بالبناء ولكن بالتعظيم ويذكر فيها اسمه اوفق له وهو عام في كل ذكر وعن
ابن عباس وان يتلى فيها كتابه وقرئ يسبح على البناء للمفعول ويسند الى احد الظروف الثلاثة
اعني له فيها بالغدو ورجال مرفوع بما دل عليه يسبح وهو يسبح له وتسبح بالتاء وكسر الباء
وعن ابي جعفر بالتاء وفتح الباء ووجهها ان يسند الى اوقات الغدو والآصال على زيادة الباء
ويجعل الاوقات مسبحة والمراد ربهما كصيد عليه يومان والمراد وحشهما والآصال جمع اصل وهو
العشي والمعنى باوقات الغدو اي بالغدوات وقرئ والايصال وهو الدخول في الاصيل يقال
اصل كاظهر واعتم التجارة صناعة التاجر وهو الذي يبيع ويشتري للربح فاما ان يريد لا تشغلهم
نوع من هذه الصناعة ثم خص البيع لانه في الالهاء ادخل من قبل ان التاجر اذا اتجهت له بيعة
رابحة وهي طلبته الكلية من صناعته الهته ما لا يلهيه شراء شي يتوقع فيه الربح في الوقت الثاني
لان هذا يقين وذاك مظنون واما ان يسمي الشراء تجارة اطلاقا لاسم الجنس على النوع كما تقول
رزق فلان تجارة رابحة اذا اتجه له بيع صالح او شرى وقيل التجار لاهل الجلب تجر فلان
في كذا اذا جلبه التاء في اقامة عوض فاسقطت وحوه واخلفوك عد الامر الذي
وعدوا تتقلب القلوب والابصار اما ان تتقلب وتتغير في انفسها وهو ان تضطرب من
الهول والفزع وتشخص كقوله اذ زاغت الابصار وبلغت القلوب الحناجر واما ان تتقلب
احوالها وتتغير فتفقه القلوب بعد ان كانت عميا لا تبصر احسن ما عملوا اي احسن جزاء
اعمالهم كقوله للذين احسنوا الحسنى والمعنى يسبحون ويخافون ليجزيهم ثوابهم مضاعفا
ويزيدهم على الثواب تفضلا وكذلك معنى قوله الحسنى وزيادة المثوبة الحسنى وزيادة

من العين الساقطة للاعلال والاصل اقوام فلما اضيفت اقيمت الاضافة مقام حرف العوض م

مطبوعا عليها لا تفقه وتبصر الابصار بعد ان كانت م

عليها من التفضل وعطاء الله عز وجل اما تفضل واما ثواب واما عوض والله يرزق ما يتفضل
به بغير حساب فاما الثواب فله حساب لكونه على حسب الاستحقاق السراب ما يرى
ما يرى في الفلاة من ضوء الشمس وقت الظهيرة يسرب على وجه الارض كانه ماء يجري
والقيعة بمعنى القاع او جمع قاع وهو المنبسط المستوى من الارض كجيرة في جار وقرئ
بقيعات بتاء ممطوطة كديمات وقيمات في ديمة وقيمة وقد جعل بعضهم بقيعاة بتاء مدورة
كرجل عزهاة شبه ما يعمله من لا يعتقد الايمان ولا يتبع الحق من الاعمال الصالحة التي يحسبها
تنفعه عند الله وتنجيه من عذابه ثم تخيب في العاقبة امله ويلقى خلاف ما قدر بسراب يراه
الكافر بالساهرة وقد غلبه عطش يوم القيمة فيحسبه ماء فياتيه فلا يجد ما رجاه ويجد زبانية الله
عنده ياخذونه فيعتلونه الى جهنم فيسقونه الحميم والغساق وهم الذين قال الله فيهم
عاملة ناصبة وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء
منثورا وقيل نزلت في عتبة بن ربيعة بن امية وقد كان تعبد ولبس المسوح والتمس الدين في
الجاهلية ثم كفر في الاسلام اللجي العميق الكثير الماء منسوب الى اللج وهو معظم ماء البحر
في اخرج ضمير الواقع فيه لم يكد يراها مبالغة في لم يرها اي لم يقرب ان يراها فضلا عن ان يراها
ومثله قول ذي الرمة اذا غير النأي المحبين لم يكد رسيس الهوى من حب مية يبرح اي لم
يقرب من البراح فما باله يبرح شبه اعمالهم اولا في فوات نفعها وحضور ضررها بسراب لم يجده
من خدعه من بعيد شيئا ولم يكفه خيبة وكمدا ان لم يجد شيئا كغيره من السراب حتى
وجد عنده الزبانية تعتله الى النار ولا تقتل ظماه بالماء وشبهها ثانيا في ظلمتها وسوادها
لكونها باطلة وفي خلوها عن نور الحق بظلمات متراكمة من لج البحر والامواج والسحاب ثم قال
ومن لم يوله نور توفيقه وعصمته ولطفه فهو في ظلمة الباطل لا نور له وهذا الكلام مجراه مجرى

الكتابات

الكنايات لان الالطاف انما تردف الايمان والعمل او كونهما مترقبين الا ترى الى
قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقوله ويضل الله الظالمين وقرئ سحاب ظلمات
على الاضافة وسحاب ظلمات برفع سحاب وتنوينه وجر ظلمات بدلا من ظلمات الاولى صافات
يصففن اجنحتهن في الهواء والضمير في علم لكل او لله وكذلك في صلوته وتسبيحه والصلوة
الدعاء ولا يبعد ان يلهم الله الطير دعاءه وتسبيحه كما الهمها سائر العلوم الدقيقة التي لا يكاد
العقلاء يهتدون اليها يزجي يسوق ومنه البضاعة المزجاة التي يزجيها كل احد لا يرضاها
السحاب يكون واحدا كالعماء وجمعا كالرباب ومعنى تاليف الواحد انه يكون قزعا فيضم
بعضه الى بعض وجاز بينه وهو واحد لان المعنى بين اجزائه كما قيل في قوله بين الدخول فحومل
والركام المتراكم بعضه فوق بعض والودق المطر من خلاله من فتوقه ومخارجه جمع خلل
كجبال في جبل وقرئ من خلله وينزل بالتشديد ويكاد سنا على الادغام وبرقه جمع برقة وهي
المقدار من البرق كالغرفة واللقمة وبرقه بضمتين للاتباع كما قيل في جمع فعلة فعلات كظلمات
وسنا برقه على المد المقصور بمعنى الضوء والممدود بمعنى العلو والارتفاع من قولك سني للمرتفع
ويذهب بالابصار على زيادة الباء كقوله ولا تلقوا بايديكم عن ابي جعفر المدني وهذا من تعديد [illegible]
وهذا من تعديد الدلائل على ربوبيته وظهور امره حيث ذكر تسبيح من في السموات والارض
وكل ما يطير بين السماء والارض ودعاءهم له وابتهالهم اليه وانه سخر السحاب التسخير الذي وصفه
وما يحدث فيه من افعاله حتى ينزل المطر منه وانه يقسم رحمته بين خلقه ويقبضها ويبسطها
على ما تقتضيه حكمته ويريهم البرق في السحاب الذي يكاد يخطف ابصارهم ليعتبروا ويحذروا
ويعاقب بين الليل والنهار ويخالف بينهما بالطول والقصر وما هذه الا براهين في غاية الوضوح
على وجوده وثباته ودلائل منادية على صفاته لمن نظر وفكر وبصر وتدبر فان قلت

متى رأى رسول الله يسبح من في السموات ودعاءهم وتسبيح الطير ودعاءه وينزل
المطر من جبال برد في السماء حتى قيل له ألم تر قلت على جهة اخبار الله اياه بذلك على
طريق الوحي فان قلت ما الفرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من السماء من
جبال فيها من برد قلت الاولى لابتداء الغاية والثانية للتبعيض والثالثة للبيان
او الاوليان للابتداء والاخرة للتبعيض ومعناه انه ينزل البرد من السماء من جبال فيها وعلى
الاول مفعول ينزل من جبال فان قلت ما معنى من جبال فيها من برد قلت فيه
معنيان احدهما ان يخلق الله في السماء جبال برد كما خلق في الارض جبال حجر والثاني ان يريد
الكثرة بذكر الجبال كما يقال فلان يملك جبالا من ذهب وقرئ خالق كل دابة ولما كان اسم
الدابة موقعا على المميز وغير المميز غلب المميز فاعطي ما وراءه حكمه كان الدواب كلهم مميزون
فمن ثم قيل فمنهم وقيل من يمشي في الماشي على بطن والماشي على اربع قوائم فان قلت لم نكر
الماء في قوله من ماء قلت لان المعنى انه خلق كل دابة من نوع من الماء مختص بتلك
الدابة او خلقها من ماء مخصوص وهو النطفة ثم خالف بين المخلوقات من النطفة فمنها هوام
ومنها بهائم ومنها ناس ونحوه قوله تسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل فان قلت
فما باله معرفا في قوله وجعلنا من الماء كل شيء حي قلت قصد ثم معنى اخر وهو ان
اجناس الحيوان كلها مخلوقة من هذا الجنس الذي هو جنس الماء وذلك انه هو الاصل
وان تخللت بينه وبينها وسائط قالوا خلق الملائكة من ريح خلقها من الماء والجن من نار
خلقها منه وآدم من تراب خلقه منه فان قلت لم جاءت الاجناس الثلاثة على
هذا الترتيب قلت قدم ما هو اعرق في القدرة وهو الماشي بغير آلة مشي من ارجل او
قوائم ثم الماشي على رجلين ثم الماشي على اربع فان قلت لم سمي الزحف على البطن

مشيا

97

مشيا قلت على سبيل الاستعارة كما قالوا في الامر المستمر قد مشى هذا الامر ويقال فلان
لا يتمشى له امر ونحوه استعارة الشفة مكان الجحفلة والمشفر مكان الشفة ونحو ذلك او على
طريق المشاكلة لذكر الزاحف مع الماشين وما اولئك بالمؤمنين اشارة الى القائلين آمنا
واطعنا او الى الفريق المتولي منهم فمعناه على الاول اعلام من الله بان جميعهم منتف عنهم
الايمان لا الفريق المتولي منهم وحده وعلى الثاني اعلام بان الفريق المتولي لم يكن ما سبق لهم
من الايمان ايمانا انما كان ادعاء باللسان من غير مواطأة القلب لانه لو كان صادرا عن
صحة معتقد وطمأنينة نفس لم يتعقبه التولي والاعراض والتعريف في قوله بالمؤمنين دلالة
على انهم ليسوا بالمؤمنين الذين عرفت وهم الثابتون المستقيمون على الايمان الموصوفون
في قوله انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا معنى الى الله ورسوله الى رسول الله
كقولك اعجبني زيد وكرمه تريد كرم زيد ومنه قوله غلسته قبل القطا وفرطه اراد قبل فرط القطا
روي انها نزلت في بشر المنافق وخصمه اليهودي حين اختصما في ارض فجعل اليهودي يجره الى
رسول الله والمنافق يجره الى كعب بن الاشرف ويقول ان محمدا يحيف علينا وروي
ان المغيرة بن وائل كان بينه وبين علي بن ابي طالب رضي الله عنه خصومة في ماء وارض فقال
المغيرة اما محمد فلست آتيه ولا احاكم اليه فانه يبغضني وانا اخاف ان يحيف علي اليه صلة
يأتوا لان اتى وجاء قد جاءا معديين بالى او يتصل بمذعنين لانه في معنى مسرعين في الطاعة
وهذا احسن لتقدم صلته ودلالته على الاختصاص والمعنى انهم لمعرفتهم انه ليس معك الا
الحق المر والعدل البحت يزورون عن المحاكمة اليك اذا ركبهم الحق لئلا تنتزعه من احداقهم
بقضائك عليهم لخصومهم وان ثبت لهم حق على خصم اسرعوا اليك ولم يرضوا الا بحكومتك
لتأخذ لهم في ذمة الخصم ثم قسم الامر في صدودهم عن حكومته اذا كان الحق عليهم بين ان

ما ذاب لهم

يكونوا أمرضى القلوب منافقين او مرتابين في امر نبوته او خائفين الحيف في قضائه ثم ابطل
خوفهم حيفه بل اولئك هم الظالمون اى لا يخافون ان يحيف عليهم لمعرفتهم بحاله وانما هم بقوله
الظالمون يريدون ان يظلموا من له الحق عليهم ويتم لهم جحوده وذلك شي لا يستطيعونه في
مجلس رسول الله فمن ثم يأبون المحاكمة اليه وعن الحسن قول المؤمنين بالرفع والنصب اقوى
لان أولى الاسمين بكونه اسما لكان أوغلهما في التعريف وان يقولوا اوغل لانه لا سبيل عليه
للتنكير بخلاف قول المؤمنين وكان هذا من قبيل كان في قوله ما كان الله ان يتخذ من
ولد ما يكون لنا ان نتكلم بهذا وقرى ليحكم على البنا للمفعول **فان قلت** الام اسند يحكم
ولا بد له من فاعل **قلت** هو مسند الى مصدره لان معناه ليفعل الحكم بينهم ومثله
جمع بينهما والف بينهما ومثله لقد تقطع بينكم فيمن قراه بينكم منصوبا اى وقع التقطع وهذه القراءة
مجاوبة لقوله دعوا وقرى ويتقه بكسر القاف والهاء مع الوصل وبغير وصل وبسكون الهاء
وبسكون القاف وكسر الهاء شبه تقه بكتف فخفف كقوله قالت سليمى اشتر لنا سويقا
ولقد جمع الله سبحانه في هذه الاية اسباب الفوز وعن ابن عباس رضي الله عنه في تفسيرها
ومن يطع الله في فرائضه ورسوله في سننه ويخش الله على ما مضى من ذنوبه ويتقه فيما يستقبل
وعن بعض الملوك انه سأل عن آية كافية فتليت له هذه الاية جهد يمينه مستعار من جهد نفسه
اذا بلغ اقصى وسعها وذلك اذا بالغ في اليمين وبلغ غاية شدتها ووكادتها وعن ابن عباس رضي الله عنه
من قال بالله فقد جهد يمينه واصل اقسم جهد اليمين اقسم يجهد اليمين جهدا فحذف الفعل
وقدم المصدر فوضع موضعه مضافا الى المفعول كقوله فضرب الرقاب وحكم هذا المنصوب
حكم الحال كانه قال جاهدين ايمانهم وطاعة معروفة خبر مبتدأ محذوف او مبتدأ محذوف
الخبر اى امركم والذي يطلب منكم طاعة معروفة معلومة لا يشك فيها ولا يرتاب كطاعة

المخلص

٩٨

الخلص من المؤمنين الذين طابق باطن امرهم ظاهره لا ايمان تقسمون بها بافواهكم وقلوبكم
على خلافها او طاعتكم طاعة معروفة بانها بالقول دون الفعل او طاعة معروفة امثل
واولى بكم من هذه الايمان الكاذبة وقرأ اليزيدي طاعة ان الله خبير يعلم ما في ضمائركم — معروفة بالنصب على معنى أطيعوا طاعة
ولا يخفى عليه شي من سرائركم وانه فاضحكم لا محالة ومجازيكم على نفاقكم صرف الكلام
ملوحا عن الغيبة الى الخطاب على طريقة الالتفات وهو ابلغ في تبكيتهم يريد فان تتولوا فما ضر
وانما ضررتم انفسكم فان الرسول ليس عليه الا ما حمله الله وكلفه من اداء الرسالة فاذا ادى
فقد خرج عن عهدة تكليفه واما انتم فعليكم ما كلفتم من التلقي بالقبول والاذعان فان لم — عن ع
تفعلوا وتوليتم فقد عرضتم نفوسكم لسخط الله وعذابه وان اطعتموه فقد احرزتم نصيبكم
من الخروج عن الضلالة الى الهدى فالنفع والضر عائدان اليكم وما الرسول الا ناصح وهاد
وما عليه الا ان يبلغ ما له نفع في قبولكم ولا عليه ضرر في توليكم والبلاغ بمعنى التبليغ كالاداء
بمعنى التأدية ومعنى المبين كونه مقرونا بالايات والمعجزات الخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ولمن معه ومنكم للبيان كالتي في اخر سورة الفتح وعدهم الله ان ينصر الاسلام على
الكفر ويورثهم الارض ويجعلهم فيها خلفاء كما فعل ببني اسرائيل حين اورثهم مصر والشام بعد اهلاك
الجبابرة وان يمكن الدين المرتضى وهو دين الاسلام وتمكينه تثبيته وتوطيده وان يؤمن
سربهم ويزيل عنهم الخوف الذي كانوا عليه وذلك ان رسول الله واصحابه مكثوا
بمكة عشر سنين خائفين ولما هاجروا كانوا بالمدينة يصبحون بالسلاح ويمسون فيه حتى
قال رجل ما يأتي علينا يوم نأمن فيه ونضع السلاح فقال عليه السلام لا تغبرون الا يسيرا
حتى يجلس الرجل منكم في الملا العظيم محتبيا ليس فيه حديدة فانجز الله وعده واظهرهم
على جزيرة العرب وافتتحوا بعد بلاد المشرق والمغرب ومزقوا ملك الاكاسرة وملكوا خزائنهم

واستولوا على الدنيا ثم خرج الذين على خلاف سيرتهم فكفروا تلك الانعم وفسقوا وذلك
قوله عليه السلام الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تملك الله من يشاء فتصير ملكا ثم تصير بزيزى
ثم تصير قطع سبيل وسفك دما واخذ اموال بغير حقها وقرى كما استخلف على البنا للمفعول
وليبدلنهم بالتشديد **قال قلت** اين القسم المتلقى باللام والنون في ليستخلفنهم **قلت**
هو محذوف تقديره وعدهم الله واقسم ليستخلفنهم او نزل وعد الله في تحققه منزلة القسم
فتلقى بما يتلقى به القسم كانه اقسم الله لنستخلفنهم **قال قلت** ما محل يعبدونني
قلت ان جعلته استئنافا لم يكن له محل كان قائلا قال ما لهم يستخلفون ويؤمنون فقال
يعبدونني وان جعلته حالا عن وعدهم الله ذلك في حال عبادتهم واخلاصهم فمحله النصب
ومن كفر يريد كفران النعم لقوله فكفرت بانعم الله فاولئك هم الفاسقون اى هم الكاملون في فسقهم
حيث كفروا تلك النعمة العظيمة وجسروا على غمطها **قال قلت** هل في هذه الاية دليل
على امر الخلفاء الراشدين **قلت** اوضح دليل وابينه لان المستخلفين الذين آمنوا وعملوا
هم هم واقيموا الصلوة معطوف على اطيعوا الله واطيعوا الرسول وليس ببعيد ان يقع بين
المعطوف والمعطوف عليه فاصل وان طال لان حق المعطوف ان يكون غير المعطوف عليه
وكررت طاعة الرسول تاكيدا لوجوبها وقرى لا يحسبن بالياء وفيه اوجه ان يكون معجزين
في الارض هما المفعولان والمعنى لا يحسبن الذين كفروا احدا يعجز الله في الارض حتى يطمع
هم في مثل ذلك وهذا معنى قوي جيد وان يكون فيه ضمير الرسول لتقدم ذكره في قوله و
اطيعوا الرسول وان يكون الاصل لا يحسبنهم الذين كفروا معجزين ثم حذف الضمير الذي هو
المفعول الاول وكان الذي سوغ ذلك ان الفاعل والمفعولين لما كانت كشيء واحد اقتنع
بذكر اثنين عن ذكر الثالث وعطف قوله ومأواهم النار على لا يحسبن الذين كفروا معجزين

كانه

اى وعدهم الله

الصلحا

٩٩

كانه قيل الذين كفروا لا يفوتون الله ومأواهم النار والمراد بهم المقسمون جهد ايمانهم امر بان
يستاذن العبيد وقيل العبيد والاماء والاطفال الذين لم يحتلموا من الاحرار ثلاث مرات
في اليوم والليلة قبل صلوة الفجر لانه وقت القيام من المضاجع وطرح ما ينام فيه من الثياب
ولبس ثياب اليقظة وبالظهيرة لانها وقت وضع الثياب للقايلة وبعد صلوة العشاء لانها
وقت التجرد من ثياب اليقظة والالتحاف بثياب النوم وسمى كل واحد من هذه الاحوال
عورة لان الناس يختل تسترهم وتحفظهم فيها والعورة الخلل ومنها اعور الفارس واعور
المكان والاعور المختل العين ثم عذرهم في ترك الاستيذان وراء هذه المرات وبين وجه العذر
في قوله طوافون عليكم يعني ان بكم وبهم حاجة الى المخالطة والمداخلة يطوفون عليكم للخدمة
وتطوفون عليهم للاستخدام فلو جزم الامر بالاستيذان في كل وقت لادى الى الحرج روى
ان مدلج بن عمرو وكان غلاما انصاريا ارسله رسول الله وقت الظهر الى عمر رضي الله عنه
ليدعوه فدخل عليه وهو نائم وقد انكشف عنه ثوبه فقال عمر لوددت ان الله عز وجل نهى
اباءنا وابناءنا وخدمنا ان لا يدخلوا علينا هذه الساعات الا باذن ثم انطلق معه الى النبي
عليه السلام فوجده وقد انزلت عليه هذه الاية وهي احدى الايات المنزلة بسبب عمر وقيل
نزلت في اسماء بنت ابي مرثد قالت انا لندخل على الرجل والمراة ولعلهما يكونان في لحاف
واحد وقيل دخل عليها غلام لها كبير في وقت كرهت دخوله فاتت رسول الله فقالت ان
خدمنا وغلماننا يدخلون علينا في حال نكرهها وعن ابي عمرو والحلم بالسكون وقرى ثلاث عورات
بالنصب بدلا عن ثلاث مرات اى اوقات ثلاث عورات وعن الاعمش عورات على لغة
هذيل **قال قلت** ما محل ليس عليكم **قلت** اذا رفعت ثلاث عورات كان
ذلك في محل الرفع على الوصف والمعنى هن ثلاث عورات مخصوصة بالاستيذان واذا نصبت

لم يكن له محل وكان كلاما مقررا للامر بالاستيذان في تلك الاحوال خاصة فان قلت
ثم ارتفع بعضكم قلت بالابتداء وخبره على بعض على معنى طائف على بعض وحذف
لان طوافون يدل عليه ويجوز ان يرتفع بطوف مضمرا لتلك الدلالة الاطفال منكم اي من الاحرار
دون المماليك الذين من قبلهم يريد الذين بلغوا الحلم من قبلهم وهم الرجال او الذين ذكروا من
قبلهم في قوله يا ايها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستانسوا الاية والمعنى ان الاطفال
مأذون لهم في الدخول بغير اذن الا في العورات الثلاث فاذا اعتاد الاطفال ذلك ثم خرجوا
من حد الطفولة بان يحتلموا او يبلغوا السن التي يحكم فيها عليهم بالبلوغ وجب ان يفطموا عن
تلك العادة ويحملوا على ان يستأذنوا في جميع الاوقات كما الرجال الكبار الذين لم يعتادوا الدخول
عليكم الا باذن وهذا مما الناس منه في غفلة وهو عندهم كالشريعة المنسوخة وعن ابن عباس
آية لا يؤمن بها اكثر الناس آية الاذن واني لآمر جاريتي ان تستأذن علي وسأله عطاء
استأذن على اختي قال نعم وان كانت في حجرك تمونها وتلا عليه هذه الاية وعنه ثلاث
آيات جحدهن الناس الاذن كله وقوله ان اكرمكم عند الله اتقاكم فقال ناس اعظمكم بيتا
وقوله واذا حضر القسمة وعن ابن مسعود عليكم ان تستأذنوا على آبائكم وامهاتكم واخواتكم وعن الشعبي
ليست منسوخة فقيل له ان الناس لا يعملون بها فقال الله المستعان وعن سعيد بن جبير يقولون
هي منسوخة ولا والله ما هي منسوخة ولكن الناس تهاونوا بها فان قلت ما السن التي
يحكم فيها بالبلوغ قلت قال ابو حنيفة رحمه الله ثماني عشرة سنة في الغلام وسبع عشرة
في الجارية وعامة العلماء على خمس عشرة فيهما وعن علي رضي الله عنه انه كان يعتبر القامة
ويقدره بخمسة اشبار وبه اخذ الفرزدق في قوله ما زال مذ عقدت يداه ازاره وسما فادرك
خمسة الاشبار واعتبر غيره الانبات وعن عثمان رضي الله عنه انه سال عن غلام فقال

هل اخضر ازاره القواعد التي قعدن عن الحيض والولد لكبرها لا يرجون نكاحا لا يطمعن
فيه والمراد بالثياب الثياب الظاهرة كالملحفة والجلباب الذي فوق الخمار غير متبرجات
بزينة غير مظهرات زينة يريد الزينة الخفية التي ارادها في قوله ولا يبدين زينتهن الا لبعولتهن
او غير قاصدات بالوضع التبرج ولكن التخفف اذا احتجن اليه وان يستعففن من الوضع
خير لهن لما ذكر الجائز عقبه بالمستحب بعثا منه على اختيار افضل الاعمال واحسنها كقوله
وان تعفوا اقرب للتقوى وان تصدقوا خير لكم فان قلت ما حقيقة التبرج قلت
تكلف اظهار ما يجب اخفاؤه من قولهم سفينة بارج لا غطاء عليها والبرج سعة العين
يرى بياضها محيطا بسوادها كله لا يغيب منه شيء الا انه اختص بان تتكشف المرأة
للرجال بابداء زينتها واظهار محاسنها وبرز بمعنى ظهر من اخوات تبرج وتبلج كذلك
كان المؤمنون يذهبون بالضعفاء وذوي العاهات الى بيوت ازواجهم واولادهم
والى بيوت قراباتهم واصدقائهم فيطعمونهم منها فخالج قلوب المطعمين والمطعمين
ريبة في ذلك وخافوا ان يلحقهم فيه حرج وكرهوا ان يكون اكلا بغير حق لقوله تعالى
ولا تأكلوا اموالكم بينكم بالباطل فقيل لهم ليس على الضعفاء ولا على انفسكم يعني عليكم وعلى
من في مثل حالكم من المؤمنين حرج في ذلك وعن عكرمة كانت الانصار في انفسها قزازة
وكانت لا تأكل من هذه البيوت اذا استغنوا وقيل كان هؤلاء يتوقون مجالسة الناس
ومؤاكلتهم لما عسى يؤدي الى الكراهة من قبلهم ولان الاعمى ربما سبقت يده الى ما سبقت
عين اكيله اليه وهو لا يشعر والاعرج يتفسح في مجلسه ويأخذ اكثر من موضعه فيضيق
على جليسه والمريض لا يخلو من رائحة تؤذي او جرح يبض او انف يذن ونحو ذلك وقيل
كانوا يخرجون الى الغزو ويخلفون الضعفاء في بيوتهم ويدفعون اليهم المفاتيح ويأذنون

لهم ان ياكلوا من بيوتهم وكانوا يتحرجون حكي عن الحارث بن عمرو انه خرج غازيا وخلف
مالك بن زيد في بيته وماله فلما رجع راه مجهودا فقال ما اصابك قال لم يكن عندي شي ولم
يحل لي ان آكل من مالك فقيل ليس على هولاء الضعفاء حرج فيما تحرجوا عنه ولا عليكم ان تاكلوا
من هذه البيوت وهذا كلام صحيح وكذلك اذا فسر بان هولاء ليس عليهم حرج في القعود
عن الغزو ولا عليكم ان تاكلوا من البيوت المذكورة لالتقاء الطايفتين في ان كل واحد منهما منفي
عنها الحرج ومثال هذا ان يستفتيك مسافر عن الافطار في رمضان وحاج مفرد عن
تقديم الحلق على النحر فقلت ليس على المسافر حرج ان يفطر ولا عليك يا حاج ان تقدم
الحلق على النحر **فان قلت** هلا ذكر الاولاد **قلت** دخل ذكرهم تحت قوله
من بيوتكم لان ولد الرجل بعضه وحكمه حكم نفسه وفي الحديث ان اطيب ما ياكل المرء
من كسبه وان ولده من كسبه ومعنى من بيوتكم من البيوت التي فيها ازواجكم وعيالكم
ولان الولد اقرب ممن عدد من القرابات فاذا كان سبب الرخصة هو القرابة كان الذي
هو اقرب منهم اولى **فان قلت** ما معنى او ما ملكتم مفاتحه **قلت** اموال الرجل
اذا كان له عليها قيم ووكيل يحفظها له ان ياكل من ثمر بستانه ويشرب من لبن ماشيته وملك
المفاتح كونها في يده وحفظه وقيل بيوت المماليك لان مال العبد لمولاه وقرى مفتاحه
فان قلت فما معنى او صديقكم **قلت** معناه او بيوت اصدقائكم والصديق يكون
واحدا وجمعا وكذلك الخليط والقطين والعدو يحكى عن الحسن انه دخل داره واذا
حلقة من اصدقائه وقد استلوا سلالا من تحت سريره فيها الخبيص واطايب الاطعمة وهم
مكبون عليها ياكلون فتهللت اسارير وجهه سرورا وضحك وقال هكذا وجدناهم يريد كبراء
الصحابة ومن لقيهم من البدريين وكان الرجل منهم يدخل دار صديقه وهو غائب فيسال جاريته كيسه

فياخذ

فياخذ ما شاء فاذا حضر مولاها فاخبرته اعتقها سرورا بذلك وعن جعفر بن محمد
من عظم حرمة الصديق ان جعله الله من الانس والثقة والانبساط وطرح الحشمة بمنزلة
النفس والاب والاخ والابن وعن ابن عباس الصديق اكبر من الوالدين ان الجهنميين لما استغاثوا
لم يستغيثوا بالاباء والامهات فقالوا فما لنا من شافعين ولا صديق حميم وقالوا اذا دل ظاهر
الحال على رضاء المالك قام ذلك مقام الاذن الصريح وربما سمج الاستيذان وثقل كمن قدم
اليه طعام فاستاذن صاحبه في الاكل منه جميعا او اشتاتا اي مجتمعين او متفرقين نزلت
في بني ليث بن عمرو من كنانة كانوا يتحرجون ان ياكل الرجل وحده فربما قعد منتظرا نهاره الى
الليل فان لم يجد من يواكله اكل ضرورة وقيل في قوم من الانصار اذا نزل بهم ضيف لا ياكلون
الا مع ضيفهم وقيل تحرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الناس في الاكل وزيادة بعضهم
على بعض فاذا دخلتم بيوتا من هذه البيوت لتاكلوا فابدءوا بالسلام على اهلها الذين هم منكم
دينا وقرابة تحية من عند الله اي ثابتة بامره مشروعة من لدنه او لان التسليم والتحية طلب سلامة
وحيوة للمسلم عليه والمحيى من عند الله ووصفها بالبركة والطيب لانها دعوة مؤمن
لمؤمن يرجى بها من الله زيادة الخير وطيب الرزق وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله
عليه عشر سنين وروي تسع سنين فما قال لشي فعلته ولا قال لشي كسرته لم كسرته وكنت واقفا
على راسه اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلث خصال تنتفع بها قلت بلى بابي و
امي يا رسول الله قال متى لقيت من امتي احدا فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت بيتك فسلم
عليهم يكثر خير بيتك وصل صلوة الضحى فانها صلوة الابرار الاوابين وقالوا ان لم يكن في
البيت احد فليقل السلام علينا من ربنا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام على اهل
البيت ورحمة الله وعن ابن عباس اذا دخلت المسجد فقل السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين

لم فعلته

محبته من عند الله وانتصب تحته بيتلو الا انها في معنى تسللا كقولك قعدت جلوسا
اراد عز وجل ان يريهم عظم الجناية في ذهاب الذاهب عن مجلس رسول الله بغير اذنه اذا
كانوا معه على امر جامع فجعل ترك ذهابهم حتى يستاذنوه ثالث الايمان بالله وبرسوله وجعلهما
كالتشبيب له والبساط لذكره وذلك مع تصدير الجملة بانما وايقاع المؤمنين مبتدا مخبرا
عنه بموصول احاطت صلته بذكر الايمانين ثم عقبه بما يزيده توكيدا وتشديدا حيث اعاده
على اسلوب اخر وهو قوله ان الذين يستاذنونك اولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله و
ضمنه شيئا اخر وهو انه جعل الاستيذان كالمصداق لصحة الايمانين وعرض بحال المنافقين
وتسللهم لواذا ومعنى قوله لم يذهبوا حتى يستاذنوه لم يذهبوا حتى يستاذنوه ويأذن لهم
الا تراه كيف علق الامر بعد وجود استيذانهم بمشيته واذنه لمن استصوب ان يأذن له والامر
الجامع الذي يجمع له الناس فوصف الامر بالجمع على سبيل المجاز وذلك نحو مقاتلة عدو او تشاور
في خطب مهم او تضام لارهاب مخالف او تماسح في حلف وغير ذلك او الامر الذي يعم
بضررها وبنفعه وقرئ امر جميع وفي قوله اذا كانوا معه على امر جامع انه خطب جليل لا بد لرسول الله
فيه من ذوي راي وقوة يظاهرونه عليه ويعاونونه ويستضيء بارائهم ومعارفهم وتجاربهم في
كفايته فمفارقة احدهم في مثل تلك الحال مما يشق على قلبه ويشعث عليه رايه فمن ثم غلظ
عليهم الامر في الاستيذان مع العذر المبسوط ومساس الحاجة اليه واعتراض ما يهمهم ويعنيهم	وشق عليهم
وذلك قوله لبعض شانهم وذكر الاستغفار للمستاذنين دليل على ان الاحسن الافضل ان لا
يحدثوا انفسهم بالذهاب ولا يستاذنوا فيه وقيل نزلت في حفر الخندق وكان قوم
يتسللون بغير اذن وقالوا كذلك ينبغي ان يكون الناس مع ائمتهم ومقدميهم في الدين والعلم
يظاهرونهم ولا يخذلونهم في نازلة من النوازل ولا يتفرقون عنهم والامر في الاذن مفوض

الى الامام ان شاء اذن وان شاء لم يأذن على حسب ما اقتضاه رأيه اذا الحاج رسول الله
الى اجتماعكم عنده لامر فلا تفرقوا عنه الا باذنه ولا تقيسوا دعاءه اياكم على دعاء
بعضكم بعضا ورجوعكم عن المجمع بغير اذن الداعي او لا تجعلوا تسميته ونداءه بينكم كما يسمي
بعضكم بعضا وينادي باسمه الذي سماه به ولا تقولوا يا محمد ولكن يا نبي الله ويا رسول الله مع	ابواه
التوقير والتعظيم والصوت المخفوض والتواضع ويحتمل لا تجعلوا دعاء الرسول ربه مثل ما يدعو
صغيركم كبيركم وفقيركم غنيكم يسأله حاجة فربما اجابه وربما رده فان دعوات رسول الله
مسموعة مستجابة يتسللون ينسلون قليلا قليلا ونظير تسلل تدرج وتدخل واللواذ
الملاوذة وهو ان يلوذ هذا بذاك وذاك بهذا يعني ينسلون عن الجماعة في الخفية على سبيل الملاوذة
واستتار بعضهم ببعض ولواذا حال اي ملاوذين وقيل كان بعضهم يلوذ بالرجل اذا استأذن
فيأذن له فينطلق الذي لم يؤذن له معه وقرئ لواذا بالفتح يقال خالفه الى الامر اذا ذهب
اليه دونه ومنه قوله تعالى وما اريد ان اخالفكم الى ما انهاكم عنه وخالفه عن الامر اذا صد
عنه دونه ومعنى الذين يخالفون عن امره الذين يصدون عن امره دون المؤمنين وهم المنافقون
فحذف المفعول لان الغرض ذكر المخالف والمخالف عنه الضمير في امره لله سبحانه او للرسول عليه
السلام والمعنى عن طاعته ودينه فتنة محنة في الدنيا او يصيبهم عذاب اليم في الاخرة وعن
ابن عباس فتنة قتل وعن عطاء زلازل واهوال وعن جعفر بن محمد يسلط عليهم سلطان جائر ادخل
قد ليؤكد علمه بما هم عليه من المخالفة عن الدين والنفاق ومرجع توكيد العلم الى توكيد الوعيد
وذلك ان قد اذا دخلت على المضارع كانت بمعنى ربما فوافقت ربما في خروجها الى معنى
التكثير في نحو قوله	فان تمس مهجور الفناء فربما اقام به بعد الوفود وفود ونحوه قول
زهير اخي ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنه قد يهلك المال نائله والمعنى ان جميع ما في السموات والارض

مختصة به خلقاً وملكاً وعلماً فكيف يخفى عليه احوال المنافقين وان كانوا يجتهدون في سترها
عن العيون واخفائها وللخطاب والغيبة في قوله قد يعلم ما انتم عليه ويوم يرجعون اليه
يجوز ان يكونا جميعاً للمنافقين على طريقة الالتفات ويجوز ان يكون ما انتم عليه عاماً ويرجعون
للمنافقين والله اعلم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة النور اعطي من الاجر عشر
حسنات بعدد كل مؤمن ومؤمنة فيما مضى وفيما بقي ..

وينبئهم يوم القيامة بما ابطنوا من سوء اعمالهم ويجازيهم حق جزائهم

سُورَةِ الفرقان مكيّه سَبْعُون وسبع ايا

بسم الله الرحمن الرحيم البركة كثرة الخير وزيادته ومنها تبارك الله وفيه معنيان
تزايد خيره وتكاثر او تزايد عن كل شيء وتعالى عنه في صفاته وافعاله والفرقان مصدر فرق
بين الشيئين اذا فصل بينهما وسمي به القران لفصله بين الحق والباطل او لانه لم ينزل جملة واحدةً
ولكن مفروقاً مفصولاً بين بعضه وبعض في الانزال الا ترى الى قوله وقرانا فرقناه لتقراه
على الناس على مكث ونزلناه تنزيلا وقد جاء الفرق بمعناه قال ومشركيّ كافر بالفرق وعن
ابن الزبير على عباده وهم رسول الله وامته كما قال لقد انزلنا اليكم قولوا امنا بالله وما انزل الينا
والضمير في ليكون لعبده او للفرقان ويعضد رجوعه الى الفرقان قراءة ابن الزبير للعالمين
للجن والانس نذيراً منذراً اي مخوفاً او انذاراً كالنكير بمعنى الانكار ومنه قوله تعالى فكيف
كان عذابي ونذر الذي له رفع على الابدال من الذي نزل او رفع على المدح او نصب عليه
فان قلت كيف جاز الفصل بين البدل والمبدل منه قلت ما فصل بينهما بشيء
لان المبدل منه صلة نزل وليكون تعليل له فكان المبدل منه لم يتم الا به فان قلت
في الخلق معنى التقدير فما معنى قوله وخلق كل شيء فقدره تقديراً كانه قال وقدر كل شيء

فقدره

فقدره قلت المعنى انه احدث كل شيء احداثاً مراعى فيه التقدير والتسوية فقدره
وهيأه لما يصلح له مثاله انه خلق الانسان على هذا الشكل المقدر المسوى الذي تراه فقدره
للتكاليف والمصالح المنوطة به في بابي الدين والدنيا وكذلك كل حيوان وجماد جاء به
على الجبلة المستوية المقدرة بامثلة الحكمة والتدبير فقدره لامر ما ومصلحة مطابقاً لما قدر له
غير متجاف عنه او سمي احداث الله خلقاً لانه لا يحدث شيئاً لحكمته الا على وجه التقدير
من غير تفاوت فاذا قيل خلق الله كذا فهو بمنزلة قولك احدث واوجد من غير نظر الى وجه
الاشتقاق وكانه قيل واوجد كل شيء فقدره في ايجاده لم يوجده متفاوتاً وقيل فجعل له غاية
ومنتهى ومعناه فقدره للبقاء الى امد معلوم للخلق بمعنى الافتعال كما في قوله انما تعبدون
من دون الله اوثاناً وتخلقون افكاً والمعنى انهم اثروا على عبادة الله سبحانه عبادة الهة
لا عجز ابين من عجزهم لا يقدرون على شيء من افعال الله ولا من افعال العباد حيث لا يفعلون
شيئاً وهم يفعلون لان عبدتهم يصنعونهم بالنحت والتصوير ولا يملكون اي لا يستطيعون
لانفسهم دفع ضرر عنها او جلب نفع اليها وهم يستطيعون واذا عجزوا عن الافتعال ودفع
الضرر وجلب النفع التي يقدر عليها العباد كانوا على الموت والحيوة والنشور التي لا يقدر
عليها الا الله اعجز قوم اخرون هم اليهود وقيل عداس مولى حويطب بن عبد العزى ويسار
مولى العلاء بن الحضرمي وابو فكيهة الرومي قال ذلك النضر بن الحارث بن عبد الدار جاءوا
اي يستعملان في معنى فعل فيعديان تعديته وقد يكون على معنى وردوا ظلماً كما تقول جئت
المكان ويجوز ان يحذف الجار ويوصل الفعل وظلمهم ان جعلوا العربي يتلقن من العجمي
والرومي كلاماً عربياً اعجز بفصاحته جميع فصحاء العرب والزور ان بهتوه بنسبة ما هو
بريء منه اليه اساطير الاولين ما سطره المتقدمون من نحو احاديث رستم واسفنديار جمع

اسطار واسطورة كاحدوثة اكتتبها لنفسه واخذها كما تقول استكب الماء واصطبه اذا
سكبه وصبه لنفسه واخذه وقرئ اكتُتِبها على البناء للمفعول والمعنى اكتتبها كاتب له لانه كان
اميا لا يكتب بيده وذلك من تمام اعجازه ثم حذفت اللام فافضى الفعل الى الضمير فصار اكتتبها
اياه كاتب كقوله واختار موسى قومه ثم بني الفعل للضمير الذي هو اياه فانقلب مرفوعا مستترا
بعد ان كان بارزا منصوبا وضمير الاساطير على حاله فصار اكتتبها كما ترى **فان قلت** كيف
وبقي
قيل اكتتبها فهي تملى عليه وانما يقال أمليت عليه فهو يكتتبها **قلت** فيه وجهان احدهما اراد
اكتتابها وطلبه فهي تملى عليه او كتبت له وهو امي فهي تملى عليه اي تلقى عليه من كتابه يتحفظها
لان صورة الالقاء على الحافظ كصورة الالقاء على الكاتب وعن الحسن انه قول الله سبحانه يكذبهم
وانما يستقيم ان لو فتحت الهمزة للاستفهام الذي في معنى الانكار ووجهه ان يكون نحو قوله
أفرح أن أُرزأ الكرام وحق الحسن ان يقف على الاولين بكرة واصيلا اي دائما او في الخفية قبل
ان ينتشر الناس وحين ياوون الى مساكنهم اي يعلم كل سر خفي في السموات والارض ومن جملته
ما تسرونه انتم من الكيد لرسوله مع علمكم ان ما تقولونه باطل وزور وكذلك باطن امر رسول الله
وبراءته مما تبهتونه به وهو يجازيكم ويجازيه على ما علم منكم وعلم منه **فان قلت** كيف طابق
قوله انه كان غفورا رحيما هذا المعنى **قلت** لما كان ما تقدمه في معنى الوعيد عقبه
بما يدل على القدرة عليه لانه لا يوصف بالمغفرة والرحمة الا القادر على العقوبة او هو تنبيه على
انهم استوجبوا بمكابرتهم هذه ان يصب عليهم العذاب صبا ولكن صرف ذلك عنهم انه غفور رحيم
يمهل ولا يعاجل وقعت اللام في المصحف مفصولة عن هذا خارجة عن اوضاع الخط العربي وخط
المصحف سنة لا تغير وفي هذا استهانة وتصغير لشانه وتسميته بالرسول سخرية منهم وطنز كانهم
قالوا ما لهذا الزاعم انه رسول ونحوه قول فرعون ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون اي لم يصح

ان

١٠٤

انه رسول الله فما باله حاله مثل حالنا ياكل الطعام كما ناكل ويتردد في الاسواق لطلب المعاش كما نتردد
يعنون انه كان يجب ان يكون ملكا مستغنيا عن الاكل والتعيش ثم نزلوا عن اقتراحهم ان يكون
ملكا الى اقتراح ان يكون انسانا معه ملك حتى يتساندا في الانذار والتخويف ثم نزلوا ايضا فقالوا
بملك فليكن مرفودا
ان لم يكن مرفودا بكنز يلقى اليه من السماء يستظهر به ولا يحتاج الى تحصيل المعاش ثم نزلوا
هم
فاقتنعوا بان يكون رجلا له بستان ياكل منه ويرتزق كما الدهاقين والمياسير او ياكلون من
ذلك البستان فينتفعون به في دنياهم ومعاشهم واراد بالظالمين اياهم باعيانهم وضع الظاهر
موضع المضمر ليسجل عليهم بالظلم فيما قالوا وقرئ فيكون بالرفع او يكون له جنة بالياء وناكل
بالنون **فان قلت** ما وجها الرفع والنصب في فيكون **قلت** النصب لانه جواب
لولا بمعنى هلا وحكمه حكم الاستفهام والرفع على انه معطوف على انزل ومحله الرفع الا تراك
تقول لولا ينزل بالرفع وقد عطف عليه يلقى وتكون مرفوعين ولا يجوز النصب فيهما لانهما في حكم
الواقع بعد لولا ولا يكون الا مرفوعا والقائلون هم كفار قريش النضر بن الحرث وعبد الله
بن ابي امية ونوفل بن خويلد ومن ضامهم مسحورا سحر فغلب على عقله او ذا سحر وهو الرئة عنوا
فيك
انه بشر لا ملك ضربوا لك الامثال اي قالوا فيك الاقوال واخترعوا لك الصفات
والاحوال النادرة من نبوة مشتركة بين انسان وملك والقاء كنز عليك من السماء وغير ذلك فبقوا
متحيرين ضلالا لا يجدون قولا يستقرون عليه او فضلوا عن الحق فلا يجدون طريقا اليه تبارك
خير الذي ان شاء وهب لك في الدنيا خيرا مما قالوا وهو ان يعجل لك مثل ما وعدك في الاخرة
من الجنات والقصور وقرئ ويجعل بالرفع عطفا على جعل لان الشرط اذا وقع ماضيا جاز
في جزائه الجزم والرفع كقوله وان اتاه خليل يوم مسغبة يقول لا غائب مالي ولا حرم ويجوز في يجعل لك اذا
ادغمت ان يكون اللام في تقدير الجزم والرفع جميعا وقرئ بالنصب على انه جواب الشرط

بالواو بل كذبوا عطف على ما حكى عنهم يقول بل أتوا بأعجب من ذلك كله وهو تكذيبهم
بالساعة ويجوز أن يتصل بما يليه كأنه قال بل كذبوا بالساعة فكيف يلتفتون إلى هذا الجواب
وكيف يصدقون بتعجيل مثل ما وعدك في الآخرة وهم لا يؤمنون بالآخرة السعير النار الشديدة
الاستعار وعن الحسن أنه اسم من أسماء جهنم رأتهم من قولهم دورهم تتراءى وتتناظر ومن قوله
عليه السلام لا تتراءى ناراهما كأن بعضها يرى بعضا على سبيل المجاز والمعنى إذا كانت منهم
بمرأى الناظر في البعد سمعوا صوت غليانها وشبه ذلك بصوت المتغيظ والزافر ويجوز
أن يراد إذا رأتهم زبانيتها تغيظوا وزفروا غضبا على الكفار وشهوة للانتقام منهم الكرب
مع الضيق كما أن الروح مع السعة ولذلك وصف الله الجنة بأن عرضها السموات والأرض
وجاء في الأحاديث أن لكل مؤمن من القصور والجنان كذا وكذا ولقد جمع الله على النار اهل
أنواع التضييق والإرهاق حيث ألقاهم في مكان ضيق يتراصون فيه تراصا كما روي عن ابن عباس
في تفسيره أنه يضيق عليهم كما يضيق الزج في الرمح وهم مع ذلك الضيق مسلسلون مقرنون في
السلاسل قرنت أيديهم إلى أعناقهم في الجوامع وقيل يقرن مع كل كافر شيطانه في سلسلة وفي
أرجلهم الأصفاد والثبور الهلاك ودعاؤه أن يقولوا واثبوراه أي تعال يا ثبور فهذا حينك وزمانك
لا تدعوا أي يقال لهم ذلك أو هم أحقاء بأن يقال لهم وإن لم يكن ثمة قول ومعنى وادعوا ثبورا
كثيرا إنكم وقعتم فيما ليس ثبوركم فيه واحدا إنما هو ثبور كثير إما لأن العذاب أنواع وألوان
كل نوع منها ثبور لشدته وفظاعته أو لأنهم كلما نضجت جلودهم بدلوا غيرها فلا غاية لهلاكهم
الراجع إلى الموصول محذوف يعني وعدها المتقون وما يشاؤونه وإنما قيل كانت لأن ما وعده الله
وحده فهو في تحققه كأنه قد كان أو كان مكتوبا في اللوح قبل أن برأهم بأزمنة متطاولة أن الجنة
جزاؤهم ومصيرهم **فإن قلت** ما معنى قوله كانت لهم جزاء ومصيرا **قلت** هو كقوله نعم الثواب

وحسنت

١٠٥

وحسنت مرتفقا فذكر الثواب ومكانه كما قال بئس الشراب وساءت مرتفقا فذم العقاب
ومكانه لأن النعيم لا يتم للمتنعم إلا بطيب المكان وسعته وموافقته للمراد والشهوة وأن لا ينغص
وكذلك العقاب يتضاعف بغثاثة الموضع وضيقه وظلمته وجمعه لأسباب الاجتواء و
الكراهة فلذلك ذكر المصير مع ذكر الجزاء والضمير في كان لما يشاؤون والوعد الموعود أي
كان ذلك موعودا واجبا على ربك إنجازه حقيقا أن يسأل ويطلب لأنه جزاء وأجر
مستحق وقيل قد سأله الناس والملائكة في دعواتهم ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك آتنا في
الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم يحشرهم فيقول
كلاهما بالنون والياء وقرئ يحشرهم بكسر الشين وما يعبدون يريد المعبودين من الملائكة
والمسيح وعزير وعن الكلبي الأصنام ينطقها الله ويجوز أن يكون عاما لهم جميعا **فإن قلت**
كيف صح استعمال ما في العقلاء **قلت** هو موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم بدليل قولك
إذا رأيت شبحا من بعيد ما هو فإذا قيل لك إنسان قلت حينئذ من هو ولذلك قولهم من لما
يعقل أو أريد به الوصف كأنه قيل ومعبودهم ألا تراك تقول إذا أردت السؤال عن صفة زيد
ما زيد تعني أطويل أم قصير أفقيه أم طبيب **فإن قلت** ما فائدة أنتم وهم في قوله أأنتم أضللتم
عبادي هؤلاء أم هم ضلوا السبيل **قلت** ليس السؤال عن الفعل ووجوده لأنه لولا وجوده
لما توجه هذا العتاب وإنما هو عن متوليه فلا بد من ذكره وإيلائه حرف الاستفهام حتى
يعلم أنه المسؤول عنه **فإن قلت** فالله سبحانه قد سبق علمه بالمسؤول عنه فما فائدة هذا السؤال
قلت فائدته أن يجيبوا بما أجابوا به حتى يبكت عبدتهم بتكذيبهم إياهم فيبهتوا و
يخذلوا وتزيد حسرتهم ويكون ذلك نوعا مما يلحقهم من غضب الله وعذابه ويغيظ المؤمنين
ويفرحوا بحالهم ونجاتهم من فضيحة أولئك وليكون حكاية ذلك في القرآن لطفا للمكلفين وفيه

كسر بين لقول من زعم ان الله يضل عباده على الحقيقة حيث يقول للمعبودين من دونه أانتم
اضللتموهم ام هم ضلوا بانفسهم فيتبرؤون من اضلالهم ويستعيذون به ان يكونوا مضلين ويقولون
بل انت تفضلت من غير سابقة على هؤلاء وآبائهم تفضل جواد كريم فجعلوا النعمة التي حقها
ان تكون سبب الشكر سبب الكفر ونسيان الذكر وكان ذلك سبب هلاكهم فاذا برات الملائكة والرسل
انفسهم من نسبة الاضلال الذي هو عمل الشياطين اليهم واستعاذوا منه فهم لربهم الغني
العدل اشد تبرئة وتنزيها منه ولقد نزهوه حين اضافوا اليه التفضل بالنعمة والتمتيع بها واسندوا
نسيان الذكر والتسبب للبوار الى الكفرة فشرحوا الاضلال المجازي الذي اسنده الله
الى ذاته في قوله يضل من يشاء ولو كان المضل على الحقيقة لكان الجواب العتيد ان يقولوا بل انت اضللتهم
والمعنى أانتم اوقعتموهم في الضلال عن طريق الحق ام هم ضلوا عنه بانفسهم وضل مطاوع اضله
وكان القياس ضل عن السبيل الا انهم تركوا الجار كما تركوه في هداه الطريق والاصل الى الطريق وللطريق
وقولهم اضل البعير في معنى جعله ضالا اي ضائعا لما اكثر ذلك من تفريط صاحبه وقلة احتياطه
في حفظه قيل اضله سواء كان منه فعل او لم يكن سبحانك تعجب منهم قد تعجبوا مما قيل لهم لانهم ملائكة
وانبياء معصومون فما ابعدهم عن الاضلال الذي هو مختص بابليس وحزبه او نطقوا بسبحانك ليدلوا
على انهم المسبحون المقدسون الموسومون بذلك فكيف يليق بحالهم ان يضلوا عباده او قصدوا
تنزيهه عن الانداد وان يكون له ملك او نبي او غيرهما ندا ثم قالوا ما كان يصح لنا ولا يستقيم
ونحن معصومون ان نتولى احدا دونك فكيف يصح لنا ان نحمل غيرنا على ان يتولونا دونك او
ما كان ينبغي لنا ان نكون امثال الشياطين في توليهم الكفار كما تولاهم الكفار وقال الله تعالى فقاتلوا
اولياء الشيطان يريد الكفرة وقال والذين كفروا اولياؤهم الطاغوت وقرا ابو جعفر المدني نتخذ
على البناء للمفعول وهذا الفعل اعني اتخذ يتعدى الى مفعول واحد كقولك اتخذ وليا والى مفعولين

كان م

كقولك

١٠٦

كقولك اتخذ فلانا وليا قال الله تعالى ام اتخذوا آلهة من الارض وقال ولم يتخذ الله اليه من الارض
وقال واتخذ الله ابراهيم خليلا فالقراءة الاولى من المتعدي الى واحد وهو من اولياء والاصل
ان نتخذ وليا فزيدت من لتاكيد معنى النفي والثانية من المتعدي الى مفعولين فالاول ما بني له
الفعل والثاني من اولياء ومن للتبعيض اي لا نتخذ بعض اولياء وتنكير اولياء من حيث انهم اولياء
مخصوصون وهم الجن والاصنام والذكر ذكر الله والايمان به والقرآن والشرائع والبور الهلاك يوصف به
الواحد والجمع ويجوز ان يكون جمع بائر كعائذ وعوذ هذه المفاجاة بالاحتجاج والالزام حسنة رائعة
وخاصة اذا انضم اليها الالتفات وحذف القول ونحوه قوله عز وعلا يا اهل الكتاب قد جاءكم
رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل ان تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير فقد جاءكم بشير ونذير وقول القائل بل
قالوا خراسان اقصى ما يراد بنا ثم القفول فقد جئنا خراسانا وقرئ يقولون بالتاء والياء فمعنى
من قرا بالتاء فقد كذبوكم بقولكم انهم آلهة ومعنى من قرا بالياء فقد كذبوكم بقولهم سبحانك ما كان
ينبغي لنا ان نتخذ من دونك من اولياء فان قلت هل يختلف حكم الباء مع التاء والياء قلت
اي والله هي مع التاء كقوله بل كذبوا بالحق والجار والمجرور بدل من الضمير كانه قيل فقد كذبوا بما
تقولون وهي مع الياء كقولك كتبت بالقلم وقرئ تستطيعون بالتاء والياء ايضا يعني فما تستطيعون
انتم يا كفار صرف العذاب عنكم وقيل الصرف التوبة وقيل الحيلة من قولهم انه ليتصرف اي
يحتال او فما يستطيع آلهتكم ان يصرفوا عنكم العذاب او ان يحتالوا لكم الخطاب على العموم للمكلفين
والعذاب الكبير لاحق بكل من ظلم والكافر ظالم لقوله ان الشرك لظلم عظيم والفاسق ظالم لقوله
ومن لم يتب فاولئك هم الظالمون وقرئ نذقه بالنون وفيه ضمير الله او ضمير مصدر يظلم
الجملة بعد الا صفة لموصوف محذوف والمعنى وما ارسلنا قبلك احدا من المرسلين الا آكلين
وماشين وانما حذف اكتفاء بالجار والمجرور اعني من المرسلين ونحوه قوله عز وعلا وما منا الا له

مقام معلوم على معنى ومنا احد وقرى ويمشون على البنا للمفعول اى تمشيهم حوايجهم او الناس

ولو قرى يمشون لكان اوجه لولا الرواية وهل هو الاحتجاج على من قال ماله الرسول ياكل الطعام

ويمشي في الاسواق فتنة اى محنة وابتلاء وهذا تصبير لرسول الله صلى الله عليه وسلم على ما قالوه

واستبدعوه من اكله الطعام ومشيه في الاسواق بعدما احتج عليهم بساير الرسل بقوله وجرت

عادتي وموجب حكمتي على ابتلاء بعضكم ايها الناس ببعض والمعنى انه ابتلى المرسلين بالمرسل اليهم

وبمناصبتهم لهم العداوة واقاويلهم الخارجة عن حد الانصاف وانواع اذاهم وطلب منهم الصبر

الجميل ونحوه ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا اذى كثيرا وان تصبروا

وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وموقع اتصبرون بعد ذكر الفتنة موقع ايكم بعد الابتلاء في قوله

ليبلوكم ايكم احسن عملا بصيرا عالما بالصواب فيما يبتلى به وغيره فلا تضيقن صدرك ولا يستخفنك

اقاويلهم فان في صبرك عليها سعادتك وفوزك في الدارين وقيل هو تسلية له عما عيروه به من الفقر

حين قالوا او يلقى اليه كنز او تكون له جنة وانه جعل الاغنيا فتنة للفقراء لينظر هل يصبرون وانها

حكمته ومشيته يغني من يشاء ويفقر من يشاء وقيل جعلناك فتنة لهم لانك لو كنت غنيا صاحب

كنوز وجنان لكان ميلهم اليك وطاعتهم لك للدنيا او ممزوجة بالدنيا وانما بعثناك فقيرا لتكون

طاعة من يطيعك خالصة لوجه الله من غير طمع دنيوي وقيل كان ابو جهل والوليد بن المغيرة

والعاص بن وايل ومن في طبقتهم يقولون ان اسلمنا وقد اسلم قبلنا عمار وصهيب وبلال وفلان وفلان ترفعوا وفلان

علينا ادلالا بالمسابقة فهو افتتان بعضهم ببعض اى لا يأملون لقانا بالخير لانهم كفرة او لا يخافون بعض

لقانا بالشر والرجاء في لغة تهامة الخوف وبه فسر قوله تعالى لا ترجون لله وقارا جعلت الصيرورة الى

دار جزايه بمنزلة لقايه لو كان ملقيا اقترحوا من الايات ان ينزل الله عليهم الملائكة فتخبرهم بان محمدا

صادق حتى يصدقوه او يروا الله جهرة فيامرهم بتصديقه واتباعه ولا يخلو اما ان يكونوا عالمين ان الله

لا يرسل الملائكة الى غير الانبيا وان الله لا يصح ان يرى وانما علقوا ايمانهم بما لا يكون واما

ان لا يكونوا عالمين بذلك وانما ارادوا التعنت باقتراح ايات سوى الايات التي نزلت وقامت

بها الحجة عليهم كما فعل قوم موسى حين قالوا لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فان قلت ما معنى

في انفسهم قلت معناه انهم اضمروا الاستكبار عن الحق وهو الكفر والعناد في قلوبهم واعتقدوه

كما قال ان في صدورهم الا كبر ما هم ببالغيه وعتوا وجاوزوا الحد في الظلم يقال عتى علينا فلان وقد

وصف العتو بالكبير فبالغ في افراطه يعني انهم لم يجسروا على هذا القول العظيم الا انهم

بلغوا غاية الاستكبار واقصى العتو واجابه نحو جسا ما اناب بها كليبا غلت ناب كليب

بواؤها وفي فحوى هذا الفعل دليل على التعجب من غير لفظ التعجب الا ترى ان المعنى ما اشد

استكبارهم وما اكبر عتوهم وما اغلى نابا بواؤها كليب يوم يرون منصوب بما دل عليه لا بشرى اى يوم يرون الملائكة يمنعون البشرى او يجدونها ويوميذ للتكرير واما باضمار

اذكر اى اذكر يوم يرون الملائكة ثم قال لا بشرى يوميذ للمجرمين وقوله للمجرمين اما ظاهر في موقع

ضمير واما لانه عام وقد تناولهم بعمومه حجرا محجورا ذكره سيبويه في باب المصادر غير المتصرفة

المنصوبة بافعال متروك اظهارها نحو معاذ الله وقعدك وعمرك وهذه كلمة كانوا يتكلمون بها

عند لقاء عدو موتور او هجوم نازلة او نحو ذلك يضعونها موضع الاستعاذة قال سيبويه ويقول الرجل

للرجل اتفعل كذا وكذا فيقول حجرا وهي من حجره اذا منعه لان المستعيذ طالب من الله ان يمنع المكروه

فلا يلحقه وكان المعنى اسال الله ان يمنع ذلك منعا ويحجره حجرا ومجيئه على فعل او فعل في قراءة الحسن

تصرف فيه لاختصاصه بموضع واحد كما كان قعدك وعمرك كذلك وانشدت لبعض الرجاز قالت وفيها

حيدة وذعر عوذ بربي منكم وحجر فان قلت فاذا ثبت انه من باب المصادر فما معنى

وصفه بمحجور قلت جاءت هذه الصفة لتاكيد معنى الحجر كما قالوا ذيل ذايل والذيل الهوان وموت

والاام جواب قسم محذوف وهذه الجملة في حسن استينافها غاية وفي اسلوبها قول القايل صح

والمعنى ما في الايه انهم يطلبون نزول الملائكه ويقترحونه وهم اذا راوهم عند الموت او يوم القيامه
كرهوا لقاءهم وفزعوا منهم لانهم لا يلقونهم الا بما يكرهون وقالوا عند رويتهم ما كانوا يقولونه وقيل هو من قول الملائكة
عند لقاء العدو الموتور والشده النازله ومعناه حراما محرما عليكم الغفران والجنه والبشرى
اي جعل الله ذلك حراما عليكم ليس هاهنا قدوم ولا ما يشبه القدوم ولكن مثلت حال هولا واعمالهم التي ذلك
عملوها في كفرهم من صله رحم واغاثه ملهوف وقرى ضيف ومن على اسير وغير ذلك من مكارمهم
ومحاسنهم بحال قوم خالفوا سلطانهم واستعصوا عليه فقدم الى اشيايهم وقصد الى ما تحت ايديهم
فافسدها ومزقها كل ممزق ولم يترك لها اثرا ولا عثيرا والهباء ما يخرج من الكوه مع ضوء الشمس شبيه
بالغبار وفي امثالهم اقل من الهباء منثورا صفه للهباء شبهه بالهباء في قلته وحقارته عنده وانه
لا ينتفع به ثم بالمنثور منه لانك تراه منتظما مع الضوء فاذا حركته الريح رايته قد تناثر وذهب كل مذهب
ونحوه قوله كعصف ماكول لم يكف ان شبههم بالعصف حتى جعله ماكولا ولا ان شبه عملهم
بالهباء حتى جعله متناثرا او مفعول ثالث لجعلناه اي فجعلناه جامعا لحقارة الهباء والتناثر كقوله
كونوا قردة خاسئين اي جامعين للمسخ والخسء ولام الهباء واو بدليل الهبوة المستقر المكان الذي
يكونون فيه في اكثر اوقاتهم مستقرين يتجالسون ويتحادثون والمقيل المكان الذي ياوون اليه
للاسترواح الى ازواجهم والتمتع بمغازلتهن وملامستهن كما ان المترفين في الدنيا يعيشون على ذلك
الترتيب وروي انه يفرغ من الحساب في نصف ذلك اليوم فيقيل اهل الجنه في الجنه واهل النار
في النار وفي معناه قوله عز وجل ان اصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وازواجهم في ظلال
على الارائك متكئون قيل في تفسير الشغل افتضاض الابكار ولا نوم في الجنه وانما سمي مكان دعتهم
واسترواحهم الى الحور مقيلا على طريق التشبيه وفي لفظ الاحسن رمز الى ما يتزين به مقيلهم من
حسن الوجوه وملاحة الصور الى غير ذلك من التحاسين والزين وقرئ تشقق والاصل تتشقق فحذف

بعضهم

١٠٨

بعضهم التاء وغيره ادغمها ولما كان انشقاق السماء بسبب طلوع الغمام منها جعل الغمام كانه الذي
تشقق به السماء كما تقول شق السنام بالشفرة وانشق بها ونظيره قوله السماء منفطر به فان قلت
اي فرق بين قولك انشقت الارض بالنبات وانشقت عن النبات قلت معنى انشقت
به ان الله شقها بطلوعه فانشقت به ومعنى انشقت عنه ان التربة ارتفعت عنه عند طلوعه
والمعنى ان السماء تنفتح بغمام يخرج منها وفي الغمام الملائكه ينزلون وفي ايديهم صحايف
الاعمال وروي تنشق سماء سماء وتنزل الملائكه الى الارض وقيل هو غمام ابيض رقيق مثل الضبابه
ولم يكن الا لبني اسرائيل في تيههم وفي معناه قوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام
والملائكه وقرئ ونُنزِل الملائكة ونُنزّل الملائكة ونَزَل الملائكة ونُزّلت الملائكة وأُنزل الملائكة و
نُزِل الملائكه ونُزّل الملائكة على حذف النون الذي هو فاء الفعل من ننزل قراءة اهل مكه الحق
الثابت لان كل ملك يزول يومئذ ويبطل ولا يبقى الا ملكه وعض اليدين والانامل والسقوط
في اليد واكل البنان وحرق الاسنان والارم وقرعها كنايات عن الغيظ والحسرة
لانها من روادفهما فتذكر الرادفه ويدل بها على المردوف فيرتفع الكلام به في طبقه الفصاحه
ويجد السامع عنده في نفسه من الروعه والاستحسان ما لا يجده عند لفظ المكنى عنه
وقيل نزلت في عقبة بن ابي معيط بن امية بن عبد شمس وكان يكثر مجالسه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقيل اتخذ ضيافه فدعا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم فابى ان ياكل من طعامه
حتى ينطق بالشهادتين ففعل وكان ابي بن خلف صديقه فعاتبه وقال صبات يا عقبه قال
لا ولكن آلى ان لا ياكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له والشهادة ليست في
نفسي فقال وجهي من وجهك حرام ان لقيت محمدا فلم تطا قفاه وتبزق في وجهه وتلطم عينه
فوجده ساجدا في دار الندوه ففعل ذلك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا القاك خارجا من مكه الا

علوت راسك بالسيف فقتل يوم بدر امر عليا رضي الله عنه بقتله وقيل قتله عاصم بن ثابت
بن الاقلح الانصاري وقال يا محمد الى من الصبية قال الى النار وطعن رسول الله صلعم ابيا باحد فرجع
الى مكة فمات واللام في الظالم يجوز ان يكون للعهد يراد به عقبة خاصة ويجوز ان يكون للجنس فيتناول
عقبة وغيره تمنى ان لو صحب الرسول وسلك معه طريقا واحدا وهو طريق الحق ولم يتشعب به طرق
الضلالة والهوى او اراد اني كنت ضالا لم يكن لي سبيل قط فليتني حصلت لنفسي في صحبة الرسول
سبيلا وقرى يا ويلتي بالياء وهو الاصل لان الرجل ينادي ويلته وهي هلكته يقول لها تعالى فهذا اوا
اوانك وانما قلبت الياء الفا كما في صحارى ومدارى فلان كناية عن الاعلام كما ان الهن كناية عن
الاجناس فان اريد بالظالم عقبة فالمعنى ليتني لم اتخذ ابيا خليلا فكنى عن اسمه وان اريد به الجنس
فكل من اتخذ من المضلين خليلا كان لخليله اسم علم لا محالة فجعله كناية عنه عن الذكر عن ذكر الله
او القران او موعظة الرسول ويجوز ان يريد نطقه بشهادة الحق وعزمه على الاسلام والشيطان
اشارة الى خليله سماه شيطانا لانه اضله كما يضل الشيطان ثم خذله ولم ينفعه في العاقبة
او اراد ابليس وانه هو الذي حمله على مخالة المضل ومخالفة الرسول ثم خذله او اراد الجنس
وكل من تشيطن من الجن والانس ويحتمل ان يكون وكان الشيطان حكاية كلام الظالم
وان يكون كلام الله اتخذت يقرا على الادغام والاظهار والادغام اكثر الرسول محمد
صلعم وقومه قريش حكى الله عنه شكواه قومه اليه وفي هذه الحكاية تعظيم للشكاية وتخويف
لقومه لان الانبياء كانوا اذا التجاوا اليه وشكوا اليه قومهم حل بهم العذاب ولم ينظروا ثم اقبل
عليه مسليا ومتسليا وواعدا النصرة عليهم فقال كذلك كان كل نبي قبلك مبتلى بعداوة قومه
وكفاك بي هاديا الى طريق قهرهم والانتصار منهم وناصرا لك عليهم مهجورا تركوه وصدوا عنه
وعن الايمان به وعن النبي صلعم من تعلم القران وعلمه وعلق مصحفا لم يتعاهده ولم ينظر

فيه

فيه جاء يوم القيامة متعلقا به يقول يا رب العالمين عبدك هذا اتخذني مهجورا اقض بيني وبينه وقيل
هو من هجر اذا هذى اي جعلوه مهجورا فيه فحذف الجار وهو على وجهين احدهما زعمهم انه هذيان وباطل
واساطير الاولين والثاني انهم كانوا اذا سمعوه هجروا فيه كقوله تعالى لا تسمعوا لهذا القران والغوا
فيه ويجوز ان يكون المهجور بمعنى الهجر كالمجلود والمعقول والمعنى اتخذوه هجرا والعدو يجوز ان يكون
واحدا وجمعا كقوله فانهم عدو لي وقيل المعنى وقال الرسول يوم القيامة نزل ههنا بمعنى انزل لا
غير كخبر بمعنى اخبر والا كان متدافعا وهذا ايضا من اعتراضاتهم واقتراحاتهم الدالة على شرادهم
عن الحق وتجافيهم عن اتباعه قالوا هلا انزل عليه دفعة واحدة في وقت واحد كما انزلت الكتب
الثلثة وماله انزل على التفاريق والقائلون قريش وقيل اليهود وهذا فضول من القول ومماراة بما لا
طائل تحته لان امر الاعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جملة واحدة او مفرقا وقوله كذلك
جواب لهم اي كذلك انزل مفرقا والحكمة فيه ان نقوي بتفريقه فؤادك حتى نعيه ونحفظه
لان المتلقن انما يقوى قلبه على حفظ العلم شيئا بعد شيء وجزءا بعد جزء ولو القي عليه جملة واحدة
لبعل به وتعيا بحفظه والرسول صلعم فارقت حاله حال موسى وداود وعيسى حيث كان اميا
لا يقرا ولا يكتب وهم كانوا قارئين كاتبين فلم يكن له بد من التلقن والتحفظ فانزل عليه منجما في
عشرين سنة وقيل في ثلث وعشرين سنة وايضا فكان ينزل على حسب الحوادث وجوابات السائلين
ولان بعضه منسوخ وبعضه ناسخ ولا يتاتى ذلك الا فيما انزل مفرقا **فان قلت** ذلك في كذلك
يجب ان يكون اشارة الى شيء تقدمه والذي تقدم هو انزاله جملة واحدة فكيف فسرته بكذلك انزلناه
مفرقا **قلت** لان قولهم لولا انزل عليه جملة معناه لم انزل مفرقا والدليل على فساد هذا الاعتراض
انهم عجزوا عن ان ياتوا بنجم واحد من نجومه وتحدوا بسورة واحدة من اصغر السور فابرزوا صفحة
عجزهم وسجلوا به على انفسهم حين لاذوا بالمناصبة وفزعوا الى المحاربة ثم قالوا هلا انزل جملة واحدة

احد يام

كانهم قدروا على تفاريقه حتى يقدروا على جملته ورتلناه معطوف على الفعل الذي تعلق به
كذلك كانه قال كذلك فرقناه ورتلناه ومعنى ترتيله ان قدره ايه بعد ايه ووقفه عقيب
وثبة ويجوز ان يكون المعنى وامرنا بترتيل قراءته وذلك قوله ورتل القران ترتيلا اي اقراه بترسل
وتثبت ومنه حديث عائشة رضي الله عنها في صفة قراءته لا كسردكم هذا لو اراد السامع ان
يعد حروفه لعدها واصله الترتيل في اسنان وهو تفليجها يقال ثغر رتل ومرتل ويشبه بنور
الاقحوان في تفليجه وقيل هو ان نزله مع كونه متفرقا على تمكث وتمهل في مدة متباعدة وهي
عشرون سنة ولم نفرقه في مدة متقاربة ولا ياتونك بسوال عجيب من سوالاتهم الباطلة
كانه مثل في البطلان الا اتيناك نحن بالجواب الحق الذي لا محيد عنه وبما هو احسن معنى ومودى
من سوالهم ولما كان التفسير التكشيف عما يدل عليه الكلام وضع موضع معناه فقالوا تفسير هذا الكلام
كيت وكيت كما قيل معناه كذا وكذا او لا ياتونك بحال وصفة عجيبة يقولون هلا كانت هذه صفتك
وحالك نحو ان يقرن بك ملك ينذر معك او يلقى اليك كنز او تكون لك جنة او ينزل عليك
القران جملة الا اعطيناك نحن من الاحوال ما يحق لك في حكمتنا ومشيتنا ان نعطاه وما هو احسن
تكشيفا لما بعثت عليه ودلالة على صحته يعني ان تنزيله مفرقا وتحديهم بان ياتوا ببعض تلك
التفاريق كلما نزل شيء منها ادخل في الاعجاز وانور للحجة من ان ينزل كله جملة ويقال لهم جيئوا
بمثل هذا الكتاب في فصاحته مع بعد ما بين طرفيه كانه قيل لهم ان حاملكم على هذه السوالات
انكم تضللون سبيله وتحتقرون مكانه ومنزلته ولو نظرتم بعين الانصاف وانتم من المسحوبين
على وجوههم الى جهنم لعلمتم ان مكانكم شر من مكانه وسبيلكم اضل من سبيله وفي طريقته قوله قل
هل انبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه الاية ويجوز ان يراد بالمكان
الشرف والمنزلة وان يراد الدار والمسكن كقوله اي الفريقين خير مقاما واحسن نديا ووصف

السبيل

السبيل بالضلال من الاسناد المجازي وعن النبي صلعم يحشر الناس يوم القيمة على ثلاثة اثلاث
ثلث على الدواب وثلث على وجوههم وثلث على اقدامهم ينسلون نسلا الوزير لا ينافي التبع
فقد كان يبعث في الزمن الواحد انبياء يوازرون بان يوازر بعضهم بعضا والمعنى فذهبا اليهم
فكذبوهما فدمرناهم كقوله اضرب بعصاك البحر فانفلق اي فضرب فانفلق اراد اختصار
القصة فذكر حاشيتيها اولها واخرها لانهما المقصود من القصة بطولها اعني الزام الحجة ببعثة
الرسل واستحقاق التدمير بتكذيبهم وعن علي رضي الله عنه فدمرتهم وعنه فدمراهم وقرئ
فدمرانهم على التاكيد بالنون الثقيلة كانهم كذبوا نوحا ومن قبله من الرسل صريحا او كان تكذيبهم
لواحد منهم تكذيبا للجميع او لم يروا بعثة الرسل اصلا كالبراهمة وجعلناهم وجعلنا اغراقهم
او قصتهم للظالمين اما ان يعني بهم قوم نوح واصله واعتدنا لهم الا انه قصد تظليمهم فاظهر
واما ان يتناولهم بعمومه عطف عادا على هم في جعلناهم او على الظالمين لان المعنى ووعدنا
الظالمين وقرئ وثمود على تاويل القبيلة واما المنصرف فعلى تاويل الحي او لانه اسم الاب الاكبر
قيل في اصحاب الرس كانوا قوما من عبدة الاصنام اصحاب ابار ومواش فبعث الله اليهم شعيبا
عليه السلام فدعاهم الى الاسلام فتمادوا في طغيانهم وفي ايذائه فبيناهم حول الرس وهو البير
غير المطوية عن سلع عبيدة انهارت بهم فخسف بهم وبديارهم وقيل الرس قرية بفلج اليمامة قتلوا
نبيهم فهلكوا وهم بقية ثمود قوم صالح وقيل هم اصحاب النبي حنظلة بن صفوان كانوا ابتلوا
بالعنقاء وهي اعظم ما يكون من الطير سميت لطول عنقها وكانت تسكن جبلهم الذي يقال له
فتح وهي تنقض على صبيانهم فتخطفهم فاصابتها الصاعقة ثم انهم قتلوا حنظلة فاهلكوا وقيل هم
اصحاب الاخدود والرس هو الاخدود وقيل الرس بانطاكية قتلوا حبيبا النجار وقيل كذبوا نبيهم
ورسوه في بير اي دسوه فيها بين ذلك اي بين ذلك المذكور وقد يذكر الذاكر اشياء مختلفة

ان اعوزها الصيد فدعا عليها حنظلة

ثم اشير اليها بذلك وبحسب الحاسب اعدادا متكاثرة ثم تقول فذلك كيت وكيت على
معنى فذلك المحسوب او المعدود وضربنا له الامثال بينا له القصص العجيبة من قصص الاولين
ووصفنا لهم ما اجروا اليه من تكذيب الانبياء وجرى عليهم من عذاب الله وتدميره والتتبير
التفتيت والتكسير ومنه التبر وهو كسار الذهب والفضة والزجاج وكلا الاول منصوب
بما دل عليه ضربنا له الامثال وهو انذرنا او حذرنا والثاني بتبرنا لانه فارغ له اراد بالقرية سدوم
من قرى قوم لوط وكانت خمسا اهلك الله اربعا باهلها وبقيت واحدة ومطر السوء الحجارة يعني
ان قريشا مروا مرارا كثيرة في متاجرهم الى الشام على تلك القرية التي اهلكت بالحجارة من السماء
افلم يكونوا في مرار مرورهم ينظرون الى آثار عذاب الله ونكاله ويذكرون بل كانوا قوما كفرة بالبعث
لا يتوقعون نشورا وعاقبة فوضع الرجاء موضع التوقع لانه انما يتوقع العاقبة من يومن فمن ثم لم
ينظروا ولم يذكروا ومروا بها كما مرت ركابهم او لا يأملون نشورا كما يامله المومنون لطمعهم في
الوصول الى ثواب اعمالهم او لا يخافون على اللغة التهامية ان الاولى نافية والثانية مخففة من الثقيلة
واللام هي الفارقة بينهما واتخذه هزوا في معنى استهزأ به والاصل اتخذه موضع هزؤ او مهزوا به اهذا
محكي بعد القول المضمر وهذا استصغار وبعث الله رسولا واخراجه في معرض التسليم والاقرار وهم
على غاية الجحود والانكار سخرية واستهزاء ولو لم يستهزؤوا لقالوا اهذا الذي زعم او ادعى انه مبعوث
من عند الله رسولا وقولهم ان كاد ليضلنا دليل على فرط مجاهدة رسول الله صلى الله عليه وسلم في دعوتهم و
بذله قصارى الوسع والطاقة في استعطافهم مع عرض الآيات والمعجزات عليهم حتى شارفوا بزعمهم
ان يتركوا دينهم الى دين الاسلام لولا فرط لجاجهم واستمساكهم بعبادة آلهتهم ولولا في مثل هذا الكلام
جار من حيث المعنى لا من حيث الصنعة مجرى التقييد للحكم المطلق وسوف يعلمون وعيد و
دلالة على انهم لا يفوتونه وان طالت مدة الامهال ولا بد للوعيد ان يلحقهم فلا يغرنهم التاخير

قوله

111

قوله من اضل سبيلا كالجواب عن قولهم ان كاد ليضلنا لانه نسبة لرسول الى الضلال من حيث
لا يضل غيره الا من هو ضال في نفسه ويروى انه من قول ابي جهل لعنه الله من كان في طاعة
الهوى في دينه يتبعه في كل ما ياتي ويذر لا يبصر دليلا ولا يصغي الى برهان فهو عابد هواه وجاعله
الهه فيقول لرسوله هذا الذي لا يرى معبودا الا هواه كيف تستطيع ان تدعوه الى الهدى افتتوكل
عليه وتجبره على الاسلام وتقول لا بد ان تسلم شئت او ابيت ولا اكراه في الدين وهذا
كقوله وما انت عليهم بجبار لست عليهم بمسيطر ويروى ان الرجل منهم كان يعبد الحجر فاذا راى
احسن منه رمى به واخذ آخر ومنهم الحارث بن قيس السهمي ام هذه منقطعة معناه بل اتحسب
كان هذه المذمة اشد من التي تقدمتها حتى حقت بالاضراب عنها اليها وهي كونهم مسلوبي
الاسماع والعقول لانهم لا يلقون الى استماع الحق اذنا ولا الى تدبره عقلا ومشبهين بالانعام
التي هي مثل في الغفلة والضلالة ثم ارجح ضلالة منها **فان قلت** لم اخر هواه والاصل قولك
اتخذ الهوى الها **قلت** ما هو الا تقديم المفعول الثاني على الاول للعناية كما تقول علمت
منطلقا زيدا لفضل عنايتك بالمنطلق **فان قلت** ما معنى ذكر الاكثر **قلت** كان
فيهم من لم يصده عن الاسلام الا داء واحد وهو حب الرياسة وكفى به داء عضالا **فان قلت**
كيف جعلوا اضل من الانعام **قلت** لان الانعام تنقاد لاربابها التي تعلفها وتتعهدها
وتعرف من يحسن اليها ممن يسيء اليها وتطلب ما ينفعها وتجتنب ما يضرها وتهتدي لمراعيها و
مشاربها وهؤلاء لا ينقادون لربهم ولا يعرفون احسانه اليهم من اساءة الشيطان الذي هو عدوهم
ولا يطلبون الثواب الذي هو اعظم المنافع ولا يتقون العقاب الذي هو اشد المضار و
المهالك ولا يهتدون للحق الذي هو المشرع الهني والعذب الروي الم تر الى ربك الم تنظر الى صنع
ربك وقدرته ومعنى مد الظل ان جعله يمتد وينبسط فينتفع به الناس ولو شاء لجعله ساكنا اي

لاصقا باصل كل مظل من جبل وبناء وشجر غير منبسط فلم ينتفع به احد سمي انبساط الظل
امتداده تحركا منه وعدم ذلك سكونا ومعنى كون الشمس دليلا ان الناس يستدلون بالشمس
وباحوالها في مسيرها على احوال الظل من كونه ثابتا في مكان وزايلا ومتسعا ومتقلصا فيبنون
حاجتهم الى الظل واستغناءهم عنه على حسب ذلك وقبضه اليه انه ينسخه بضح الشمس يسيرا
اى على مهل وفي هذا القبض اليسير شيا بعد شي من المنافع ما لا يعد ولا يحصر ولو قبض دفعة واحدة
لتعطلت اكثر منافع الناس بالظل والشمس جميعا **فان قلت** ثم في هذين الموضعين كيف موقعها
قلت موقعها لبيان تفضل الامور الثلثة كان الثاني اعظم من الاول والثالث اعظم منهما تشبيها
لتباعد ما بينهما في الفضل بتباعد ما بين الحوادث في الوقت ووجه اخر وهو انه مد الظل حين
بنى السماء كالقبة المضروبة ودحا الارض تحتها فالقت القبة ظلها على الارض فينانا ما في اديمه
جوب لعدم النير ولو شاء لجعله ساكنا مستقرا على تلك الحالة ثم خلق الشمس وجعلها على ذلك
الظل اى سلطها عليه ونصبها دليلا متبوعا له كما يتبع الدليل في الطريق فهو يزيد بها وينقص
ويمتد ويتقلص ثم نسخه بها فقبضه قبضا سهلا يسيرا غير عسير ويحتمل ان يريد قبضه عند
قيام الساعة بقبض اسبابه وهي الاجرام التي تلقي الظل فيكون قد ذكر اعدامه باعدام اسبابه
كما ذكر انشاءه بانشاء اسبابه وقوله قبضناه الينا يدل عليه وكذلك قوله يسيرا كما قال ذلك
حشر علينا يسير شبه ما يستر من ظلام الليل باللباس الساتر والسبات الموت والمسبوت
الميت لانه مقطوع الحياة وهذا كقوله وهو الذي يتوفاكم بالليل **فان قلت** هلا فسرته
بالراحة **قلت** النشور في مقابلته يأباه اباء العيوف الورد وهو مرنق وهذه الاية مع
دلالتها على قدرة الخالق فيها اظهار لنعمته على خلقه لان الاحتجاب بستر الليل كم فيه لكثير من
الناس من فوايد دينية ودنيوية والنوم واليقظة وشبههما بالموت والحياة اى عبرة

فيهما

ذرت الريح والرياح نشرا احيا ونشرا
جمع نشور وهي المحيية ونشرا تخفيف نشر

١١٢

فيهما لمن اعتبر وعن لقمن انه قال لابنه يا بني كما تنام فتوقظ كذلك تموت فتنشر وبشرا تخفيف
بشر جمع بشور وبشرى وبين يدي رحمته استعارة مليحة اى قدام المطر طهورا بليغا في
طهارته وعن احمد بن يحيى هو ما كان طاهرا في نفسه مطهرا لغيره فان كان ما قاله شرحا لبلاغته
في الطهارة كان سديدا ويعضده قوله تعالى وينزل من السماء ماء ليطهركم به والا فليس فعول عليكم
من التفعيل في شي والطهور على وجهين في العربية صفة واسم غير صفة فالصفة قولك ماء طهور
كقولك طاهر والاسم قولك لما يتطهر به طهور كالوضوء والوقود لما يتوضا به ويوقد به النار
توقد به النار وقولهم تطهرت طهورا حسنا كقولك وضوءا حسنا ذكره سيبويه ومنه قوله عليه
السلام لا صلوة الا بطهور اى بطهارة **فان قلت** ما الذي يزيل عن الماء اسم الطهور **قلت** تيقن
مخالطة النجاسة او غلبتها على الظن تغيرت احد اوصافه الثلثة او لم يتغير او استعماله في البدن
لاداء عبادة عند ابي حنيفة رضي الله عنه وعند مالك بن انس ما لم يتغير احد اوصافه فهو طهور
فان قلت فما تقول في قوله عليه السلام حين سئل عن بير بضاعة فقال الماء طهور لا ينجسه شي
الا ما غير لونه او طعمه او ريحه **قلت** قال الواقدي كان بير بضاعة طريقا للماء الى البساتين
وانما قال ميتا لان البلدة في معنى البلد في قوله فسقناه الى بلد ميت وانه غير جار على الفعل
كمفعل ومفاعل ومنفعل وقرئ نسقيه بالفتح وسقى واسقى لغتان وقيل اسقاه جعل
له سقيا الاناسي جمع انسي وانسان ونحوه ظرابي في ظربان على قلب النون ياء والاصل اناسين
وظرابين وقرئ بالتخفيف بحذف ياء افاعيل كقولك اناعم في اناعيم **فان قلت** انزال الماء
موصوفا بالطهارة وتعليله بالاحياء والسقي يؤذن بان الطهارة شرط في صحة ذلك كما تقول
حملني الامير على فرس جواد لاصيد عليه الوحش **قلت** لما كان سقي الاناسي من جملة ما انزل
له الماء وصفه بالطهور اكراما لهم وتتميما للمنة عليهم وبيانا ان من حقهم حين اراد الله لهم الطهارة

وارادهم عليها ان يونزوها في بواطنهم ثم في ظواهرهم وان يربأوا بانفسهم عن مخالطة القاذورات
كلها كما ربأ بهم ربهم **فان قلت** لم خص الانعام من بين ما خلق من الحيوان بالشارب
قلت لان الطير والوحش تبعد في طلب الماء فلا يعوزها الشرب بخلاف الانعام
ولانها قنية الاناسي وعامة منافعهم متعلقة بها فكان الانعام عليهم بسقي انعامهم كالانعام بسقيهم
فان قلت ما معنى تنكير الانعام والاناسي ووصفها بالكثرة **قلت** معنى ذلك ان
علية الناس وجلهم منيخون بالقرب من الاوديه والانهار ومنابع الماء فهم غنية عن سقي الماء و
اعقابهم وهم كثير منهم لا يعيشهم الا ما ينزل الله من رحمته وسقيا سمايه وكذلك قوله لنحيي به بلدة
ميتا يريد بعض بلاد هولاء المبتعدين عن مظان الماء **فان قلت** لم قدم احيا الارض
وسقي الانعام على سقي الاناسي **قلت** لان حيوة الاناسي بحيوة ارضهم وحيوة انعامهم
فقدم ما هو سبب حيوتهم وتعيشهم على سقيهم ولانهم اذا ظفروا بما يكون سقيا ارضهم ومواشيهم
لم يعدموا سقياهم ولقد صرفناه هذا القول بين الناس في القران وفي ساير الكتب و
الصحف التي انزلت على الرسل وهو ذكر انشاء السحاب وانزال القطر ليذكروا ويعتبروا ويعرفوا
حق النعمه فيه ويشكروا فابى اكثرهم الا كفران النعمه وجحودها وقلة الاكتراث لها وقيل صرفنا
المطر بينهم في البلدان المختلفه والاوقات المتغايره وعلى الصفات المتفاوته من وابل
وطل وجود ورذاذ وديمه ورهام فابوا الا الكفور وان يقولوا مطرنا بنوء كذا ولا يذكروا صنع الله
ورحمته وعن ابن عباس ما من عام اقل مطرا من عام ولكن قسم الله ذلك بين عباده على ما شاء الله
وتلا هذه الايه وروي ان الملايكه يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام لانه لا يختلف
ولكن تختلف فيه البلاد وينتزع من ههنا جواب في تنكير البلده والانعام
والاناسي كانه قال لنحيي به بعض البلاد الميته ونسقيه بعض الانعام والاناسي وذلك

البعض

١١٣

كثير **فان قلت** هل يكفر من ينسب المطر الى الانواء **قلت** ان كان لا يراها الا من
الانواء ويجحد ان تكون هي والانواء من خلق الله فهو كافر وان كان يرى ان الله خالقها
وقد نصب الانواء دلايل وامارات عليها لم يكفر يقول لرسول صلى الله عليه وسلم ولو شئنا
لخففنا عنك اعباء نذارة جميع القرى ولبعثنا في كل قريه نبيا ينذرها وانما قصرنا الامر عليك
وعظمناك به واجللناك وفضلناك على ساير الرسل فقابل ذلك بالتشدد والتصبر ولا تطع الكافرين
فيما يريدونك عليه وانما اراد بهذا تهييجه وتهييج المومنين وتحريكهم والضمير للقران او
لترك الطاعه الذي يدل عليه ولا تطع والمراد ان الكفار يجدون ويجتهدون في توهين امرك فقابلهم
من جدك واجتهادك وعضك على نواجذك بما تغلبهم به وتعلوهم وجعله جهادا كبيرا لما
يحتمل فيه من المشاق العظام ويجوز ان يرجع الضمير في به الى ما دل عليه ولو شينا لبعثنا في كل
قريه نذيرا من كونه نذير كافة القرى لانه لو بعث في كل قرية نذيرا لوجبت على كل نذير
مجاهدة قريته فاجتمعت على رسول الله تلك المجاهدات كلها فكبر جهاده من اجل ذلك وعظم
فقال له وجاهدهم بسبب كونك نذير كافة القرى جهادا كبيرا جامعا لكل مجاهده سمى
الماءين الكثيرين الواسعين بحرين والفرات البليغ العذوبه حتى يضرب الى الحلاوه والاجاج
نقيضه ومرجهما خلاهما متجاورين متلاصقين وهو بقدرته يفصل بينهما ويمنعهما التمازج
وهذا من عظيم اقتداره وفي كلام بعضهم وبحران احدهما مع الاخر ممزوج وماء العذب منهما
بالاجاج ممزوج برزخا حايلا من قدرته كقوله عز وعلا بغير عمد ترونها يريد بغير عمد مرئيه
وهو قدرته وقرى ملح على فعل وقيل كانه حذف من مالح تخفيفا كما قال وصليانا بردا يريد باردا
فان قلت وحجرا محجورا ما معناه **قلت** هي الكلمه التي يقولها المتعوذ وقد
فسرناها وهي ههنا واقعه على سبيل المجاز كان كل واحد من البحرين يتعوذ من صاحبه ويقول

ويجتهدون م

لهما حجرا محجورا كما قال لا يبغيان اى لا يبغى احدهما على صاحبه بالممازجه فانتفاء البغى ثم كا
كالتعوذ هاهنا جعل كل واحد منهما فى صورة الباغى على صاحبه فهو يتعوذ منه وهو من
احسن الاستعارات واشهدها على البلاغه اراد فقسم البشر قسمين ذوى نسب اى
ذكورا ينسب اليهم فيقال فلان بن فلان وفلانه بنت فلان وذوات صهر اى اناثا
يصاهر بهن ونحوه قوله تعالى فجعل منه الزوجين الذكر والانثى وكان ربك قديرا حيث
خلق من النطفه الواحده بشرا نوعين ذكرا وانثى الظهير والمظاهر كالعوين والمعاون و
فعيل بمعنى مفاعل غير عزيز والمعنى ان الكافر يظاهر الشيطان على ربه بالعداوه والشرك
روى انها نزلت فى ابى جهل ويجوز ان يريد بالظهير الجماعه كقوله تعالى والملائكه بعد
ذلك ظهير كما جاء الصديق والخليط ويريد بالكافر الجنس وان بعضهم مظاهر لبعض على اطفاء
نور دين الله وقيل معناه وكان الذى يفعل هذا الفعل وهو عباده ما لا ينفع ولا يضر على ربه
هينا مهينا من قولهم ظهرت به اذا خلفته خلف ظهرك لا تلتفت اليه وهذا نحو قوله اولئك
لا خلاق لهم فى الاخره ولا يكلمهم الله ولا ينظر اليهم مثال الا من شاء والمراد الا فعل من شاء و
استثناؤه عن الاجر قول ذى شفقه عليك قد سعى لك فى تحصيل مال ما اطلب منك ثوابا
على ما سعيت الا ان تحفظ هذا المال ولا تضيعه فليس حفظك المال لنفسك من جنس الثواب
ولكن صوره هو بصوره الثواب وسماه باسمه فافاد فائدتين احدهما قلع شبهه الطمع فى
الثواب من اصله كانه يقول لك ان كان حفظك لمالك ثوابا فانى اطلب الثواب والثانيه
اظهار الشفقه البالغه وانك ان حفظت مالك اعتد بحفظك ثوابا ورضى به كما يرضى المثاب
بالثواب ولعمرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان مع المبعوث اليهم بهذا الصدد وفوقه و
معنى اتخاذهم الى الله سبيلا تقربهم اليه وطلبهم عنده الزلفى بالايمان والطاعه وقيل

المراد

١١٤

المراد التقرب بالصدقه والنفقه فى سبيل امره بان يثق به ويسند امره اليه فى استكفاء شرورهم
مع التمسك بقاعده التوكل واساس الالتجاء وهو طاعته وعبادته وتنزيهه وتحميده وعرفه ان
الحى الذى لا يموت حقيق بان يتوكل عليه وحده ولا يتكل على غيره من الاحياء الذين يموتون
وعن بعض السلف انه قراها فقال لا يصح لذى عقل ان يثق بعدها بمخلوق ثم اراه ان ليس
اليه من امر عباده شى امنوا ام كفروا وانه خبير باحوالهم كاف فى جزاء اعمالهم فى سته ايام يعنى
فى مده مقدارها هذه المده لانه لم يكن حينئذ نهار ولا ليل وقيل سته ايام من ايام الاخره وكل يوم
الف سنه والظاهر انها من ايام الدنيا وعن مجاهد اولها يوم الاحد واخرها يوم الجمعه ووجهه
ان يسمى الله تعالى للملائكه تلك الايام المقدره بهذه الاسماء فلما خلق الشمس وادارها وترتب امر
العالم على ما هو عليه جرت التسميه على هذه الايام واما الداعى الى هذا العدد اعنى السته دون
سائر الاعداد فلا نشك انه داعى حكمه لعلمنا انه لا يقدر تقديرا الا بداعى حكمه وان كنا لا نطلع
عليه ولا نهتدى الى معرفته ومن ذلك تقدير الملائكه الذين هم اصحاب النار تسعه عشر و
حمله العرش ثمانيه والشهور اثنى عشر والسموات سبعا والارض كذلك والصلوات خمسا و
اعداد النصب والحدود والكفارات وغير ذلك والاقرار بدواعى الحكمه فى جميع افعاله وبان ما قدره
حق وصواب هو الايمان وقد نص عليه فى قوله وما جعلنا اصحاب النار الا ملائكه وما جعلنا عدتهم
الا فتنه للذين كفروا ليستيقن الذين اوتوا الكتاب ويزداد الذين امنوا ايمانا ولا يرتاب الذين
اوتوا الكتاب والمؤمنون وليقول الذين فى قلوبهم مرض والكافرون ماذا اراد الله بهذا مثلا
ثم قال وما يعلم جنود ربك الا هو والجواب ايضا فى ان لم يخلقها فى لحظه وهو قادر على ذلك وعن
سعيد بن جبير انما خلقها فى سته ايام وهو يقدر على ان يخلقها فى لحظه تعليما لخلقه الرفق
والتثبت وقيل اجتمع خلقها يوم الجمعه فجعله الله عيدا للمسلمين الذى خلق مبتدا والرحمن خبره

او هو صفة للحي والرحمن خبر مبتدا محذوف او بدل عن المستتر في استوى وقرئ الرحمن بالجر صح
للحي صفة وقرئ فسل والباء في به صلة سل كقوله سال سايل بعذاب واقع كما تكون عن صلته
في نحو قوله ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم فسال به كقولك اهتم به واعتنى به واشتغل به وسال
عنه كقولك بحث عنه وفتش عنه ونقر عنه او صلة خبيرا وتجعل خبيرا مفعول سل يريد فسل
عنه رجلا عارفا يخبرك برحمته او فسل رجلا خبيرا به وبرحمته او فسل بسواله خبيرا كقولك
رايت به اسدا اي برويته والمعنى ان سالته وجدته خبيرا او تجعله حالا عن الهاء يريد فسل
عنه عالما بكل شيء وقيل الرحمن اسم من اسماء الله تعالى مذكور في الكتب المتقدمة ولم
يكونوا يعرفونه فقيل فسل بهذا الاسم من يخبرك من اهل الكتاب حتى يعرف من ينكره ومن ثم كانوا
يقولون ما نعرف الرحمن الا الذي باليمامة يعنون مسيلمة وكان يقال له رحمن اليمامة وما
الرحمن اليمامة وما الرحمن يجوز ان يكون سوالا عن المسمى به لانهم ما كانوا يعرفونه بهذا الاسم
والسوال عن المجهول بما ويجوز ان يكون سوالا عن معناه لانه لم يكن مستعملا في كلامهم كما
استعمل الرحيم والرحوم والراحم او لانهم انكروا اطلاقه على الله لما تامرنا اي للذي تامرنا
تامرنا بسجوده على قوله امرتك الخير او لامرك لنا وقرئ بالياء كان بعضهم قال لبعض
انسجد لما يامرنا محمد او يامرنا المسمى بالرحمن ولا نعرف ما هو وفي زادهم ضمير اسجدوا
للرحمن لانه هو المقول البروج منازل الكواكب السبعة السيارة الحمل والثور والجوزاء والسرطان
والاسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجدي والدلو والحوت سميت بالبروج التي
هي القصور العالية لانها لهذه الكواكب كالمنازل لسكانها واشتقاق البرج من
التبرج لظهوره والسراج الشمس كقوله تعالى وجعل الشمس سراجا وقرئ سرجا وهي الشمس والكواكب
الكبار معها وقرا الاعمش والحسن وقمرا منيرا وهي جمع ليلة قمراء كانه قال وذا قمر وخلقه منيرا لان الليالي

يكون

115

يكون قمرا بالقمر فاضافه اليها ونظيره في بقاء حكم المضاف بعد سقوطه وقيام المضاف اليه مقامه
قول حسان بردى يصفق بالرحيق السلسل يريد ماء بردى ولا يبعد ان يكون القمر بمعنى القمر كالرشد
والرشد والعرب والعرب خلفة من خلف كالركبة من ركب وهي الحالة التي يخلف عليها
الليل والنهار كل واحد منهما الاخر والمعنى جعلهما ذوي خلفة اي ذوي عقبة اي يعقب
هذا ذاك وذاك هذا ويقال الليل والنهار يختلفان كما يقال يعتقبان ومنه قوله واختلاف
الليل والنهار ويقال بالليل والنهار خلفتان كما يقال بفلان خلفة واختلاف اذا اختلف
كثيرا الى متبرزه وقرئ يذكر ويذكر وعن ابي بن كعب يتذكر والمعنى لينظر في اختلافهما الناظر
فيعلم ان لا بد لانتقالهما من حال الى حال وتغيرهما من ناقل ومغير ويستدل بذلك على عظم قدرته
ويشكر الشاكر على النعمة فيهما من السكون بالليل والتصرف بالنهار كما قال عز وعلا ومن
رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله او ليكونا وقتين للمتذكرين و
الشاكرين من فاته في احدهما ورده من العبادة قام به في الاخر وعن الحسن رحمه الله من فاته
عمله من التذكر والشكر بالنهار كان له في الليل مستعتب ومن فاته بالليل كان له في النهار
مستعتب وعباد الرحمن مبتدا خبره في اخر السورة كانه قيل وعباد الرحمن الذين هذه صفاتهم
اولئك يجزون الغرفة ويجوز ان يكون خبره الذين يمشون واضافهم الى الرحمن تخصيصا
وتفضيلا وقرئ وعباد الرحمن وقرئ يمشون هونا حال او صفة للمشي بمعنى هينين او مشيا
هينا الا ان في وضع المصدر موضع الصفة مبالغة والهون الرفق واللين ومنه الحديث احبب
حبيبك هونا ما وقوله المؤمنون هينون لينون والمثل اذا عز اخوك فهن ومعناه اذا عاسر
فياسر والمعنى انهم يمشون بسكينة ووقار وتواضع لا يضربون باقدامهم ولا يخفقون بنعالهم اشرا
وبطرا ولذلك كره بعض العلماء الركوب في الاسواق ولقوله ويمشون في الاسواق سلاما

منكم لا نجاهلكم ومتاركة لا خير بيننا ولا شر اى نتسلم منكم تسلما فاقيم السلام مقام التسليم وقيل
قالوا سدادا من القول يسلمون فيه من الايذاء والاثم والمراد بالجهل السفه وقلة الادب وسوء الرعة
من قوله الا لا يجهلن احد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا وعن ابي العالية نسختها اية القتال
ولا حاجة الى ذلك لان الاغضاء عن السفهاء وترك المقابلة مستحسن في الادب والمروة والشريعة
واسلم للعرض والورع البيتوتة خلاف الظلول وهي ان يدركك الليل نمت فيه او لم تنم وقالوا
من قرا شيا من القران في صلوة وان قل فقد بات ساجدا او قائما وقيل هما الركعتان بعد المغرب
والركعتان بعد العشاء والظاهر انه وصف لهم باحياء الليل او اكثره يقال فلان يظل صائما
ويبيت قائما هلاكا وخسرانا ملحا لازما قال يوم النسار ويوم الجفار كانا عذابا وكان غراما
وقال ان يعاقب يكن غراما وان يعط جزيلا فانه لا يبالي ومنه الغريم لالحاحه والزامه وصفهم
باحياء الليل ساجدين وقائمين ثم عقبه بذكر دعوتهم هذه ايذانا بانهم مع اجتهادهم خائفون
مبتهلون الى الله في صرف العذاب عنهم كقوله والذين يوتون ما اتوا وقلوبهم وجلة ساءت
في حكم بئست وفيها ضمير مبهم يفسره مستقرا والمخصوص بالذم محذوف معناه ساءت مستقرا
ومقاما هي وهذا الضمير هو الذي ربط الجملة باسم ان وجعلها خبرا لها ويجوز ان يكون ساءت
بمعنى احزنت وفيها ضمير اسم ان ومستقرا حال او تمييز والتعليلان يصح ان يكونا متداخلين
ومترادفين وان يكونا من كلام الله وحكاية لقولهم قرئ يقتروا بكسر التاء وضمها ويقتروا بتخفيف
التاء وتشديدها والقتر والاقتار والتقتير التضييق الذي هو نقيض الاسراف والاسراف مجاوزة
الحد في النفقة ووصفهم بالقصد الذي هو بين الغلو والتقصير وبمثله امر رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وقيل الاسراف انما هو الانفاق
في المعاصي فاما في القرب فلا اسراف وسمع رجل رجلا يقول لا خير في الاسراف فقال لا اسراف في الخير

وعن عمر

وعن عمر بن عبد العزيز انه شكر عبد الملك بن مروان حين زوجه ابنته واحسن اليه فقال
وصلت الرحم وفعلت وصنعت وجاء بكلام حسن فقال ابن لعبد الملك انما هو كلام
اعده لهذا المقام فسكت عبد الملك فلما كان بعد ايام دخل عليه والابن حاضر فساله عن نفقته
واحواله فقال الحسنة بين السيئتين فعرف عبد الملك انه اراد ما في هذه الاية فقال لابنه يا بني اهذا
ايضا مما اعده وقيل اولئك اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم كانوا لا ياكلون طعاما للتنعم واللذة ولا يلبسون
ثوبا للجمال والزينة ولكن كانوا ياكلون ما يسد جوعتهم ويعينهم على عبادة ربهم ويلبسون ما يستر
عوراتهم ويكنهم من الحر والقر وقال عمر رضي الله عنه كفى سرفا ان لا يشتهي رجل شيئا الا اشتراه
فاكله والقوام العدل بين الشيئين لاستقامة الطرفين واعتدالهما ونظير القوام من الاستقامة
السواء من الاستواء وقرئ قواما بالكسر وهو ما يقام به الشيء يقال انت قوامنا بمعنى ما تقام به الحاجة
لا يفضل عنها ولا ينقص والمنصوبان اعني بين ذلك قواما جائز ان يكونا خبرين معا وان يجعل بين
ذلك لغوا وقواما مستقرا وان يكون الظرف خبرا وقواما حالا مؤكدة واجاز الفراء ان يكون
بين ذلك اسم كان على انه مبني لاضافته الى غير متمكن كقوله لم يمنع الشرب منها غير ان نطقت وهو
من جهة الاعراب لا باس به ولكن المعنى ليس بقوي لان ما بين الاسراف والتقتير قوام لا محالة
فليس في الخبر الذي هو معتمد الفائدة فائدة حرم الله اي حرمها والمعنى حرم قتلها الا بالحق
متعلق بهذا القتل المحذوف او بلا يقتلون ونفي هذه المقبحات العظام عن الموصوفين بتلك
الخلال العظيمة في الدين للتعريض بما كان عليه اعداء المومنين من قريش وغيرهم كانه قيل والذين
براهم الله وطهرهم مما انتم عليه والقتل بغير حق يدخل فيه الواد وغيره وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قلت يا رسول الله اي الذنب اعظم قال ان تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم اي قال ان تقتل
ولدك خشية ان ياكل معك قلت ثم اي قال ان تزاني حليلة جارك فانزل الله تصديقه وقرئ

يلق فيه أثاما وقرئ ياثاما بالالف وقد مر مثله والاثام جزاء الاثم بوزن الوبال والنكال
ومعناهما قال جزى الله ابن عروة حيث امسى عقوقا والعقوق له اثام وقيل هو الاثم ومعناه يلق
جزاء اثام وقرا ابن مسعود أياما اى شدائد يقال يوم ذو ايام لليوم العصيب يضاعف بدل
من يلق لانهما في معنى واحد كقوله متى تاتنا تلمم بنا في ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا
تاججا وقرئ يُضعّف ونُضعّف له العذاب بالنون ونصب العذاب وقرئ بالرفع على
الاستيناف او على الحال وكذلك يخلد وقرئ يُخلّد على البناء للمفعول مخففا ومثقلا
من الاخلاد والتخليد وقرئ وتخلد بالتاء على الالتفات بدل مخفف ومثقل وكذلك سيئاتهم

وابدال السيئات حسنات

فان قلت ما معنى مضاعفة العذاب وابدال الحسنات سيئات **قلت** اذا
ارتكب المشرك معاصي مع الشرك عذب على الشرك وعلى المعاصي جميعا فتضاعف العقوبة
لمضاعفة المعاقب عليه وابدال السيئات حسنات انه يمحوها بالتوبة ويثبت مكانها
الحسنات الايمان والطاعة والتقوى وقيل يبدلهم بالشرك ايمانا وبقتل المسلمين قتل المشركين
وبالزنا عفة واحصانا يريد ومن يترك المعاصي ويندم عليها ويدخل في العمل الصالح فانه بذلك
تائب الى الله متابا مرضيا عنده مكفرا للخطايا محصلا للثواب او فانه تائب متابا الى الله
الذي يعرف حق التائبين ويفعل بهم ما يستوجبون والذي يحب التوابين ويحب المتطهرين
وفي كلام بعض العرب لله افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والظمآن الوارد والعقيم الوالد
او فانه يرجع الى الله والى ثوابه مرجعا حسنا واى مرجع يحتمل انهم ينفرون عن محاضر الكذابين
ومجالس الخطائين فلا يحضرونها ولا يقربونها تنزها عن مخالطة الشر واهله وصيانة لدينهم عما
يثلمه لان مشاهد الباطل شركة فيه وكذلك النظارة الى كل ما لم تسوغه الشريعة هم شركاء
فاعليه في الاثم لان حضورهم ونظرهم دليل الرضا به وسبب وجوده والزيادة فيه لان الذي

117

سلط على فعله هو استحسان النظارة ورغبتهم في النظر اليه وفي مواعظ عيسى بن مريم صلوات الله عليه
اياكم ومجالسة الخطائين ويحتمل انهم لا يشهدون الشهادة الزور فحذف المضاف
واقيم المضاف اليه مقامه وعن قتادة مجالس الباطل وعن ابن الحنفية اللهو والغنا وعن مجاهد
اعياد المشركين اللغو كل ما ينبغي ان يلغى ويطرح والمعنى واذا مروا باهل اللغو والمشتغلين
مروا معرضين عنهم مكرمين انفسهم عن التوقف عليهم والخوض معهم كقوله واذا سمعوا اللغو
اعرضوا عنه وقالوا لنا اعمالنا ولكم اعمالكم سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين وعن الحسن لم تسفههم
المعاصي وقيل اذا سمعوا من الكفار الشتم والاذى اعرضوا وصفحوا وقيل اذا ذكروا النكاح كنوا
عنه لم يخروا عليها ليس بنفي للخرور وانما هو اثبات له ونفي للصمم والعمى كما يقول لا يلقاني
زيد مسلما هو نفي للسلام لا للقاء والمعنى انهم اذا ذكروا بها اكبوا عليها حرصا على استماعها
واقبلوا على المذكر بها وهم في اكبابهم عليها سامعون باذان واعية مبصرون بعيون راعية
لا كالذين يذكرون بها فتراهم مكبين عليها مقبلين على من يذكر بها مظهرين الحرص الشديد على
استماعها وهم كالصم العميان حيث لا يعونها ولا يبصرون ما فيها كالمنافقين واشباههم قرئ
ذريتنا وذرياتنا وقرة اعين وقرات اعين سالوا ربهم ان يرزقهم ازواجا واعقابا عمالا لله يسرون
بمكانهم وتقر بهم عيونهم وعن محمد بن كعب ليس شيء اقر لعين المؤمن من ان يرى زوجته
واولاده مطيعين لله وعن ابن عباس هو الولد اذا رآه يكتب الفقه وقيل سالوا ان يلحق الله بهم
ازواجهم وذريتهم في الجنة ليتم لهم سرورهم اراد ائمة فاكتفى بالواحد لدلالته على الجنس ولعدم
اللبس كقوله ثم يخرجكم طفلا او اراد واجعل كل واحد منا اماما او اراد جمع آم كصائم وصيام
او اراد واجعلنا اماما واحدا لاتحادنا واتفاق كلمتنا وعن بعضهم في الاية ما يدل على ان
الرياسة في الدين يجب ان تطلب ويرغب فيها وقيل نزلت هذه الايات في العشرة المبشرين بالجنة

فإن قلت من في قوله من أزواجنا ما هي قلت يحتمل أن تكون بيانية كأنه قيل هب
لنا قرة أعين ثم بينت القرة وفسرت بقوله من أزواجنا وذرياتنا ومعناه أن يجعلهم الله لهم
قرة أعين وهو من قولهم رأيت منك أسدًا أي أنت أسد وأن تكون ابتدائية على معنى
هب لنا من جهتهم ما تقر به عيوننا من طاعة وصلاح فإن قلت لم قال قرة أعين فنكّر
وقلّل قلت أما التنكير فلأجل تنكير القرة لأن المضاف لا سبيل إلى تنكيره إلا بتنكير المضاف
إليه كأنه قال هب لنا منهم سرورًا وفرحًا وإنما قيل أعين دون عيون لأنه أراد أعين المتقين
وهي قليلة بالإضافة إلى عيون غيرهم قال الله تعالى وقليل من عبادي الشكور ويجوز أن يقال في تنكير
أعين إنها أعين خاصة وهي أعين المتقين المراد يجزون الغرفات وهي العلالي في الجنة فوحّد
اقتصارًا على الواحد الدال على الجنس والدليل على ذلك قوله وهم في الغرفات آمنون وقراءة من
قرأ في الغرفة بما صبروا بصبرهم على الطاعات وعن الشهوات وعلى أذى الكفار ومجاهدتهم
وعلى الفقر وغير ذلك وإطلاقه لأجل الشياع في كل مصبور عليه وقرئ يُلقَّون كقوله ولقّاهم
نضرة ويَلقَون كقوله يلق أثامًا والتحية دعاء بالتعمير والسلام دعاء بالسلامة يعني أن الملائكة
يحيّونهم ويسلّمون عليهم أو يحيّي بعضهم بعضًا ويسلّم عليه أو يعطون التبقية والتخليد مع السلامة
عن كل آفة اللهم وفّقنا لطاعتك واجعلنا مع أهل رحمتك وارزقنا مما رزقتهم في دار رضوانك
لما وصف عباده العباد وعدّد صالحاتهم وحسناتهم وأثنى عليهم من أجلها ووعدهم الرفع
من درجاتهم في الجنة أتبع ذلك بيان أنه إنما اكترث لأولئك وعبأ بهم وأعلى ذكرهم ووعدهم
ما وعدهم لأجل عبادتهم فأمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يصرح للناس ويجزم لهم القول بأن الاكتراث
لهم عند ربهم إنما هو للعبادة وحدها لا لمعنى آخر ولولا عبادتهم لم يكترث لهم البتة ولم يعتد بهم
ولم يكونوا عنده شيئًا يبالى به والدعاء العبادة وما متضمنة لمعنى الاستفهام وهي في محل النصب

وهي

وهي عبارة عن المصدر كأنه قيل وأي عبء يعبأ بكم لولا دعاؤكم يعني أنكم لا تستأهلون شيئًا
من العبء بكم لولا عبادتكم وحقيقة قولهم ما عبأت به ما اعتددت به من فوادح همومي ومما يكون
عبئًا عليّ كما تقول ما اكترثت له أي ما اعتددت به من كوارثي ومما يهمني وقال الزجاج في تأويل
ما يعبأ بكم ربي أي وزن يكون لكم عنده ويجوز أن تكون ما نافية فقد كذبتم يقول إذا أعلمتكم أن
حكمي أني لا أعتد بعبادي إلا لعبادتهم فقد خالفتم بتكذيبكم حكمي فسوف يلزمكم أثر تكذيبكم حتى
يكبكم في النار ونظيره في الكلام أن يقول الملك لمن استعصى عليه إن من عادتي أن أحسن
إلى من يطيعني ويتبع أمري فقد عصيت فسوف ترى ما أحل بك بسبب عصيانك وقيل معناه
ما يصنع بكم ربي لولا دعاؤه إياكم إلى الإسلام وقيل ما يصنع بعذابكم لولا دعاؤكم معه آلهة فإن قلت
لمن يتوجه هذا الخطاب قلت إلى الناس على الإطلاق ومنهم مؤمنون عابدون ومكذبون
عاصون فخوطبوا بما وجد في جنسهم من العبادة والتكذيب وقرئ فقد كذب الكافرون وقيل
يكون العذاب لزامًا وعن مجاهد هو القتل يوم بدر وأنه لوزم بين القتلى لزامًا وقرئ لزامًا بالفتح
بمعنى اللزوم كالثبات والثبوت والوجه أن ترك اسم كان غير منطوق به بعدما علم أنه مما توعد
لأجل الإبهام وتناول ما لا يكتنهه الوصف والله أعلم بالصواب عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرأ سورة الفرقان لقي الله يوم القيامة وهو مؤمن بأن الساعة آتية لا ريب فيها وأدخل الجنة بغير نصب

سورة الشعراء مكية إلا قوله والشعراء يتبعهم الغاوون إلى آخر السورة وهي مائتان وسبع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم طسم بتفخيم الألف وإمالتها وإظهار النون

وادغامها الكتاب المبين الظاهر اعجازه وصحة انه من عند الله والمراد به السورة او القران
والمعنى ان آيات هذا المؤلف من الحروف المبسوطة تلك آيات الكتاب المبين البخع ان يبلغ
بالذبح البخاع بالباء وهو عرق مستبطن الفقار وذلك اقصى حد الذبح ولعل للاشفاق يعني
اشفق على نفسك ان تقتلها حسرة على ما فاتك من اسلام قومك ان لا يكونوا مؤمنين لئلا يؤمنوا او
امتناع ايمانهم او خيفة ان لا يؤمنوا وعن قتادة باخع نفسك على الاضافة اراد آية ملجئة الى الايمان
قاصرة عليه فظلت معطوف على الجزاء الذي هو ننزل لانه لو قيل انزلنا لكان صحيحا
ونظيره فاصدق واكن كانه قيل اصدق وقد قرئ لو شئنا لانزلنا وقرئ فتظل اعناقهم **فان قلت**
كيف صح مجيء خاضعين خبرا عن الاعناق **قلت** اصل الكلام فظلوا لها خاضعين فاقحمت
الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على اصله كقوله ذهبت اهل اليمامة كان الاهل غير
مذكور او لما وصفت بالخضوع الذي هو للعقلاء قيل خاضعين كقوله لي ساجدين وقيل اعناق
الناس رؤساؤهم ومقدموهم شبهوا بالاعناق كما قيل لهم هم الرؤس والنواصي والصدور قال في محفل
من نواصي الناس مشهود وقيل جماعات الناس يقال جاءنا عنق من الناس لفوج منهم وقرئ فظلت اعناقهم
لها خاضعة وعن ابن عباس نزلت هذه الآية فينا وفي بني امية قال ستكون لنا عليهم الدولة فتذل
لنا اعناقهم بعد صعوبة ويلحقهم هوان بعد عزة اي وما يجدد لهم الله بوحيه موعظة وتذكيرا
الا جددوا اعراضا عنه وكفرا به **فان قلت** كيف خولف بين الالفاظ والغرض واحد وهو
الاعراض والتكذيب والاستهزاء **قلت** انما خولف بينها لاختلاف الاغراض كانه
قيل حين اعرضوا عن الذكر فقد كذبوا به وحين كذبوا به فقد خف عندهم قدره وصار عرضة
للاستهزاء والسخرية لان من كان قابلا للحق مقبلا عليه كان مصدقا به لا محالة ولم يظن به التكذيب
ومن كان مصدقا به كان موقرا له فسياتيهم وعيد لهم وانذار بانهم سيعلمون اذا مسهم عذاب الله

يوم بدر ويوم الفتح ما الشيء الذي كانوا يستهزئون به وهو القران وسيأتيهم انباؤه واحواله
التي كانت خافية عليهم وصف الزوج وهو الصنف من النبات بالكريم والكريم صفة لكل ما
يرضى ويحمد في بابه يقال وجه كريم اذا رضي في حسنه وجماله وكتاب كريم مرضي في معانيه و
فوائده وقال حتى يشق الصفوف من كرمه اي من كونه مرضيا في شجاعته وبأسه والنبات الكريم
المرضي فيما يتعلق به من المنافع ان في انبات تلك الاصناف لآية على ان منبتها قادر على احياء الموتى
وقد علم الله ان اكثرهم مطبوع على قلوبهم غير مرجو ايمانهم وان ربك لهو العزيز في انتقامه من
الكفرة الرحيم لمن تاب وآمن وعمل صالحا **فان قلت** ما معنى الجمع بين كم وكل ولو قيل كم
انبتنا فيها من زوج كريم **قلت** قد دل كل على الاحاطة بازواج النبات على سبيل التفصيل
وكم على ان هذا المحيط متكاثر مفرط الكثرة فهذا معنى الجمع بينهما وبه نبه على كمال قدرته
فان قلت فما معنى وصف الزوج بالكريم **قلت** يحتمل معنيين احدهما ان النبات
على نوعين نافع وضار فذكر كثرة ما انبت في الارض من جميع اصناف النبات النافع وخلى
ذكر الضار والثاني ان يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعا بالكرم وينبه على انه
ما انبت شيئا الا وفيه فائدة لان الحكيم لا يفعل فعلا الا لغرض صحيح ولحكمة بالغة وان غفل
عنها الغافلون ولم يتوصل الى معرفتها العاقلون **فان قلت** فحين ذكر الازواج ودل
عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكانت بحيث لا يحصيها الا عالم الغيب كيف قال ان في ذلك
لآية وهلا قال آيات **قلت** فيه وجهان ان يكون ذلك مشارا به الى مصدر انبتنا فكانه
قال ان في الانبات لآية اي آية وان يراد ان في كل واحد من تلك الازواج لآية وقد سبقت
لهذا الوجه نظائر سجل عليهم بالظلم بان قدم القوم الظالمين ثم عطفهم عليهم عطف البيان
كان معنى القوم الظالمين وترجمته قوم فرعون وكانهما عبارتان تعتقبان على مؤدى واحد ان

ذاكرهم عبّر عنهم بالقوم الظالمين وان شاء عبّر بقوم فرعون وقد استحقوا هذا الاسم من جهتين
من جهة ظلمهم انفسهم بكفرهم وشرارتهم ومن جهة ظلمهم لبني اسرائيل باستعبادهم لهم قرئ الا يتقون
بكسر النون بمعنى الا يتقونني فحذفت النون لاجتماع النونين والياء للاكتفاء بالكسرة **فان قلت**
بم تعلق قوله الا يتقون **قلت** هو كلام مستانف اتبعه عز وجل ارساله اليهم للانذار
والتسجيل عليهم بالظلم تعجيبا لموسى عليه السلام من حالهم التي شنعت في الظلم والعسف ومن امنهم
العواقب وقلة خوفهم وحذرهم من ايام الله ويحتمل ان يكون لا يتقون حالا من الضمير في الظالمين
اي يظلمون غير متقين الله وعقابه فادخلت همزة الانكار على الحال واما من قرا الا تتقون على الخطاب
فعلى طريقة الالتفات اليهم وجبههم وضرب وجوههم بالانكار والغضب عليهم كما ترى من
يشكو من ركب جناية الى بعض اخصائه والجاني حاضر فاذا اندفع في الشكاية وحر مزاجه وحمي غضبه
قطع مباثة صاحبه واقبل على الجاني يوبخه ويعنف به ويقول له الم تتق الله الم تستح من الناس
فان قلت فما فائدة هذا الالتفات والخطاب مع موسى صلوات الله عليه في وقت المناجاة
والملتفت اليهم غيب لا يشعرون **قلت** اجراء ذلك في تكليم المرسل اليهم في معنى اجرائه
بحضرتهم والقائه الى مسامعهم لانه مبلغه ومنهيه وناشره بين الناس وله فيه لطف وحث
على زيادة التقوى وكم من آية انزلت في شان الكافرين وفيها اوفر نصيب للمؤمنين تدبرا لها
واعتبارا بموردها وفي الا يتقون بالياء وكسر النون وجه آخر وهو ان يكون المعنى الا يا ناس اتقون
كقوله الا يسجدوا ويضيق وينطلق بالرفع لانهما معطوفان على خبر ان وبالنصب لعطفهما
على صلة ان والفرق بينهما في المعنى ان الرفع يفيد ان فيه ثلث علل خوف التكذيب وضيق الصدر
وامتناع انطلاق اللسان والنصب على ان خوفه متعلق بهذه الثلثة **فان قلت** في النصب
تعليق الخوف بالامور الثلثة وفي جملتها نفي انطلاق اللسان وحقيقة الخوف انما هي غم يلحق الانسان

لامر

لامر سيقع وذلك كان واقعا فكيف جاز تعليق الخوف به **قلت** قد علق الخوف
بتكذيبهم وبما يحصل له بسببه من ضيق الصدر والحبسة في اللسان زائدة على ما كان به على
ان تلك الحبسة التي كانت به قد زالت بدعوته وقيل بقيت منها بقية يسيرة **فان قلت**
اعتذارك هذا يرده الرفع لان المعنى اني خائف ضيق الصدر غير منطلق اللسان **قلت**
يجوز ان يكون هذا قبل الدعوة واستجابتها ويجوز ان يريد القدر اليسير الذي بقي به ويجوز ان
لا يكون مع حل العقدة من لسانه من الفصحاء المصاقع الذين اوتوا سلاطة الالسنة وبسطة
المقال وهرون كان بتلك الصفة فاراد ان يقرن به ويدل عليه قوله عز وجل واخي هرون
هو افصح مني لسانا ومعنى فارسل الى هرون ارسل اليه جبرائيل واجعله نبيا وآزرني به
واشدد به عضدي وهذا الكلام مختصر وقد بسطه في غير هذا الموضع وقد احسن في الاختصار
حيث قال فارسل الى هرون فجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير الطويلة والحسن
قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا باياتنا فدمرناهم تدميرا حيث اقتصر على ذكر
طرفي القصة اولها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو الغرض من القصة الطويلة
كلها وهو انهم قوم كذبوا بايات الله فاراد الزام الحجة عليهم فبعث اليهم رسولين فكذبوهما
فاهلكهم **فان قلت** كيف ساغ لموسى عليه السلام ان يامره الله بامر فلا يتقبله بسمع وطاعة
من غير توقف وتشبث بعلل وقد علم ان الله من ورائه **قلت** قد امتثل وتقبل ولكنه
التمس من ربه ان يعضده باخيه حتى يتعاونا على تنفيذ امره وتبليغ رسالته فمهد قبل التماسه
عذره فيما التمسه ثم التمس بعد ذلك وتمهيد العذر في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس بتوقف
في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون دليلا على التقبل لا على التعلل اراد بالذنب
قتله القبطي وقيل كان خباز فرعون واسمه فاتون يعني ولهم علي تبعة ذنب وهي قود ذلك

القتل فاخاف ان يقتلون به فحذف المضاف او سمى تبعة الذنب ذنبا كما سمى جزاء
السيئة سيئة **فان قلت** قد ابيت ان تكون تلك الثلث عللا وجعلتها تمهيدا للعذر
فيما التمسه فما قولك في هذه الرابعة **قلت** هذه استدفاع للبلية المتوقعة وفرق من
ان تقتل قبل اداء الرسالة فكيف تكون تعليلا والدليل عليه ما جاء بعده من كلمة الردع والموعد
بالكلاءة والدفع جمع الله له الاستجابتين معا في قوله كلا فاذهبا لانه استدفعه بلاءهم فوعده
الدفع بردعه عن الخوف والتمس منه الموازرة باخيه فاجابه بقوله اذهبا اي اذهب انت
والذي طلبته وهو هرون **فان قلت** علام عطف قوله تعالى فاذهبا **قلت** على
الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب انت وهرون وقوله
معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما كالناصر الظهير لكما عليه اذا حضر و
استمع ما يجري بينكما وبينه فاظهركما وغلبكما وكسر شوكته عنكما ونكسه ويجوز ان يكونا خبرين
لان او يكون مستمعون مستقرا ومعكم لغوا **فان قلت** علام عطف قوله تعالى
فاذهبا **قلت** على الفعل الذي يدل عليه كلا كانه قيل ارتدع يا موسى عما تظن فاذهب
انت وهرون وقوله معكم مستمعون من مجاز الكلام يريد انا لكما ولعدوكما **فان قلت**
لم جعلت مستمعون قرينة معكم في كونه من باب المجاز والله تعالى يوصف على الحقيقة بانه
سامع وسميع **قلت** ولكن لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغا
والاستماع من السمع بمنزلة النظر من الروية ومنه قوله تعالى قل اوحي الي انه استمع نفر
من الجن فقالوا انا سمعنا قرانا عجبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه اي اصغى اليه وادركه
بحاسة السمع ومنه قوله عليه السلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في اذنيه الانك
فان قلت هلا ثني الرسول كما ثني في قوله انا رسولا ربك **قلت** الرسول يكون بمعنى المرسل وبمعنى

الرسالة

الرسالة فجعله ثم بمعنى المرسل فلم يكن بد من تثنيته وجعله ها هنا بمعنى الرسالة فجاز التسوية
فيه اذا وصف به بين التثنية والجمع كما يفعل في الصفة بالمصادر نحو صوم وزور قال الكني اليها
وخير الرسول اعلمهم بنواحي الخبر فجعله للجماعة والشاهد في الرسول بمعنى الرسالة قوله
لقد كذب الواشون ما فهت عندهم بسر ولا ارسلتهم برسول ويجوز ان يوحد لان حكمهما لتسا ندها
واتفاقهما على الشريعة واحد واتحادهما لذلك وللاخوة كان حكما واحدا فكانهما رسول وتقول ارسلت اليك ان افعل كذا لما في الارسال صح
واحد او اريد ان كل واحد منا ان ارسل بمعنى اي ارسل لتضمن الرسول معنى الارسال من معنى
القول كما في المناداة والكتابة ونحو ذلك ومعنى هذا الارسال التخلية والاطلاق كقولك
ارسل البازي يريد خلهم يذهبوا معنا الى فلسطين وكانت مسكنهما ويروى انهما انطلقا
الى باب فرعون فلم يوذن لهما سنة حتى قال البواب ان ها هنا انسانا يزعم انه رسول رب العالمين
فقال ائذن له لعلنا نضحك منه فاديا اليه الرسالة فعرف موسى فقال له الم نربك فحذف فاتيا
فرعون فقالا له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في التنزيل الوليد
الصبي لقرب عهده من الولادة وفي رواية عن ابي عمرو من عمرك بسكون الميم سنين قيل
مكث عندهم ثلثين سنة وقيل وكز القبطي وهو ابن ثنتي عشرة سنة وفر منهم على اثرها والله
اعلم بصحيح ذلك وعن الشعبي فعلتك بالكسر وهي قتلة القبطي لانه قتله بالوكزة وهو
ضرب من القتل واما الفعلة فلانها كانت وكزة واحدة عدد عليه نعمته من تربيته وتبليغه
مبلغ الرجال ووبخه بما جرى على يده من قتل خبازه وعظم ذلك وفظعه بقوله وفعلت فعلتك
التي فعلت وانت من الكافرين يجوز ان يكون حالا اي قتلته وانت لذلك من الكافرين
بنعمتي او انت اذ ذاك ممن تكفرهم الساعة وقد افترى عليه او جهل امره لانه كان يعايشهم
بالتقية فان الله عز وعلا عاصم من يريد ان يستنبئه من كل كبيرة ومن بعض الصغاير

فما بال الكفر ويجوز ان يكون قوله وانت من الكافرين حكما عليه بانه من الكافرين بالنعم ومن كانت
عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المنعم عليه بدعا منه او بانه من الكافرين بفرعون والهيته
او من الذين كانوا يكفرون في دينهم فقد كانت لهم آلهة يعبدونهم يشهد لذلك قوله تعالى و
يذرك والهتك وقرئ والهتك فاجابه موسى صلوات الله عليه بان تلك الفعلة انما فرطت
منه وهو من الضالين اى الجاهلين وقراءة ابن مسعود من الجاهلين مفسرة والمعنى من
الفاعلين فعل اولى الجهل والسفه كما قال يوسف عليه السلام لاخوته هل علمتم ما فعلتم بيوسف
واخيه اذ انتم جاهلون او المخطئين كمن يقتل خطأ من غير تعمد للقتل او الذاهبين عن
الصواب او الناسين من قوله ان تضل احديهما فتذكر احديهما الاخرى وكذب فرعون ودفع
الوصف بالكفر عن نفسه وبرأ ساحته بان وضع الضالين موضع الكافرين ربأ بمحل من رشح
للنبوة عن تلك الصفة ثم كر على امتنانه عليه بالتربية فابطله من اصله واستاصله من سنخه
وابى ان يسمى نعمته الا نقمة حيث بين ان حقيقة انعامه عليه تعبيد بني اسرائيل لان تعبيدهم
وقصدهم بذبح ابنائهم هو السبب في حصوله عنده وتربيته فكانه امتن عليه بتعبيد
قومه اذا حققت وتعبيدهم تذليلهم واتخاذهم عبيدا يقال عبدت الرجل واعبدته اذا اتخذته
عبدا قال علام يعبدني قومي وقد كثرت فيهم اباعر ما شاؤا وعبدان **فان قلت**
اذ جزاء وجواب معا والكلام وقع جوابا لفرعون فكيف وقع جزاء **قلت** قول
فرعون وفعلت فعلتك فيه معنى انك جازيت نعمتي بما فعلت فقال له موسى نعم فعلتها
مجازيا لك تسليما لقوله لان نعمته كانت عنده جديرة بان تجازى بنحو ذلك الجزاء **فان قلت**
لم جمع الضمير في منكم وخفتكم مع افراده في تمنها وعبدت **قلت** الخوف والفرار لم يكونا
منه وحده ولكن منه ومن ملائه المؤتمرين بقتله بدليل قوله ان الملأ يأتمرون بك ليقتلوك واما

الامتنان

الامتنان منه وحده ولكن لتلك التعبيد **فان قلت** تلك اشارة الى ماذا وان عبدت
ما محلها من الاعراب **قلت** تلك اشارة الى خصلة شنعاء مبهمة لا يدرى ما هي الا
بتفسيرها ومحل ان عبدت الرفع عطف بيان لتلك ونظيره قوله تعالى وقضينا اليه ذلك
الامر ان دابر هؤلاء مقطوع والمعنى تعبيدك بني اسرائيل نعمة تمنها علي وقال الزجاج
ويجوز ان يكون ان في موضع نصب المعنى انما صارت نعمة علي لان عبدت بني اسرائيل
لو لم تفعل ذلك لكفلني اهلي ولم يلقوني في اليم لما قال له بوابه ان هاهنا من يزعم انه
رسول الله رب العالمين قال له عند دخوله وما رب العالمين يريد اى شيء رب العالمين
وهذا السؤال لا يخلو اما ان يريد به اى شيء هو من الاشياء التي شوهدت وعرفت اجناسها
فاجاب بما يستدل به عليه من افعاله الخاصة ليعرفه انه ليس بشيء مما شوهد وعرف
من الاجرام والاعراض وانه شيء مخالف لجميع الاشياء ليس كمثله شيء واما ان يريد به اى شيء هو
على الاطلاق تفتيشا عن حقيقته الخاصة ما هي

فاجابه بان الذي اليه سبيل وهو الكافي في معرفته معرفة ثباته بصفاته استدلالا بافعاله الخاصة على ذلك واما التفتيش عن حقيقته الخاصة التي هي صح

فوق فطر العقول فتفتيش عما لا سبيل اليه
والسائل عنه متعنت غير طالب للحق والذي يليق بحال فرعون ويدل عليه الكلام ان يكون
سؤاله هذا انكارا لان يكون للعالمين رب سواه لادعائه الالهية فلما اجاب موسى بما اجاب
عجب قومه من جوابه حيث نسب الربوبية الى غيره فلما ثنى بتقرير قوله جننه الى قومه وطنز به
حيث سماه رسولهم فلما ثلث بتقرير آخر احتد واحتدم وقال لئن اتخذت الها غيري وهذا
يدل على صحة هذا الوجه الاخير **فان قلت** كيف قيل وما بينهما على التثنية والمرجوع اليه
مجموع **قلت** اريد وما بين الجنسين فعل بالمضمر ما فعل بالظاهر من قال في الهيجا جمالين
فان قلت ما معنى قوله ان كنتم موقنين واين عن فرعون وملائه الايقان **قلت**
معناه ان كان يرجى منكم الايقان الذي يؤدي اليه النظر الصحيح نفعكم هذا الجواب

والالزام سنع او ان كنتم موقنين بشيء قط فهذا اولى ما توقنون به لظهوره وانارة دليله **فان قلت**
ومن كان حوله **قلت** اشراف قومه قيل كانوا خمسمائة رجل عليهم الاساور وكانت للملوك خاصة
فان قلت ذكر السموات والارض وما بينهما قد استوعب به الخلائق كلها فما معنى ذكرهم
وذكر ابائهم بعد ذلك وذكر المشرق والمغرب **قلت** قد عمم اولا ثم خصص من العام
للبيان انفسهم واباءهم لان اقرب المنظور فيه من العاقل نفسه ومن ولد منه وما شاهد وعاين
من الدلائل على الصانع والناقل من هيئة الى هيئة وحال الى حال من وقت ميلاده الى وقت وفاته
ثم خصص المشرق والمغرب لان طلوع الشمس من احد الخافقين وغروبها في الاخر على تقدير
مستقيم في فصول السنة وحساب مستو من اظهر ما استدل به ولظهوره انتقل الى الاحتجاج
به خليل الله عن الاحتجاج بالاحياء والاماتة على نمروذ بن كنعان فبهت الذي كفر وقرئ رب
المشارق والمغارب الذي ارسل اليكم بفتح الهمزة **فان قلت** كيف قال اولا ان كنتم
موقنين واخرا ان كنتم تعقلون **قلت** لاين اولا فلما راى منهم شدة الشكيمة في العناد
وقلة الاصغاء الى عرض الحجج خاشن وعارض ان رسولكم لمجنون بقوله ان كنتم تعقلون **فان قلت**
الم يكن لاسجننك اخصر من لاجعلنك من المسجونين ومؤديا مؤداه **قلت** اما اخصر فنعم
واما مؤد مؤداه فلا لان معناه لاجعلنك واحدا ممن عرفت حالهم في سجوني وكان من عادته ان
يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوة ذاهبة في الارض بعيدة العمق فردا لا يبصر فيها ولا يسمع فكان ذلك
اشد من القتل واشد والواو في قوله اولو جئتك واو الحال دخلت عليها همزة الاستفهام معناه
اتفعل بي ذلك ولو جئتك بشيء مبين اي جائيا بالمعجزة وفي قوله ان كنت من الصادقين ان لا يأتي بالمعجزة
الا الصادق في دعواه لان المعجزة تصديق من الله لمدعي النبوة والحكيم لا يصدق الكاذب ومن العجب
ان مثل فرعون لم يخف عليه هذا وخفي على ناس من اهل القبلة حيث جوزوا القبيح على الله تعالى

حتى

حتى لزمهم تصديق الكاذبين بالمعجزات وتقديره ان كنت من الصادقين في دعواك اتيت به
فحذف الجزاء لان الامر بالاتيان به يدل عليه ثعبان مبين ظاهر الثعبانية لا شيء يشبه الثعبان
كما تكون الاشياء المزورة بالشعوذة والسحر وروي انها انقلبت حية ارتفعت في السماء قدر ميل
ثم انحطت مقبلة الى فرعون وجعلت تقول يا موسى مرني بما شئت ويقول فرعون اسألك
بالذي ارسلك الا اخذتها فاخذها فعادت عصا للناظرين دليل على ان بياضها كان
شيئا يجتمع النظارة على النظر اليه لخروجه عن العادة وكان بياضا نوريا روي ان فرعون لما ابصر
الاية الاولى قال فهل غيرها فاخرج يده فقال له ما هذه قال يدك فما فيها فادخلها في ابطه ثم نزعها
ولها شعاع يكاد يغشي الابصار ويسد الافق **فان قلت** ما العامل في حوله **قلت**
هو منصوب نصبين نصب في اللفظ ونصب في المحل فالعامل في النصب اللفظي ما يقدر في
الظرف والعامل في النصب المحلي وهو النصب على الحال قال ولقد تحير فرعون لما ابصر الايتين
وبقي لا يدري اي طرفيه اطول حتى زل عنه ذكر دعوى الالهية وحط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت
فرائصه وانتفخ سحره خوفا وفرقا وبلغت به الاستكانة لقومه الذين هم بزعمه عبيده وهو الههم ان
طفق يؤامرهم ويعترف لهم بما حذره منه وتوقعه واحس به من جهة موسى وغلبته على ملكه وارضه
وقوله ان هذا لساحر عليم قول باهت اذا غلب ومتمحل اذا لزم تأمرون من المؤامرة وهي المشاورة
او من الامر الذي هو ضد النهي جعل العبيد امرين وربهم مأمورا لما استولى عليه من فرط
الدهش والحيرة وماذا منصوب اما لكونه في معنى المصدر واما لانه مفعول به من قولك امرتك
الخير قرئ ارجئه وارجه بالهمز والتخفيف وهما لغتان يقال ارجأته وارجيته اذا اخرته ومنه
المرجئة وهم الذين لا يقطعون بوعيد الفساق ويقولون هم مرجون لامر الله والمعنى اخره ومناظرته
لوقت اجتماع السحرة وقيل احبسه حاشرين شرطا يحشرون السحرة وعارضوا قوله ان هذا لساحر

يأتوك بكل سحار فجاؤوا بكلمة الاحاطة وصفة المبالغة ليطامنوا من نفسه ويسكنوا بعض قلقه
وقرأ الاعمش بكل ساحر اليوم المعلوم يوم الزينة وميقاته وقت الضحى لانه الوقت الذى وقته لهم
موسى صلوات الله عليه من يوم الزينة فى قوله موعدكم يوم الزينة وان يحشر الناس ضحى والميقات
ما وقت به اى حدد من زمان او مكان ومنه مواقيت الاحرام هل انتم مجتمعون استبطاء
لهم فى الاجتماع والمراد منه استعجالهم واستحثاثهم كما يقول الرجل لغلامه هل انت منطلق اذا
اراد ان يحرك منه ويحثه على الانطلاق كانما يخيل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول
تأبط شرا هل انت باعث دينار لحاجتنا او عبد رب اخا عون بن مخراق اى ابعثه الينا
سريعا ولا تبطئ به لعلنا نتبع السحرة اى فى دينهم ان غلبوا موسى فى دينه وليس غرضهم — واتبع موسى
باتباع السحرة وانما الغرض الكلى ان لا يتبعوا موسى فساقوا الكلام مساق الكناية لانهم اذا
اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقرئ نعم بالكسر وهما لغتان ولما كان قوله ائن لنا لاجرا فى جزاء — معنى
الشرط لدلالته عليه وكان قوله وانكم اذا لمن المقربين معطوفا عليه ومدخلا فى حكمه دخلت اذن
قارة فى مكانها الذى تقتضيه من الجواب والجزاء وعدهم ان يجمع لهم الى الثواب على سحرهم الذى
قدروا انهم يغلبون به موسى القربة عنده والزلفى اقسموا بعزة فرعون وهى من ايمان الجاهلية
وهكذا كل حلف بغير الله ولا يصح فى الاسلام الا الحلف بالله معلقا ببعض اسمائه او صفاته كقولك
بالله والرحمن وربى ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وعظمة الله قال رسول الله صلى الله عليه وسلم — وجلال الله
لا تحلفوا بآبائكم ولا بامهاتكم ولا بالطواغيت ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون
ولقد استحدث الناس فى هذا الباب فى اسلامهم جاهلية نسبت لها الجاهلية الاولى وذلك ان
الواحد منهم لو اقسم باسماء الله كلها وصفاته على شىء لم يقبل منه ولم يعتد بها حتى يقسم براس سلطانه
فاذا اقسم به فتلك عندهم جهد اليمين التى ليس وراءها حلف لحالف ما يافكون ما يقلبونه عن

وجهه

وجهه وحقيقته سحرهم وكيدهم ويزورونه ويخيلون فى حبالهم وعصيهم انها حيات تسعى بالتمويه
على الناظرين او افكهم سمى تلك الاشياء افكا مبالغة روى انهم قالوا ان يك ما جاء به موسى
سحرا فلن يغلب وان كان من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقفت ما
اتوا به علموا انه من الله (عنده) فآمنوا وعن عكرمة اصبحوا سحرة وامسوا شهداء وانما عبر عن الخرور
بالالقاء لانه ذكر مع الالقاآت فسلك به طريق المشاكلة وفيه ايضا مع مراعاة المشاكلة انهم حين
راوا ما راوا لم يتمالكوا ان رموا بانفسهم الى الارض ساجدين كانهم اخذوا فطرحوا طرحا
فان قلت فاعل الالقاء ما هو لو صرح به **قلت** هو الله عز وجل بما خولهم من
التوفيق او ايمانهم او ما عاينوا من المعجزة الباهرة ولك ان لا تقدر فاعلا لان القوا بمعنى خروا
وسقطوا رب موسى وهرون عطف بيان لرب العالمين لان فرعون لعنه الله كان يدعى
الربوبية فارادوا ان يعزلوه ومعنى اضافته اليهما فى ذلك المقام انه الذى يدعو اليه هذان والذى
اجرى على ايديهما ما اجرى فلسوف تعلمون اى وبال ما فعلتم الضر والضير والضور واحد ارادوا
لا ضير علينا فى ذلك بل لنا فيه اعظم النفع لما يحصل لنا فى الصبر عليه لوجه الله تعالى من تكفير
الخطايا والثواب العظيم مع الاعواض الكثيرة او لا ضير علينا فيما تتوعدنا به من القتل انه لا بد
لنا من الانقلاب الى ربنا بسبب من اسباب الموت والقتل اهون اسبابه وارجاها او لا ضير
علينا فى قتلك انك ان قتلتنا انقلبنا الى ربنا انقلاب من يطمع فى مغفرته ويرجو رحمته لما رزقنا
من السبق الى الايمان وخبر لا محذوف والمعنى لا ضير فى ذلك او علينا ان كنا معناه لان كنا وكانوا
اول جماعة مؤمنين من اهل زمانهم او من رعية فرعون او من اهل المشهد وقرئ ان كنا بالكسر وهو
من الشرط الذى يجيء به المدل بامره المتحقق لصحته وهم كانوا متحققين انهم اول المؤمنين ونظيره قول
العامل لمن يؤخر جعله ان كنت عملت لك فوفنى حقى ومنه قوله عز وعلا ان كنتم خرجتم جهادا فى

سبيل وانتقام منه مع علمه انهم لم يخرجوا لذلك وقرئ اسر بقطع الهمزة ووصلها وسر انكم متبعون
علل الامر بالاسراء باتباع فرعون وجنوده اثارهم والمعنى اني بنيت تدبير امركم وامرهم على
ان تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فاطبقه عليهم فاهلكهم
وروي انه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتغلوا بموتاهم حتى خرج موسى بقومه
وروي ان الله اوحى الى موسى ان اجمع بني اسرائيل كل اربعة ابيات في بيت ثم اذبحوا الجداء
واضربوا بدمائها على ابوابكم فاني سآمر الملائكة ان لا تدخلوا بيتا على بابه دم وسآمرهم بقتل الابكار
القبط واخبزوا خبزا فطيرا فانه اسرع لكم ثم اسر بعبادي حتى تنتهوا الى البحر فياتيك امري فارسل
فرعون في اثره الف الف وخمسمائة الف ملك مسور مع كل ملك الف وخرج فرعون في جمع عظيم
وكانت مقدمته سبعمائة الف كل رجل على حصان وعلى راسه بيضة وعن ابن عباس خرج فرعون
في الف الف حصان سوى الاناث فلذلك استقل قوم موسى وكانوا ستمائة الف وسبعين
الفا وسماهم شرذمة قليلين ان هولاء يحكى بعد قول مضمر والشرذمة الطائفة القليلة ومنها
قولهم ثوب شراذم للذي بلي وتقطع قطعا ذكرهم بالاسم الدال على القلة ثم جعلهم قليلا بالوصف
ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلا واختار جمع السلامة الذي هو للقلة وقد يجمع القليل على
اقلة وقلل ويجوز ان يريد بالقلة الذلة والقماءة ولا يريد قلة العدد والمعنى انهم لقلتهم لا يبالى
بهم ولا يتوقع غلبتهم وعلوهم ولكنهم يفعلون افعالا تغيظنا ونضيق صدورنا ونحن قوم من عادتنا
التيقظ والحذر واستعمال الحزم في الامور فاذا خرج علينا خارج سارعنا الى حسم فساده وهذه معاذير
اعتذر بها الى اهل المداين لئلا يظن به ما يكسر من قهره وسلطانه وقرئ حذرون وحاذرون و
حادرون بالدال غير المعجمة فالحذر اليقظ والحاذر الذي يجدد حذره وقيل المودي في السلاح
وانما يفعل ذلك حذرا واحتياطا لنفسه والحادر السمين القوي قال احب الصبي السوء من اجل

امه

امه وابغضه من بغضها وهو حادر اراد انهم اقويا اشداء وقيل مدججون في السلاح قد كسبهم ذلك
حدارة في اجسامهم وعن مجاهد سماها كنوزا لانهم لم ينفقوا منها في طاعة الله والمقام المكان
يريد المنازل الحسنة والمجالس البهية وعن الضحاك المنابر وقيل السرر في الحجال كذلك يحتمل
ثلاثة اوجه النصب على اخرجناهم مثل ذلك الاخراج الذي وصفنا والجر على انه وصف لمقام
اي مقام كريم مثل ذلك المقام الذي كان لهم والرفع على انه خبر لمبتدا محذوف اي الامر كذلك فاتبعوهم
فلحقوهم وقرئ فاتبعوهم مشرقين داخلين في وقت الشروق من شرقت الشمس شروقا اذا طلعت
سيهدين طريق النجاة من ادراكهم واضرارهم وقرئ فلما تراءى الفئتان انا لمدركون بتشديد الدال
وكسر الراء من ادرك الشيء اذا تتابع ففني ومنه قوله تعالى بل ادرك علمهم في الاخرة قال الحسن
جهلوا علم الاخرة وفي معناه بيت الحماسة أبعد بني امي الذين تتابعوا ارجي الحياة ام من الموت
اجزع والمعنى انا لمتتابعون في الهلاك على ايديهم حتى لا يبقى منا احد الفرق الجزء المتفرق
منه وقرئ كل فلق والمعنى واحد والطود الجبل العظيم المنطاد في السماء وازلفنا ثم حيث انفلق
البحر الاخرين قوم فرعون اي قربناهم من بني اسرائيل او ادنينا بعضهم من بعض وجمعناهم حتى
لا ينجو منهم احد او قدمناهم الى البحر وقرئ وازلقنا بالقاف اي ازللنا اقدامهم والمعنى اذهبنا
عزهم كقوله تداركتما عبسا وقد ثل عرشها وذبيان اذ زلت باقدامها النعل ويحتمل ان يجعل الله
طريقهم في البحر على خلاف ما جعله لبني اسرائيل يبسا فيزلقهم فيه عن عطاء بن السائب ان جبريل كان
بين بني اسرائيل وبين آل فرعون فكان يقول لبني اسرائيل ليلحق آخركم باولكم ويستقبل القبط فيقول
رويدكم ليلحق آخركم فلما انتهى موسى الى البحر قال له مؤمن من آل فرعون وكان بين يدي موسى
اين امرت فهذا البحر امامك وقد غشيك آل فرعون قال امرت بالبحر ولا يدري موسى ما يصنع
فاوحى الله اليه ان اضرب بعصاك البحر فضربه فصار فيه اثنا عشر طريقا لكل سبط طريق وروي ان

يوشع قال يا كليم الله اين امرت فقد غشينا فرعون والبحر امامنا قال موسى ههنا فخاض يوشع
الماء وضرب موسى بعصاه البحر فدخلوا وروى ان موسى قال عند ذلك يا من كان قبل كل شيء
والمكوّن لكل شيء والكائن بعد كل شيء ويقال هذا البحر هو بحر القلزم وقيل هو بحر من وراء مصر يقال له
إساف ان في ذلك لآية اية اية وآية لا توصف وقد عاينها الناس وشاع امرها فيهم وما تنبه عليها
اكثرهم ولا آمن بالله وبنو اسرائيل الذين كانوا اصحاب موسى المخصوصين بالانجاء قد سألوه
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة وان ربك لهو العزيز المنتقم من اعدائه الرحيم
باوليائه كان ابرهيم صلوات الله عليه يعلم انهم عبدة اصنام ولكنه سألهم ليريهم ان ما يعبدونه ليس
من استحقاق العبادة في شيء كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول له الرقيق جمال
وليس بمال **فان قلت** ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب فكان القياس ان يقولوا
اصناما كقوله ويسألونك ماذا ينفقون قل العفو ماذا قال ربكم قالوا الحق ماذا انزل ربكم قالوا
خيرا **قلت** هؤلاء قد جاؤوا بقصة امرهم كاملة كالمبتهجين بها والمفتخرين فاشتملت على
جواب ابرهيم وعلى ما قصدوه من اظهار ما في نفوسهم من الابتهاج والافتخار الا تراهم كيف عطفوا على
قولهم نعبد اصناما فنظل لها عاكفين ولم يقتصروا على زيادة نعبد وحده ومثاله ان تقول لبعض الشطار
ما تلبس في بلادك فيقول البس البرد الاتحمي فاجر ذيله بين جواري الحي وانما قالوا نظل لانهم كانوا
يعبدونها بالنهار دون الليل لا بد في يسمعونكم من تقدير حذف المضاف معناه هل يسمعون
دعاءكم وقرأ قتادة يسمعونكم الجواب عن دعائكم وهل يقدرون على ذلك وجاء مضارعا مع ايقاعه
في اذ على حكاية الحال الماضية ومعناه استحضروا الاحوال الماضية التي كنتم تدعونها فيها وقولوا هل
سمعوا او اسمعوا قط وهذا ابلغ في التبكيت لما اجابوا بجواب المقلدين لآبائهم قال لهم رقّوا
امر تقليدكم هذا الى اقصى غاياته وهي عبادة الاقدمين الاولين من آبائكم فان التقدم والاولية لا يكون

اي هل يسمعونكم

برهانا

١٢٦

برهانا على الصحة والباطل لا ينقلب حقا بالقدم وما عبادة من عبد هذه الاصنام الا عبادة اعداء
له ومعنى العداوة قوله تعالى كلا سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدا ولان المغري على
عبادتها اعدى اعداء الانسان وهو الشيطان وانما قال عدو لي تصويرا للمسألة في نفسه على معنى
اني فكرت في امري فرأيت عبادتي لها عبادة للعدو فاجتنبتها وآثرت عبادة من الخير كله منه
واراهم بذلك انها نصيحة ينصح بها نفسه اولا وبنى عليها تدبير امره لينظروا فيقولوا ما نصحنا
ابرهيم الا بما نصح به نفسه وما اراد لنا الا ما اراد لروحه ليكون ادعى لهم الى القبول وابعث على الاستماع
منه ولو قال فانه عدو لكم لم يكن بتلك المثابة ولانه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض
للمنصوح ما لا يبلغه التصريح لانه يتأمل فيه فربما قاده التأمل الى التقبل ومنه ما يحكى عن الشافعي
رضي الله عنه ان رجلا واجهه بشيء فقال لو كنت بحيث انت لاحتجت الى ادب وسمع رجل
ناسا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيتي ولا بيتكم والعدو والصديق يجيئان في معنى الوحدة و
الجماعة قال وقوم علي ذوي مئرة اراهم عدوا وكانوا صديقا ومنه قوله تعالى وهم لكم عدو شبها
بالمصادر للموازنة كالقبول والولوع والحنين والصهيل الا رب العالمين استثناء منقطع كانه
قال ولكن رب العالمين فهو يهدين يريد انه حين اتم خلقه ونفخ فيه الروح عقب ذلك هدايته
المتصلة التي لا تنقطع الى كل ما يصلحه ويعنيه والا فمن هداه الى ان يتغذى بالدم في البطن
امتصاصا ومن هداه الى معرفة الثدي عند الولادة والى معرفة مكانه ومن هداه لكيفية الارتضاع
الى غير ذلك من هدايات المعاش والمعاد وانما قال مرضت دون امرضني لان كثيرا من اسباب
المرض يحدث بتفريط من الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قالت الحكماء لو قيل
لاكثر الموتى ما سبب آجالكم لقالوا التخم وقرئ خطاياي والمراد ما يندر منه من بعض الصغائر
لان الانبياء معصومون مختارون على العالمين وقيل هي قوله اني سقيم وقوله بل فعله كبيرهم وقوله

ما اراده

لساره هي الخطايا وما هي الا معاريض كلام وتخيلات للكفرة وليست بخطايا يطلب لها الاستغفار
فان قلت اذا لم يندر منهم الا الصغائر وهي تقع مكفرة فما له اثبت لنفسه خطيئة او خطايا
وطمع ان تغفر له قلت الجواب ما سبق لي ان استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم
لانفسهم ويدل عليه قوله اطمع ولم يجزم القول بالمغفرة وفيه تعليم لاممهم وليكون لطفا لهم في اجتناب
المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يفرط منهم فان قلت لم علق مغفرة الخطيئة بيوم
الدين وانما تغفر في الدنيا قلت لان اثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم الحكم الحكمة
او الحكم بين الناس بالحق وقيل النبوة لان النبي ذو حكمة وذو حكم بين عباد الله والالحاق بالصالحين
ان يوفقه لعمل ينتظم به في جملتهم او يجمع بينه وبينهم في الجنة ولقد اجابه حيث قال وانه في الآخرة لمن
الصالحين والاخزاء من الخزي وهو الهوان ومن الخزاية وهي الحياء وهذا ايضا من نحو استغفارهم
مما علموا انه مغفور وفي يبعثون ضمير العباد لانه معلوم او ضمير الضالين وان يجعل من جملة
الاستغفار لابيه يعني ولا تخزني يوم يبعث الضالون وابي فيهم الا من اتى الله الا حال من اتى الله
بقلب سليم وهو من قولهم تحية بينهم ضرب وجيع وما ثوابه الا السيف وبيانه ان يقال لك هل
لزيد مال وبنون فتقول ماله وبنوه سلامة قلبه تريد نفي المال والبنين عنه واثبات سلامة
القلب له بدلا عن ذلك وان شئت حملت الكلام على المعنى وجعلت المال والبنين في معنى
الغنى كانه قيل يوم لا ينفع غنى الا غنى من اتى الله بقلب سليم لان غنى الرجل في دينه بسلامة قلبه
كما ان غناه في دنياه بماله وبنيه ولك ان تجعل الاستثناء منقطعا ولا بد مع ذلك من تقدير
المضاف وهو الحال والمراد بها سلامة القلب وليست هي من جنس المال والبنين حتى يؤول
المعنى الى ان المال والبنين لا ينفعان وانما ينفع سلامة القلب ولو لم يقدر المضاف لم يتحصل
للاستثناء معنى وقد جعل من مفعولا لينفع اي لا ينفع مال ولا بنون الا رجلا سلم قلبه مع ماله حيث

انفقه

انفقه في طاعة الله ومع بنيه حيث ارشدهم الى الدين وعلمهم الشرائع ويجوز على هذا الا من اتى الله
بقلب سليم من فتنة المال والبنين ومعنى سلامة القلب سلامته من آفات الكفر والمعاصي
ومما اكرم الله به خليله ونبه على جلالة محله في الاخلاص ان حكى استثناءه هذا حكاية راض
باصابته فيه ثم جعله صفة له في قوله وان من شيعته لابرهيم اذ جاء ربه بقلب سليم ومن بدع
التفاسير تفسير بعضهم السليم باللديغ من خشية الله وقول آخر هو الذي سلم وسلّم واسلم وسالم واستسلم
وما احسن ما رتب ابرهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم اولا عما يعبدون سؤال مقرر
لا مستفهم ثم انحى على آلهتهم فابطل امرها بانها لا تضر ولا تنفع ولا تبصر ولا تسمع وعلى تقليدهم آباءهم
الاقدمين فكسره واخرجه من ان يكون شبهة فضلا ان يكون حجة ثم صور المسئلة في نفسه دونهم
حتى تخلص منها الى ذكر الله عز وعلا فعظم شانه وعدد نعمته من لدن خلقه وانشائه الى حين وفاته
مع ما يرجى في الآخرة من رحمته ثم اتبع ذلك ان دعاه بدعوات المخلصين وابتهل اليه ابتهال الا
وابين ثم وصله بذكر يوم القيامة وثواب الله وعقابه وما يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم
والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمني الكرة الى الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا الجنة يكون قريبة
من موقف السعداء ينظرون اليها ويغتبطون بانهم المحشورون اليها والنار تكون بارزة مكشوفة
للاشقياء بمرأى منهم يتحسرون على انهم المسوقون اليها قال الله تعالى وازلفت الجنة للمتقين غير
بعيد وقال فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا يجمع عليهم الغموم كلها والحسرات فتجعل
النار بمرأى منهم فيهلكون غما في كل لحظة ويوبخون على اشراكهم فيقال لهم اين آلهتكم هل ينفعونكم
بنصرتهم لكم او هل ينفعون انفسهم بانتصارهم لانهم وآلهتهم وقود النار وهو قوله فكبكبوا فيها هم اي
الآلهة والغاوون وعبدتهم الذين برزت لهم الجحيم والكبكبة تكرير الكب جعل التكرير في اللفظ
دليلا على التكرير في المعنى كانه اذا القي في جهنم ينكب مرة بعد مرة حتى يستقر في قعرها اللهم

اجترامهما باخيرهما وجنود ابليس شياطينه او متبعوه من عصاة الانس والجن ويجوز ان
ينطق الله الاصنام حتى يصح التقاول والتخاصم ويجوز ان يجري ذلك بين العصاة والشياطين
والمراد بالمجرمين الذين اضلوهم رؤساؤهم وكبراؤهم كقوله ربنا انا اطعنا سادتنا وكبراءنا فاضلونا
السبيلا وعن السدي الاولون الذين اقتدينا بهم وعن ابن جريج ابليس وابن ادم القاتل لانه اول
من سن القتل وانواع المعاصي فما لنا من شافعين كما نرى المؤمنين واما اهل النار فبينهم التعادي
والتباغض قال الله تعالى الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين او فما لنا من شافعين ولا صديق
حميم من الذين كنا نعدهم شفعاء واصدقاء لانهم كانوا يعتقدون في اصنامهم انهم شفعاؤهم عند الله
وكان لهم الاصدقاء من شياطين الانس او ارادوا انهم وقعوا في مهلكة علموا ان الشفعاء والاصدقاء
لا ينفعونهم ولا يدفعون عنهم فقصدوا بنفيهم نفي ما يتعلق بهم من النفع لان ما لا ينفع حكمه حكم المعدوم
والحميم من الاحتمام وهو الاهتمام وهو الذي يهمه ما يهمك او من الحامة بمعنى الخاصة وهو الصديق
الخالص **فان قلت** لم جمع الشافع ووحد الصديق **قلت** لكثرة الشفعاء في العادة وقلة
الصديق الا ترى ان الرجل اذا امتحن بارهاق ظالم نهضت جماعة وافرة من اهل بلده لشفاعته رحمة
له وحسبة وان لم يسبق له باكثرهم معرفة واما الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهمه ما اهمك
فاعز من بيض الانوق وعن بعض الحكماء انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له ويجوز ان يريد بالصديق
الجمع الكرة الرجعة الى الدنيا ولو في مثل هذا الموضع في معنى التمني كانه قيل فليت لنا كرة وذلك
لما بين معنى لو وليت من التلاقي في التقدير ويجوز ان تكون على اصلها ويحذف الجواب وهو لفعلنا كيت
وكيت القوم مؤنثة وتصغيرها قويمة ونظيره قوله المرسلين والمراد نوح عليه السلام كقولك فلان يركب
الدواب ويلبس البرود وما له الا دابة وبرد وقيل اخوهم لانه كان منهم من قول العرب يا اخا بني تميم
يريدون يا واحدا منهم ومنه بيت الحماسة لا يسألون اخاهم حين يندبهم في النائبات على ما قال برهانا

لهم شفعاء من الملائكة والنبيين ولا صديق لهم كما نرى لهم اصدقاء لانه لا يتصادق في الآخرة الا المؤمنون ح

الدواب ح

كان

١٢٨

كان امينا فيهم مشهورا بالامانة كمحمد صلوات الله وسلامه عليه في قريش واطيعون في
نصحي لكم وفيما ادعوكم اليه من الحق عليه على هذا الامر وعلى ما انا فيه يعني دعاءه ونصحه ومعنى
فاتقوا الله واطيعون فاتقوا الله في طاعتي وكرره ليؤكده عليهم ويقرره في نفوسهم مع تعليق كل
واحد منهما بعلة جعل علة الاول كونه امينا فيما بينهم وفي الثاني حسم طمعه عنهم وقرئ واتباعك
جمع تابع كشاهد واشهاد او جمع تبع كبطل وابطال والواو للحال وحقها ان يضمر بعدها قد في واتبعك
وقد جمع الارذل على الصحة وعلى التكسير في قوله الذين هم اراذلنا والرذالة والنذالة الخسة
والدناءة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات
الدنية كالحياكة والحجامة والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش تقول في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى صارت من سماتهم واماراتهم
الا ترى الى هرقل حين سال ابا سفيان عن اتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قال ضعفاء الناس
واراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم الغاغة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة
وعن مقاتل السفلة وما علمي واي شيء علمي والمراد انتفاء علمه باخلاص اعمالهم لله واطلاعه على سر امرهم
وباطنه وانما قال هذا لانهم طعنوا مع استرذالهم في ايمانهم وانهم لم يؤمنوا عن نظر وبصيرة
وانما امنوا هوى وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله الذين هم اراذلنا بادي الراي ويجوز ان يتغابى
لهم نوح عليه السلام فيفسر قولهم الارذلين بما هو الرذالة عنده من سوء الاعمال وفساد العقائد
ولا يلتفت الى ما هو الرذالة عندهم ثم يبني جوابه على ذلك فيقول ما علي الا اعتبار الظواهر دون
التفتيش عن اسرارهم والشق عن قلوبهم وان كان لهم عمل سيء فالله محاسبهم ومجازيهم عليه وما
انا الا منذر لا محاسب ولا مجاز لو تشعرون ذلك ولكنكم تجهلون فتنساقون مع الجهل حيث
سيركم وقصد بذلك رد اعتقادهم وانكار ان يسمى المؤمن رذلا وان كان افقر الناس واوضعهم

بسببنا فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى وما انا بطارد المومنين يريد ليس
من شاني ان اتبع شهواتكم واطيب نفوسكم بطرد المومنين الذين صح ايمانهم طمعا في ايمانكم وما علي الا
ان انذركم انذارا بينا بالبرهان الصحيح الذي يتميز به الحق من الباطل ثم انتم اعلم بشانكم
ليس هذا باخبار بالتكذيب لعلمه ان عالم الغيب والشهادة اعلم ولكنه اراد اني لا ادعوك عليهم لما
غاظوني واذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني في وحيك ورسالتك فاحكم بيني
وبينهم والفتاحة الحكومة والفتاح الحاكم لانه يفتح المستغلق كما سمي فيصلا لانه يفصل بين الخصوم
الفلك السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر والواحد بوزن قفل والجمع بوزن
اسد كسروا فعلا على فعل كما كسروا فعلا على فعل لانهما اخوان في قولك العرب والعرب والرشد
والرشد فقالوا اسد واسد وفلك وفلك ونظيره بعير هجان وابل هجان ودرع دلاص ودروع دلاص واسد
فالواحد بوزن كناز والجمع بوزن كرام والمشحون المملوء يقال شحنها عليهم خيلا ورجالا قرئ
بكل ريع بالكسر والفتح وهو المكان المرتفع قال المسيب بن علس في الال يرفعها ويخفضها ريع يلوح
كانه سحل ومنه قولهم كم ريع ارضك وهو ارتفاعها والاية العلم وكانوا ممن يهتدون بالنجوم في اسفارهم
فاتخذوا في طرقهم اعلاما طوالا فعبثوا بذلك لانهم كانوا مستغنين عنها بالنجوم وعن مجاهد بنوا بكل
ريع بروج الحمام والمصانع ماخذ الماء وقيل القصور المشيدة والحصون لعلكم تخلدون ترجون الخلود
في الدنيا او تشبه حالكم حال من يخلد وفي حرف ابي كانكم وقرئ تخلدون بضم التاء مخففا ومشددا
واذا بطشتم بسوط او سيف وكان ذلك ظلما وعلوا وقيل الجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب
وعن الحسن تبادرون تعجيل العذاب لا تتثبتون متفكرين في العواقب بالغ في تنبيههم على نعم الله
حيث اجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك انه ايقظهم عن سنة غفلتهم عنها حين قال امدكم
بما تعلمون ثم عددها عليهم وعرفهم المنعم بتعديد ما يعلمون من نعمته وانه كما قدر ان يتفضل عليكم

بهذه النعمة فهو قادر على الثواب والعقاب فاتقوه ونحوه قوله تعالى ويحذركم الله نفسه والله رؤف
بالعباد **فان قلت** كيف قرن البنين بالانعام **قلت** هم الذين يعينونهم على حفظها والقيام
عليها **فان قلت** لو قيل اوعظت ام لم تعظ كان اخصر والمعنى واحد **قلت** ليس المعنى
بواحد وبينهما فرق لان المراد سواء علينا افعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ ام لم تكن اصلا من
اهله ومباشريه فهو ابلغ في قلة اعتدادهم بوعظه من قولك ام لم تعظ من قرا خلق الاولين بالفتح
فمعناه ان ما جئت به اختلاق الاولين وتخرصهم كما قالوا اساطير الاولين او ما خلقنا هذا
الا خلق القرون الخالية نحيى كما حيوا ونموت كما ماتوا ولا بعث ولا حساب ومن قرا خلق
الاولين بضمتين وبواحدة فمعناه ما هذا الذي نحن عليه من الدين الا خلق الاولين وعادتهم
كانوا يدينونه ويعتقدونه ونحن بهم مقتدون او ما هذا الذي نحن عليه من الحياة والموت
الا عادة لم يزل عليها الناس في قديم الدهر او ما هذا الذي جئت به من الكذب الا عادة الاولين
كانوا يلفقون مثله ويسطرونه اتتركون يجوز ان يكون انكارا لان تتركوا مخلدين في نعيمهم
لا تزالون عنه وان يكون تذكيرا بالنعمة في تخلية الله اياهم وما يتنعمون فيه من الجنات وغير
هذا م ذلك مع الامن والدعة فيما هاهنا في الذي استقر في المكان من النعيم ثم فسره بقوله في جنات
وعيون وهذا ايضا اجمال ثم تفصيل **فان قلت** لم قال ونخل بعد قوله في جنات والجنة تتناول
النخل اول شيء كما يتناول النعم الابل كذلك من بين الازواج حتى انهم ليذكرون الجنة ولا يقصدون
الا النخيل كما يذكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير تسقي جنة سحقا **قلت** فيه وجهان
ان يخص النخل بافراده بعد دخوله في جملة سائر الشجر تنبيها على انفراده عنها بفضله عليها وان
يريد بالجنات غيرها من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل الطلعة هي التي
تطلع من النخلة كنصل السيف في جوفه شماريخ القنو والقنو اسم للخارج من الجذع كما هو بعرجونه

وثمار نخيله والهضيم اللطيف الضامر من قولهم كشح هضيم وطلع اناث النخل فيه لطف وفي طلع الفحاحيل
جفاء وكذلك طلع البرني الطف من طلع اللون فذكرهم نعمة الله في ان وهب لهم اجود النخل
وانفعه لان الاناث ولادة التمر والبرني اجود التمر واطيبه ويجوز ان يريد ان نخلهم اصابت
جودة المنابت وسعة الماء وسلمت من العاهات فحملت الحمل الكثير واذا كثر الحمل هضم واذا
قل جاء فاخرا وقيل الهضيم اللين النضيج كانه قال ونخل قد ارطب ثمره وقرئ الحسن وتنحتون بفتح
الحاء وقرئ فرهين وفارهين والفراهة الكيس والنشاط ومنه خيل فرهة استعير لامتثال الامر
وارتسامه طاعة الآمر المطاع او جعل الامر مطاعا على المجاز الحكمي والمراد الآمر ومنه قولهم لك
علي امرة مطاعة ومنه قوله تعالى واطيعوا امري **فان قلت** ما فائدة قوله ولا يصلحون
قلت فائدته ان فسادهم فساد مصمت ليس معه شيء من الصلاح كما تكون حال بعض المفسدين
مخلوطة ببعض الصلاح المسحر الذي سحر كثيرا حتى غلب على عقله وقيل هو من السحر الرئة وانه
بشر الشرب النصيب من الماء نحو السقي والقيت للحظ من السقي والقوت وقرئ بالضم روي
انهم قالوا نريد ناقة عشراء تخرج من هذه الصخرة فتلد سقبا فقعد صالح يتفكر فقال له جبريل
عليه السلام صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت الناقة وبركت بين ايديهم ونتجت
سقبا مثلها في العظم وعن ابي موسى رايت مصدرها فاذا هو ستون ذراعا وعن قتادة اذا
كان يوم شربها شربت ماءهم كله ولهم شرب يوم لا تشرب فيه الماء بسوء بضرب او عقر او
غير ذلك عظم اليوم لحلول العذاب فيه ووصف اليوم به ابلغ من وصف العذاب لان الوقت
اذا عظم بسببه كان موقعه من العظم اشد روي ان مسطعا الجاها الى مضيق في شعب
فرماها بسهم فاصاب رجلها فسقطت ثم ضربها قدار وروي ان عاقرها قال لا اعقرها حتى
ترضوا اجمعين وكانوا يدخلون على المراة في خدرها فيقولون اترضين فتقول نعم وكذلك

وكذلك صبيانهم **فان قلت** لم اخذهم العذاب وقد ندموا **قلت** لم يكن ندمهم ندم
تائبين ولكن ندم خائفين ان يعاقبوا على العقر عقابا عاجلا كمن يرى في بعض الامور
رايا فاسدا ويبني عليه ثم يندم ويتحسر كندامة الكسعي او ندموا ندم تائبين ولكن في غير وقت التوبة
وذلك عند معاينة العذاب وقال عز وجل وليست التوبة للذين يعملون السيئات الآية
وقيل كانت ندامتهم على ترك الولد وهو بعيد واللام في العذاب اشارة الى عذاب يوم عظيم
اراد بالعالمين الناس اي اتاتون من بين اولاد آدم على فرط كثرتهم وتفاوت اجناسهم وغلبة
اناثهم على ذكورهم في الكثرة ذكرانهم كان الاناث قد اعوزتكم او اتاتون انتم من بين من عداكم
من العالمين الذكران يعني انكم يا قوم لوط وحدكم مختصون بهذه الفاحشة والعالمون على
هذا القول كل ما ينكح من الحيوان من ازواجكم يصلح ان يكون تبيينا لما خلق وان يكون للتبعيض
ويراد بما خلق العضو المباح منهن وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه ما اصلح لكم ربكم من ازواجكم كانهم
كانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم العادي المتعدي في ظلمه المتجاوز فيه الحد ومعناه اترتكبون
هذه المعصية على عظمها بل انتم قوم عادون في جميع المعاصي فهذا من جملة ذاك او بل انتم
قوم احقاء بان توصفوا بالعدوان حيث ارتكبتم مثل هذه العظيمة لئن لم تنته يا لوط عن
نهينا وتقبيح امرنا لتكونن من جملة من اخرجناه من بين اظهرنا وطردناه من بلدنا ولعلهم كانوا
يخرجون من اخرجوه على اسوا حال من تعنيف به واحتباس لاملاكه كما يكون حال الظلمة اذا
اجلوا بعض من يغضبون عليه وكما كان يفعل اهل مكة بمن يريد المهاجرة ومن القالين ابلغ
من ان يقول اني لعملكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون ابلغ من قولك فلان عالم لانك
تشهد له بكونه معدودا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم ويجوز ان يريد من الكاملين في
قلاكم والقلى البغض الشديد كانه بغض يقلي الفؤاد والكبد وفي هذا دليل على عظم المعصية والمراد

الفلج من حيث الدين والتقوى وقد يقوى بقية الذين في دين الله حتى يقرب كراهته للمعاصي
من الكراهة الجبلية مما تعملون من عقوبة عملهم وهو الظاهر ويحتمل ان يريد بالتنجية العصمة
فان قلت فما معنى قوله فنجيناه واهله اجمعين الا عجوزا قلت معناه انه عصمه و
اهله من ذلك الا العجوز فانها كانت غير معصومة منه لكونها راضية به ومعينة عليه ومحرضة
والراضي بالمعصية في حكم العاصي فان قلت كان اهله مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة
فكيف استثنيت الكافرة منهم قلت الاستثناء انما وقع من الاهل وفي هذا الاسم لها معهم شركة
بحق الزواج وان لم تشاركهم في الايمان فان قلت في الغابرين صفة لها كانه قيل الا عجوزا
غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت تنجيتهم قلت معناه الا عجوزا مقدرا غبورها ومعنى
الغابرين في العذاب والهلاك غير الناجين قيل انها هلكت مع من خرج من بما امطر عليهم من القرية
الحجارة والمراد بتدميرهم الايتفاك بهم واما الامطار فعن قتادة امطر الله على شذاذ القوم حجارة
من السماء فاهلكهم وعن ابن زيد لم يرض بالايتفاك حتى اتبعه مطرا من حجارة وفاعل ساء مطر
المنذرين ولم يرد بالمنذرين قوما باعيانهم انما هو للجنس والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم
قرئ اصحاب الايكة بالهمزة وبتخفيفها وبالجر على الاضافة وهو الوجه ومن قرا بالنصب وزعم
ان ليكة بوزن ليلة اسم بلد فتوهم قاد اليه خط المصحف حيث وجدت مكتوبة في هذه
السورة وفي سورة صاد بغير الف وفي المصحف اشياء كتبت على خلاف قياس الخط المصطلح عليه
وانما كتبت في هاتين السورتين على حكم لفظ اللافظ كما يكتب اصحاب النحو لان ولولى على هذه
الصورة لبيان لفظ المخفف وقد كتبت في سائر القران على الاصل والقصة واحدة على ان
ليكة اسم لا يعرف وروى ان اصحاب الايكة كانوا اصحاب شجر ملتف وكان شجرهم الدوم
فان قلت هلا قيل اخوهم شعيب كما في سائر المواضع قلت قالوا ان شعيبا لم يكن من

اصحاب

وفي الحديث ان شعيبا اخا مدين ارسل اليهم والى اصحاب الايكة

اصحاب الايكة الكيل على ثلاثة اضرب واف وطفيف وزائد فامر بالواجب الذي هو الايفاء
ونهى عن المنكر المحرم الذي هو التطفيف ولم يذكر الزائد وكان تركه عن الامر والنهي دليل
على انه ان فعله فقد احسن اليه وان لم يفعله فلا عليه قرئ بالقسطاس مضموما ومكسورا وهو الميزان
وقيل القرسطون فان كان من القسط وهو العدل وجعلت العين مكررة فوزنه فعلاس والا
فهو رباعي وقيل هو بالرومية العدل يقال بخسته حقه اذا نقصته اياه ومنه قيل للمكس البخس
وهو عام في كل حق ثبت لاحد ان لا يهضم وفي كل ملك ان لا يغصب عليه مالكه ولا يتحيف منه
ولا يتصرف فيه الا باذنه تصرفا شرعيا يقال عثى في الارض وعثي وعاث وذلك نحو قطع الطريق
والغارة واهلاك الزروع وكانوا يفعلون ذلك مع توليهم انواع الفساد فنهوا عن ذلك وقرئ
الجبلة بوزن الابلة والجبلة بوزن الخلقة ومعناهن واحد اي ذوي الجبلة وهو كقوله والخلق
الاولين فان قلت هل اختلف المعنى بادخال الواو هاهنا وتركها في قصة ثمود
قلت اذا دخلت الواو فقد قصد معنيان كلاهما مناف للرسالة عندهم التسحير والبشرية
وان الرسول لا يجوز ان يكون مسحرا ولا يجوز ان يكون بشرا مثلهم فان قلت ان المخففة
من الثقيلة واللام كيف تفرقتا على فعل الظن وثاني مفعوليه قلت اصلهما ان يتفرقا على
المبتدا والخبر كقولك ان زيد لمنطلق فلما كان البابان اعني باب كان وباب ظننت من
جنس باب المبتدا والخبر فعل ذلك في البابين فقيل ان كان زيد لمنطلقا وان ظننته لمنطلقا
قرئ كسفا بالسكون والحركة وكلاهما جمع كسفة نحو قطع وسدر وقيل الكسف والكسفة كالريع
والريعة وهي القطعة وكسفه قطعه والسماء السحاب او المظلة وما كان طلبهم ذلك الا لتصميمهم
على الجحود والتكذيب ولو كان فيهم ادنى ميل الى التصديق لما اخطروه ببالهم فضلا ان يطلبوه
والمعنى ان كنت صادقا انك نبي فادع الله ان يسقط علينا كسفا من السماء ربي اعلم بما تعملون

واذا تركت الواو فلم يقصد الا معنى واحد وهو كونه مسحرا ثم قرر بكونه بشرا

ربك ان الله اعلم باعمالكم وبما تستوجبون عليها من العقاب فان اراد ان يعاقبكم باسقاط كسف
من السماء فعل وان اراد عقاباً باخر فاليه الحكم والمشيئة فاخذهم الله بنحو ما اقترحوا من عذاب
الظلة ان ارادوا بالسماء السحاب وان ارادوا المظلة فقد خالف بهم عن مقترحهم روي انه حبس
عنهم الريح سبعاً وسلط عليهم الومد فاخذ بانفاسهم لا ينفعهم ظل ولا ماء ولا سرب فاضطروا
الى ان خرجوا الى البرية فاظلتهم سحابة وجدوا لها برداً ونسيماً فاجتمعوا تحتها فامطرت عليهم
ناراً فاحترقوا وروي ان شعيباً بعث الى امتين اصحاب مدين واصحاب الايكة فاهلكت
مدين بصيحة جبريل عليه السلام واصحاب الايكة بعذاب يوم الظلة **فان قلت** كيف
كرر في هذه السورة في اول كل قصة واخرها ما كرر **قلت** كل قصة منها كتنزيل برأسه
وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها وكانت كل واحدة منها تدلي بحق في ان تفتتح بما افتتحت به صاحبتها
وان تختتم بما اختتمت به ولان في التكرير تقريراً للمعاني في الانفس وتثبيتاً لها في الصدور الا ترى
انه لا طريق الى تحفظ العلوم الا ترديد ما يراد تحفظه منها وكلما زاد ترديده كان امكن له في القلب
وارسخ في الفهم واثبت للذكر وابعد من النسيان ولان هذه القصص طرقت بها آذان وقر
عن الانصات للحق وقلوب غلف عن تدبره فكوثرت بالوعظ والتذكير وروجعت بالترديد و
التكرير لعل ذلك يفتح اذناً او يفتق ذهناً او يصقل عقلاً طال عهده بالصقل او يجلو فهماً قد
عليه تراكم الصدا وانه وان هذا التنزيل يعني ما نزل من هذه القصص والايات والمراد بالتنزيل
المنزل والباء في نزل به الروح ونزّل به الروح على القراءتين للتعدية ومعنى نزل به الروح جعل الله
الروح نازلاً به على قلبك اي حفظكه وفهمك اياه واثبته في قلبك اثبات ما لا ينسى كقوله تعالى
سنقرئك فلا تنسى بلسان عربي اما ان يتعلق بالمنذرين فيكون المعنى لتكون من الذين انذروا
بهذا اللسان وهم خمسة هود وصالح وشعيب واسمعيل ومحمد عليهم السلام واما ان يتعلق بنزل فيكون

المعنى

المعنى نزله باللسان العربي لتنذر به لانه لو نزله باللسان الاعجمي لتجافوا عنه اصلاً ولقالوا ما نصنع
بما لا نفهمه فيتعذر الانذار به وفي هذا الوجه ان تنزيله بالعربية التي هي لسانك ولسان قومك
تنزيل له على قلبك لانك تفهمه وتفهّمه قومك ولو كان اعجمياً لكان نازلاً على سمعك دون قلبك
لانك تسمع اجراس حروف لا تفهم معانيها ولا تعيها وقد يكون الرجل عارفاً بعدة لغات فاذا كلم
بلغته التي لقنها اولاً ونشأ عليها وتطبع بها لم يكن قلبه الا الى معاني الكلام يتلقاها بقلبه ولا يكاد
يفطن للالفاظ كيف جرت وان كلم بغير تلك اللغة وان كان ماهراً بمعرفتها كان نظره اولاً في الفاظها
ثم في معانيها فهذا تقرير انه نزل على قلبه لنزوله بلسان عربي مبين وانه وان القران يعني
ذكره مثبت في سائر الكتب السماوية وقيل ان معانيه فيها وبه يحتج لابي حنيفة رضي الله عنه
في جواز القراءة بالفارسية في الصلوة على ان القران اذا ترجم بغير العربية حيث قيل وانه لفي زبر قران م
الاولين لكون معانيه فيها وقيل الضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم وكذلك في ان يعلمه وليس بواضح
وقرئ يكن بالتذكير وآية بالنصب على انها خبره وان يعلمه هو الاسم وقرئ تكن بالتانيث وجعلت
آية اسماً وان يعلمه خبراً وليست كالاولى لوقوع النكرة اسماً والمعرفة خبراً وقد خرج لها وجه
آخر ليتخلص من ذلك فقيل في تكن ضمير القصة وآية ان يعلمه جملة واقعة موقع الخبر ويجوز على
هذا ان يكون لهم آية هي جملة الشان وان يعلمه بدلاً عن آية ويجوز مع نصب الآية تانيث تكن كقوله
ثم لم تكن فتنتهم الا ان قالوا ومنه بيت لبيد فمضى وقدمها وكانت عادة منه اذا هي عردت اقدامها
وقرئ تعلمه بالتاء علماء بني اسرائيل عبد الله بن سلام وغيره قال الله تعالى واذا يتلى عليهم
قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين **فان قلت** كيف خط في المصحف
علمؤا بواو قبل الالف **قلت** خط على لغة من يميل الالف الى الواو وعلى هذه اللغة
كتبت الصلوة والزكوة والربوا الاعجم الذي لا يفصح وفي لسانه عجمة واستعجام والاعجمي مثله الا

ان فيه لزيادة ياء النسبة زيادة تاكيد وقرا الحسن الاعجميين ولما كان من يتكلم بلسان غير لسانهم لا
يفقهون كلامه قالوا له اعجم واعجمي شبهوه بمن لا يفصح ولا يبين وقالوا لكل ذي صوت من
البهايم والطيور وغيرها اعجم قال حميد ولا عربيا شاقه صوت اعجما سلكناه ادخلناه ومكناه
والمعنى انا انزلنا هذا القران على رجل عربي بلسان عربي مبين فسمعوا به وفهموه وعرفوا
فصاحته وانه معجز لا يعارض بكلام مثله وانضم الى ذلك اتفاق علما اهل الكتب المنزلة قبله
على ان البشارة بانزاله وتحلية المنزل عليه وصفته في كتبهم وقد تضمنت معانيه وقصصه وصح
بذلك انها من عند الله وليست باساطير كما زعموا فلم يومنوا به وجحدوه وسموه شعرا تارة
وسحرا اخرى وقالوا هو من تلفيق محمد وافترايه ولو نزلناه على بعض الاعاجم الذي لا يحسن العربية
فضلا ان يقدر على نظم مثله فقراه عليهم هكذا فصيحا معجزا متحدى به لكفروا به كما كفروا ولتمحلوا
لجحودهم عذرا ولسموه سحرا ثم قال كذلك سلكناه اي مثل هذا السلك سلكناه في قلوبهم وهكذا مكناه
وقررناه فيها وعلى اي وجه دبر امرهم فلا سبيل الى ان يتغيروا عما هم عليه من جحوده وانكاره
كما قال ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس فلمسوه بايديهم لقال الذين كفروا ان هذا الا سحر مبين
فان قلت كيف اسند السلك بصفة التكذيب الى ذاته قلت اراد به الدلالة
على تمكنه مكذبا في قلوبهم اشد التمكن واثبته فجعله بمنزلة امر قد جبلوا عليه وفطروا الا ترى
الى قولهم هو مجبول على الشح يريدون تمكن الشح فيه لان الامور الخلقية اثبت من العارضة
والدليل عليه انه اسند ترك الايمان به اليهم على عقبه وهو قوله لا يومنون به فان قلت
ما موقع لا يومنون به من قوله سلكناه في قلوب المجرمين قلت موقعه منه موقع الموضح
والملخص لانه مسوق لثباته مكذبا مجحودا في قلوبهم فاتبع ما يقرر هذا المعنى من انهم لا يزالون على
التكذيب به وجحوده حتى يعاينوا الوعيد ويجوز ان يكون حالا اي سلكناه فيها غير مومن به وقرا الحسن

وعلى مثل هذه الحال وهذه الصفة من
الكفر به والتكذيب له وضعناه
فيها فكيف ما فعل بهم

فتاتيهم

١٣٣

فتاتيهم بالتاء يعني الساعة وبغتة بالتحريك وفي حرف ابي ويروه بغتة فان قلت ما معنى التعقيب
في قوله فياتيهم بغتة فيقولوا قلت ليس المعنى ترادف روية العذاب ومفاجاته وسوال
النظرة فيه في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كانه قيل لا يومنون بالقران حتى تكون رويتهم
للعذاب فما هو اشد منها وهو لحوقه بهم مفاجاة فما هو اشد منه وهو سوالهم النظرة ومثال ذلك
ان تقول لمن تعظه ان اسات مقتك الصالحون فمقتك الله فانك لا تقصد بهذا الترتيب ان
مقت الله يوجد عقيب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء وانه
يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين فما هو اشد من مقتهم مقت الله وترى ثم يقع في
هذا الاسلوب فيحل موقعه افبعذابنا يستعجلون تبكيت لهم بانكار وتهكم ومعناه كيف
يستعجل العذاب من هو معرض لعذاب يسال فيه من جنس ما هو فيه اليوم من النظرة والامهال طرفة
عين فلا يجاب اليها ويحتمل ان يكون هذا حكاية توبيخ يوبخون به عند استنظارهم يومئذ
ويستعجلون على هذا الوجه حكاية حال ماضية ووجه اخر متصل بما بعده وذلك ان استعجالهم
بالعذاب انما كان لاعتقادهم انه غير كائن ولا لاحق بهم وانهم ممتعون باعمار طوال في سلامة
وامن فقال عز وعلا افبعذابنا يستعجلون اشرا وبطرا واستهزاء واتكالا على الامل الطويل ثم
قال هب ان الامر كما يعتقدون من تمتيعهم وتعميرهم فاذا لحقهم الوعيد بعد ذلك ما ينفعهم حينئذ
ما مضى من طول اعمارهم وطيب معايشهم وعن ميمون بن مهران انه لقي الحسن في الطواف وكان
يتمنى لقاه فقال له عظني فلم يزده على تلاوة هذه الاية فقال ميمون لقد وعظت فابلغت وقرى
يمتعون بالتخفيف منذرون رسل ينذرونهم ذكرى منصوبة بمعنى تذكرة اما لان انذر وذكر
متقاربان فكانه قيل مذكرون تذكرة واما لانها حال من الضمير في منذرون اي ينذرونهم ذوي
تذكرة واما لانها مفعول له على معنى انهم ينذرون لاجل الموعظة والتذكرة او مرفوعة على انها

خبر مبتدا محذوف بمعنى هذه الذكرى والجملة اعتراضية او صفة بمعنى منذرون ذووا ذكرى
او جعلوا ذكرى لامعانهم في التذكرة واطنابهم فيها ووجه اخر وهو ان يكون ذكرى متعلقة باهلكنا
مفعولا له والمعنى وما اهلكنا من اهل قرية ظالمين الا بعد ما الزمناهم الحجة بارسال المنذرين اليهم
ليكون اهلاكهم تذكرة وعبرة لغيرهم فلا يعصوا مثل عصيانهم وما كنا ظالمين فنهلك قوما غير
ظالمين وهذا الوجه عليه المعول **فان قلت** كيف عزلت الواو عن الجملة بعد الا ولم
تعزل عنها في قوله وما اهلكنا من قرية الا ولها كتاب معلوم **قلت** الاصل عزل الواو لان الجملة
صفة لقرية واذا زيدت فلتأكيد وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم كانوا
يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما يتنزل به الشياطين على الكهنة فكذبوا بان
ذلك مما لا يتسهل للشياطين ولا يقدرون عليه لانهم مرجومون بالشهب معزولون عن استماع كلام
اهل السماء وقرأ الحسن الشياطون ووجهه انه رأى اخره كاخر يبرين وفلسطين فتخير بين ان يجري
الاعراب على النون وبين ان يجريه على ما قبله فيقول الشياطين والشياطون كما تخيرت العرب
بين ان يقولوا هذه يبرون ويبرين وفلسطون وفلسطين وحقها ان تشتقه من الشيطوطة وهي الهلاك
كما قيل له الباطل وعن الفراء غلط الشيخ في قراءته الشياطون ظن انها النون التي على هجائين فقال
النضر بن شميل ان جاز ان يحتج بقول العجاج ورؤبة فهلا جاز ان يحتج بقول الحسن وصاحبه يريد
محمد بن السميفع مع انا نعلم انهما لم يقرآ به الا وقد سمعا فيه قد علم ان ذلك لا يكون ولكنه اراد
تحريك منه لازدياد الاخلاص والتقوى وفيه لطف لسائر المكلفين كما قال ولو تقول علينا بعض الاقاويل
فان كنت في شك مما انزلنا اليك فيه وجهان احدهما ان يؤمر بانذار الاقرب فالاقرب من قومه
ويبدأ في ذلك بمن هو اولى بالبداءة ثم بمن يليه وان يقدم انذارهم على انذار غيرهم كما روي عنه عليه السلام على انذارهم
انه لما دخل مكة قال كل ربا في الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين واول ما اضعه ربا العباس والثاني

ان يؤمن بان لا ياخذ ما ياخذ القريب للقريب من العطف والرأفة ولا يحابيهم في الانذار والتخويف
وروي انه صعد الصفا لما نزلت فنادى الاقرب فالاقرب فخذا فخذا وقال يا بني عبد المطلب يا بني
هاشم يا بني عبد مناف يا عباس عم النبي يا صفية عمة رسول الله اني لا املك لكم من الله شيئا سلوني
من مالي ما شئتم وروي انه جمع بني عبد المطلب وهم يومئذ اربعون رجلا الرجل منهم يأكل الجذعة
ويشرب العس على رجل شاة وقعب من لبن فاكلوا وشربوا حتى صدروا ثم انذرهم فقال يا بني عبد المطلب
لو اخبرتكم ان بسفح هذا الجبل خيلا اكنتم مصدقي قالوا نعم قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد
وروي انه قال يا بني عبد المطلب يا بني هاشم يا بني عبد مناف افتدوا انفسكم من النار فاني لا اغني
عنكم شيئا ثم قال يا عائشة بنت ابي بكر ويا حفصة بنت عمر ويا فاطمة بنت محمد ويا صفية
عمة محمد اشترين انفسكن من النار فاني لا اغني عنكن شيئا الطائر اذا اراد ان ينحط للوقوع كسر
جناحه وخفضه واذا اراد ان ينهض للطيران رفع جناحه فجعل خفض جناحه عند الانحطاط ط
مثلا في التواضع ولين الجانب ومنه قول بعضهم وانت الشهير بخفض الجناح فلا تك في رفعه
اجدلا ينهاه عن التكبر بعد التواضع **فان قلت** المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون
هم المتبعون للرسول فما معنى قوله لمن اتبعك من المؤمنين **قلت** فيه وجهان ان يسميهم
قبل الدخول في الايمان مؤمنين لمشارفتهم ذلك وان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسنتهم وهم
صنفان صنف صدق واتبع رسول الله فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فحسب ثم
اما ان يكونوا منافقين او فاسقين والمنافق والفاسق لا يخفض لهما الجناح والمعنى من المؤمنين من عشيرتك
وغيرهم يعني انذر قومك فان اتبعوك واطاعوك فاخفض لهم جناحك وان عصوك ولم يتبعوك
فتبرأ منهم ومن اعمالهم من الشرك بالله وغيره وتوكل على الله يكفك شر من يعصيك منهم ومن غيرهم و
التوكل تفويض الرجل امره الى من يملك امره ويقدر على نفعه وضره وقالوا المتوكل من ان دهمه

امر لم يحاول دفعه عن نفسه مما هو معصية لله فعلى هذا اذا وقع الانسان في محنة ثم سال
غيره خلاصه لم يخرج من حد التوكل لانه لم يحاول دفع ما نزل به عن نفسه بمعصية الله وفي مصاحف
اهل المدينة والشام فتوكل وبه قرا نافع وابن عامر وله محملان في العطف ان يعطف على فقل
او فلا تدع على العزيز الرحيم على الذي يقهر اعداءك بعزته وينصرك عليهم برحمته ثم اتبع كونه رحيما
على رسوله ما هو من اسباب الرحمة وهو ذكر ما كان يفعله في جوف الليل من قيامه للتهجد وتقلبه
في تصفح احوال المتهجدين من اصحابه ليطلع عليهم من حيث لا يشعرون ويستبطن سرائرهم وكيف
يعبدون الله وكيف يعملون لآخرتهم كما يحكى انه حين نسخ فرض قيام الليل طاف تلك الليلة
ببيوت اصحابه لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من فعل الطاعات وتكثير الحسنات
فوجدها كبيوت الزنابير لما سمع منها من دندنتهم بذكر الله والتلاوة والمراد بالساجدين المصلون
وقيل معناه يراك حين تقوم للصلاة بالناس جماعة وتقلبه في الساجدين تصرفه فيما بينهم بقيامه
وركوعه وسجوده وقعوده اذا امهم وعن مقاتل انه سال ابا حنيفة رضي الله عنه هل تجد الصلاة
في الجماعة في القران فقال لا يحضرني فتلا له هذه الآية ويحتمل انه لا يخفى عليه حالك كلما
قمت وتقلبت مع الساجدين في كفاية امور الدين انه هو السميع لما تقوله العليم بما تنويه وتعمله وقيل
هو تقلب بصره فيمن يصلي خلفه من قوله عليه السلام اتموا الركوع والسجود فوالله اني لاراكم من
خلف ظهري اذا ركعتم وسجدتم وقرى ويقلبك كل افاك اثيم هم الكهنة والمتنبئة كشق وسطيح ومسيلمة
وطليحة يلقون السمع هم الشياطين كانوا قبل ان يحجبوا بالرجم يسمعون الى الملا الاعلى فيختطفون
بعض ما يتكلمون به مما اطلعوا عليه من الغيوب ثم يوحون به الى اوليائهم من اولئك
واكثرهم كاذبون فيما يوحون به اليهم لانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وقيل يلقون الى اوليائهم السمع
اي المسموع من الملائكة وقيل الافاكون يلقون السمع الى الشياطين فيلقون وحيهم اليهم او يلقون

المسموع

١٣٥

المسموع من الشياطين الى الناس واكثر الافاكين كاذبون يفترون على الشياطين ما لم يوحوا
اليهم وترى اكثر ما يحكمون به باطلا وزورا وفي الحديث الكلمة يخطفها الجني فيقرها في اذن وليه
فيزيد فيها اكثر من مائة كذبة والقر الصب فان قلت كيف دخل حرف الجر على من المتضمن
لمعنى الاستفهام والاستفهام له صدر الكلام الا ترى الى قولك اعلى زيد مررت ولا تقول على
ازيد مررت قلت ليس معنى التضمن ان الاسم دل على معنيين معا معنى الاسم ومعنى الحرف
وانما معناه ان الاصل امن فحذف حرف الاستفهام واستمر الاستعمال على حذفه كما حذف
من هل والاصل اهل قال اهل رأونا بسفح القاع ذي الاكم فاذا ادخلت حرف الجر على من فقدر
الهمزة قبل حرف الجر في ضميرك كانك تقول اعلى من تنزل الشياطين كقولك اعلى زيد مررت
فان قلت يلقون ما محله قلت يجوز ان يكون في محل النصب على الحال اي تنزل
ملقين السمع وفي محل الجر صفة لكل افاك لانه في معنى الجمع وان لا يكون له محل بان يستانف
كان قائلا قال لم تنزل على الافاكين فقيل يفعلون كيت وكيت فان قلت كيف
قيل واكثرهم كاذبون بعد ما قضى عليهم ان كل واحد منهم افاك قلت الافاكون هم الذين
يكثرون الافك ولا يدل ذلك على انهم لا ينطقون الا بالافك فاراد ان هؤلاء الافاكين قل من
يصدق منهم فيما يحكي عن الجني واكثرهم مفتر عليه فان قلت وانه لتنزيل رب العالمين
وما تنزلت به الشياطين هل انبئكم على من تنزل الشياطين لم فرق بينهن وهن اخوات قلت
اريد التفريق بينهن بآيات ليست في معناهن ليرجع الى المجيء بهن وتطرية ذكر ما فيهن كرة بعد كرة
فيدل بذلك على ان المعنى الذي نزلن فيه من المعاني التي اشتدت كراهة الله لخلافها
ومثاله ان يحدث الرجل بحديث وفي صدره اهتمام بشيء منه وفضل عناية فتراه يعيد ذكره ولا ينفك
عن الرجوع اليه والشعراء مبتدا ويتبعهم الغاوون خبره ومعناه انه لا يتبعهم على باطلهم وكذبهم و

وفضول قولهم وما هم عليه من الهجا وتمزيق الاعراض والقدح في الانساب والنسيب بالحرم والغزل
والابتهار ومدح من لا يستحق المدح ولا يستحسن ذلك منهم ولا يطرب على قولهم الا الغاوون
والسفهاء والشطار وقيل الغاوون الراوون وقيل الشياطين وقيل هم شعراء قريش عبد الله بن
الزبعرى وهبيرة بن ابي وهب المخزومي ومسافع بن عبد مناف وابو عزة الجمحي ومن ثقيف
امية بن ابي الصلت قالوا نحن نقول مثل قول محمد وكانوا يهجونه ويجتمع اليهم الاعراب
من قومهم يستمعون اشعارهم واهاجيهم وقرا عيسى بن عمر والشعراء بالنصب على اضمار فعل يفسره
الظاهر قال ابو عبيد كان الغالب عليه حب النصب قرا حمالةَ الحطب والسارقَ والسارقة
وسورةً انزلناها وقرئ يتبعهم على التخفيف ويتبعْهم بسكون العين تشبيها لبعه بعضد ذكر الوادي
والهيوم تمثيل لذهابهم في كل شعب من القول واعتسافهم وقلة مبالاتهم بالغلو في المنطق
ومجاوزة حد القصد فيه حتى يفضلوا اجبن الناس على عنترة واشحهم على حاتم وان يبهتوا البري
ويفسقوا التقي وعن الفرزدق ان سليمان بن عبد الملك سمع قوله فبتن بجانبي مصرعات وبت
افض اغلاق الختام فقال قد وجب عليك الحد فقال يا امير المؤمنين قد درأ الله عني الحد بقوله وانهم
يقولون ما لا يفعلون استثنى الشعراء المؤمنين الصالحين الذين يكثرون ذكر الله وتلاوة القرآن
وكان ذلك اغلب عليهم من الشعر واذا قالوا شعرا قالوه في توحيد الله والثناء عليه والحكمة
والموعظة والزهد والآداب الحسنة ومدح رسول الله صلى الله عليه وسلم والصحابة وصلحاء الامة
وما لا بأس به من المعاني التي لا يتلطخون فيها بذنب ولا يتلبسون بشائنة ولا منقصة وكان هجاؤهم
على سبيل الانتصار ممن يهجوهم قال الله تعالى لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وذلك من غير
اعتداء ولا زيادة على ما هو جواب لقوله تعالى فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى
عليكم وعن عمرو بن عبيد رحمه الله ان رجلا من العلوية قال له ان صدري ليجيش بالشعر

فقال

فقال فما يمنعك منه فيما لا بأس به والقول فيه ان الشعر باب من الكلام فحسنه كحسن الكلام
وقبيحه كقبيح الكلام وقيل المراد بالمستثنين عبد الله بن رواحة وحسان بن ثابت والكعبان
كعب بن مالك وكعب بن زهير والذين كانوا ينافحون عن رسول الله ويكافحون هجاة قريش
عن كعب بن مالك ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له اهجهم فوالذي نفسي بيده لهو اشد
عليهم من النبل وكان يقول لحسان قل وروح القدس معك ختم السورة باية ناطقة بما لا شيء اهيب
منه ولا اهول ولا انكأ لقلوب المتاملين ولا اصدع لاكباد المتدبرين وذلك قوله وسيعلم وما فيه
من الوعيد البليغ وقوله الذين ظلموا واطلاقه وقوله اي منقلب ينقلبون وابهامه وقد تلاها
ابو بكر لعمر رضي الله عنهما حين عهد اليه وكان السلف الصالح يتواعظون بها ويتناذرون شدتها
وتفسير الظلم بالكفر تعليل ولان تخاف فتبلغ الامن خير من ان تأمن فتبلغ الخوف وقرا ابن عباس
اي منفلت ينفلتون ومعناها ان الذين ظلموا يطمعون ان ينفلتوا من عذاب الله وسيعلمون
ان ليس لهم وجه من وجوه الانفلات وهو النجاة اللهم ممن جعل هذه الآية بين عينيه فلم يغفل اجعلنا صح
عنها وعلم ان من عمل سيئة فهو من الذين ظلموا والله اعلم بالصواب قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود
وشعيب وصالح وابراهيم وبعدد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم

سورة النمل مكية وهي ثلاث وتسعون آية وقيل اربع وتسعون

بسم الله الرحمن الرحيم طس قرئ بالتفخيم والامالة وتلك اشارة الى آيات السورة
والكتاب المبين اما اللوح وابانته انه قد خط فيه كل ما هو كائن فهو يبينه للناظرين فيه ابانة واما
السورة واما القرآن وابانتهما انهما يبينان ما اودعاه من العلوم والحكم والشرائع وان اعجازهما ظاهر

مكشوف واضافة الآيات الى القرآن والكتاب المبين على سبيل التفخيم لها والتعظيم لان
المضاف الى العظيم يعظم بالاضافة اليه فان قلت لم نكر الكتاب المبين قلت
ليبهم بالتنكير فيكون أفخم له كقوله تعالى في مقعد صدق عند مليك مقتدر فان قلت
ما وجه عطفه على القرآن اذا اريد به القرآن قلت كما تعطف احدى الصفتين
على الاخرى في نحو قولك هذا فعل السخي والجواد الكريم لان القرآن هو المنزل المبارك المصدق
لما بين يديه فكان حكمه حكم الصفات المستقلة بالمدح فكانه قيل تلك الآيات المنزل المبارك ايات م
واي كتاب مبين وقرئ وكتاب مبين بالرفع على تقدير وآيات كتاب مبين
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه فان قلت ما الفرق بين هذا وبين
قوله الر تلك آيات الكتاب وقرآن مبين قلت لا فرق بينهما الا ما بين المعطوف عليه من والمعطوف م
التقدم والتأخر وذلك على ضربين ضرب جار مجرى التثنية لا يترجح فيه جانب على جانب
وضرب فيه ترجح فالاول نحو قوله وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا ومنه ما نحن بصدده
والثاني نحو قوله شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم هدى وبشرى في محل النصب او
الرفع فالنصب على الحال اي هادية ومبشرة والعامل فيها ما في تلك من معنى الاشارة والرفع على
ثلاثة اوجه على هي هدى وبشرى وعلى البدل من الآيات وعلى ان يكون خبرا بعد خبر اي جمعت
انها آيات وانها هدى وبشرى والمعنى في كونها هدى للمؤمنين انها زايدة في هداهم قال الله تعالى
فاما الذين آمنوا فزادتهم ايمانا فان قلت وهم بالآخرة هم يوقنون كيف يتصل بما قبله قلت
يحتمل ان يكون من جملة صلة الموصول ويحتمل ان تتم الصلة عنده ويكون جملة اعتراضية كانه
قيل وهؤلاء الذين يؤمنون ويعملون الصالحات من اقام الصلوة وايتاء الزكوة هم الموقنون بالآخرة
وهو الوجه ويدل عليه انه عقد جملة ابتدائية وكرر فيها المبتدأ الذي هو هم حتى صار معناها

وما يوقن

وما يوقن بالآخرة حق الايقان الا هؤلاء الجامعون بين الايمان والعمل الصالح لان خوف العاقبة يحملهم على
تحمل المشاق فان قلت كيف اسند تزيين اعمالهم الى ذاته وقد اسنده الى الشيطان في قوله
وزين لهم الشيطان اعمالهم قلت بين الاسنادين فرق وذلك ان اسناده الى الشيطان
حقيقة واسناده الى الله تعالى مجاز وله طريقان في علم البيان احدهما ان يكون من المجاز الذي يسمى
الاستعارة والثاني ان يكون من المجاز الحكمي فالطريق الاول انه لما متعهم بطول العمر وسعة الرزق
وجعلوا انعام الله بذلك عليهم واحسانه اليهم ذريعة الى اتباع شهواتهم وبطرهم وايثارهم الروح والترفه
ونفارهم عما يلزمهم فيه التكاليف الصعبة والمشاق المتعبة فكانه زين لهم بذلك اعمالهم واليه
اشارت الملائكة صلوات الله عليهم في قولهم ولكن متعتهم واباءهم حتى نسوا الذكر والطريق الثاني
ان امهاله الشيطان وتخليته حتى يزين لهم ملابسة ظاهرة للتزيين فاسند اليه لان المجاز
الحكمي يصححه بعض الملابسات وقيل هي اعمال الخير التي وجب عليهم ان يعملوها زينها لهم
فعمهوا عنها وضلوا ويعزى الى الحسن والعمه التردد والتحير كما يكون حال الضال عن الطريق
وعن بعض الاعراب انه دخل السوق وما ابصرها قط فقال رأيت الناس عمهين اراد مترددين
في اعمالهم واشغالهم سوء العذاب القتل والاسر يوم بدر والاخسرون اشد الناس خسرانا لانهم لو
آمنوا لكانوا من الشهداء على جميع الامم فخسروا ذلك مع خسران النجاة وثواب الله لتلقى
القرآن لتؤتاه وتلقنه من عند اي حكيم واي عليم وهذا معنى مجيئهما نكرتين وهذه الآية بساط
وتمهيد لما يريد ان يسوق بعدها من الاقاصيص وما في ذلك من لطائف حكمته ودقائق علمه اذ منصوب
بمضمر وهو اذكر كانه قال على اثر ذلك خذ من آثار حكمته وعلمه قصة موسى ويجوز ان ينتصب بعليم
وروي انه لم يكن مع موسى عليه السلم غير امرأته وقد كنى الله عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب
على لفظ الجمع وهو قوله امكثوا الشهاب الشعلة والقبس النار المقبوسة واضاف الشهاب الى القبس

لانه يكون قبسًا وغير قبس ومن قرا بالتنوين جعل القبس بدلا او صفة لما فيه من معنى القبس والخبر ما يخبر به عن حال الطريق لانه كان قد ضله **فان قلت** سآتيكم منها بخبر ولعلي آتيكم منها بخبر كالمتدافعين لان احدهما ترجٍ والاخر تيقن **قلت** قد يقول الراجي اذا قوي رجاوه سافعل كذا وسيكون كذا مع تجويزه للخيبة **فان قلت** كيف جاء بسين التسويف **قلت** عدة لاهله انه ياتيهم به وان ابطا او كانت المسافة بعيدة **فان قلت** فلم جاء بأو دون الواو **قلت** بنى الرجا على انه ان لم يظفر بحاجتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما هداية الطريق واما اقتباس النار ثقة بعبادة الله انه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما ادراه حين قال ذلك انه ظافر على النار بحاجتيه الكلتين جميعًا وهما العزان عز الدنيا وعز الاخرة ان هي المفسرة لان النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك **فان قلت** هل يجوز ان تكون المخففة من الثقيلة وتقديره نودي بانه بورك والضمير ضمير الشان **قلت** لا لانه لا بد من قد **فان قلت** فعلى اضمارها **قلت** لا يصح لانها علامة لا تحذف ومعنى بورك من في النار ومن حولها بورك من في مكان النار ومن حول مكانها ومكانها البقعة التي حصلت فيها وهي البقعة المباركة المذكورة في قوله تعالى نودي من شاطي الواد الايمن في البقعة المباركة ومما يدل عليه قراءة ابي تباركت الارض ومن حولها وعنه بوركت النار والذي بوركت له البقعة وبورك من فيها ومن حواليها حدوث امر ديني فيها وهو تكليم الله موسى واستنباوه له واظهار المعجزات عليه ورب خير يتجدد في بعض البقاع فينشر الله بركة ذلك الخير في اقاصيها ويبث اثار يمنه في اباعدها فكيف بمثل ذلك الامر العظيم الذي جرى في تلك البقعة وقيل المراد بالمبارك فيهم موسى والملائكة الحاضرون والظاهر انه عام في كل من كان في تلك الارض وفي ذلك الوادي وحواليها من ارض الشام ولقد جعل الله ارض الشام بالبركات موسومة في قوله ونجيناه

ولوطا

ولوطا الى الارض التي باركنا فيها للعالمين وحقت ان تكون كذلك فهي مبعث الانبيا صلوات الله عليهم ومهبط الوحي اليهم وكفاتهم احياء وامواتا **فان قلت** فما معنى ابتدا خطاب الله موسى بذلك عند مجيئه **قلت** هي بشارة له بانه قد قضي امر عظيم تنتشر منه في ارض الشام كلها البركة وسبحان الله رب العالمين تعجيب لموسى من ذلك وايذان بان ذلك الامر مريده ومكونه رب العالمين تنبيها على ان الكاين من جلايل الامور وعظايم الشوون الها في انه يجوز ان يكون ضمير الشان والشان انا الله مبتدا وخبر والعزيز الحكيم صفتان للخبر وان يكون راجعا الى ما دل عليه ما قبله يعني ان مكلمك انا والله بيان لانا والعزيز الحكيم صفتان للمبين وهذا تمهيد لما اراد ان يظهره على يده من المعجزة يريد انا القوي القادر على ما يبعد من الاوهام كقلب العصا حية الفاعل كل ما افعله بحكمة وتدبير **فان قلت** علام عطف قوله والق عصاك **قلت** على بورك لان المعنى نودي ان بورك من في النار وان الق عصاك كلاهما تفسير لنودي والمعنى قيل له بورك من في النار وقيل له الق عصاك والدليل على ذلك قوله تعالى وان الق عصاك بعد قوله ان يا موسى اني انا الله على تكرير حرف التفسير كما تقول كتبت اليك ان حج وان اعتمر وان شئت ان حج واعتمر وقرا الحسن جان على لغة من يجد في الهرب من التقاء الساكنين فيقول شابة ودابة ومنها قراءة عمرو بن عبيد ولا الضالين لم يعقب لم يرجع يقال عقب المقاتل اذا كر بعد الفرار قال فما عقبوا اذ قيل هل من معقب ولا نزلوا يوم الكريهة منزلا وانما رعب لظنه ان ذلك لامر اريد به ويدل عليه اني لا يخاف لدي المرسلون والا بمعنى لكن لانه لما اطلق نفي الخوف عن الرسل كان ذلك مظنة لطرو الشبهة فاستدرك ذلك والمعنى ولكن من ظلم منهم اي فرطت منه صغيرة مما يجوز على الانبياء كالذي فرط من آدم ويونس وداود وسليمان واخوة يوسف ومن موسى عليهم السلام بوكزه القبطي ويوشك ان يقصد بهذا التعريض بما وجد من موسى وهو من التعريضات التي يلطف

مأخذها وسماه ظلما كما قال موسى رب انى ظلمت نفسى فاغفر لى والحسن والسوء حسن التوبة وقبح
الذنب وقرئ الا من ظلم بحرف التنبيه وعن ابى عمرو فى رواية عصمة حسنا فى تسع آيات كلام مستأنف
وحرف الجر فيه يتعلق بمحذوف والمعنى اذهب فى تسع آيات الى فرعون ونحوه فقلت الى الطعام
فقال منهم فريق نحسد الانس الطعاما ويجوز ان يكون المعنى والق عصاك وادخل يدك فى تسع آيات
اى فى جملة تسع آيات اى فى جملة تسع آيات وعدادهن ولقائل ان يقول كانت الآيات احدى
عشرة ثنتان منها اليد والعصا والتسع الفلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم
والطمسة والجدب فى بواديهم والنقصان فى مزارعهم مبصرة الظاهرة البينة جعل الابصار لها
وهو فى الحقيقة لمتأمليها لانهم لابسوها وكانوا بسبب منها بنظرهم وتفكرهم فيها ويجوز ان يراد
حقيقة الابصار كل ناظر فيها من كافة اولى العقل وان يراد ابصار فرعون وملائه لقوله واستيقنتها
انفسهم او جعلت كانها تبصر فتهتدى لان العمى لا يقدر على الاهتداء فضلا ان تهدى غيرها ومنه
قولهم كلمة عيناء وكلمة عوراء لان الكلمة الحسنة ترشد والسيئة تغوى ونحوه قوله لقد علمت ما انزل
هؤلاء الا رب السموات والارض بصائر فوصفها بالبصارة كما وصفها بالابصار وقرأ على بن الحسين و
قتادة مبصرة وهى نحو مجبنة ومبخلة ومجفرة اى مكانا يكثر فيه التبصر الواو فى واستيقنتها واو
الحال وقد بعدها مضمرة والعلو الكبر والترفع عن الايمان بما جاء به موسى كقوله فاستكبروا وكانوا
قوما عالين فقالوا انؤمن لبشرين مثلنا وقومهما لنا عابدون وقرئ عليا وعليا بالضم والكسر كما قرئ
عتيا وعتيا وفائدة ذكر الانفس انهم جحدوها بالسنتهم واستيقنوها فى قلوبهم وضمائرهم والاستيقان
ابلغ من الايقان وقد قوبل بين المبصرة والمبين واى ظلم افحش من ظلم من اعتقد واستيقن انها آيات
بينة واضحة جاءت من عند الله ثم كابر بتسميتها سحرا بينا مكشوفا لا شبهة فيه علما طائفة
من العلم او علما سنيا عزيزا فان قلت اليس هذا موضع الفاء دون الواو كقولك اعطيته فشكر

ومنعه

ومنعته فصبر قلت بلى ولكن عطفه بالواو اشعار بان ما قالاه بعض ما احدث فيهما ايتاء
العلم وشى من مواجبه فاضمر ذلك ثم عطف عليه التحميد كانه قال ولقد آتيناهما علما فعملا به
وعلماه وعرفا حق النعمة فيه والفضيلة وقالا الحمد لله الذى فضلنا والكثير المفضل عليه من لم يؤت
علما او من لم يؤت مثل علمهما وفيه انهما فضلا على كثير وفضل عليهما كثير وفى الآية دليل على شرف العلم
وانافة محله وتقدم حملته واهله وان نعمة العلم من اجل النعم واجزل القسم وان من اوتيه فقد
اوتى فضلا على كثير من عباد الله كما قال والذين اوتوا العلم درجات وما سماهم رسول الله صلى الله عليه
وسلم ورثة الانبياء الا لمدانيتهم لهم فى الشرف والمنزلة لانهم القوام بما بعثوا من اجله وفيها انه يلزمهم
لهذه النعمة الفاضلة لوازم منها ان يحمدوا الله على ما اوتوه من فضلهم على غيرهم ومنها التذكر
بالتواضع وان يعتقد العالم انه وان فضل على كثير فقد فضل عليه مثلهم وما احسن قول عمر كل الناس
افقه من عمر ورث منه النبوة والملك دون سائر بنيه وكانوا تسعة عشر وكان داود اكثر تعبدا و
سليمان اقضى واشكر لنعمة الله وقال يا ايها الناس تشهيرا لنعمة الله وتنويها بها واعترافا بمكانها
ودعاء للناس الى التصديق بذكر المعجزة التى هى علم منطق الطير وغير ذلك مما اوتيه من
عظائم الامور والمنطق كل ما يصوت به من المفرد والمؤلف المفيد وغير المفيد وقد ترجم يعقوب
كتابه باصلاح المنطق وما اصلح فيه الا مفردات الكلم وقالت العرب نطقت الحمامة وكل صنف من
الطير يتفاهم اصواته والذى علمه سليمان عليه السلام من منطق الطير هو ما يفهم بعضه من بعض من
معانيه واغراضه ويحكى انه مر ببلبل فى شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لاصحابه اتدرون ما يقول
قالوا الله ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وصاحت فاختة فاخبر انها تقول
ليت ذا الخلق لم يخلقوا وصاح طاووس فقال يقول كما تدين تدان وصاح هدهد فقال يقول استغفروا الله
يا مذنبون وصاح طيطوى فقال يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خطاف فقال

يقول قدموا خيرا تجدوه وصاح رخمة فقال يقول سبحان ربي الاعلى ملا سمائه وارضه وصاح قمري
واخبر انه يقول سبحان ربي الاعلى وقال الحدأ يقول كل شيء هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم
والببغا يقول ويل لمن الدنيا همه والديك يقول اذكروا الله يا غافلون والنسر يقول يا ابن ادم عش ما شئت
اخرك الموت والعقاب يقول في البعد من الناس انس والضفدع يقول سبحان ربي القدوس واراد
بقوله من كل شيء كثرة ما اوتي كما يقول فلان يقصده كل احد ويعلم كل شيء يريد كثرة قصاده ورجوعه الى
غزارة في العلم واستكثاره منه ومثله قوله واوتيت من كل شيء ان هذا لهو الفضل المبين قوله قاله على
سبيل الشكر والمحمدة كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد ولد آدم ولا فخر اي اقول هذا القول
شكرا ولا اقوله فخرا **قال** كيف قال علمنا واوتينا وهو من كلام المتكبرين **قلت**
فيه وجهان احدهما ان يريد نفسه واباه والثاني ان هذه النون نون الواحد المطاع وكان
ملكا مطاعا فكلم اهل طاعته على صفته وحاله التي كان عليها وليس التكبر من لوازم ذلك وقد يتعلق
بتجمل الملك وتفخيمه واظهار آيينه وسياسته مصالح فيعود تكلف ذلك واجبا وقد كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم يفعل نحوا من ذلك اذا وفد عليه وفد واحتاج ان يرجح في عين عدوه الا ترى كيف
امر العباس بان يحبس ابا سفيان حتى تمر عليه الكتائب روي ان معسكره كان مائة فرسخ في مائة
خمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للطير وخمسة وعشرون للوحش
وكان له الف بيت من قوارير على الخشب فيها ثلثمائة منكوحة وسبعمائة سرية وقد نسجت له الجن
بساطا من ذهب وابريسم فرسخا في فرسخ وكان يوضع منبره في وسطه وهو من ذهب فيقعد عليه
وحوله ستمائة الف كرسي من ذهب وفضة فيقعد الانبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي
الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين وتظله الطير باجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس
وترفع ريح الصبا البساط فتسير به مسيرة شهر ويروى انه كان يامر الريح العاصف تحمله ويامر

الرخا

الرخا تسيره فاوحى الله اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في ملكك لا يتكلم احد بشيء
الا القته الريح في سمعك فيحكى انه مر بحراث فقال لقد اوتي آل داود ملكا عظيما فالقته الريح في
اذنه فنزل ومشى الى الحراث وقال انما مشيت اليك لئلا تتمنى ما لا تقدر عليه ثم قال لتسبيحة واحدة
يقبلها الله خير مما اوتي آل داود يوزعون يحبس اولهم على اخرهم اي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم
التوالي فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم احد وذلك للكثرة العظيمة قيل هو واد بالشام كثير النمل
قال لم عدي اتوا بعلى **قلت** يتوجه على معنيين احدهما ان اتيانهم كان من
فوق فاتى بحرف الاستعلاء كما قال ابو الطيب ولشد ما قربت عليك الانجم لما كان قربا من فوق
والثاني ان يراد قطع الوادي وبلوغ اخره من قولهم اتى على الشيء اذا انفده وبلغ اخره كانهم ارادوا ان
ينزلوا عند منقطع الوادي لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهواء لا يخاف حطمهم وقرئ نملة يا ايها النمل
بضم الميم وبضم النون والميم وكان الاصل النمل بوزن الرجل والنمل الذي عليه الاستعمال تخفيف
عنه كقولهم السبع في السبع قيل كانت تمشي وهي عرجاء تتكاوس فنادت يا ايها النمل الآية فسمع
سليمان كلامها من ثلثة اميال وقيل كان اسمها طاخية وعن قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه
الناس فقال سلوا عما شئتم وكان ابو حنيفة رضي الله عنه حاضرا وهو غلام حدث فقال سلوه عن نملة سليمان
اكانت ذكرا ام انثى فسالوه فافحم فقال ابو حنيفة كانت انثى فقيل له من اين عرفت فقال من كتاب الله
وهو قوله وقالت نملة ولو كانت ذكرا لقال قال نملة وذلك ان النملة مثل الحمامة والشاة في
وقوعها على الذكر والانثى فيميز بينهما بعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة انثى وهو وهي وقرئ مسكنكم
ولا يحطمنكم بفتح الحا وكسرها واصله يحتطمنكم ولما جعلها قائلة والنمل مقولا لهم كما يكون في اولي
بتخفيف النون وقرئ لا يحطمنكم
العقل اجرى خطابهم مجرى خطابهم **قال** لا يحطمنكم ما هو **قلت** يحتمل ان يكون جوابا
للامر وان يكون نهيا بدلا من الامر والذي جوز ان يكون بدلا منه انه في معنى لا تكونوا حيث انتم فيحطمكم

على طريقة لا أرينك هاهنا أراد لا يحطمنكم جنود سليمان فجاء بما هو أبلغ ونحوه عجبت من نفسي ومن
إشفاقها ومعنى تبسم ضاحكا شارعا في الضحك وآخذا فيه يعني أنه قد تجاوز حد التبسم إلى الضحك
وكذلك ضحك الأنبياء وأما ما روي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ضحك حتى بدت نواجذه فالغرض المبالغة
في وصف ما وجد منه من الضحك النبوي وإلا فبدو النواجذ على الحقيقة إنما يكون عند الاستغراب
وقرأ ابن السميفع ضحكا **فإن قلت** ما أضحكه من قولها **قلت** شيئان إعجابه بما دل من
قولها على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفقتهم وعلى شهرة حاله وحالهم في باب التقوى وذلك قولها
وهم لا يشعرون يعني أنهم لو شعروا لم يفعلوا وسروره بما آتاه الله مما لم يؤت أحدا من إدراكه بسمعه ما
همس به بعض الحكل الذي هو مثل في الصغر والقلة ومن إحاطته بمعناه ولذلك اشتمل دعاؤه على استيزاع الله
شكر ما أنعم الله به عليه من ذلك وعلى استيفاقه لزيادة العمل الصالح والتقوى وحقيقة أوزعني اجعلني
أزع شكر نعمتك عندي وأكفه وأربطه لا ينفلت عني حتى لا أنفك شاكرا لك (طلب التوفيق) وإنما أدرج ذكر والديه
لأن النعمة على الولد نعمة على الوالدين خصوصا النعمة الراجعة إلى الدين فإنه إذا كان تقيا نفعهما
بدعائه وشفاعته وبدعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك وروي أن
النملة أحست بصوت الجنود ولا تعلم أنهم في الهواء فأمر سليمان عليه السلم فوقفت لئلا يذعرن حتى (الريح)
دخلن مساكنهن ثم دعا بالدعوة ومعنى وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين واجعلني من أهل الجنة
أم هي المنقطعة نظر إلى مكان الهدهد فلم يبصره فقال ما لي لا أراه على معنى أنه لا يراه وهو حاضر
لساتر ستره أو غير ذلك ثم لاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل
عن صحة ما لاح له نحو قولهم إنها لإبل أم شاء وذكر من قصة الهدهد أن سليمان حين تم له بناء
بيت المقدس تجهز للحج بحشره فوافى الحرم وأقام به ما شاء وكان يقرب كل يوم طول مقامه بخمسة آلاف
ناقة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة ثم عزم على المسير إلى اليمن فخرج من مكة صباحا يؤم سهيلا فوافى

صنعاء

141

صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء أعجبته خضرتها فنزل ليتغدى ويصلي فلم يجدوا
الماء وكان الهدهد قناقنه وكان يرى الماء من تحت الأرض كما يرى الماء في الزجاجة فيجيء الشياطين
فيسلخونها كما يسلخ الإهاب ويستخرجون الماء فتفقده لذلك وحين نزل سليمان حلق الهدهد
فرأى هدهدا واقعا فانحط إليه فوصف له ملك سليمان وما سخر له من كل شيء وذكر له صاحبه
ملك بلقيس وأن تحت يدها اثني عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف وذهب معه لينظر
فما رجع إلا بعد العصر وذكر أنه وقعت نفحة من الشمس على رأس سليمان فنظر فإذا موضع الهدهد خال
فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فلم يجد عنده علمه ثم قال لسيد الطير وهو العقاب علي به
فارتفعت فنظرت فإذا هو مقبل فقصدته فناشدها الله وقال بحق الله الذي قواك وأقدرك علي
إلا رحمتني فتركته فقالت ثكلتك أمك إن نبي الله قد حلف ليعذبنك قال وما استثنى قالت
بلى أو ليأتيني بعذر مبين فلما قرب من سليمان أرخى ذنبه وجناحيه يجرها على الأرض تواضعا له فلما (ارخى)
دنا منه أخذ برأسه فمده إليه فقال يا نبي الله اذكر وقوفك بين يدي الله فارتعد سليمان وعفا عنه ثم سأله
تعذيبه أن يؤدب بما يحتمله حاله ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن ينتف ريشه
ويشمسه وقيل أن يطلى بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للنمل تأكله وقيل إيداعه القفص وقيل التفريق
بينه وبين إلفه وقيل لألزمنه صحبة الأضداد وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الأضداد وقيل
لألزمنه خدمة أقرانه **فإن قلت** من أين حل له تعذيب الهدهد **قلت** يجوز أن يبيح الله
له ذلك لما رأى فيه من المصلحة والمنفعة كما أباح ذبح البهائم والطيور للأكل وغيره من المنافع
وإذا سخر له الطير ولم يتم ما سخر لأجله إلا بالتأديب والسياسة جاز أن يباح له ما يستصلح به وقرئ
ليأتيني ليأتينن والسلطان الحجة والعذر **فإن قلت** قد حلف على أحد ثلاثة أشياء فحلفه
على فعليه لا مقال فيه ولكن كيف صح حلفه على فعل الهدهد ومن أين درى أنه يأتي بسلطان حتى يقول والله ليأتيني بسلطان

قلت لما نظم الدلالة بأوفى الحكم الذى هو الحلف آل الكلام الى قولك لتكونن احد الثلاثة يعنى
ان كان الاتيان بالسلطان لم يكن تعذيب ولا ذبح وان لم يكن كان احدهما وليس فى هذا ادعاء
دراية على انه يجوز ان يتعقب حلفه بالفعلين وحى من الله بانه سيأتيه بسلطان مبين عن درايه
عالمه واتقان فمكث قرئ بفتح الكاف وضمها غير بعيد غير زمان بعيد كقولك عن قريب ووصف
مكثه بقصر المدة للدلالة على اسراعه خوفا من سليمن وليعلم كيف كان الطير مسخرا له ولبيان ما
ما اعطى من المعجزة الدالة على النبوة وعلى قدرة الله عز وجل احطت بادغام الطا فى التا باطباق وبغير
اطباق الهم الله الهدهد فكافح سليمان بهذا الكلام على ما اوتى من فضل النبوة والحكمة والعلوم
الجمة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له فى علمه وتنبيها على ان فى ادنى خلقه واضعفه من احاط
علما بما لم يحط به لتتحاقر اليه نفسه ويتصاغر اليه علمه ويكون لطفا له فى ترك الاعجاب الذى هو
فتنة العلماء واعظم بها فتنة والاحاطة بمعنى علما انه يعلم من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا
وفيه دليل على بطلان قول الروافض ان الامام لا يخفى عليه شئ ولا يكون فى زمانه احد اعلم منه
سباء قرئ بالصرف ومنعه وقد روى بسكون الباء وعن ابن كثير فى رواية سبا بالالف كقولهم ذهبوا
ايدى سبا وهو سبا بن يشجب بن يعرب بن قحطان فمن جعله اسما للقبيلة لم يصرف ومن جعله اسما
للحى او الاب الاكبر صرف قال من سبا الحاضرين مأرب اذ يبنون من دون سيله العرما وقال
الوارد دون وتيم فى ذرى سباء وقد عض اعناقهم جلد الجواميس ثم سميت مدينة مارب بسباء
وبينها وبين صنعاء مسيرة ثلث كما سميت معافر بمعافر بن اد ويحتمل ان يراد المدينة والقوم والنبا
الخبر الذى له شان وقوله من سبا بنبا من جنس الكلام الذى سماه المحدثون البديع وهو من محاسن
الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط ان يجئ مطبوعا او بصنعه عالم بجوهر الكلام يحفظ معه صحة المعنى
وسداده ولقد جاء ها هنا زائدا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنى الا ترى انه لو وضع مكان

بنبا

١٤٢

بنبا بخبر لكان المعنى صحيحا وهو كما جاء اصح لما فى النبا من الزيادة التى يطابقها وصف الحال
المرأة بلقيس بنت شراحيل وكان ابوها ملك ارض اليمن كلها وقد ولد اربعون ملكا ولم يكن
له ولد غيرها فغلبت على الملك وكانت هى وقومها مجوسا يعبدون الشمس والضمير فى تملكهم راجع الى
سباء فان اريد به القوم فالامر ظاهر وان اريدت المدينة فمعناه تملك اهلها وقيل فى وصف عرشها
كان ثمانين ذراعا فى ثمانين وسمكه ثمانين وقيل ثلثين مكان ثمانين وكان من ذهب وفضة
مكللا بانواع الجواهر وكانت قوائمه من ياقوت احمر واخضر ودر وزمرد وعليه سبعة ابيات على
كل بيت باب مغلق فان قلت كيف استعظم عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان قلت
يجوز ان يستصغر حالها الى حال سليمان فاستعظم لها ذلك العرش ويجوز ان لا يكون لسليمان
مثله وان عظمت مملكته فى كل شئ كما يكون لبعض امراء الاطراف شئ لا يكون مثله للملك الذى يملك
عليهم امرهم ويستخدمهم ومن نوكى القصاص من يقف على قوله ولها عرش ثم يبتدى عظيم وجدتها
يريد امر عظيم ان وجدتها وقومها يسجدون للشمس فر من استعظام الهدهد عرشها فوقع فى
عظيمة وهى مسخ كتاب الله فان قلت كيف قال واوتيت من كل شئ مع قول سليمان و
اوتينا من كل شئ كانه سوى بينهما قلت بينهما فرق لان سليمان عطف قوله على ما هو معجزة
من الله وهو تعليم منطق الطير فرجع اولا الى ما اوتى من النبوة والحكمة واسباب الدين ثم الى الملك
واسباب الدنيا وعطفه الهدهد على الملك فلم يرد الا ما اوتيت من اسباب الدنيا اللائقة
بحالها فبين الكلامين بون بعيد فان قلت كيف خفى على سليمان مكانها وكانت
المسافة بين محطه وبين بلدها قريبة وهى مسيرة ثلث بين صنعاء ومارب قلت لعل الله
اخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما اخفى مكان يوسف على يعقوب فان قلت من اين
للهدهد التهدى الى معرفة الله ووجوب السجود وانكار سجودهم للشمس واضافته الى الشيطان

وترينه **قلت** لا يستبعد ان يلهمه الله ذلك كما الهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف
اللطيفة التي لا يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها ومن اراد استقراء ذلك فعليه بكتاب
الحيوان خصوصا في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك معجزة له من قرا
بالتشديد اراد فصدهم عن السبيل لان لا يسجدوا فحذف الجار مع ان ويجوز ان تكون لا مزيدة و
يكون المعنى فهم لا يهتدون الى ان يسجدوا ومن قرا بالتخفيف فهو الا يا اسجدوا الا للتنبيه
ويا حرف النداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال الا يا اسلمي يا دارمي على البلى وفي حرف عبد الله
وهي قراءة الاعمش هلا وهلا بقلب الهمزتين هاء وعن عبد الله هلا تسجدون بمعنى الا تسجدون على
الخطاب وفي قراءة ابي الا تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والارض ويعلم سركم وما تعلنون وسمي
المخبوء بالمصدر وهو النبات والمطر وغيرهما مما خباه الله عز وعلا من غيوبه وقرئ الخب على تخفيف
الهمزة بالحذف والخبا على تخفيفها بالقلب وهي قراءة ابن مسعود ومالك بن دينار ووجهها ان تخرج
على لغة من يقول في الوقف هذا الخبو ورايت الخبا ومررت بالخبي ثم اجرى الوصل مجرى الوقف
لا على لغة من يقول الكماة والحماة لانها ضعيفة مسترذلة وقرئ يخفون ويعلنون بالياء والتاء
وقيل من احطت الى العظيم هو كلام الهدهد وقيل كلام رب العزة وفي اخراج الخبء
امارة على انه من كلام الهدهد لهندسته ومعرفته الماء تحت الارض وذلك بالهام من يخرج الخبء
في السماوات والارض جلت قدرته ولطف علمه ولا يكاد يخفى على ذي الفراسة النظار بنور الله مخايل
كل مختص بصناعة او فن من العلم في روائه ومنطقه وشمائله ولهذا ورد ما عمل عبد عملا الا القى الله
عليه رداء عمله **فان قلت** اسجدة التلاوة واجبة في القراءتين جميعا ام احداهما **قلت**
هي واجبة فيهما جميعا لان مواضع السجدة اما امر بها او مدح لمن اتى بها او ذم لمن تركها واحدى القراءتين
امر بالسجود والاخرى ذم للتارك وقد اتفق ابو حنيفة والشافعي رضي الله عنهما على ان سجدات القرآن

اربع

١٤٣

اربع عشرة وانما اختلفا في سجدة ص فهي عند ابي حنيفة رضي الله عنه سجدة تلاوة وعند الشافعي
رضي الله عنه سجدة شكر وفي سجدتي سورة الحج وما ذكره الزجاج من وجوب السجدة مع التخفيف
دون التشديد فغير مرجوع اليه **فان قلت** هل يفرق الواقف بين القراءتين **قلت**
نعم اذا خفف وقف على فهم لا يهتدون ثم ابتدا الا يا اسجدوا وان شاء وقف على الا يا ثم ابتدا
اسجدوا واذا شدد لم يقف الا على العرش العظيم **فان قلت** كيف سوى الهدهد بين
عرش بلقيس وعرش الله في الوصف بالعظيم تعظيم له بالاضافة الى عروش ابناء جنسها من الملوك
قلت بين الوصفين بون عظيم لان وصف عرشها بالعظيم
ووصف عرش الله بالعظيم تعظيم له بالنسبة الى سائر ما خلق الله من السموات والارض وقرئ العظيم
بالرفع سننظر من النظر الذي هو التامل والتصفح واراد اصدقت ام كذبت الا ان كنت من
الكاذبين ابلغ لانه اذا كان معروفا بالانخراط في سلك الكاذبين كان كاذبا لا محالة واذا
كان كاذبا اتهم بالكذب فيما اخبر به فلم يوثق به تول عنهم تنح عنهم الى مكان قريب تتوارى
فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك يرجعون من قوله تعالى يرجع بعضهم الى بعض القول فقال دخل
عليها من كوة فالقى الكتاب اليها وتوارى في الكوة **فان قلت** لم قال فالقه اليهم على لفظ
الجمع **قلت** لانه قال وجدتها وقومها يسجدون للشمس فقال فالقه الى الذين هذا دينهم اهتماما
منه بامر الدين واشتغالا به عن غيره وبنى الخطاب في الكتاب على لفظ الجمع لذلك كريم حسن
مضمونه وما فيها او وصفته بالكرم لانه من عند ملك كريم او مختوم قال عليه السلام كرم الكتاب
ختمه وكان عليه السلام يكتب الى العجم فقيل له انهم لا يقبلون الا كتابا عليه خاتم فاصطنع خاتما
وعن ابن المقفع من كتب الى اخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقيل مصدر ببسم الله الرحمن الرحيم
هو استئناف وتبيين لما القي اليها كانها لما قالت اني القي الي كتاب كريم قيل لها ممن هو وما هو
فقالت انه من سليمان وانه كيت وكيت وقرا عبد الله وانه من سليمان وانه عطفا على اني وقرئ انه

من سليمان وانه بالفتح على انه بدل من كتاب كانه قيل القى الى انه من سليمان ويجوز ان يريد لانه من سليمان
ولانه كانها عللت كرمه بكونه من سليمان وتصديره باسم الله وقرا ابى ان من سليمان وان بسم الله
ان لا تعلوا على ان المفسرة وان في ان لا تعلوا مفسرة ايضا لا تعلوا لا تتكبروا كما يفعل الملوك وقرا ابن عباس بالغين
معجمة من الغلو وهو مجاوزة الحد يروى ان نسخة الكتاب من عبد الله سليمان بن داود الى بلقيس ملكة
سبا السلم على من اتبع الهدى اما بعد فلا تعلوا على واتوني مسلمين وكانت كتب الانبياء جملا لا يطيلون
ولا يكثرون وطبع الكتاب بالمسك وختمه بخاتمه فوجدها الهدهد راقدة في قصرها بمارب وكانت
اذا رقدت غلقت الابواب ووضعت المفاتيح تحت راسها فدخل من كوة وطرح الكتاب على
نحرها وهي مستلقية وقيل نقرها فانتبهت فزعة وقيل اتاها والقادة والجنود حوالها فرفرف
ساعة والناس ينظرون حتى رفعت راسها فالقى الكتاب في حجرها وكانت قارئة كاتبة عربية
من نسل تبع بن شراحيل الحميري فلما رات الخاتم ارتعدت وخضعت وقالت لقومها ما
قالت مسلمين منقادين او مومنين افتوني اجيبوا في الحادثة اشتقت على طريق الاستعارة من
الفتا في السن والمراد بالفتوى هاهنا الاشارة عليها بما عندهم فيما حدث لها من الراي والتدبير
وقصدت بالانقطاع اليهم والرجوع الى استشارتهم واستطلاع آرائهم استعطافهم وتطييب نفوسهم
ليمالئوها ويقوموا معها قاطعة امرا فاصلة وفي قراءة ابن مسعود قاضية اي لا ابت امرا الا بمحضركم
وقيل كان اهل مشورتها ثلثمائة وثلاثة عشر رجلا كل واحد على عشرة الاف ارادوا بالقوة قوة
الاجساد وقوة الالات والعدد وبالباس النجدة والبلاء في الحرب والامر اليك اي هو موكول اليك
ونحن مطيعون لك فمرينا بامرك نطعك ولا نخالفك كانهم اشاروا عليها بالقتال او ارادوا نحن من ابناء
الحرب لا من ابناء الراي والمشورة وانت ذات الراي والتدبير فانظري ماذا ترين نتبع رايك
لما احست منهم الميل الى المحاربة رات من الراي الميل الى الصلح والابتداء بما هو احسن ورتبت الجواب

اولا

١٤٤

اولا ما ذكروه وارتهم الخطا فيه بان الملوك اذا دخلوا قرية عنوة وقهرا افسدوها اي خربوها
ثم قالت للفساد والتخريبة واذلوا اعزتها واهانوا اشرافها وقتلوا واسروا فذكرت لهم عاقبة الحرب
وسوء مغبتها ثم قالت وكذلك يفعلون ارادت وهذه عادتهم المستمرة الثابتة التي لا تتغير
لانها كانت في بيت الملك القديم فسمعت نحو ذلك ورات ثم ذكرت بعد ذلك حديث الهدية
وما رات من الراي السديد وقيل هو تصديق من الله لقولها وقد يتعلق الساعون في الارض بالفساد
بهذه الاية ويجعلونها حجة لانفسهم ومن استباح حراما فقد كفر فاذا احتج له بالقران على وجه
التحريف فقد جمع بين كفرين مرسلة اليهم بهدية اي مرسلة رسلا بهدية اصانعه بها عن ملكي فناظرة
ما يكون منه حتى اعمل على حسب ذلك فروي انها بعثت خمسمائة غلام عليهم ثياب الجواري
وحليهن الاساور والاطواق والقرطة راكبي خيل مغشاة بالديباج محلاة اللجم والسروج بالذهب
المرصع بالجواهر وخمسمائة جارية على رماك في زي الغلمان والف لبنة من ذهب وفضة و
تاجا مكللا بالدر والياقوت المرتفع والمسك والعنبر وحقا فيه درة عذراء وجزعة معوجة الثقب
وبعثت رجلين من اشراف قومها المنذر بن عمرو واخر ذا راي وعقل وقالت ان كان نبيا ميز بين
الغلمان والجواري وثقب الدرة ثقبا مستويا وسلك في الخرزة خيطا ثم قالت للمنذر ان نظر
اليك نظر غضبان فهو ملك فلا يهولنك وان رايته بشا لطيفا فهو نبي فاقبل الهدهد فاخبر
سليمان عليه السلم فامر الجن فضربوا لبن الذهب والفضة وفرشوه في ميدان بين يديه طوله سبعة
فراسخ وجعلوا حول الميدان حائطا شرفه من الذهب والفضة وامر باحسن الدواب في البر والبحر
فربطوها عن يمين الميدان ويساره على اللبن وامر باولاد الجن وهم خلق كثير فاقيموا عن اليمين واليسار
ثم قعد على سريره والكراسي من جانبيه واصطفت الشياطين صفوفا فراسخ والانس صفوفا فراسخ
والوحش والسباع والطيور والهوام كذلك فلما دنا القوم ونظروا بهتوا وراوا الدواب تروث

على اللبن فتقاصرت اليهم نفوسهم وذهبوا بما معهم ولما وقفوا بين يديه نظر اليهم بوجه طلق وقال
ما وراءكم وقال اين الحق واخبره جبريل عليه السلام بما فيه فقال لهم ان فيه كذا وكذا ثم امر الارضة
فاخذت شعرة ونفذت فيها فجعل رزقها في الشجرة واخذت دودة بيضاء الخيط بفيها و
نفذت فيها فجعل رزقها في الفواكه ودعا بالماء فكانت الجارية تأخذ الماء بيدها فتجعله في الاخرى
ثم تضرب به وجهها والغلام كما يأخذه يضرب به وجهه ثم رد الهدية وقال للمنذر ارجع اليهم
قيل فقالت هو نبي وما لنا به طاقة فشخصت اليه في اثني عشر الف قيل كل قيل الوف وفي قراءة
ابن مسعود فلما جاءوا اتمدونني وقرئ بحذف الياء والاكتفاء بالكسرة وبالادغام كقوله اتحاجوني
ونون واحدة اتمدوني الهدية اسم المهدى كما ان العطية اسم المعطى فتضاف الى المهدي
والمهدى له تقول هذه هدية فلان تريد هي التي اهداها او اهديت اليه والمضاف اليه ههنا
هو المهدى اليه والمعنى ان ما عندي خير مما عندكم وذلك ان الله آتاني الدين الذي فيه الحظ
الاوفر والغنى الاوسع وآتاني من الدنيا ما لا يستزاد عليه فكيف يرضى مثلي بان يمد بمال و
يصانع به بل انتم قوم لا تعلمون الا ظاهرا من الحياة الدنيا فلذلك تفرحون بما تزادون ويهدى
اليكم لان ذلك مبلغ همتكم وحالي خلاف حالكم وما ارضى منكم بشيء ولا افرح به الا بالايمان وترك
المجوسية **فان قلت** ما الفرق بين قولك اتمدني بمال وانا اغنى منك وبين ان تقوله
بالفاء **قلت** اذا قلته بالواو فقد جعلت مخاطبي عالما بزيادتي عليه في الغنى واليسار
وهو مع ذلك يمدني بالمال واذا قلته بالفاء فقد جعلته ممن خفيت عليه حالي فانا اخبره الساعة
بما لا احتاج معه الى امداده كاني اقول له انكر عليك ما فعلت فاني غني عنه وعليه ورد قوله
فما آتاني الله خير **فان قلت** فما وجه الاضراب **قلت** لما انكر عليهم الامداد وعلل
انكاره اضرب عن ذلك الى بيان السبب الذي حملهم عليه وهو انهم لا يعرفون سبب رضى ولا فرح

الا

١٤٥

الا يهدى اليهم حظ من الدنيا التي لا يعلمون غيرها ويجوز ان تجعل الهدية مضافة الى المهدي ويكون
المعنى بل انتم بهديتكم هذه التي اهديتموها تفرحون فرح افتخار على الملوك بانكم قدرتم على اهداء
مثلها ويحتمل ان يكون عبارة عن الرد كانه قال بل انتم من حقكم ان تأخذوا هديتكم وتفرحوا بها ارجع
خطاب للرسول وقيل للهدهد محملا كتابا آخر لا قبل لا طاقة وحقيقة القبل المقاومة اي لا يقدرون والمقابلة
ان يقابلوهم وقرأ ابن مسعود لا قبل لهم بهم والضمير في منها لسبأ والذل ان يذهب عنهم ما كانوا فيه
من العز والملك والصغار ان يقعوا في اسر واستعباد ولا يقتصر بهم على ان يرجعوا سوقة
بعد ان كانوا ملوكا يروى انها امرت عند خروجها الى سليمان عليه السلام فجعل عرشها في آخر سبعة ابيات
بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها وغلقت الابواب ووكلت به حرسا يحفظونه ولعله
اوحي الى سليمان عليه السلام باستيثاقها من عرشها فاراد ان يغرب عليها ويريها بذلك بعض
ما خصه الله به من اجراء العجائب على يده مع اطلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوة سليمان
ويصدقها وعن قتادة اراد ان يأخذه قبل ان تسلم لعلمه انها اذا اسلمت لم يحل له اخذ مالها
وقيل اراد ان يؤتى به فينكر ويغير ثم ينظر اتثبته ام تنكره اختبارا لعقلها وقرئ عفرية والعفر
العفريت والعفرية والعفرات والعفارية من الرجال الخبيث المنكر الذي يعفر اقرانه ومن
الشياطين الخبيث المارد وقالوا كان اسمه ذكوان لقوي على حمله امين آتي به كما هو لا
اختزل منه شيئا ولا ابدله الذي عنده علم من الكتاب رجل كان عنده اسم الله الاعظم وهو
يا حي يا قيوم وقيل يا الهنا واله كل شيء الها واحدا لا اله الا انت وقيل يا ذا الجلال والاكرام وعن الحسن
الله والرحمن وقيل هو آصف بن برخيا كاتب سليمان عليه السلام وكان صديقا عالما وقيل اسمه اسطوم
وهو جبريل وقيل ملك ايد الله به سليمان وقيل هو سليمان نفسه كانه استبطأ العفريت قيل
فقال له انا اريك ما هو اسرع مما تقول وعن ابن لهيعة بلغني انه الخضر عليه السلام علم من الكتاب

من الكتاب المنزل وهو علم الوحي والشرائع وقيل هو اللوح والذي عنده علم منه جبريل وآتيك
في الموضعين يجوز ان يكون فعلا واسم فاعل والطرف تحريك اجفانك اذا نظرت فوضع موضع النظر
ولما كان الناظر موصوفا بارسال الطرف في نحو قوله وكنت اذا ارسلت طرفك رائدا لقلبك
يوما اتعبتك المناظر وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد ومعنى قوله قبل ان يرتد
اليك طرفك انك ترسل طرفك الى شيء فقبل ان ترده ابصرت العرش بين يديك ويروى ان آصف
قال لسليمان عليه السلام مد عينيك حتى ينتهي طرفك فمد عينيه فنظر نحو اليمن ودعا آصف فغار العرش
في مكانه بمارب ثم نبع عند مجلس سليمان بالشام بقدرة الله تعالى قبل ان يرد طرفه ويجوز ان يكون
هذا مثلا لاستقصار مدة المجيء به كما تقول لصاحبك افعل كذا في لحظة وفي ردة طرف والتفت
ترني وما اشبه ذلك تريد السرعة شكر لنفسه لانه يحط به عنها عبء الواجب ويصونها عن
سمة الكفران ويرتبط به النعمة ويستمد المزيد وقيل الشكر قيد للنعمة الموجودة وصيد للنعمة المفقودة
وفي كلام بعض المتقدمين ان كفران النعمة بوار وقلما اقشعت نافرة فرجعت في نصابها فاستدع
شاردها بالشكر واستدم راهنها بكرم الجوار واعلم ان سبوغ ستر الله متقلص عما قريب اذا انت
لم ترج لله وقارا غني عن الشكر كريم بالانعام على من يكفر نعمته والذي قاله سليمان عليه السلام عند
رؤية العرش شاكرا لربه جرى على شاكلة ابناء جنسه من انبياء الله والمخلصين من عباده يتلقون
النعمة القادمة بحسن الشكر كما يشيعون النعمة المودعة بجميل الصبر نكروا اجعلوا متنكرا متغيرا
عن هيئته وشكله كما يتنكر الرجل للناس لئلا يعرفوه قالوا وسعوه وجعلوا مقدمه مؤخره واعلاه
اسفله وقرئ ننظر بالجزم على الجواب وبالرفع على الاستئناف اتهتدي لمعرفته او للجواب الصواب
اذا سئلت عنها او للدين والايمان بنبوة سليمان اذا رأت تلك المعجزة البينة من تقدم عرشها
وقد خلفته واغلقت عليه الابواب ونصبت عليه الحراس هكذا ثلاث كلمات حرف التنبيه وكاف

التشبيه

التشبيه واسم الاشارة لم تقل اهذا عرشك ولكن امثل هذا عرشك لئلا يكون تلقينا فقالت كأنه هو
ولم تقل هو هو ولا ليس به وذلك من رجاحة عقلها حيث لم تقطع في المحتمل واوتينا العلم من
كلام سليمان وملائه **فان قلت** علام عطف هذا الكلام وبم اتصل **قلت** لما كان
المقام الذي سئلت فيه عن عرشها واجابت بما اجابت به مقاما اجرى فيه سليمان وملاؤه
ما يناسب قولهم واوتينا العلم نحو ان يقولوا عند قولها كأنه هو قد اصابت في جوابها وطبقت
المفصل وهي عاقلة لبيبة وقد رزقت الاسلام وعلمت قدرة الله وصحة النبوة بالآيات التي
تقدمت عند وفدة المنذر وبهذه الآية العجيبة من امر عرشها عطفوا على ذلك قولهم واوتينا
نحن العلم بالله وبقدرته وبصحة ما جاء من عنده قبل علمها ولم نزل على دين الاسلام شكرا لله على فضلهم
عليها وسبقهم الى العلم بالله والاسلام قبلها وصدها عن التقدم الى الاسلام عبادة الشمس ونشوها
بين ظهراني الكفرة ويجوز ان يكون من كلام بلقيس موصولا بقولها كأنه هو والمعنى واوتينا العلم
بالله وبقدرته وبصحة نبوة سليمان قبل هذه المعجزة او قبل هذه الحالة تعني ما تبينت من الآيات
عند وفدة المنذر ودخلنا في الاسلام ثم قال الله تعالى وصدها قبل ذلك عما دخلت فيه ضلالها
عن سواء السبيل وقيل وصدها الله او سليمان عما كانت تعبد بتقدير حذف الجار وايصال الفعل
وقرئ انها بالفتح على انه بدل من فاعل صد او بمعنى لانها الصرح القصر وقيل صحن الدار وقرأ ابن
كثير سأقيها بالهمز ووجهه انه سمع سؤقا فاجرى عليه الواحد والممرد المملس وروي ان سليمان امر قبل
قدومها فبني له على طريقها قصر من زجاج ابيض واجرى من تحته الماء والقي فيه من دواب البحر السمك
وغيره ووضع سريره في صدره فجلس عليه وعكف عليه الطير والجن والانس وانما فعل ذلك ليزيدها
استعظاما لامره وتحققا لنبوته وثباتا على الدين وزعموا ان الجن كرهوا ان يتزوجها فتفضي اليه
باسرارهم لانها كانت بنت جنية وقيل خافوا ان يولد له منها ولد يجتمع له فطنة الجن والانس فيخرجون

من ملك سليمان الى ملك هو اشد واقطع فقالوا له ان في عقلها شيئا وهي شعراء الساقين ورجلها كحافر
الحمار واختبر عقلها بتنكير العرش واتخذ الصرح ليتعرف ساقها ورجلها فكشفت عنهما فاذا هي احسن الناس
ساقا وقدما الا انها شعراء ثم صرف بصره وناداها انه صرح ممرد من قوارير وقيل هي السبب في اتخاذ
النورة امر بها الشياطين فاتخذوها واستنكحها سليمان واحبها واقرها على ملكها وامر الجن فبنوا لها
سيلحين وغمدان وكان يزورها في كل شهر مرة فيقيم عندها ثلثة ايام وولدت له وقيل بل زوجها
ذا تبع ملك همدان وسلطه على اليمن وامر زوبعة امير جن اليمن يطيعه فبنى له المصانع ولم يزل
اميرا حتى مات سليمان ظلمت نفسي بكفرها فيما تقدم وقيل حسبت ان سليمان يغرقها في اللجة
فقالت ظلمت نفسي بسوء ظني بسليمان وقرئ ان اعبدوا بالضم على اتباع النون الباء فريقان فريق
مؤمن وفريق كافر وقيل اريد بالفريقين صالح وقومه قبل ان يؤمن منهم احد يختصمون يقول كل فريق
الحق معي السيئة العقوبة والحسنة التوبة **فان قلت** ما معنى استعجالهم بالسيئة قبل الحسنة وانما
يكون ذلك اذا كانتا متوقعتين احديهما قبل الاخرى **قلت** كانوا يقولون لجهلهم ان العقوبة
التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه تبنا حينئذ واستغفرنا مقدرين ان التوبة مقبولة في ذلك
الوقت وان لم يقع فنحن على ما نحن عليه فخاطبهم صالح على حسب قولهم واعتقادهم ثم قال لهم هلا تستغفرون الله
قبل نزول العذاب لعلكم ترحمون تنبيها لهم على الخطاء فيما قالوه وتجهيلا فيما اعتقدوه كان الرجل
يخرج مسافرا فيمر بطاير فيزجره فان مر سانحا تيمن وان مر بارحا تشام فلما نسبوا الخير والشر الى
الطاير استعير لما كان سببهما من قدر الله وقسمته او من عمل العبد الذي هو السبب في الرحمة
والنقمة ومنه قالوا طاير الله لا طايرك اي قدر الله الغالب الذي ينسب اليه الخير والشر لا طايرك
الذي تتشام به وتتيمن فلما قالوا اطيرنا بكم اي تشامنا وكانوا قد قحطوا قال طايركم عند الله اي
سببكم الذي يجيء منه خيركم وشركم عند الله وهو قدره وقسمته ان شاء رزقكم وان شاء حرمكم ويجوز ان

يريد

يريد عملكم مكتوب عند الله فمنه نزل بكم ما نزل عقوبة لكم وفتنة ومنه قوله طايركم معكم وكل انسان الزمناه
طايره في عنقه وقرئ تطيرنا بكم على الاصل ومعنى تطير به تشام به وتطير منه نفر منه تفتنون تختبرون
او تعذبون او يفتنكم الشيطان بوسوسته اليكم الطيرة المدينة الحجر وانما جاز تمييز التسعة بالرهط
لانه في معنى الجماعة فكانه قيل تسعة انفس والفرق بين الرهط والنفر ان الرهط من الثلثة
الى العشرة او من السبعة الى العشرة والنفر من الثلثة الى التسعة واسماؤهم عن وهب الهذيل بن
عبد رب غنم بن غنم رياب بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن مخرمة سبيط بن صدقة سمعان (مصدع بن مهرج)
بن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعوا في عقر الناقة وكانوا عتاة قوم صالح وكانوا من ابناء اشرافهم
ولا يصلحون يعني ان شانهم الافساد البحت الذي لا يخلط بشيء من الصلاح كما ترى بعض المفسدين
قد يندر منهم بعض الصلاح تقاسموا يحتمل ان يكون امرا وخبرا في محل الحال باضمار قد اي قالوا
متقاسمين وقرئ تقسموا وقرئ لتبيتنه بالتاء والياء والنون فتقاسموا مع التاء والنون يصح فيه
الوجهان ومع الياء لا يصح فيه الا ان يكون خبرا والتقاسم والتقسم كالتظاهر والتظهر التحالف والبيات
مباغتة العدو ليلا وعن الاسكندر انه اشير عليه بالبيات فقال ليس من اداب الملوك استراق الظفر
وقرئ مهلك بفتح الميم واللام وكسرها من هلك ومهلك بضم الميم من اهلك ويحتمل المصدر والزمان
والمكان **فان قلت** كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فاتوا بالخبر على خلاف المخبر
عنه **قلت** كانهم اعتقدوا انهم اذا بيتوا صالحا وبيتوا اهله فجمعوا بين البياتين ثم قالوا ما شهدنا
مهلك اهله فذكروا احدهما كانوا صادقين لانهم فعلوا البياتين جميعا لا احدهما وفي هذا دليل قاطع
ان الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيه ولا يخطر ببالهم الا ترى انهم قصدوا قتل
نبي الله ولم يرضوا لانفسهم بان يكونوا كاذبين حتى سووا للصدق في خبرهم حيلة يتقصون بها عن

الكذب مكرهم ما اخفوه من تدبير الفتك بصالح واهله ومكر الله اهلاكهم من حيث لا يشعرون شبه
بمكر الماكر على سبيل الاستعارة روى انه كان لصالح مسجد في الحجر في شعب يصلى فيه فقالوا زعم صالح انه
يفرغ منا الى ثلاث فنحن نفرغ منه ومن اهله قبل الثلاث فخرجوا الى الشعب فقالوا اذا جاء يصلى
قتلناه ثم رجعنا الى اهله فقتلناهم فبعث الله صخرة من الهضب حيالهم فبادروا فطبقت الصخرة
عليهم فم الشعب فلم يدر قومهم اين هم ولم يدروا ما فعل بقومهم وعذب الله كلا منهم في مكانه ونجا صالح
ومن معه وقيل جاؤا بالليل شاهرى سيوفهم وقد ارسل الله الملائكة ملء دار صالح فدمغوهم بالحجارة
يرون الحجارة ولا يرون راميا انا دمرناهم استيناف ومن قرأ بالفتح رفعه بدلا من العاقبة او خبر
مبتدأ محذوف تقديره هي تدميرهم او نصبه على معنى لانا او على انه خبر كان اى كان عاقبة مكرهم
الدمار خاوية حال عمل فيها ما دل عليه تلك وقرأ عيسى بن عمر خاوية بالرفع على خبر المبتدأ المحذوف
واذكر لوطا او ارسلنا عليهم واذ بدل على الاول ظرف على الثاني وانتم تبصرون من بصر القلب يعنى
انها فاحشة لم تسبقوا اليها وان الله انما خلق الانثى للذكر ولم يخلق الذكر للذكر ولا الانثى للانثى
فهي مضادة لله في حكمته وحكمه وعلمكم بذلك اعظم لذنوبكم وادخل في القبح والسماجة وفيه دليل على
ان القبيح من الله اقبح منه من عباده لانه اعلم العالمين واحكم الحاكمين او تبصرونها بعضكم من بعض لانهم
كانوا في ناديهم يرتكبونها معالنين بها لا يتستر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وانهماكا في المعصية
وكان ابا نواس بنى على مذهبهم قوله وبح باسم من تأتى وذرنى من الكنى فلا خير في اللذات من دونها
ستر او تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم **فان قلت** فسرت تبصرون بالعلم وبعده
بل انتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء **قلت** اراد تفعلون فعل الجاهلين بانها فاحشة
مع علمكم بذلك او تجهلون العاقبة او اراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها **فان قلت**
تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهلا طابقت الصفة الموصوف فقرئ بالياء

دون التاء وكذلك بل انتم قوم تفتنون **قلت** اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة
لانها اقوى وارسخ اصلا من الغيبة وقرأ الاعمش جواب قومه بالرفع والمشهورة احسن يتطهرون يتنزهون
عن القاذورات كلها ينكرون هذا العمل القذر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء قدرناها
قدرنا كونها من الغابرين كقوله قدرنا انها لمن الغابرين فالتقدير واقع على الغبور في المعنى
امر رسوله صلى الله عليه وسلم ان يتلو هذه الآيات الناطقة بالبراهين على وحدانيته وقدرته على
كل شيء وحكمته وان يستفتح بتحميده والسلام على انبيائه والمصطفين من عباده وفيه تعليم حسن
وتوقيف على ادب جميل وبعث على التيمن بالذكرين والتبرك بهما والاستظهار بمكانهما على قبول
ما يلقى الى السامعين واصغائهم اليه وانزاله من قلوبهم المنزلة التي يبغيها المسمع ولقد توارث العلماء
والخطباء والوعاظ كابرا عن كابر هذا الادب فحمدوا الله وصلوا على رسول الله امام كل علم مفاد وقبل
كل عظة وتذكرة وفي مفتتح كل خطبة وتبعهم المترسلون فاجروا عليه اوائل كتبهم في الفتوح والتهاني
وغير ذلك من الحوادث التي لها شأن وقيل هو متصل بما قبله وامر بالتحميد على الهالكين من كفار
الامم والصلوة على الانبياء واشياعهم الناجين وقيل هو خطاب للوط عليه السلام وان يحمد الله على
هلاك كفار قومه ويسلم على من اصطفاه الله ونجاه من هلكتهم وعصمه من ذنوبهم معلوم ان لا
خير فيما اشركوه اصلا حتى يوازن بينه وبين من هو خالق كل خير ومالكه وانما هو الزام لهم وتبكيت وتهكم
بحالهم وذلك انهم آثروا عبادة الاصنام على عبادة الله ولا يؤثر عاقل شيئا على شيء الا لداع يدعوه
الى ايثاره من زيادة خير ومنفعة فقيل لهم مع العلم بانه لا خير فيما آثروه وانهم لم يؤثروه لزيادة الخير
ولكن هوى وعبثا لينبهوا على الخطأ المفرط والجهل المورط واضلالهم التمييز ونبذهم المعقول
وليعلموا ان الايثار يجب ان يكون للخير الزائد ونحوه ما حكاه عن فرعون ام انا خير من هذا الذي هو
مهين مع علمه انه ليس لموسى مثل انهاره التي كانت تجرى تحته ثم عدد سبحانه الخيرات والمنافع التي

فيما اشركوه

قرئ

من آثار رحمته وفضله كما عدد في موضع آخر ثم قال هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شيء يشركون
بالتاء والياء وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم
فإن قلت ما الفرق بين أم وأم في أما يشركون وأمن خلق **قلت** تلك متصلة لأن المعنى
أيهما خير وهذه منقطعة بمعنى بل والهمزة لما قال الله تعالى آلله خير أم الآلهة قال بل أمن خلق السموات
والأرض خير تقريرا لهم بأن من قدر على خلق العالم خير من جماد لا يقدر على شيء وقرأ الأعمش أمن
بالتخفيف ووجهه أن يجعل بدلا من الله كأنه قال أمن خلق السماوات والأرض خير أما تشركون **فإن قلت**
أي نكتة في نقل الإخبار عن الغيبة إلى التكلم عن ذاته في قوله فأنبتنا **قلت** تأكيد معنى اختصاص
الفعل بذاته والإيذان بأن إنبات الحدائق المختلفة الأصناف والألوان والطعوم والروائح والأشكال
مع حسنها وبهجتها بماء واحد لا يقدر عليه إلا هو وحده ألا ترى كيف رشح معنى الاختصاص بقوله ما كان
لكم أن تنبتوا شجرها ومعنى الكينونة الانبغاء أراد أن تأتي ذلك محال من غيره وكذلك قوله بل هم بعد الخطاب
أبلغ في تخطئة رأيهم والحديقة البستان عليه حائط من الإحداق وهو الإحاطة وقيل ذات لأن المعنى
جماعة حدائق ذات بهجة كما يقال النساء ذهبت والبهجة الحسن لأن الناظر يبتهج به أإله مع الله أغيره
يقرن به ويجعل شريكا له وقرئ أإلها مع الله بمعنى أتدعون أو أتشركون ولك أن تحقق الهمزتين وتوسط
بينهما مدة وتخرج الثانية بين بين يعدلون به غيره أو يعدلون عن الحق الذي هو التوحيد أمن جعل وما
بعده بدل من أمن خلق فكان حكمها حكمه قرارا دحاها وسواها للاستقرار عليها حاجزا كقوله برزخا
الضرورة الحالة المحوجة إلى اللجاء والاضطرار افتعال منها يقال اضطره إلى كذا والفاعل والمفعول مضطر
والمضطر الذي أحوجه مرض أو فقر أو نازلة من نوازل الدهر إلى اللجاء والتضرع إلى الله وعن ابن عباس
هو المجهود وعن السدي الذي لا حول له ولا قوة وقيل المذنب إذا استغفر **فإن قلت** قد عم
المضطرين بقوله يجيب المضطر إذا دعاه وكم من مضطر يدعو فلا يجاب **قلت** الإجابة موقوفة على

ان يكون

١٤٩

أن يكون المدعو به مصلحة ولهذا لا يحسن دعاء العباد إلا شارطا فيه المصلحة وأما المضطر فمتناول
للجنس مطلقا يصلح لكله ولبعضه فلا طريق إلى الجزم على أحدهما إلا بدليل وقد قام الدليل على البعض
وهو الذي إجابته مصلحة فبطل التناول على العموم خلفاء الأرض خلفاء فيها وذلك توارثهم سكناها
والتصرف فيها قرنا بعد قرن وأراد بالخلافة الملك والتسلط وقرئ يذكرون بالياء مع الإدغام و
بالتاء مع الإدغام والحذف وما مزيدة أي تذكرون تذكرا قليلا والمعنى نفي التذكر والقلة تستعمل
في معنى النفي يهديكم بالنجوم في السماء والعلامات في الأرض إذا جن الليل عليكم مسافرين في البر
والبحر **فإن قلت** كيف قيل لهم أمن يبدأ الخلق ثم يعيده وهم منكرون للإعادة **قلت**
قد أزيحت علتهم بالتمكين من المعرفة والإقرار فلم يبق لهم عذر في الإنكار من السماء الماء ومن الأرض
النبات إن كنتم صادقين أن مع الله إلها فأين دليلكم عليه **فإن قلت** لم رفع اسم الله والله يتعالى
أن يكون ممن في السموات والأرض **قلت** جاء على لغة بني تميم حيث يقولون ما في الدار أحد
إلا حمار يريدون ما فيها إلا حمار كأن أحدا لم يذكر ومنه قوله عشية ما تغني الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفي المصمم وقولهم ما أتاني زيد إلا عمرو وما أعانه إخوانكم إلا إخوانه **فإن قلت**
ما الداعي إلى اختيار المذهب التميمي على الحجازي **قلت** دعت إليه نكتة سرية حيث
أخرج المستثنى مخرج قوله إلا اليعافير بعد قوله ليس بها أنيس ليؤول المعنى إلى قولك إن كان الله
ممن في السماوات والأرض فهم يعلمون الغيب يعني أن علمهم الغيب في استحالته كاستحالة
أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت إن كانت اليعافير أنيسا ففيها أنيس بتا للقول بخلوها
عن الأنيس **فإن قلت** هلا زعمت أن الله ممن في السماوات والأرض كما يقول المتكلمون إن الله
في كل مكان على معنى أن علمه في الأماكن كلها فكأن ذاته فيها حتى لا تحمله على مذهب بني تميم **قلت**
يأبى ذلك أن كونه في السموات والأرض مجاز وكونهم فيهن حقيقة وإرادة المتكلم بعبارة واحدة

حقيقة ومجازا غير صحيحة على ان قولك من في السموات والارض وجمعك بينه وبينهم في اطلاق
اسم واحد فيه ايهام تسوية والايهامات مزالة عنه وعن صفاته الا ترى كيف قال عليه السلم لمن قال
ومن يعصهما فقد غوى بئس خطيب القوم انت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم انه يعلم ما في غد فقد
اعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم اخفى
غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه احدا لئلا يامن احد من عبيده مكره وقيل نزلت في المشركين حين سالوا
رسول الله عن وقت الساعة ايان بمعنى متى ولو سمي به لكان فعالا من آن يئين ولا نصرف وقرى
ايان بكسر الهمزة وقرى بل ادرك بل ادارك بل تدارك بل أأدرك بهمزتين بل آادرك بالف بينهما
بل ادرك بالتخفيف والنقل بل ادّرك بفتح اللام وتشديد الدال واصله بل ادرك على الاستفهام
بلى ادرك بلى أأدرك ام تدارك ام ادرك فهذه ثنتا عشرة قراءة وادارك اصله تدارك فادغمت التاء
في الدال وادرك افتعل ومعنى ادرك علمهم انتهى وتكامل وادارك تتابع واستحكم وهو على وجهين احدهما
ان اسباب استحكام العلم وتكامله بان القيامة كائنة لا ريب فيها قد حصلت لهم ومكنوا من معرفته
وهم شاكون جاهلون وهو قوله بل هم في شك منها بل هم منها عمون يريد المشركين ممن في السموات
والارض لانهم لما كانوا في جملتهم نسب فعلهم الى الجميع كما يقال بنو فلان فعلوا كذا وانما فعله ناس منهم
فان قلت ان الاية سيقت لاختصاص الله بعلم الغيب وان العباد لا علم لهم بشيء منه وان
وقت بعثهم ونشورهم من جملة الغيب وهم لا يشعرون به فكيف لاءم هذا المعنى وصف المشركين بانكارهم
البعث مع استحكام اسباب العلم والتمكن من المعرفة قلت لما ذكر ان العباد لا يعلمون الغيب
ولا يشعرون بالبعث الكائن ووقته الذي يكون فيه وكان هذا بيانا لعجزهم ووصفا لقصور علمهم وصل
به ان عندهم عجزا ابلغ منه وهو انهم يقولون للكائن الذي لا بد ان يكون وهو وقت جزاء اعمالهم لا
يكون مع ان عندهم اسباب معرفة كونه واستحكام العلم به والوجه الثاني ان وصفهم باستحكام

العلم

العلم وتكامله تهكم بهم كما تقول لاجهل الناس ما اعلمك على سبيل الهزء وذلك حيث شكوا وعموا عن
اثباته الذي الطريق الى علمه مسلوك فضلا ان يعرفوا وقت كونه الذي لا طريق الى معرفته وفي ادرك
علمهم وادارك وجه اخر وهو ان يكون ادرك بمعنى انتهى وفني من قولك ادركت الثمرة لان تلك غايتها
التي عندها تعدم وقد فسره الحسن باضمحل علمهم وتدارك من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك
فان قلت فما وجه قراءة من قرا بل أادرك على الاستفهام قلت هو استفهام على وجه الانكار
لادراك علمهم وكذلك من قرا ام ادرك وام تدارك لانها ام التي بمعنى بل والهمزة فان قلت فمن
قرا بلى ادرك وبلى أأدرك قلت لما جاء ببلى بعد قوله وما يشعرون ثم فسر الشعور بقوله — كان معناه بلى يشعرون صح
ادرك علمهم في الاخرة على سبيل التهكم الذي معناه المبالغة في نفي العلم فكانه قال شعورهم
بوقت الاخرة انهم لا يعلمون كونها فيرجع الى نفي الشعور على ابلغ ما يكون واما من قرا بل أأدرك على
الاستفهام فمعناه بل يشعرون متى يبعثون ثم انكر علمهم بكونها واذا انكر علمهم بكونها لم يتحصل
لهم شعور بوقت كونها لان العلم بوقت الكائن تابع للعلم بكون الكائن في الاخرة في شان الاخرة
ومعناها فان قلت هذه الاضرابات الثلث ما معناها قلت ما هي الا تنزيل لاحوالهم
وصفهم اولا بانهم لا يشعرون وقت البعث ثم بانهم لا يعلمون ان القيامة كائنة ثم بانهم يخبطون
في شك ومرية فلا يزيلونه والازالة مستطاعة الا ترى ان من لم يسمع اختلاف المذاهب وتضليل
اربابها بعضهم لبعض كان امره اهون ممن سمع بها وهو جاثم لا يتخضخض به طلب التمييز بين الحق و
الباطل ثم بما هو اسوأ حالا وهو العمى وان يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر
بباله حقا ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الاخرة مبدأ عماهم ومنشاه فلذلك عداه بمن
دون عن لان الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يتبصرون العامل في اذا ما دل
عليه ائنا لمخرجون وهو نخرج لان بين يدي عمل اسم الفاعل فيه عقابا وهي همزة الاستفهام وان ولام

الابتداء وواحدة منهما كافية فكيف اذا اجتمعتا والمراد الاخراج من الارض او من حال الفناء الى الحياة
وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وان جميعا انكار على انكار وجحود عقيب جحود ودليل على
كفر مؤكد مبالغ فيه والضمير في انا لهم ولآبائهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم **فان قلت**
قدم في هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفي آية اخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا **قلت** التقديم
دليل على ان المقدم هو الغرض المتعمد بالذكر وان الكلام انما سيق لاجله ففي احدى الآيتين دل على ان
اتخاذ البعث هو الذي تعمد بالكلام وفي الاخرى على ان اتخاذ المبعوث بذلك الصدد ثم الحق
علامة التأنيث بفعل العاقبة لان تأنيثها غير حقيقي ولان المعنى كيف كان آخر امرهم واراد بالمجرمين
الكافرين وانما عبر عن الكفر بلفظ الاجرام ليكون لطفا للمسلمين في ترك الجرائم وتخوف عاقبتها الا ترى
الى قوله فدمدم عليهم ربهم بذنبهم وقوله مما خطاياهم اغرقوا ولا تحزن عليهم لانهم لم يتبعوك ولم
يسلموا فيسلموا وهم قومه قريش كقوله فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا
في ضيق في حرج صدر من مكرهم وكيدهم لك ولا تبال بذلك فان الله يعصمك من الناس يقال ضاق
الشيء ضيقا وضيقا قال الله تعالى ضيقا حرجا قرئ مخففا ومثقلا ويجوز ان يراد في امر ضيق من مكرهم
استعجلوا العذاب الموعود فقيل لهم عسى ان يكون ردفكم بعضه وهو عذاب يوم بدر فزيدت اللام
للتأكيد كالباء في ولا تلقوا بايديكم او ضمن معنى فعل يتعدى باللام نحو دنا لكم وازف لكم ومعناه تبعكم
ولحقكم وقد عدي بمن قال فلما ردفنا من عمير وصحبه تولوا سراعا والمنية تعنق يعني دنونا من عمير وقرأ
الاعرج ردف لكم بوزن ذهب وهما لغتان والكسر افصح وعسى ولعل وسوف في وعد الملوك
ووعيدهم يدل على صدق الامر وجده وما لا مجال للشك بعده وانما يعنون بذلك اظهار وقارهم
وانهم لا يعجلون بالانتقام لادلالهم بقهرهم وغلبتهم ووثوقهم بان عدوهم لا يفوتهم وان الرمزة الى الاغراض
كافية من جهتهم فعلى ذلك جرى وعد الله ووعيده الفضل والفاضلة الافضال ولفلان فواضل في قومه

بالفتح والكسر وقد قرئ بهما والضيق ايضا تخفيف الضيق

انه

فتفضل

151

ومعناه انه متفضل عليهم بتاخير العقوبة وانه لا يعاجلهم بها واكثرهم لا يعرفون حق النعمة فيه ولا يشكرونه
ولكنهم بجهلهم يستعجلون وقوع العقاب وهم قريش قرئ تكن تقال كننت الشيء واكننته اذا
سترته واخفيته يعني انه يعلم ما يخفون وما يعلنون من عداوة رسول الله صلى الله عليه وسلم في
مكايدهم وهو معاقبهم على ذلك بما يستوجبونه سمي الشيء الذي يغيب ويخفى غائبة وخافية
فكانت التاء فيهما بمنزلتها في العافية والعاقبة ونظائرهما النطيحة والرمية والذبيحة في انها اسماء
غير صفات ويجوز ان يكونا صفتين وتاؤهما للمبالغة كالراوية في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء
كانه قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاء الا وقد علمه الله واحاط به واثبته في اللوح المبين
الظاهر البين لمن ينظر فيه من الملائكة وقد اختلفوا في المسيح فتحزبوا فيه احزابا ووقع بينهم التناكر
في اشياء كثيرة حتى لعن بعضهم بعضا وقد نزل القرآن ببيان ما اختلفوا فيه لو انصفوا واخذوا به
واسلموا يريد اليهود والنصارى للمؤمنين لمن انصف منهم وآمن اي من بني اسرائيل او منهم و
من غيرهم بينهم بين من آمن بالقرآن ومن كفر به **فان قلت** ما معنى يقضي بحكمه ولا يقال
زيد يضرب بضربه ويمنع بمنعه **قلت** معناه بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضي الا بالعدل
فسمي المحكوم به حكما او اراد بحكمته وتدل عليه قراءة من قرأ بحكمه جمع حكمة وهو العزيز فلا يرد
قضاؤه العليم بمن يقضي له وبمن يقضي عليه او العزيز في انتقامه من المبطلين العليم بالفصل بينهم وبين
المحقين امره بالتوكل على الله وقلة المبالاة باعداء الدين وعلل التوكل بانه على الحق الابلج الذي لا يتعلق به
الشك والظن وفيه بيان ان صاحب الحق حقيق بالوثوق بصنع الله وبنصرته وان مثله لا يخذل ٥
فان قلت انك لا تسمع الموتى يشبه ان يكون تعليلا آخر للتوكل فما وجه ذلك **قلت** وجهه
ان الامر بالتوكل جعل مسببا عما كان يغيظ رسول الله صلى الله عليه وسلم من جهة المشركين واهل
الكتاب من ترك اتباعه وتشييع ذلك بالعداوة والاذى فلاءم ذلك ان يعلل توكله على الله

بان اتباعهم امر قد يئس منه فلم يبق الا الاستنصار عليهم لعداوتهم واستكفاء شرورهم واذاهم وشبهوا
بالموتى وهم احياء صحاح لانهم اذا سمعوا ما يتلى عليهم من ايات الله فكانوا اقماع القول لا تعيه
اذانهم وكان سماعهم كلا سماع كانت حالهم لانتفاء جدوى السماع كحال الموتى الذين فقدوا مصحح
السماع وكذلك تشبيههم بالصم الذين ينعق بهم فلا يسمعون وشبهوا بالعمي حيث يضلون الطريق
ولا يقدر احد ان ينزع ذلك عنهم ويجعلهم هداة بصراء الا الله عز وجل **فان قلت** ما معنى قوله
اذا ولوا مدبرين **قلت** هو تاكيد لحال الاصم لانه اذا تباعد عن الداعي بان تولى عنه مدبرا
كان ابعد عن ادراك صوته وقرئ ولا يسمع الصم وما انت بهادي العمي عن الضل وتهدي العمي وعن ابن
مسعود وما ان تهدي العمي وهداه عن الضلال بالهدى ان تسمع اي ما يجدي اسماعك الا على
الذين علم الله انهم يؤمنون بآياته اي يصدقون بها فهم مسلمون اي مخلصون من قوله تعالى بلى
من اسلم وجهه لله يعني جعله سالما لله خالصا له سمى معنى القول ومؤداه بالقول وهو ما وعدوا من
قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله والمراد مشارفة الساعة وظهور اشراطها وحين لا تنفع التوبة
ودابة الارض الجساسة جاء في الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يفوتها هارب
وروي لها اربع قوائم وزغب وريش وجناحان وعن ابن جريج في وصفها رأس ثور وعين خنزير
واذن فيل وقرن ايل وعنق نعامة وصدر اسد ولون نمر وخاصرة هر وذنب كبش وخف بعير
وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع ادم عليه السلام وروي لا تخرج الا راسها ورأسها يبلغ اعنان
السماء او يبلغ السحاب وعن ابي هريرة فيها من كل لون وما بين قرنيها فرسخ للراكب وعن الحسن
لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة ايام وعن علي رضي الله عنه انها تخرج ثلاثة ايام والناس ينظرون فلا يخرج
الا ثلثها وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه سئل من اين تخرج الدابة فقال من اعظم المساجد حرمة على الله
يعني المسجد الحرام وروي انها تخرج باقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرا طويلا فبينا

الحواس م

كقولك سقاه عن العيمة اي ابعده عنها بالسقي وابعده عن الضلال بالهدى م

ثلث خرجات تخرج م

الناس

١٥٢

الناس في اعظم المساجد حرمة واكرمها على الله فما يهولهم الا خروجها من بين الركن حذاء دار بني مخزوم
عن يمين الخارج من المسجد فقوم يهربون وقوم يقفون نظارة وقيل تخرج من الصفا فتكلمهم بالعربية
بلسان ذلق فتقول ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون يعني ان الناس كانوا لا يوقنون بخروجي
لان خروجها من الايات وتقول الا لعنة الله على الظالمين وعن السدي تكلمهم ببطلان الاديان
كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفذه ثم تستقبل المشرق ثم
الشام ثم اليمن فتفعل مثل ذلك وروي تخرج من اجياد وروي بينا عيسى عليه السلام يطوف بالبيت
ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق الصفا مما يلي المسعى فتخرج الدابة من
الصفا ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتضرب المؤمن في مسجده او فيما بين عينيه بعصى موسى
فتنكت نكتة بيضاء فتفشو تلك النكتة في وجهه حتى يضيء لها وجهه وتترك وجهه كانه كوكب دري
وتكتب بين عينيه مؤمن وتنكت الكافر بالخاتم في انفه فتفشو النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب
بين عينيه كافر وروي فتجلو وجه المؤمن بالعصا وتخطم انف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان انت
من اهل الجنة ويا فلان انت من اهل النار وقرئ تكلمهم من الكلم وهو الجرح والمراد به الوسم
بالعصا والخاتم ويجوز ان يكون تكلمهم من الكلم ايضا على معنى التكثير يقال فلان مكلم اي مجرح و
يجوز ان يستدل بالتخفيف على ان المراد بالتكليم التجريح كما فسر لنحرقنه بقراءة علي رضي الله عنه
لنحرقنه وان يستدل بقراءة ابي تنبئهم وبقراءة ابن مسعود تكلمهم بان الناس على انه من الكلام والقراءة
بان مكسورة حكاية لقول الدابة اما لان الكلام بمعنى القول او باضمار القول اي تقول الدابة ذلك
او هي حكاية لقوله تعالى عند ذلك **فان قلت** اذا كانت حكاية لقول الدابة فكيف تقول
باياتنا **قلت** قولها حكاية لقول الله او على معنى بايات ربنا او لاختصاصها بالله و
(عنده وانها) وانها من خواص خلقه اضافت ايات الله الى نفسها كما يقول بعض خاصة الملك خيلنا وبلادنا

فتكلمهم م

وانما هي خيل مولاه وبلاده ومن قرا بالنون فعلى حذف الجار اى تكلمهم بان فهم يوزعون يحبس
اولهم على آخرهم حتى يجتمعوا فيكبكبوا في النار وهذه عبارة عن كثرة العدد وتباعد اطرافه
كما وصفت جنود سليمان بذلك وكذلك قوله فوجا فان الفوج الجماعة الكثيرة ومنه قوله
تعالى يدخلون في دين الله افواجا وعن ابن عباس ابو جهل والوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة يساقون
بين يدي اهل مكة وكذلك يحشر قادة سائر الامم بين ايديهم الى النار **فان قلت** اى فرق
بين من الاولى والثانية **قلت** الاولى للتبعيض والثانية للتبيين كقوله من الاوثان الواو
للحال كانه قال اكذبتم بها بادي الرأي من غير فكر ولا نظر يؤدي الى احاطة العلم بكنهها وانها
حقيقة بالتصديق او بالتكذيب او للعطف اى اجحدتموها ومع جحودكم لم تلقوا اذهانكم
لتحققها وتبصرها فان المكتوب اليه قد يجحد ان يكون الكتاب من عند من كتبه ولا يدع
مع ذلك ان يقرأه ويتفهم مضامينه ويحيط بمعانيه ام ماذا كنتم تعملون بها للتبكيت لا غير
وذلك انهم لم يعملوا الا التكذيب فلا يقدرون ان يكذبوا ويقولوا قد صدقنا بها وليس الا
التصديق بها او التكذيب ومثاله ان تقول لراعيك وقد عرفته رويعي سوء اتاكل نعمي ام ماذا
تعمل بها فتجعل ما تبتدئ به وتجعله اصل كلامك واساسه هو الذي صح عندك من اكله و
فساده وترمي بقولك ام ماذا تعمل بها مع علمك انه لا يعمل بها الا الاكل لتبهته وتعلمه علمك بانه
لا يجيء منه الا اكلها وانه لا يقدر ان يدعي الحفظ والاصلاح لما شهر من خلاف ذلك او اراد اما
كان لكم عمل في الدنيا الا الكفر والتكذيب بآيات الله ام ماذا كنتم تعملون من غير ذلك يعني انه لم يكن
لهم عمل غيره كانهم لم يخلقوا الا للكفر والمعصية وانما خلقوا للايمان والطاعة يخاطبون بهذا
قبل كبهم في النار ثم يكبون فيها وذلك قوله ووقع القول عليهم يريد ان العذاب الموعود يغشاهم
بسبب ظلمهم وهو التكذيب بآيات الله فيشغلهم عن النطق والاعتذار كقوله هذا يوم لا ينطقون

جعل

جعل الابصار للنهار وهو لاهله **فان قلت** ما للتقابل لم يراع في قوله ليسكنوا ومبصرا حيث كان
احدهما علة والآخر حالا **قلت** هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف
لان معنى مبصرا ليبصروا فيه طرق التقلب في المكاسب **فان قلت** لم قيل ففزع دون فيفزع
قلت لنكتة وهي الاشعار بتحقق الفزع وثبوته وانه كائن لا محالة واقع على اهل السموات
والارض لان الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عند النفخة الاولى
حين يصعقون الا من شاء الله الا من ثبت الله قلبه من الملائكة قالوا هم جبريل وميكائيل واسرافيل
وملك الموت وقيل الشهداء وعن الضحاك الحور وخزنة النار وحملة العرش وعن جابر منهم موسى
لانه صعق مرة ومثله قوله تعالى ونفخ في الصور فصعق من في السموات والارض الا من شاء الله وقرئ اتوه
واتاه وداخرين فالجمع على المعنى والتوحيد على اللفظ والداخر والدخر الصاغر وقيل معنى الاتيان حضورهم
الموقف بعد النفخة الثانية ويجوز ان يراد رجوعهم الى امره وانقيادهم له جامدة من جمد في مكانه
اذا لم يبرح تجمع الجبال فتسير كما تسير الريح السحاب فاذا نظر اليها الناظر حسبها واقفة ثابتة
في مكان واحد وهي تمر مرا حثيثا كما يمر السحاب وهكذا الاجرام العظام المتكاثرة العدد اذا تحركت
لا تكاد تتبين حركتها كما قال النابغة في صفة جيش بارعن مثل الطود تحسب انهم وقوف لحاج
والركاب تهملج صنع الله من المصادر المؤكدة كقوله وعد الله وصبغة الله الا ان مؤكده محذوف وهو
الناصب ليوم ينفخ والمعنى ويوم ينفخ في الصور وكان كيت وكيت اثاب الله المحسنين وعاقب
المجرمين ثم قال صنع الله يريد به الاثابة والمعاقبة وجعل هذا الصنع من جملة الاشياء التي اتقنها واتى
بها على الحكمة والصواب حيث قال صنع الله الذي اتقن كل شيء يعني ان مقابلة الحسنة بالثواب
والسيئة بالعقاب من جملة احكامه للاشياء واتقانه لها واجرائه لها على قضايا الحكمة انه عالم بما يفعل
العباد وبما يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك ثم لخص ذلك بقوله من جاء بالحسنة

الى آخر الآيتين فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه ومكانة إضماده ورصانة تفسيره
واخذ بعضه بحجز بعض كانما افرغ افراغا واحدا ولامر ما اعجز القوى واخرس الشقاشق ونحو هذا
المصدر اذا جاء عقيب كلام جاء كالشاهد بصحته والمنادى على سداده وانه ما كان ينبغي ان
يكون الا كما قد كان الا ترى الى قوله صنع الله وصبغة الله ووعد الله وفطرت الله بعد ما
وسمها باضافتها اليه بسمة التعظيم كيف تلاها بقوله الذي اتقن كل شيء ومن احسن من الله صبغة
ان الله لا يخلف الميعاد لا تبديل لخلق الله وقرى تفعلون على الخطاب فله خير منها يريد الاضعاف
وان العمل يتقضى والثواب يدوم وشتان ما بين فعل العبد وفعل السيد وقيل فله خير منها اي له
خير حاصل من جهتها وهو الجنة وعن ابن عباس الحسنة الكلمة الشهادة وقرى يومئذ مفتوحا مع الاضافة
لانه اضيف الى غير متمكن ومنصوبا مع تنوين فزع **فان قلت** ما الفرق بين الفزعين
قلت الفزع الاول هو ما لا يخلو منه احد عند الاحساس بشدة تقع وهول يفجأ من رعب
وهيبة وان كان المحسن ممن يأمن لحوق الضرر به كما يدخل الرجل على الملك بصدر هياب وقلب
وجاب وان كانت ساعة اعزاز وتكرمة واحسان وتولية واما الثاني فالخوف من العذاب
فان قلت يحتمل معنيين من فزع واحد وهو خوف العقاب واما ما يلحق الانسان من التهيب
والرعب لما يرى من الاهوال والعظائم فلا يخلون منه لان البشرية تقتضي ذلك وفي الاخبار
والآثار ما يدل عليه ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتنهه الوصف وهو خوف النار امن يعدى
بالجار وبنفسه كقوله تعالى افأمنوا مكر الله وقيل السيئة الاشراك بالله يعبر عن الجملة بالوجه والراس
والرقبة فكانه قيل فكبوا في النار كقوله فكبكبوا فيها ويجوز ان يكون ذكر الوجوه ايذانا بانهم يكبون
على وجوههم فيها منكوسين هل تجزون يجوز فيه الالتفات وحكاية ما يقال لهم عند الكب باضمار
القول امر رسول الله صلى الله عليه وسلم بان يقول امرت ان اخص الله وحده بالعبادة ولا اتخذ له شريكا

من قرا من فزع بالتنوين ما معناه قلت

كما

كما فعلت قريش وان اكون من الحنفاء الثابتين على ملة الاسلام وان اتلو القرآن من التلاوة او التلو
كقوله واتبع ما يوحى اليك والبلدة مكة حرسها الله تعالى اختصها من بين سائر البلاد باضافة اسمه اليها لانها
احب بلاده اليه واكرمها عليه واعظمها عنده وهكذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم حين خرج
في مهاجره فلما بلغ الحزورة استقبلها بوجهه الكريم فقال اني اعلم انك احب بلاد الله الى الله و
لولا ان اهلك اخرجوني ما خرجت واشار اليها اشارة تعظيم لها وتقريب دالا على انها موطن
نبيه ومهبط وحيه ووصف ذاته بالتحريم الذي هو خاص وصفها فاجزل بذلك قسمها في الشرف
والعلو ووصفها بانها محرمة لا ينتهك حرمتها الا ظالم مضاد لربه ومن يرد فيه بالحاد بظلم نذقه
من عذاب اليم لا يختلى خلاها ولا يعضد شجرها ولا ينفر صيدها واللاجي اليها آمن وجعل دخول
كل شيء تحت ربوبيته وملكوته كالتابع لدخولها تحتهما وفي ذلك اشارة الى ان ملكا ملك مثل
هذه البلدة العظيمة الشان قد ملكها وملك اليها كل شيء اللهم بارك لنا في سكناها وآمنا فيها شر كل
ذي شر ولا تنقلنا من جوار بيتك الا الى دار رحمتك وقرى التي حرمها واتل عليهم هذا القرآن
عن ابي وان اتل عن ابن مسعود فمن اهتدى باتباعه اياي فيما انا بصدده من توحيدك ونفي الانداد
والدخول في الملة الحنيفية واتباع ما انزل علي من الوحي فمنفعة اهتدائه راجعة اليه لا الي ومن ضل
ولم يتبعني فلا علي وما انا الا رسول منذر وما على الرسول الا البلاغ ثم امره ان يحمد الله على ما خوله
من نعمة النبوة التي لا توازيها نعمة وان يهدد اعداءه بما سيريهم الله من آياته التي
تلجئهم الى المعرفة والاقرار بانها آيات الله وذلك حين لا تنفعهم المعرفة يعني في الآخرة وعن الحسن
وعن الكلبي الدخان وانشقاق القمر وما حل بهم من نقمات الله في الدنيا وقيل هو كقوله سنريهم
آياتنا في الآفاق وفي انفسهم الآية وكل عمل يعملونه فالله عالم به غير غافل عنه لان الغفلة والسهو
لا يجوزان على عالم الذات وهو من وراء جزاء العاملين وقرى تعملون بالياء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

والتاء

من قرأ سورة طس سليمان كان له من الأجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به
وهود وشعيب وصالح وإبراهيم ويخرج من قبره وهو ينادي لا إله إلا الله

سورة القصص مكية وهي ثمانون وثمان آيات

بسم الله الرحمن الرحيم من نبإ موسى وفرعون مفعول نتلوا أي نتلو عليك بعض خبرهما
بالحق محقين كقوله تنبت بالدهن لقوم يؤمنون لمن سبق في علمنا أنه يؤمن لأن التلاوة إنما تنفع هؤلاء
دون غيرهم إن فرعون جملة مستأنفة كالتفسير للمجمل كأن قائلا قال وكيف كان نبأهما فقال إن فرعون
علا في الأرض يعني أرض مملكته قد طغى فيها وجاوز الحد في الظلم والعسف شيعا فرقا يشيعونه على
ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يلوي عنقه قال الأعشى وبلدة يرهب الجواب دلجتها
حتى تراه عليها يبتغي الشيعا أو يشيع بعضهم بعضا في طاعته أو أصنافا في استخدامه يسخر صنفا في بناء وصنفا
في حرث وصنفا في حفر ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية أو فرقا مختلفة قد أغرى بينهم العداوة وهم بنو
إسرائيل والقبط والطائفة المستضعفة بنو إسرائيل وسبب ذبح الأبناء أن كاهنا قال له يولد مولود
في بني إسرائيل يذهب ملكك على يده وفيه دليل بين على ثخانة حمق فرعون فإنه إن صدق الكاهن لم
يدفع القتل الكائن وإن كذب فما وجه القتل ويستضعف حال من الضمير في وجعل أو صفة لشيعا
أو كلام مستأنف ويذبح بدل من يستضعف وقوله إنه كان من المفسدين بيان أن القتل ما كان
إلا فعل المفسدين فحسب لأنه فعل لا طائل تحته صدق الكاهن أو كذب فإن قلت علام عطف
قوله ونريد أن نمن وعطفه على نتلو ويستضعف غير سديد قلت هي جملة معطوفة على قوله
إن فرعون علا في الأرض لأنها نظيرة تلك في وقوعها تفسيرا لنبإ موسى وفرعون واقتصاصا له
ونريد حكاية حال ماضية ويجوز أن يكون حالا من يستضعف أي يستضعفهم فرعون ونحن

نريد

نريد أن نمن عليهم فإن قلت كيف يجتمع استضعافهم وإرادة الله المنة عليهم وإذا أراد الله
شيئا كان ولم يتوقف إلى وقت آخر قلت لما كانت منة الله بخلاصهم من فرعون
قريبة الوقوع جعلت إرادة وقوعها كأنها مقارنة لاستضعافهم أئمة مقدمين في الدين والدنيا
يطأ الناس أعقابهم وعن ابن عباس قادة يقتدى بهم في الخير وعن مجاهد دعاة إلى الخير
وعن قتادة ولاة كقوله وجعلكم ملوكا الوارثين يرثون فرعون وقومه ملكهم وكل ما كان لهم مكن له
إذا جعل له مكانا يقعد عليه أو يرقد فوطأه ومهده ونظيره أرض له ومعنى تمكينهم في الأرض
وهي أرض مصر والشام أن يجعلها بحيث لا تنبو بهم ولا تغث عليهم كما كانت في أيام الجبابرة
وينفذ أمرهم ويطلق أيديهم ويسلطهم ونري وقرئ ويرى فرعون وهامان وجنودهما أي يرون منهم
ما حذروه من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يد مولود منهم اليم البحر قيل هو نيل مصر فإن قلت
ما المراد بالخوفين حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر قلت أما الأول فالخوف عليه من القتل
لأنه كان إذا صاح خافت أن يسمع الجيران صوته فينموا عليه وأما الثاني فالخوف من الغرق
ومن الضياع ومن الوقوع في يد بعض العيون المبثوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان وغير
ذلك من المخاوف فإن قلت ما الفرق بين الخوف والحزن قلت الخوف غم يلحق
الإنسان لمتوقع والحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والإخطار به فنهيت عنهما جميعا وأومنت بالوحي
إليها ووعدت ما يسليها ويطامن قلبها ويملؤها غبطة وسرورا وهو رده إليها وجعله من المرسلين
وروي أنه ذبح في طلب موسى تسعون ألف وليد وروي أنها حين أقربت ضربها الطلق
وكانت بعض القوابل الموكلات بحبالى بني إسرائيل مصافية لها فقالت لها لينفعني حبك اليوم
فعالجتها فلما وقع إلى الأرض هالها نور بين عينيه وارتعش كل مفصل منها ودخل حبه قلبها ثم قالت
ما جئتك إلا لأقبل مولودك وأخبر فرعون ولكني وجدت لابنك حبا ما وجدت مثله فاحفظيه

فلما حرجت جاء عيون فرعون فلفته في خرقة ووضعته في تنور مسجور لم تعلم ما تصنع لما طاش من
عقلها فطلبوا فلم يلقوا شيئا فخرجوا وهي لا تدري مكانه فسمعت بكاء من التنور فانطلقت اليه وقد
جعل الله النار عليه بردا وسلاما فلما الح فرعون في طلب الولدان اوحى الله اليها فالقته في اليم وقد
روي انها ارضعته ثلثة اشهر في تابوت من بردي مطلي بالقار من داخله اللام في ليكون هي لام كي التي
معناها التعليل كقولك جئتك لتكرمني سواء بسواء ولكن معنى التعليل فيها وارد على طريق المجاز دون
الحقيقة لانه لم يكن داعيهم الى الالتقاط ان يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير ان ذلك
لما كان نتيجة التقاطهم له وثمرته شبه بالداعي الذي يفعل الفاعل الفعل لاجله وهو الاكرام الذي
هو نتيجة المجيء والتادب الذي هو ثمرة الضرب في قولك ضربته ليتادب وتحريره ان هذه اللام
حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبه التعليل كما يستعار الاسد لمن يشبه الاسد وقرئ
وحزنا وهما لغتان كالعدم والعدم كانوا خاطئين في كل شيء فليس خطاؤهم في تربية عدوهم ببدع منهم
او كانوا مذنبين مجرمين فعاقبهم الله بان ربى عدوهم ومن هو سبب هلاكهم على ايديهم وقرئ خاطين
تخفيف خاطئين او خاطين الصواب الى الخطا روي انهم حين التقطوا التابوت عالجوا فتحه فلم يقدروا
عليه فعالجوا كسره فاعياهم فدنت آسية فرات في جوف التابوت نورا فعالجته ففتحته فاذا بصبي
نوره بين عينيه وهو يمص ابهامه لبنا فاحبوه وكانت لفرعون بنت برصاء وقالت له الاطباء لا تبرا الا
من قبل البحر يوجد فيه شبه انسان دواؤها ريقه فلطخت البرصاء برصها بريقه فبرات وقيل لما
نظرت الى وجهه برات فقالت ان هذه لنسمة مباركة فهذا احد ما عطفهم عليه فقال الغواة من قومه
هو الصبي الذي نحذر منه فاذن لنا في قتله فهم بذلك فقالت آسية قرة عين لي ولك فقال فرعون لك
لا لي وروي في حديث لو قال هو قرة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها وهذا على سبيل الفرض والتقدير
اي لو كان مطبوعا على قلبه كآسية لقال مثل قولها ولاسلم كما اسلمت هذا ان صح الحديث تاويله

والله اعلم بصحته وروي انها قالت له لعله من قوم آخرين ليس من بني اسرائيل قرة عين خبر مبتدا
محذوف ولا يقوى ان تجعله مبتدا ولا تقتلوه خبرا ولو نصب لكان اقوى وقراءة ابن مسعود دليل
على انه خبر قرا لا تقتلوه قرة عين لي ولك بتقديم لا تقتلوه عسى ان ينفعنا فان فيه مخايل اليمن و
دلائل النفع لاهله وذلك لما عاينت من النور وارتضاع الابهام وبرء البرصاء ولعلها توسمت في سيمائه
النجابة المؤذنة بكونه نفاعا او نتبناه فانه اهل للتبني ولان يكون ولدا لبعض الملوك فان قلت
وهم لا يشعرون حال فما ذو حالها قلت ذو حالها آل فرعون وتقدير الكلام فالتقطه آل فرعون
ليكون لهم عدوا وحزنا وقالت امرأة فرعون كذا وهم لا يشعرون انهم على خطاء عظيم في التقاطه ورجاء
النفع منه وتبنيه وقوله ان فرعون الآية جملة اعتراضية واقعة بين المعطوف والمعطوف عليه مؤكدة
لمعنى خطائهم وما احسن نظم هذا الكلام عند المرتاض بعلم محاسن النظم فارغا صفرا من العقل والمعنى
انها حين سمعت بوقوعه في يد فرعون طار عقلها لما دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى
وافئدتهم هواء اي جوف لا عقول فيها ومنه بيت حسان الا ابلغ ابا سفيان عني فانت مجوف نخب هواء
وذلك ان القلوب مراكز العقول الا ترى الى قوله فتكون لهم قلوب يعقلون بها ويدل عليه قراءة
فرغا وقرئ قرعا اي خاليا من قولهم اعوذ بالله من صفر الاناء وقرع الفناء وفزعا من قولهم دماؤهم
بينهم فرغ اي هدر يعني بطل قلبها وذهب وبقيت لا قلب لها من شدة ما ورد عليها لتبدي به لتصحر به
والضمير لموسى والمراد بامره وقصته وانه ولدها لولا ان ربطنا على قلبها بالهام الصبر كما يربط على الشيء
المنفلت ليقر ويطمئن لتكون من المؤمنين من المصدقين بوعد الله وهو قوله انا رادوه اليك ويجوز
واصبح فؤادها فارغا من الهم حين سمعت ان فرعون عطف عليه وتبناه ان كادت لتبدي بانه
ولدها لانها لم تملك نفسها فرحا وسرورا بما سمعت لولا انا طامنا قلبها وسكنا قلقه الذي حدث
به من شدة الفرح والابتهاج لتكون من المؤمنين الواثقين بوعد الله لا بتبني فرعون وتعطفه وقرئ موسى

بامرها جلت الغمه في جارة الواو وهي المهم كانها فيها فبصرت كما تبصروا وجوه فتيه ابتغى اثره وتتبع
خبره وقرى فبصرت بالكسر يقال بصرت به عن جنب وعن جنابة بمعنى عن بعد وقرى عن جانب وعن
جنب والجنب الجانب يقال قعد الى جنبه والى جانبه اى نظرت اليه مزورة متجانفة مخاتلة
وهم لا يشعرون انها اخته وكان اسمها مريم التحريم استعارة للمنع لان من حرم عليه الشي فقد منعه الا ترى
الى قولهم محظور وحجر وذلك لان الله منعه ان يرضع ثديا وكان لا يقبل ثدي مرضع قط حتى
اهمهم ذلك والمراضع جمع مرضع وهي المراة التي ترضع او جمع مرضع وهو موضع الرضاع يعني الثدي
او الرضاع من قبل من قبل قصصها اثره روي انها لما قالت وهم له ناصحون قال هامان انها لتعرفه
وتعرف اهله فقالت انما اردت وهم للملك ناصحون والنصح اخلاص العمل من شائب الفساد
فانطلقت الى امها بامرهم فجاءت بها والصبي على يد فرعون يعلله شفقة عليه وهو يبكي يطلب الرضاع
فحين وجد ريحها استانس والتقم ثديها فقال لها فرعون ومن انت منه فقد ابى كل ثدي الا ثديك
فقالت اني امراة طيبة الريح طيبة اللبن لا اوتى بصبي الا قبلني فدفعه اليها واجرى عليها وذهبت التقمه
به الى بيتها وانجز الله وعده في الرد فعندها ثبت واستقر في علمها ان سيكون نبيا وذلك قوله ولتعلم
ان وعد الله حق يريد وليثبت علمها ويتمكن **فان قلت** كيف حل لها ان تاخذ الاجر على ارضاع
ولدها **قلت** ما كانت تاخذه على انه اجر على الرضاع ولكنه مال حربي كانت تاخذه على
وجه الاستباحة وقوله ولكن اكثرهم لا يعلمون داخل تحت علمها المعنى لتعلم ان وعد الله حق ولكن
اكثرهم لا يعلمون انه حق فيرتابون ويشبه التعريض بما فرط منها حين سمعت بخبر موسى فجزعت الناس
واصبح فؤادها فارغا روي انها حين القت التابوت في اليم جاءها الشيطان فقال لها يا ام موسى
كرهت ان يقتل فرعون موسى فتوجري ثم ذهبت فتوليت قتله فلما اتاها الخبر بان فرعون اصابه
قالت وقع في يد العدو فنسيت وعد الله ويجوز ان يتعلق ولكن بقوله ولتعلم ومعناه ان الرد انما

كان

١٥٧

كان لهذا الغرض الديني وهو علمها بصدق وعد الله ولكن الاكثر لا يعلمون بان هذا هو الغرض الاصلي
الذي ما سواه تبع له من قرة العين وذهاب الحزن واستوى واعتدل وتم استحكامه وبلغ
المبلغ الذي لا يزاد عليه كما قال لقيط واستحملوا امركم لله دركم شزر المريرة لا قحما ولا ضرعا وذلك
اربعون سنة ويروى انه لم يبعث نبي الا على راس اربعين سنة العلم التوراة والحكم السنة وحكمة
الانبياء سنتهم قال الله تعالى واذكرن ما يتلى في بيوتكن من ايات الله والحكمة وقيل معناه اتيناه
سيرة الحكماء العلماء وسمتهم قبل البعث فكان لا يفعل فعلا يستجهل فيه المدينة مصر وقيل مدينة
منف من ارض مصر وحين غفلتهم ما بين العشائين وقيل وقت القائلة وقيل يوم عيد لهم هم
مشتغلون فيه بلهوهم وقيل لما شب وعقل اخذ يتكلم بالحق وينكر عليهم فاخافوه فلا يدخل
قرية الا على تغفل وقرا سيبويه فاستعانه من شيعته ممن شايعه على دينه من بني اسرائيل وقيل هو
السامري من عدوه من مخالفيه من القبط وهو فاتون وكان يتسخر الاسرائيلي لحمل الحطب
الى مطبخ فرعون والوكز الدفع باطراف الاصابع وقيل بجمع الكف وقرا ابن مسعود فلكزه باللام
فقضى عليه فقتله **فان قلت** لم جعل قتل الكافر من عمل الشيطان وسماه ظلما لنفسه واستغفر
منه **قلت** لانه قتله قبل ان يؤذن له في القتل وكان ذنبا يستغفر منه وعن ابن جريج ليس
لنبي ان يقتل ما لم يؤمر بما انعمت علي يجوز ان يكون قسما جوابه محذوف تقديره اقسم بانعامك
علي بالمغفرة لاتوبن فلن اكون ظهيرا للمجرمين وان يكون استعطافا كانه قال رب اعصمني بحق
ما انعمت علي من المغفرة فلن اكون ان عصمتني ظهيرا للمجرمين واراد بمظاهرة المجرمين اما صحبة
فرعون وانتظامه في جملته وتكثير سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى
ابن فرعون واما مظاهرة من ادت مظاهرته الى الجرم والاثم كمظاهرة الاسرائيلي المؤدية الى القتل
الذي لم يحل له وعن ابن عباس لم يستثن فابتلي به مرة اخرى يعني لم يقل فلن اكون ان شاء الله وهذا

عن قوله ولا تركنوا الى الذين ظلموا وعن عطاء رحمه الله ان رجلا قال له ان اخي يضرب بقلمه ولا يعدو
رزقه قال فمن الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال فاين قول موسى فلن
هذه الآية وفي الحديث ينادي مناد يوم القيامة اين الظلمة واشباه الظلمة واعوان الظلمة
حتى من لاق لهم دواة او برى لهم قلما فيجمعون في تابوت من حديد فيرمى به في جهنم وقيل معناه
بما انعمت علي من القوة فلن استعملها الا في مظاهرة اوليائك واهل طاعتك والايمان بك فلا ادع قبطيا
يغلب احدا من بني اسرائيل يترقب المكروه وهو الاستقادة منه او الاخبار وما يقال فيه ووصف الاسرائيلي
بالغي لانه كان سبب قتل رجل وهو يقاتل آخر وقرئ يبطش بالضم والذي هو عدو لهما القبطي لانه
ليس على دينهما ولان القبط كانوا اعداء بني اسرائيل والجبار الذي يفعل ما يريد من الضرب والقتل
بظلم لا ينظر في العواقب ولا يدفع بالتي هي احسن وقيل المتعظم الذي لا يتواضع لامر الله ولما قال
هذا افشى على موسى فانتشر الحديث في المدينة ورقي الى فرعون وهموا بقتله قيل الرجل مؤمن من آل
فرعون وكان ابن عم فرعون ويسعى يجوز ارتفاعه وصفا لرجل وانتصابه حالا عنه لانه قد تخصص يسعى
بان وصف بقوله من اقصى المدينة واذا جعل صلة لجاء لم يجز في يسعى الا الوصف والائتمار التشاور
يقال الرجلان يتأمران ويأتمران لان كل واحد منهما يأمر صاحبه بشيء او يشير عليه بامر والمعنى
يتشاورون بسببك لك بيان وليس بصلة الناصحين ترقب التعرض له في الطريق او ان يلحق تلقاء
مدين قصدها ونحوها ومدين قرية شعيب عليه السلام سميت بمدين بن ابراهيم ولم تكن في سلطان
فرعون وبينها وبين مصر مسيرة ثمان وكان موسى صلى الله عليه وسلم لا يعرف اليها الطريق قال
ابن عباس خرج وليس له علم بالطريق الا حسن ظنه بربه وسواء السبيل وسطه ومعظم نهجه وقيل
خرج حافيا لا يعيش الا بورق الشجر فما وصل حتى سقط خف قدمه وقيل جاء ملك على فرس
بيده عنزة فانطلق به الى مدين ماء مدين ماؤهم الذي يستقون منه وكان بئرا فيما روي ووروده

مجيئه

١٥٩

مجيئه والوصول اليه وجد عليه وجد فوق شفيرها ومستقاه امة جماعة كثيفة العدد من الناس من
اناس مختلفين من دونهم في مكان اسفل من مكانهم والذود الطرد والدفع وانما كانتا تذودان
لان على الماء من هو اقوى منهما فلا يتمكنان من السقي وقيل كانتا تكرهان المزاحمة على الماء وقيل لئلا
تختلط اغنامهما باغنامهم وقيل تذودان عن وجوههما نظر الناظر لتسترهما ما خطبكما ما شأنكما وحقيقته
ما مخطوبكما اي مطلوبكما من الذياد فسمي المخطوب خطبا كما سمي المشؤون شأنا في قولك ما شأنك
يقال شأنت شأنه اي قصدت قصده وقرئ لا نسقي ونصدر والرعاء بضم النون والياء والراء
والرعاء اسم جمع كالرخال والثناء واما الرعاء بالكسر فقياس كصيام وقيام كبير كبير السن يسقي لهما
فسقى غنمهما لاجلهما وروي ان الرعاء كانوا يضعون على رأس البئر حجرا لا يقله الا سبعة رجال وقيل
عشرة وقيل اربعون وقيل مائة فاقله وحده وروي انه سألهم دلوا من ماء فاعطوه دلوهم وقالوا
استق بها وكانت لا ينزعها الا اربعون فاستقى بها وصبها في الحوض ودعا بالبركة وروى غنمهما
واصدرهما وروي انه دفعهم عن الماء حتى سقى لهما وقيل كانت بئرا اخرى عليها الصخرة وانما فعل
هذا رغبة في المعروف واغاثة للملهوف والمعنى انه وصل الى ذلك الماء وقد ازدحمت عليه امة
من اناس مختلفة متكاثفة العدد ورأى الضعيفتين من ورائهم مع غنيمتهما مترقبتين لفراغهم فما
اخطأت همته في دين الله تلك الفرصة مع ما كان به من النصب وسقوط خف القدم والجوع
ولكنه رحمهما فاغاثهما وكفاهما امر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما اتاه الله
الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة وفيه مع ارادة اقتصاص امره وما اوتي من البطش والقوة وما
لم يغفل عنه على ما كان به من انتهاز فرصة الاحتساب ترغيب في الخير وانتهاز فرصه وبعث على
الاقتداء في ذلك بالصالحين والاخذ بسيرهم ومذاهبهم فان قلت لم ترك المفعول غير مذكور
في قوله يسقون وتذودان ولا نسقي قلت لان الغرض هو الفعل لا المفعول الا ترى انه

انما رحمهما لانهما كانتا على الذياد وهم على السقي ولم يرحمهما لان مذودهما غنم ومسقيهم ابل مثلا وكذلك قولهما لا نسقي حتى يصدر الرعاء المقصود فيه السقي لا المسقي **فان قلت** كيف طابق جوابهما سواله **قلت** سالهما عن سبب الذود فقالتا السبب في ذلك انا امراتان ضعيفتان مستورتان لا نقدر على مساجلة الرجال ومزاحمتهم فلا بد لنا من تاخير السقي الى ان يفرغوا وما لنا رجل يقوم بذلك وابونا شيخ قد اضعفه الكبر فلا يصلح للقيام به ابلتا اليه عذرهما في توليهما السقي بانفسهما **فان قلت** كيف ساغ لنبي الله الذي هو شعيب عليه السلم ان يرضى لابنتيه بسقي الماشية **قلت** الامر في نفسه ليس بمحظور فالدين لا ياباه واما المروة فالناس مختلفون في ذلك والعادات متباينة فيه واحوال العرب فيه خلاف احوال العجم ومذهب اهل البدو فيه غير مذهب اهل الحضر خصوصا اذا كانت الحالة حالة ضرورة اي لاي شي انزلت الي قليل او كثير غث او سمين لفقير واما عدي فقير باللام لانه ضمن معنى سايل وطالب قيل ذكر ذلك وان خضرة البقل تتراى في بطنه من الهزال ما سال الله الا اكلة ويحتمل ان يريد اني فقير من الدنيا لاجل ما انزلت الي من خير الدين وهو النجاة من الظالمين لانه كان عند فرعون في ملك وثروة قال ذلك رضى بالبدل السني وفرحا به وشكرا له وكان الظل ظل سمرة على استحيا في موضع الحال اي مستحيية متخفرة وقيل قد استترت بكم درعها روي انهما لما رجعتا الى ابيهما قبل الناس واغنامهما حفل بطان قال لهما ما اعجلكما قالتا وجدنا رجلا صالحا رحمنا فسقى لنا فقال لاحديهما اذهبي فادعيه لي فتبعها موسى فالزقت الريح ثوبها بجسدها فوصفته فقال لها امشي خلفي وانعتي لي الطريق فلما قص عليه قصته قال له لا تخف فلا سلطان لفرعون بارضنا **فان قلت** كيف ساغ لموسى ان يعمل بقول امراة وان يمشي معها وهي اجنبية **قلت** اما العمل بقول امراة فكما نعمل بقول الواحد حرا كان او عبدا ذكرا كان او انثى في الاخبار وما كانت الا مخبرة عن ابيها

بانه يدعوه ليجزيه واما مماشاته امراة اجنبية فلا باس بها في نظاير تلك الحال مع ذلك الاحتياط والتورع **فان قلت** كيف صح له اخذ الاجر على البر والمعروف **قلت** يجوز ان يكون قد فعل ذلك لوجه الله على سبيل البر والمعروف وقبل اطعام شعيب واحسانه لا على سبيل اخذ الاجر ولكن على سبيل التقبل لمعروف مبتدا كيف وقد قص عليه قصصه وعرفه انه من بيت النبوة من اولاد يعقوب ومثله حقيق بان يضيف ويكرم خصوصا في دار نبي من انبياء الله وليس بمنكر ان يفعل ذلك لاضطرار الفقر والفاقة طلبا للاجر وقد روي ما يعضد كلا القولين روي انها لما قالت ليجزيك كره ذلك ولما قدم اليه الطعام امتنع وقال انا اهل بيت لا نبيع ديننا بطلاع الارض ذهبا ولا ناخذ على المعروف ثمنا حتى قال شعيب هذه عادتنا مع كل من ينزل بنا وعن عطاء بن السايب رفع صوته بدعايه ليسمعهما فلذلك قيل له ليجزيك اجر ما سقيت اي جزاء سقيك والقصص مصدر كالعلل سمي به المقصوص كبراهما كانت تسمى صفراء والصغرى صفيرا وصفراء هي التي ذهبت به وطلبت الى ابيها ان يستاجره وهي التي تزوجها وعن ابن عباس رضي الله عنه ان شعيبا احفظته الغيرة قال وما علمك بقوته وامانته فذكرت اقلال الحجر ونزع الدلو وانه صوب راسه حتى بلغته رسالته وامرها بالمشي خلفه وقولها ان خير من استاجرت القوي الامين كلام حكيم جامع لا يزاد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان الخصلتان اعني الكفاية والامانة في القايم بامرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنت بارسال هذا الكلام الذي سياقه سياق المثل والحكمة ان تقول استاجره لقوته وامانته **فان قلت** كيف جعل خير من استاجرت اسما لان والقوي الامين خبرا **قلت** هو مثل قوله الا ان خير الناس حيا وهالكا اسير ثقيف عندهم في السلاسل في ان العناية هي سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو احق بان يكون خبرا اسما وورود الفعل بلفظ الماضي للدلالة على انه امر قد جرب وعرف ومنه قولهم اهون ما اعملت

لسان محمد وعن ابن مسعود رضي الله عنه أفرس الناس ثلاثة بنت شعيب وصاحب يوسف
في قوله عسى أن ينفعنا وأبو بكر في عمر وروي أنه أنكحه الصغرى وقوله هاتين فيه دليل على أنه كانت
له غيرهما تأجرني من أجرته إذا كنت له أجيرا كقولك أبوته إذا كنت له أبا وثماني حجج ظرفه أو من
أجرته كذا إذا أثبته إياه ومنه تعزية رسول الله صلى الله عليه وسلم آجركم الله ورحمكم وثماني حجج مفعول
به ومعناه رعية ثماني حجج **فإن قلت** كيف صح أن ينكحه إحدى ابنتيه من غير تمييز
قلت لم يكن ذلك عقدا للنكاح ولكن مواعدة ومواضعة أمر قد عزم عليه ولو كان
عقدا لقال قد أنكحتك ولم يقل إني أريد أن أنكحك **فإن قلت** فكيف صح أن يمهرها إجارة
نفسه في رعية الغنم ولا بد من تسليم ما هو مال ألا ترى إلى أبي حنيفة رضي الله عنه كيف منع أن
يتزوج امرأة بأن يخدمها سنة وجوز أن يتزوجها بأن يخدمها عبده سنة أو يسكنها داره سنة
لأنه في الأول مسلم نفسه وليس بمال وفي الثاني هو مسلم مالا وهو العبد أو الدار **قلت** الأمر على
مذهب أبي حنيفة على ما ذكرت وأما الشافعي رضي الله عنه فقد جوز التزوج على الإجارة
لبعض الأعمال والخدمة إذا كان المستأجر له أو المخدوم فيه أمرا معلوما ولعل ذلك كان جائزا في
تلك الشريعة ويجوز أن يكون المهر شيئا آخر وإنما أراد أن يكون راعي غنمه هذه المدة وأراد أن
ينكحه ابنته فذكر له المرادين وعلق الإنكاح بالرعية على معنى إني أفعل هذا إذا فعلت ذاك على
وجه المعاهدة لا على وجه المعاقدة ويجوز أن يستأجره لرعيه ثماني سنين بمبلغ معلوم ويوفيه إياه ثم
ينكحه ابنته به ويجعل قوله على أن تأجرني ثماني حجج عبارة عما جرى بينهما فإن أتممت عشرا فمن عندك فتمامه
من عندك والمعنى فهو من عندك لا من عندي يعني لا ألزمكه ولا أحتمه عليك ولكنك إن فعلته
فهو منك تفضل وتبرع وإلا فلا عليك وما أريد أن أشق عليك بإلزام أتم الأجلين وإيجابه **فإن قلت**
ما حقيقة قولهم شققت عليه وشق عليه الأمر **قلت** حقيقته أن الأمر إذا تعاظمك فكأنه شق عليك

ظنك

ظنك باثنين تقول تارة أطيقه وتارة لا أطيقه أو وعده المساهلة والمسامحة من نفسه وأنه لا يشق
عليه فيما استأجره له من رعي غنمه ولا يفعل نحو ما يفعل المعاسرون من المسترعين من المناقشة
في مراعاة الأوقات والمداقة في استيفاء الأعمال وتكليف الرعاة أشغالا خارجة من حد
الشرط وهكذا كان الأنبياء عليهم السلام آخذين بالأسمح في معاملات الناس ومنه الحديث كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم شريكي فكان خير شريك لا يداري ولا يشاري ولا يماري وقوله
ستجدني إن شاء الله من الصالحين يريد بالصلاح حسن المعاملة ووطاءة الخلق
ولين الجانب ويجوز أن يريد الصلاح على العموم ويدخل تحته حسن المعاملة والمراد باشتراط
مشيئة الله فيما وعد من الصلاح الاتكال على توفيقه فيه ومعونته لا أنه يستعمل الصلاح إن شاء الله
وإن شاء استعمل خلافه ذلك مبتدأ بيني وبينك خبره وهو إشارة إلى ما عاهده عليه شعيب
يريد ذلك الذي قلته وعاهدتني فيه وشارطتني عليه قائم بيننا جميعا لا يخرج كلانا عنه
لا أنا عما شرطت علي ولا أنت عما شرطت على نفسك ثم قال أي أجل قضيت من الأجلين أطولهما
الذي هو العشر أو أقصرهما الذي هو الثمان فلا عدوان علي أي لا يعتدى علي في طلب الزيادة
عليه **فإن قلت** تصور العدوان إنما هو في أحد الأجلين الذي هو الأقصر وهو المطالبة
بتتمة العشر فما معنى تعليق العدوان بهما جميعا **قلت** معناه كما أني إن طولبت بالزيادة
على العشر كان عدوانا لا شك فيه فكذلك إن طولبت بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر
الخيار وأنه ثابت مستقر وأن الأجلين على السواء إما هذا وإما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء
وأما التتمة فموكولة إلى رأيي إن شئت أتيت بها وإلا لم أجبر عليها وقيل معناه فلا أكون متعديا
وهو في نفي العدوان عن نفسه كقولك لا إثم علي ولا تبعة علي وفي قراءة ابن مسعود أي الأجلين ما قضيت
وقرئ أيما بسكون الياء كقوله تنظرت نصرا والسماكين أيهما علي من الغيث استهلت مواطره وعن ابن

قُطيب عِدوان بالكسر **فان قلت** ما الفرق بين موقعي ما المزيدة في القراتين **قلت**
وقعت في المستفيضة موكدة لابهام اي زايدة في شياعها وفي الشاذة تاكيدا للقضا كانه قال
اي الاجلين صممت على قضايه وجردت عزيمتي له الوكيل الذي وكل اليه الامر ولما استعمل في موضع
الشاهد والمهيمن والمقيت عدي بعلى لذلك روي ان شعيبا كانت عنده عصي الانبيا فقال
لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصي فاخذ عصا هبط بها ادم من الجنة ولم
يزل الانبيا يتوارثونها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكفوفا فضن بها فقال غيرها فما
وقع في يده الا هي سبع مرات فعلم ان له شانا وقيل اخذها جبريل بعد موت ادم فكانت معه حتى
لقي بها موسى ليلا وقيل اودعها شعيبا ملك في صورة رجل فامر بنته ان تاتيه بعصا فاتته بها فردها
سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فدفعها اليه ثم ندم لانها وديعة فتبعه فاختصما فيها ورضيا ان
يحكم بينهما اول طالع فاتاهما الملك فقال القياها فمن رفعها فهي له فعالجها الشيخ فلم يطقها
ورفعها موسى وعن الحسن ما كانت الا عصا من الشجر اعترضها اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التي
منها نودي شجرة العوسج ومنها كانت عصاه ولما اصبح قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا
تاخذ على يمينك فان الكلا وان كان بها اكثر الا ان فيها تنينا اخشاه عليك وعلى الغنم فاخذت
الغنم ذات اليمين ولم يقدر على كفها فمشى على اثرها فاذا عشب وريف لم ير مثله فنام فاذا
بالتنين قد اقبل فحاربته العصا حتى قتلته وعادت الى جنب موسى دامية فلما ابصرها دامية
والتنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجدها ملأى البطون غزيرة اللبن
فاخبره موسى ففرح وعلم ان لموسى والعصا شانا وقال له اني وهبت لك من نتاج غنمي هذا
العام كل ادرع ودرعا فاوحي اليه في المنام ان اضرب بعصاك مستقى الغنم ففعل ثم سقى فما اخطات
واحدة الا وضعت ادرع ودرعا فوفى له بشرطه سيل رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الاجلين

رخ

161

قضى موسى قال ابعدهما وابطاهما وروي انه قال قضى اوفاهما وتزوج صغراهما وهذا خلاف الرواية
التي سبقت الجذوة باللغات الثلث وقرئ بهن جميعا العود الغليظ كانت في راسه نار او لم تكن
قال كثير باتت حواطب ليلى يلتمسن لها جزل الجذى غير خوار ولا دعر وقال والقى على قبس من النار
جذوة شديدا عليه حرها والتهابها من الاولى والثانية لابتدا الغاية اي اتاه النداء من شاطي الوادي
من قبل الشجرة من الشجرة بدل من قوله من شاطي الوادي بدل الاشتمال لان الشجرة كانت نابتة على الشاطي
كقوله لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم وقرئ البقعة بالضم والفتح والرهب بفتحتين وضمتين وفتح
وسكون وضم وسكون وهو الخوف **فان قلت** ما معنى قوله واضمم اليك جناحك
من الرهب **قلت** فيه معنيان احدهما ان موسى عليه السلم لما قلب الله العصا حية فزع واضطرب
فاتقاها بيده كما يفعل الخايف من الشي فقيل له ان اتقاك بيدك فيه غضاضة عند الاعدا
فاذا القيتها فكما تنقلب حية فادخل يدك تحت عضدك مكان اتقايك بها ثم اخرجها بيضا ليحصل
الامران اجتناب ما هو غضاضة عند الاعدا عليك واظهار معجزة اخرى والمراد بالجناح
اليد لان يدي الانسان بمنزلة جناحي الطير واذا ادخل يده اليمنى تحت عضد يده اليسرى
فقد ضم جناحه اليه والثاني ان يراد بضم جناحه اليه تجلده وضبطه نفسه عند انقلاب
العصا حية حتى لا يضطرب ولا يرهب استعارة من فعل الطير لانه اذا خاف نشر جناحيه و
ارخاهما والا فجناحاه مضمومان اليه مشمران ومنه ما يحكى عن عمر بن عبد العزيز رحمه الله ان
كاتبا له كان يكتب بين يديه فانفلتت منه فلتة ريح فخجل وانكسر فقام وضرب بقلمه الارض
فقال له عمر خذ قلمك واضمم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ما سمعتها من احد اكثر مما سمعتها
من نفسي ومعنى قوله من الرهب من اجل الرهب اي اذا اصابك الرهب عند رؤية الحية فاضمم
اليك جناحك جعل الرهب الذي كان يصيبه سببا وعلة فيما امر به من ضم جناحه اليه

والتهابها

من الشجرة

ونشد دة

ومعنى واضمم اليك جناحك وقوله اسلك يدك في جيبك على احد التفسيرين واحد ولكن خولف
بين العبارتين وانما كرر المعنى الواحد لاختلاف الغرضين وذلك ان الغرض في احدهما خروج
اليد بيضاء وفي الثاني اخفاء الرهب **فان قلت** قد جعل الجناح وهو اليد في احد
الموضعين ضاما وفي الاخر مضموما اليه وذلك قوله واضمم اليك جناحك وقوله واضمم يدك الى
جناحك فما التوفيق بينهما **قلت** المراد بالجناح المضموم هو اليد اليمنى وبالمضموم اليه اليد
اليسرى وكل واحدة من يمنى اليدين ويسراهما جناح ومن بدع التفاسير ان الرهب الكم بلغة
حمير وانهم يقولون اعطني مما في رهبك وليت شعري كيف صحته في اللغة وهل سمع من الاثبات
الثقات الذين ترتضى عربيتهم ثم ليت شعري كيف موقعه في الاية وكيف تطبيقه المفصل
كسائر كلمات التنزيل على ان موسى صلوات الله عليه ما كان عليه ليلة المناجاة الا زرمانقة
من صوف لا كمي لها فذانك قرئ مخففا ومشددا فالمخفف مثنى ذاك والمشدد مثنى ذلك برهانان
حجتان بينتان نيرتان **فان قلت** لم سميت الحجة برهانا **قلت** لبياضها وانارتها
من قولهم للمرأة البيضاء برهرهة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون قولهم ابره الرجل
اذا جاء بالبرهان ونظيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت لانارتها يقال ردأته
اعنته والردء اسم ما يعان به فعل بمعنى مفعول به كما ان الدفء اسم لما يدفأ به قال سلامة بن
جندل وردئ كل ابيض مشرفي شحيذ الحد عضب ذي فلول وقرئ ردا على التخفيف كما قرئ
الخب ردا يصدقني بالرفع والجزم صفة وجواب نحو وليا يرثني سواء **فان قلت** تصديق
اخيه ما الفائدة فيه **قلت** ليس الغرض بتصديقه ان يقول له صدقت او يقول للناس صدق
موسى وانما هو ان يلخص بلسانه الحق ويبسط القول فيه ويجادل به الكفار كما يفعل الرجل المنطيق
ذو العارضة فذلك جار مجرى التصديق المفيد كما يصدق القول بالبرهان الا ترى الى قوله

واخي

واخي هرون هو افصح مني لسانا فارسله معي وفضل الفصاحة انما يحتاج اليه لذلك لا لقوله
صدقت فان سحبان وباقلا يستويان فيه او يصل جناح كلامه بالبيان حتى يصدقه الذي
يخاف تكذيبه فاسند التصديق الى هارون لانه السبب فيه اسنادا مجازيا ومعنى الاسناد
المجازي ان التصديق حقيقة في المصدق فاسناده اليه حقيقة وليس في السبب تصديق ولكن
استعير له الاسناد لانه لابس التصديق بالتسبب كما لابسه الفاعل بالمباشرة والدليل على
هذا الوجه قوله اني اخاف ان يكذبون وقراءة من قرا ردا يصدقوني وفيها تقوية للقراءة بالجزم
يصدقني العضد قوام اليد وبشدتها تشتد قال طرفة ابني لبيني لستم بيد الا يدا ليست لها
عضد ويقال في دعاء الخير شد الله عضدك وفي ضده فت الله في عضدك ومعنى سنشد
عضدك باخيك سنقويك به ونعينك فاما ان يكون ذلك لان اليد تشتد بشدة العضد
والجملة تقوى بشدة اليد على مزاولة الامور واما لان الرجل شبه باليد في اشتدادها باشتداد
العضد فجعل كانه يد مشتدة بعضد شديدة سلطانا غلبة وتسلطا او حجة واضحة بآياتنا
متعلق بنحو ما تعلق به في تسع آيات اي اذهبا بآياتنا او بنجعل لكما سلطانا اي نسلطكما بآياتنا
او بلا يصلون اي تمتنعون منهم بآياتنا او هو بيان للغالبون لا صلة لامتناع تقدم الصلة
على الموصول ولو تأخر لم يكن الا صلة له ويجوز ان يكون قسما جوابه لا يصلون مقدما عليه او من
لغو القسم سحر مفترى سحر تعمله انت ثم تفتريه على الله او سحر ظاهر افتراؤه او موصوف بالافتراء كسائر
انواع السحر وليس بمعجزة من عند الله في آبائنا حال منصوبة عن هذا اي كائنا في زمانهم وايامهم يريد
ما حدثنا بكونه فيهم فلا يخلو من ان يكونوا كاذبين في ذلك وقد سمعوا وعلموا بنحوه او يريدوا
انهم لم يسمعوا بمثله في فظاعته او ما كان الكهان يخبرون بظهور موسى ومجيئه بما جاء به وهذا دليل انهم
حجوا وبهتوا وما وجدوا ما يدفعون به ما جاءهم من الآيات الا قولهم هذا سحر وبدعة لم يسمعوا بمثلها قول

ربي اعلم منكم بحال من اهله الله للفلاح الاعظم حيث جعله نبيا وبعثه بالهدى ووعده حسنى
العقبى يعني نفسه ولو كان كما يزعمون كاذبا ساحرا مفتريا لما اهله لذلك لانه غني حكيم لا يرسل
الكاذبين ولا ينبئ الساحرين ولا يفلح عنده الظالمون وعاقبة الدار هي العاقبة المحمودة كما
والدليل قوله تعالى اولئك لهم عقبى الدار جنات عدن وقوله وسيعلم الكافر لمن عقبى الدار
والمراد بالدار الدنيا وعاقبتها وعقباها ان يختم للعبد بالرحمة والرضوان وتلقي الملائكة بالبشرى
عند الموت **فان قلت** العاقبة المحمودة والمذمومة كلتاهما يصح ان يسمى عاقبة الدار لان
الدنيا اما ان يكون خاتمتها بخير او بشر فلم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون خاتمتها
بالشر **قلت** قد وضع الله سبحانه الدنيا مجازا الى الآخرة واراد بعباده ان لا يعملوا فيها
الا الخير وما خلقهم الا لاجله ليتلقوا خاتمة الخير وعاقبة الصدق ومن عمل فيها خلاف ما وضعها
الله له فقد حرف فاذن عاقبتها الاصلية هي عاقبة الخير واما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانها
من نتائج تحريف الفجار وقرأ ابن كثير قال موسى بغير واو على ما في مصاحف اهل مكة وهي قراءة حسنة
لان الموضع موضع سؤال وبحث عما جاءهم به موسى عند تسميتهم مثل تلك الآيات الباهرة
سحرا مفترى ووجه الاخرى انهم قالوا ذلك وقال موسى هذا ليوازن الناظر بين القول والمقول
ويتبصر فساد احدهما وصحة الآخر وبضدها تتبين الاشياء وقرئ يكون بالياء روي انه
لما امر ببناء الصرح جمع هامان العمال حتى اجتمع خمسون الف بناء سوى الاتباع والاجراء
وامر بطبخ الآجر والجص ونجر الخشب وضرب المسامير فشيدوه حتى بلغ ما لم يبلغه بنيان
احد من الخلق وكان الباني لا يقدر ان يقوم على رأسه يبني فبعث الله جبريل عند غروب الشمس
فضربه بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقعت قطعة على عسكر فرعون فقتلت الف الف رجل ووقعت
قطعة في البحر وقطعة في المغرب ولم يبق احد من عماله الا قد هلك ويروى في هذه القصة ان

فرعون

فرعون ارتقى فوقه فرمى بنشابة نحو السماء فاراد الله ان يفتنهم فردت اليه وهي ملطوخة بالدم فقال
قد قتلت اله موسى فعندها بعث الله جبريل لهدمه والله اعلم بصحته قصد بنفي علمه باله غيره نفي
وجوده معناه ما لكم من اله غيري كما قال عز وجل قل اتنبئون الله بما لا يعلم في السموات ولا في
الارض معناه بما ليس فيهن وذلك لان العلم تابع للمعلوم لا يتعلق به الا على ما هو عليه فاذا
كان الشيء معدوما لم يتعلق به موجودا فمن ثم كان انتفاء العلم بوجوده لانتفاء وجوده وعبر عن
انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره غير معلوم عنده
ولكنه مظنون بدليل قوله واني لاظنه من الكاذبين واذا ظن موسى كاذبا في اثباته الها
غيره ولم يعلمه كاذبا فقد ظن ان في الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول ظانا ظنا كاليقين بل
عالما بصحة قول موسى عليه السلام لقول موسى له لقد علمت ما انزل هؤلاء الا رب السماوات و
الارض لما تكلف ذلك البنيان العظيم ولما تعب في بنائه ما تعب لعله يطلع بزعمه الى اله
موسى وان كان جاهلا مفرطا في الجهالة وسفاهة حيث حسب انه في مكان كما كان هو في مكان
وانه يطلع اليه كما كان يطلع اليه اذا قعد في عليته وانه ملك السماء كما انه ملك الارض ولا ترى
بينة اثبت شهادة على افراط جهله وغباوته وجهل ملائه وغباوتهم من انهم راموا نيل اسباب
صفة بينة والعائد محذوف اي اثبتها قوله شهادة منصوب على انه مفعول له
السماوات بصرح يبنونه وليت شعري اكان يلبس على اهل بلاده ويضحك من عقولهم حيث
صادفهم اغبى الناس واخلاهم من الفطن واشبههم بالبهائم بذلك ام كان في نفسه بتلك الصفة
وان صح ما حكي من رجوع النشابة اليه ملطوخة بالدم فتهكم به بالفعل كما جاء التهكم بالقول في
غير موضع من كتاب الله بنظرائه من الكفرة ويجوز ان يفسر الظن على القول الاول باليقين كقوله فقلت
لهم ظنوا بالفي مدجج ويكون بناء الصرح مناقضة لما ادعاه من العلم واليقين وقد خفيت على قومه
لغباوتهم وبلههم او لم تخف عليهم ولكن كلا كان يخاف على نفسه سوطه وسيفه وانما قال ان

اوقد لي يا هامان على الطين ولم يقل اطبخ لي الآجر واتخذه لانه اول من عمل الآجر فهو يعلمه الصنعة
ولان هذه العبارة احسن طباقا لفصاحة القران وعلو طبقته واشبه بكلام الجبابرة وامر هامان
وهو وزيره ورديفه بالايقاد على الطين منادى باسمه بيا في وسط الكلام دليل التعظيم والتجبر
وعن عمر رضي الله عنه انه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر قال ما علمت ان احدا
بنى بالآجر غير فرعون والطلوع والاطلاع الصعود يقال طلع الجبل واطلع بمعنى الاستكبار بالحق
انما هو لله عز وجل وهو المتكبر على الحقيقة اي المبالغ في كبرياء الشان قال رسول الله صلى الله عليه
وهو المتكبر فيما حكى عن ربه الكبرياء ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته
في النار وكل مستكبر سواه فاستكباره بغير الحق يرجعون بالضم والفتح فاخذناه وجنوده فنبذناهم
في اليم من الكلام المفخم الذي دل به على عظمة شانه وكبرياء سلطانه شبههم استحقارا لهم واستقلالا
لعددهم وان كانوا الكثير الكثير والجم الغفير بحصيات اخذهن آخذ في كفه فطرحهن في البحر
ونحو ذلك قوله وجعلنا فيها رواسي شامخات وحملت الارض والجبال فدكتا دكة واحدة وما قدروا الله
حق قدره والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه وما هي الا تصويرات
وتمثيلات لاقتداره وان كل مقدور وان عظم وجل فهو مستصغر الى جنب قدرته **فان قلت**
ما معنى قوله وجعلناهم ائمة يدعون الى النار **قلت** معناه ودعوناهم ائمة دعاة الى النار
وقلنا انهم ائمة دعاة الى النار كما يدعى خلفاء الحق ائمة دعاة الى الجنة وهو من قولك جعله
بخيلا وفاسقا اذا دعاه وقال انه بخيل وفاسق ويقول اهل اللغة في تفسير فسقه وبخله جعله
بخيلا وفاسقا ومنه قوله تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن اناثا ومعنى دعوتهم الى
النار دعوتهم الى موجباتها من الكفر والمعاصي ويوم القيامة لا ينصرون كما ينصر الائمة الدعاة
الى الجنة ويجوز خذلناهم حتى كانوا ائمة الكفر ومعنى الخذلان منع الالطاف وانما يمنعها من

وجعلنا

علم انها لا تنفع فيه وهو المصمم على الكفر الذي لا تغني عنه الآيات والنذر ومجراه مجرى الكناية
لان منع الالطاف يردف التصميم والغرض بذكره التصميم نفسه فكانه قيل صمموا على الكفر
حتى كانوا ائمة فيه دعاة اليه والى سوء عاقبته **فان قلت** واي فائدة في ترك المردوف الى
الرادفة **قلت** ذكر الرادفة يدل على وجود المردوف فيعلم وجود المردوف مع الدليل
الشاهد بوجوده فيكون اقوى لاثباته من ذكره الا ترى انك تقول لولا انه مصمم على الكفر
مقطوع امره مبتوت حكمه لما منعت منه الالطاف فذكر منع الالطاف يحصل العلم بوجود التصميم
على الكفر وزيادة وهو قيام الحجة على وجوده وينصر هذا الوجه قوله ويوم القيامة لا ينصرون كانه
قيل وخذلناهم في الدنيا وهم يوم القيامة مخذولون كما قال واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة
اي طردا وابعادا عن الرحمة ويوم القيامة هم من المقبوحين اي من المطرودين المبعدين
بصائر نصب على الحال والبصيرة نور القلب الذي يستبصر به يريد آتيناه التوراة انوارا
للقلوب لانها كانت عميا لا تستبصر ولا تعرف حقا من باطل وارشادا لانهم كانوا يخبطون
في ضلال ورحمة لانهم لو عملوا بها وصلوا الى نيل الرحمة لعلهم يتذكرون ارادة ان يتذكروا
شبهت الارادة بالترجي فاستعير لها ويجوز ان يراد به ترجي موسى لتذكرهم كقوله لعله يتذكر
الغربي المكان الواقع في شق الغرب وهو المكان الذي وقع فيه ميقات موسى من الطور
وكتب الله له في الالواح والامر المقضي الى موسى الوحي الذي اوحي اليه والخطاب لرسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول وما كنت حاضر المكان الذي اوحينا فيه الى موسى ولا كنت
من جملة الشاهدين للوحي اليه او على الوحي اليه وهم نقباؤه الذين اختارهم للميقات حتى تقف
من جهة المشاهدة على ما جرى من امر موسى في ميقاته وكتبة التوراة له في الالواح وغير ذلك
فان قلت كيف يتصل قوله ولكنا انشانا قرونا بهذا الكلام ومن اي وجه يكون استدراكا له

كان البصر نور العين الذي تبصر به

لعله ح

قلت اتصاله وكونه استدراكا من حيث ان معناه ولكنا انشانا بعد عهد الوحي الى
عهدك قرونا كثيرة فتطاول على اخرهم وهو القرن الذي انت فيهم العمر اي امد انقطاع الوحي
واندرست العلوم فوجب ارسالك اليهم فارسلناك وكسبناك العلم بقصص الانبيا وقصة موسى
كانه قال وما كنت شاهدا لموسى وما جرى عليه ولكنا اوحيناه اليك فذكر سبب الوحي
الذي هو اطالة الفترة ودل به على المسبب على عادة الله في اختصاراته فاذن هذا الاستدراك
شبيه الاستدراكين بعده وما كنت ثاويا اي مقيما في اهل مدين وهم شعيب والمومنون تتلو
عليهم اياتنا تقراها عليهم تعلما منهم يريد الايات التي فيها قصة شعيب وقومه ولكنا ارسلناك
واخبرناك بها وعلمناكها اذ نادينا يريد مناداة موسى ليلة المناجاة وتكليمه ولكن علمناك
رحمة وقرى رحمة بالرفع اي هي رحمة ما اتاهم من نذير في زمان الفترة بينك وبين عيسى وهو
خمسمائة وخمسون سنة ونحوه قوله لتنذر قوما ما انذر اباوهم لولا الاولى امتناعية وجوابها
محذوف والثانية تحضيضية واحدى الفاءين للعطف والاخرى جواب لولا لكونها في حكم
الامر من قبل ان الامر باعث على الفعل والباعث والمحضض من واد واحد والمعنى ولولا انهم قائلون
اذا عوقبوا بما قدموا من الشرك والمعاصي هلا ارسلت الينا رسولا محتجين بذلك علينا
لما ارسلنا اليهم يعني ان ارسال الرسول اليهم انما هو ليلزموا الحجة ولا يلزموها كقوله لئلا
يكون للناس على الله حجة بعد الرسل ان تقولوا ما جانا من بشير ولا نذير لولا ارسلت الينا
رسولا فنتبع اياتك فان قلت كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب
في الارسال لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه قلت القول هو المقصود بان
يكون سببا لارسال الرسل ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها
جعلت العقوبة كانها سبب الارسال بواسطة القول فادخلت عليها لولا وجي بالقول معطوفا

عليها

١٦٥

عليها بالفاء المعطية معنى السببية ويوول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا اصابتهم مصيبة
لما ارسلنا ولكن اختيرت هذه الطريقة لنكتة وهي انهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد
عاينوا ما الجاوا به الى العلم اليقين لم يقولوا لولا ارسلت الينا رسولا وانما السبب في قولهم هذا
هو العقاب لا غير لا التاسف على ما فاتهم من الايمان بخالقهم وفي هذا من الشهادة القوية على
استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى كقوله تعالى ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه ولما كانت
اكثر الاعمال تزاول بالايدي جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الايدي وتقديم الايدي و
ان كان من اعمال القلوب وهذا من الاتساع في الكلام وتصيير الاقل تابعا للاكثر وتغليب
الاكثر على الاقل فلما جاءهم الحق وهو الرسول المصدق بالكتاب المعجز مع ساير المعجزات وقطعت
معاذيرهم وسد طريق احتجاجهم قالوا لولا اوتي مثل ما اوتي موسى من الكتاب المنزل جملة
واحدة ومن قلب العصا حية وفلق البحر وغيرها من الايات فجاوا بالاقتراحات المبنية
على التعنت والعناد كما قالوا لولا انزل عليه كنز او جاء معه ملك وما اشبه ذلك اولم يكفروا يعني
ابناء جنسهم ومن مذهبهم مذهبهم وعنادهم عنادهم وهم الكفرة في زمن موسى بما اوتي موسى
وعن الحسن رحمه الله قد كان للعرب اصل في ايام موسى فمعناه على هذا اولم يكفر اباوهم
قالوا في موسى وهرون ساحران تظاهرا اي تعاونا وقرى اظّاهرا على الادغام وسحران بمعنى
ذوا سحر او جعلوهما سحرين مبالغة في وصفهما بالسحر او ارادوا نوعان من السحر بكل واحد
منهما فان قلت بم علقت قوله من قبل في هذا التفسير قلت باولم يكفروا ولي ان
اعلقه باوتي فينقلب المعنى الى ان اهل مكة الذين قالوا هذه المقالة كما كفروا بمحمد
صلى الله عليه وسلم وبالقران فقد كفروا بموسى وبالتوريه وقالوا في موسى ومحمد عليهما السلام
ساحران تظاهرا او في الكتابين سحران تظاهرا وذلك حين بعثوا الرهط الى روسا اليهود بالمدينة

يسالونهم عن محمد عليه السلم واخبروهم انه نعته وصفته وانه في كتابهم فرجع الرهط
الى قريش فاخبروهم بقول اليهود فقالوا عند ذلك ساحران تظاهرا اهدى منهما مما انزل
على موسى ومما انزل على هذا الشرط من نحو ما ذكرت انه شرط المدل بالامر المتحقق لا مجال فيه للشك
ويجوز ان يقصد بحرف الشك التهكم بهم **فان قلت** ما الفرق بين فعل الاستجابة في الاية
وبينه في قوله فلم يستجبه عند ذاك مجيب حيث عدى بغير اللام **قلت** هذا الفعل يتعدى
الى الدعاء بنفسه والى الداعي باللام ويحذف الدعاء اذا عدى الى الداعي في الغالب فيقال استجاب الله
دعاءه او استجاب له ولا يكاد يقال استجاب له دعاءه واما البيت فمعناه فلم يستجب دعاءه
على حذف المضاف **فان قلت** فالاستجابة تقتضي دعاء ولا دعاء ههنا **قلت** قوله
فأتوا بكتاب امر بالاتيان والامر بعث على الفعل ودعاء اليه فكانه قال فان لم يستجيبوا دعاءك
الى الاتيان بالكتاب الاهدى فاعلم انهم قد الزموا ولم تبق لهم حجة الا اتباع الهوى ثم قال
ومن اضل ممن لا يتبع في دينه الا الهوى بغير هدى من الله اي مطبوعا على قلبه ممنوع الالطاف
ان الله لا يهدي اي لا يلطف بالقوم الثابتين على الظلم الذين اللطف بهم عابث وقوله بغير
هدى في موضع الحال يعني مخذولا مخلى بينه وبين هواه قرئ وصلنا بالتشديد والتخفيف
والمعنى ان القرآن اتاهم متتابعا متواصلا وعدا ووعيدا وقصصا وعبرا ومواعظ ونصائح
ارادة ان يتذكروا فيفلحوا او نزل عليهم نزولا متصلا بعضه في اثر بعض كقوله وما ياتيهم من ذكر
من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين نزلت في مؤمني اهل الكتاب وعن رفاعة بن قرظة
نزلت في عشرة انا احدهم وقيل في اربعين من مسلمي اهل الانجيل اثنان وثلاثون جاؤا مع جعفر
من ارض الحبشة وثمانية من الشام والضمير في من قبله للقرآن **فان قلت** اي فرق بين الاستئنافين
انه وانا **قلت** الاول تعليل للايمان به لان كونه حقا من الله حقيق بان يؤمن به والثاني

لصحته لان امتناع الاتيان بكتاب اهدى من الكتابين امر معلوم متحقق صح

بيان

١٦٦

بيان لقوله آمنا به لانه يحتمل ان يكون ايمانا قريب العهد وبعيده فاخبروا ان ايمانهم به
متقادم لان اباءهم القدماء قرءوا في الكتب الاول ذكره وابناءهم من بعدهم من قبله من قبل
وجوده ونزوله مسلمين كائنين على دين الاسلام لان صفة كل موحد مصدق للوحي بما صبروا
بصبرهم على الايمان بالتورية والايمان بالقرآن او بصبرهم على الايمان بالقرآن قبل نزوله وبعد
نزوله او بصبرهم على اذى المشركين واهل الكتاب ونحوه يؤتكم كفلين من رحمته بالحسنة السيئة
بالطاعة المعصية المتقدمة او بالحلم الاذى سلام عليكم توديع ومتاركة وعن الحسن كلمة حلم من
المؤمنين لا نبتغي الجاهلين لا نريد مخالطتهم وصحبتهم **فان قلت** من خاطبوا بقولهم ولكم
اعمالكم **قلت** اللاغين الذين دل عليهم قوله واذا سمعوا اللغو لا تهدي من احببت لا تقدر
ان تدخل في الاسلام كل من احببت ان يدخل فيه من قومك وغيرهم لانك عبد لا تعلم المطبوع على
قلبه من غيره ولكن الله يدخل في الاسلام من يشاء وهو الذي علم انه غير مطبوع على قلبه وان الالطاف
تنفع فيه فيقرن به الطافه حتى تدعوه الى القبول وهو اعلم بالمهتدين بالقابلين من الذين لا يقبلون
قال الزجاج اجمع المسلمون على انها نزلت في ابي طالب وذلك ان ابا طالب قال عند موته
يا معشر بني هاشم اطيعوا محمدا وصدقوه تفلحوا وترشدوا فقال النبي صلى الله
عليه وسلم يا عم تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها لنفسك قال فما تريد يا ابن اخي قال اريد منك كلمة
واحدة فانك في آخر يوم من ايام الدنيا ان تقول لا اله الا الله اشهد لك بها عند الله قال يا ابن اخي قد
علمت انك لصادق ولكني اكره ان يقال خرع عند الموت ولولا ان يكون عليك وعلى بني ابيك
غضاضة ومسبة بعدي لقلتها ولاقررت بها عينك عند الفراق لما ارى من شدة وجدك
ونصيحتك ولكني سوف اموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وهاشم وعبد مناف قالت
قريش وقيل ان القائل الحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف نحن نعلم انك على الحق ولكنا نخاف

الاسلام

ان اتبعناك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن اكلة راس اي قليلون ان يتخطفونا من ارضنا فالقمهم الله
الحجر بانه مكن لهم في الحرم الذي آمنه بحرمة البيت وامن قطانه بحرمته وكانت العرب
في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتناحرون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبحرمة البيت هم
قارون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجبى اليهم من كل اوب فاذا خولهم الله ما خولهم
من الامن والرزق بحرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة اصنام فكيف يستقيم ان يعرضهم
للتخوف والتخطف ويسلبهم الامن اذا ضموا الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى اهل
الحرم حقيقة والى الحرم مجاز تجبى اليه تجلب وتجمع قرئ بالياء والتاء وقرئ تجنى بالنون
من الجنى وتعديته بالى كقولك يجنى الى فيه ويجنى الى الخافة وثمرات بضمتين وبضمة وسكون
ومعنى الكلية الكثرة كقوله واوتيت من كل شيء ولكن اكثرهم لا يعلمون متعلق بقوله من لدنا اي قليل
منهم يقرون بان ذلك رزق من عند الله واكثرهم جهلة لا يعلمون ذلك ولا يفطنون له ولو
علموا انه من عند الله لعلموا ان الخوف والامن من عنده ولما خافوا التخطف اذا آمنوا به وخلعوا
انداده فان قلت بم انتصب رزقا قلت ان جعلته مصدرا جاز ان ينتصب
بمعنى ما قبله لان معنى تجبى اليه ثمرات كل شيء ويرزق ثمرات كل شيء واحد وان يكون مفعولا له
وان جعلته بمعنى مرزوق كان حالا من الثمرات لتخصصها بالاضافة كما تنتصب عن النكرة المتخصصة
بالصفة هذا تخويف لاهل مكة من سوء عاقبة قوم كانوا في مثل حالهم من انعام الله عليهم بالرقود
في ظلال الامن وخفض العيش فغمطوا النعمة وقابلوها بالاشر والبطر فدمرهم الله وخرب ديارهم وانتصب
معيشتها اما بحذف الجار وايصال الفعل كقوله واختار موسى قومه واما على الظرف بنفسه كقولك
زيد ظني مقيم او بتقدير حذف الزمان المضاف اصله بطرت ايام معيشتها كخفوق النجم ومقدم
الحاج واما بتضمين بطرت معنى كفرت وغمطت وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحفظ حق الله

فيه

١٦٧

فيه الا قليلا من السكنى قال ابن عباس لم يسكنها الا المسافر ومار الطريق يوما او ساعة ويحتمل ان
شؤم معاصي المهلكين بقي اثره في ديارهم فكل من سكنها من اعقابهم لم يبق فيها الا قليلا وكنا نحن
الوارثين لتلك المساكن من ساكنيها اي تركناها على حال لا يسكنها احد او خربناها وسويناها
بالارض تتخلف الآثار عن اصحابها حينا ويدركها الفناء وتمتع وما كانت عادة ربك ان يهلك
القرى في كل وقت حتى يبعث في القرية التي هي امها اي اصلها وقصبتها التي هي اعمالها و
توابعها رسولا لالزام الحجة وقطع المعذرة مع علمه انهم لا يؤمنون او وما كان في حكم الله وسابق
قضائه ان يهلك القرى في الارض حتى يبعث في ام القرى يعني مكة رسولا وهو محمد صلى الله
عليه وسلم خاتم الانبياء وقرئ امها بضم الهمزة وكسرها لاتباع الجر وهذا بيان لعدله و
تقدسه عن الظلم حيث اخبر بانه لا يهلكهم الا اذا استحقوا الاهلاك بظلمهم ولا يهلكهم مع كونهم
ظالمين الا بعد تاكيد الحجة والالزام ببعثة الرسل ولا يجعل علمه باحوالهم حجة عليهم ونزه ذاته
ان يهلكهم وهم غير ظالمين كما قال وما كان ربك ليهلك القرى بظلم واهلها مصلحون فنص في
قوله بظلم انه لو اهلكهم وهم مصلحون لكان ذلك ظلما منه وان حاله في غناه وحكمته منا
فية للظلم دل على ذلك بحرف النفي مع لامه كما قال وما كان الله ليضيع ايمانكم واي شيء اصبتم
من اسباب الدنيا فما هو الا تمتع وزينة اياما قلائل وهي مدة الحيوة المتقضية وما عند الله و
هو ثوابه خير في نفسه من ذلك وابقى لان بقاءه دائم سرمد وقرئ يعقلون بالياء وهو ابلغ في
الموعظة وعن ابن عباس رضي الله عنه ان الله خلق الدنيا وجعل اهلها ثلثة اصناف المؤمن
والمنافق والكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع هذه الآية تقرير وايضاح للتي
قبلها والوعد الحسن الثواب لانه منافع دائمة على وجه التعظيم والاستحقاق واي شيء احسن منها
ولذلك سمى الله الجنة بالحسنى لاقيه كقوله ولقاهم نضرة وسرورا وعكسه فسوف يلقون غيا من المحضرين

من الذين احضروا النار ونحوه لكنت من المحضرين فكذبوه فانهم لمحضرون قيل نزلت في رسول الله
وابي جهل وقيل في علي وحمزة وابي جهل وقيل في عمار بن ياسر والوليد بن المغيرة **فان قلت**
فسّر الفائين وثم ولِمَ واخبرني عن مواقعها **قلت** قد ذكر في الاية التي قبلها متاع الحيوة لم
الدنيا وما عند الله وتفاوتهما ثم عقبه بقوله افمن وعدناه على معنى ابعد هذا التفاوت الظاهر
يسوى بين ابناء الاخرة وابناء الدنيا فهذا معنى الفاء الاولى وبيان موقعها واما الثانية فللتسبيب
لان لقاء الموعود مسبب عن الوعد الذي هو الضمان في الخبر واما ثم فلتراخي حال الاحضار
عن حال التمتيع لا للتراخي في الوقت وقرئ ثم هو بسكون الهاء كما قيل عضد في عضد
تشبيها للمنفصل بالمتصل وسكون الهاء في فهو وهو ولهو احسن لان الحرف الواحد لا ينطق به
وحده فهو كالمتصل شركائي مبني على زعمهم وفيه تهكم **فان قلت** زعم يطلب مفعولين
كقوله ولم ازعمك عن ذاك معزلا فاين هما **قلت** محذوفان تقديره الذين كنتم
تزعمونهم شركائي ويجوز حذف المفعولين في باب ظننت ولا يصح الاقتصار على احدهما الذين
حق عليهم القول الشياطين او ائمة الكفر ورؤسه ومعنى حق عليهم القول وجب عليهم مقتضاه
وثبت وهو قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين وهؤلاء مبتدا والذين اغوينا صفته
والراجع الى الموصول محذوف واغويناهم الخبر والكاف صفة مصدر محذوف تقديره
اغويناهم فغووا غيا مثل ما غوينا يعنون انا لم نغو الا باختيارنا لا ان فوقنا مغوين اغوونا
بقسر منهم والجاء او دعونا الى الغي وسولوه لنا فهؤلاء كذلك غووا باختيارهم لان اغواءنا لهم
لم يكن الا وسوسة وتسويلا لا قسرا والجاء فلا فرق اذن بين غينا وغيهم وان كان تسويلنا
داعيا لهم الى الكفر فقد كان في مقابلته دعاء الله لهم الى الايمان بما وضع فيهم من ادلة العقل
وما بعث اليهم من الرسل وانزل عليهم من الكتب المشحونة بالوعد والوعيد والمواعظ والزواجر

وناهيك

١٦٨

وناهيك بذلك صارفا عن الكفر وداعيا الى الايمان وهذا معنى ما حكاه الله عن الشيطان
ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فاخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم
فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا انفسكم والله عز وجل قدّم هذا المعنى اول شيء حيث
قال لابليس ان عبادي ليس لك عليهم سلطان الا من اتبعك من الغاوين تبرانا اليك
منهم ومما اختاروه من الكفر بانفسهم هوى منهم للباطل ومقتا للحق لا بقوة منا على استكراههم
ولا سلطان ما كانوا ايانا يعبدون انما كانوا يعبدون اهواءهم ويطيعون شهواتهم و
اخلاء الجملتين من العاطف لكونهما مقررتين لمعنى الجملة الاولى لو انهم كانوا يهتدون
لوجه من وجوه الحيل يدفعون به العذاب او لو انهم كانوا مهتدين مؤمنين لما راوه او تمنوا
لو كانوا مهتدين او تحيروا عند رؤيته وسدروا فلا يهتدون طريقا حكى اولا ما يوبخهم
به من اتخاذهم له شركاء ثم ما يقوله الشياطين او ائمتهم عند توبيخهم لانهم اذا وبخوا بعبادة
الالهة اعتذروا بان الشياطين هم الذين استغووهم وزينوا لهم عبادتها ثم ما يشبه الشماتة
بهم من استغاثتهم الهتهم وخذلانهم لهم وعجزهم عن نصرتهم ثم ما يبكتون به من الاحتجاج
عليهم بارسال الرسل وازاحة العلل فعميت عليهم الانباء فصارت الانباء كالعمى عليهم
جميعا لا تهتدي اليهم فهم لا يتساءلون لا يسال بعضهم بعضا كما يتساءل الناس في المشكلات لانهم
يتساوون جميعا في عمى الانباء عليهم والعجز عن الجواب وقرئ فعمّيت والمراد بالنبا الخبر
عما اجاب به المرسل اليه رسوله واذا كانت الانبياء لهول ذلك اليوم يتتعتعون في الجواب
عن مثل هذا السؤال ويفوضون الامر الى علم الله وذلك قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل فيقول ماذا
اجبتم قالوا لا علم لنا انك انت علام الغيوب فما ظنك بالضلال من اممهم فاما من تاب من المشركين
من الشرك وجمع بين الايمان والعمل الصالح فعسى ان يفلح عند الله وعسى من الكرام تحقيق ويجوز

ان يراد ترجي التايب وطمعه كانه قال فليطمع ان يفلح الجنبو من المخبر كالطيرة من التطير
يستعمل بمعنى المصدر التخير وبمعنى المتخير كقولهم محمد خيرة الله من خلقه ما كان لهم
الخيرة بيان لقوله ويختار لان معناه ويختار ما يشاء ولهذا لم يدخل العاطف والمعنى ان الخيرة
لله في افعاله وهو اعلم بوجوه الحكمة فيها ليس لاحد من خلقه ان يختار عليه قيل السبب فيه قول
الوليد بن المغيرة لولا نزل هذا القران على رجل من القريتين عظيم يعني لا يبعث الله الرسل
باختيار المرسل اليهم وقيل معناه ويختار الذي لهم فيه الخيرة اي يختار للعباد ما هو خير لهم
واصلح وهو اعلم بمصالحهم من انفسهم من قولهم في الامرين ليس فيهما خيرة لمختار **فان قلت**
فاين الراجع من الصلة الى الموصول اذا جعلت ما موصولة **قلت** اصل الكلام ما كان
لهم فيه الخيرة فحذف فيه كما حذف منه في قوله ان ذلك من عزم الامور لانه مفهوم سبحان الله
اي الله بريء من اشراكهم وما يحملهم عليه من الجراءة على الله واختيارهم عليه ما لا يختار ما تكن صدورهم
من عداوة رسول الله وحسده وما يعلنون من مطاعنهم فيه وقولهم هلا اختير عليه غيره في
النبوة وهو الله وهو المستاثر بالالهية المختص بها ولا اله الا هو تقرير لذلك كقولك الكعبة
القبلة لا قبلة الا هي **فان قلت** الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الاخرة **قلت** هو
قولهم الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وقيل الحمد
لله رب العالمين والتحميد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح
والتقديس وله الحكم القضاء بين عباده ارايتم وقرئ ارايتم بحذف الهمزة وليس بحذف قياسي
ومعناه اخبروني من يقدر على هذا والسرمد الدائم المتصل من السرد وهو المتابعة ومنه
قولهم في الاشهر الحرم ثلاثة سرد وواحد فرد والميم مزيدة ووزنه فعمل ونظيره دلامص من الدلاص
فان قلت هلا قيل بنهار تتصرفون فيه كما قيل بليل تسكنون فيه **قلت** ذكر الضياء

وهو

وهو الشمس لان المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة
ومن ثم قرن بالضياء افلا تسمعون لان السمع يدرك ما لا يدركه البصر من ذكر منافعه ووصف
فوائده وقرن بالليل افلا تبصرون لان غيرك يبصر من منفعة الظلام ما تبصره انت من السكون ونحوه
ومن رحمته زاوج بين الليل والنهار لاغراض ثلاثة لتسكنوا في احدهما وهو الليل ولتبتغوا من
من فضل الله في الاخر وهو النهار ولارادة شكركم وقد سلكت بهذه الاية طريقة اللف في تكرير التوبيخ
باتخاذ الشركاء ايذان بان لا شيء اجلب لغضب الله من الاشراك به كما لا شيء ادخل في مرضاته
من توحيده اللهم فكما ادخلتنا في اهل توحيدك فادخلنا في الناجين من وعيدك
ونزعنا واخرجنا من كل امة شهيدا وهو نبيهم لان انبياء الامم شهداء عليهم يشهدون بما كانوا
عليه فقلنا للامة هاتوا برهانكم فيما كنتم عليه من الشرك ومخالفة الرسول فعلموا حينئذ ان الحق
لله ولرسوله لا لهم ولشياطينهم وضل عنهم وغاب عنهم غيبة الشيء الضائع ما كانوا يفترون من
الباطل والكذب قارون اسم اعجمي مثل هرون ولم ينصرف للعجمة والتعريف ولو كان فاعولا
من قرن لانصرف وقيل معنى كونه من قومه انه آمن به وقيل وكان اسرائيليا ابن عم لموسى
هو قارون بن يصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى بن عمران بن قاهث وقيل كان
كان موسى ابن اخيه وكان يسمى المنور لحسن صورته وكان اقرا بني اسرائيل للتوراة ولكنه
نافق كما نافق السامري وقال اذا كانت النبوة لموسى والمذبح والقربان الى هرون فما لي وروي انه لما
جاوز بهم موسى البحر وصارت الرسالة والحبورة لهرون يقرب القربان ويكون راسا فيهم وكان
كان القربان الى موسى فجعله موسى الى اخيه وجد قارون في نفسه وحسدهما فقال لموسى الامر لكما
ولست على شيء الى متى اصبر قال موسى هذا صنع الله قال والله لا اصدقك حتى تاتي باية فامر رؤساء
بني اسرائيل ان يجيء كل واحد بعصا فحزمها والقاها في القبة التي كان الوحي ينزل عليه فيها وكانوا

يحرسون عصيهم بالليل فاصبحوا واذا بعصى هرون تهتز ولها ورق اخضر وكانت من شجر اللوز
فقال قارون ما هو باعجب مما تصنع من السحر فبغى عليهم من البغي وهو الظلم قيل ملّكه فرعون على بني
اسرائيل فظلمهم وقيل من البغي وهو الكبر والبذخ تبذخ عليهم بكثرة ماله وولده وقيل زاد عليهم
في الثياب شبرا المفاتح جمع مفتح بالكسر وهو ما يفتح به وقيل هي الخزائن وقياس واحدها مفتح
بالفتح ويقال ناء به الحمل اذا اثقله حتى اماله والعصبة الجماعة الكثيرة والعصابة مثلها واعصوصبوا
اجتمعوا وقيل كانت تحمل مفاتيح خزائنه ستون بغلا لكل خزانة مفتاح ولا يزيد المفتاح على اصبع
وكانت من جلود قال ابو رزين يكفي الكوفة مفتاح وقد بولغ في ذكر ذلك بلفظ الكنوز والمفاتح
والنوء والعصبة واولي القوة وقرأ بديل بن ميسرة لينوء بالياء ووجهه ان يفسر المفاتح بالخزائن و
يعطيها حكم ما اضيفت اليه للملابسة والاتصال كقولك ذهبت اهل اليمامة ومحل اذ منصوب
بتنوء لا تفرح كقوله ولا تفرحوا بما اتاكم وقول القائل ولست بمفراح اذا الدهر سرني وذلك انه لا
يفرح بالدنيا الا من رضي بها واطمأن فاما من قلبه الى الاخرة ويعلم انه مفارق ما فيه عن قريب
لم تحدثه نفسه بالفرح وما احسن ما قال القائل اشد الغم عندي في سرور تيقن عنه صاحبه انتقالا
وابتغ فيما اتاك الله من الغنى والثروة الدار الاخرة بان تفعل فيه افعال الخير من اصناف الواجب والمندوب
اليه ويجعله زادك الى الاخرة ولا تنس نصيبك وهو ان تأخذ ما يكفيك ويصلحك واحسن الى عباد الله كما اليك او احسن
احسن الله بشكرك وطاعتك لله كما احسن اليك والفساد في الارض ما كان عليه من الظلم والبغي وقيل
ان القائل موسى صلوات الله وقرئ واتبع على علم اي على استحقاق واستيجاب لما في من العلم
الذي فضلت به الناس وذلك انه كان اعلم بني اسرائيل بالتورية وقيل هو علم الكيميا عن سعيد
بن المسيب كان موسى عليه السلم يعلم علم الكيميا فافاد يوشع بن نون ثلثه وكالب بن يوقنا ثلثه
وقارون ثلثه فخدعهما قارون حتى اضاف علمهما الى علمه وكان يأخذ الرصاص والنحاس فيجعلهما

ذهبا وقيل علم الله موسى علم الكيميا فعلمه موسى لاخته فعلمته اخته قارون وقيل هو بصيرته بانواع
التجارة والدهقنة وساير المكاسب وقيل عندي معناه في ظني كما تقول الامر عندي كذا كانه قال
انما اوتيته على علم كقوله تعالى ثم اذا خولناه نعمة منا قال انما اوتيته على علم ثم زاد عندي اي هو
في ظني ورايي هكذا يجوز ان يكون اثباتا لعلمه بان الله قد اهلك من القرون قبله من هو اقوى منه
واغنى لانه قد قرأه في التورية واخبر به موسى وسمعه من حفاظ التواريخ والايام كانه قيل اولم يعلم
في جملة ما عنده من العلم هذا حتى لا يغتر بكثرة ماله وقوته ويجوز ان يكون نفيا لعلمه بذلك لانه
لما قال اوتيته على علم عندي فتنفخ بالعلم وتعظم به قيل اعنده مثل ذلك العلم الذي ادعاه
وراى نفسه به مستوجبة لكل نعمة ولم يعلم هذا العلم النافع حتى يقي به نفسه مصارع الهالكين
واكثر جمعا للمال او اكثر جماعة وعددا فان قلت ما وجه اتصال قوله ولا يسأل عن
ذنوبهم المجرمون بما قبله قلت لما ذكر قارون من اهلك من قبله من القرون الذين كانوا
اقوى منه واغنى قال على سبيل التهديد له والله مطلع على ذنوب المجرمين لا يحتاج الى سؤالهم
عنها واستعلامهم وهو قادر على ان يعاقبهم عليها كقوله والله خبير بما تعملون والله بما تعملون
عليم وما اشبه ذلك في زينته قال الحسن في الحمرة والصفرة وقيل خرج على بغلة شهباء عليه الارجوان
وعليها سرج من ذهب ومعه اربعة الاف على زيه وقيل عليهم وعلى خيولهم الديباج الاحمر وعن
يمينه ثلثمائة غلام وعن يساره ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والديباج وقيل في تسعين الفا عليهم
المعصفرات وهو اول يوم رؤي فيه المعصفر كان المتمنون قوما مسلمين وانما تمنوا على سبيل
الرغبة في اليسار والاستغناء كما هو عادة البشر وعن قتادة تمنوا ليتقربوا به الى الله وينفقوه في
سبيل الخير وقيل كانوا قوما كفارا الغابط هو الذي يتمنى مثل نعمة صاحبه من غير ان تزول عنه و
الحاسد هو الذي يتمنى ان تكون نعمة صاحبه له دونه فمن الغبطة قوله تعالى يا ليت لنا مثل

ما اوتي قارون ومن الحسد ولا تتمنوا ما فضل الله به بعضكم على بعض وقيل لرسول الله صلى الله عليه
وسلم هل يضر الغبط قال لا الا كما يضر العضاه الخبط والحظ الجد وهو البخت والدولة وصفوه
بانه رجل مجدود ومبخوت يقال فلان ذو حظ وحظيظ ومحظوظ وما الدنيا الا احاظ وجدود
ويلك اصله الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما لا يرتضى كما استعمل
لا ابا لك واصله الدعاء على الرجل بالاقراف في الحث على الفعل والراجع في ولا يلقاها للكلمة التي بالاقراف
تكلم بها العلماء او للثواب لانه في معنى المثوبة او الجنة او للسيرة والطريقة وهي الايمان والعمل
الصالح الصابرون على الطاعات وعن الشهوات وعلى ما قسم الله من القليل عن الكثير كان قارون
يؤذي نبي الله موسى كل وقت وهو يداريه للقرابة التي بينهما حتى نزلت الزكوة فصالحه
عن كل الف دينار على دينار وعن كل الف درهم على درهم فحسبه فاستكثره فشحت به
نفسه فجمع بني اسرائيل وقال ان موسى ارادكم على كل شيء وهو يريد ان ياخذ اموالكم فقالوا
انت كبيرنا وسيدنا فمر بما شئت قال نبرطل فلانة البغي حتى ترميه بنفسها فيرفضه بنو
اسرائيل فجعل لها الف دينار وقيل طستا من ذهب وقيل طستا من ذهب مملوة ذهبا
وقيل حكمها فلما كان يوم عيد قام موسى فقال يا بني اسرائيل من سرق قطعناه ومن افترى
جلدناه ومن زنى وهو غير محصن جلدناه وان احصن رجمناه فقال قارون وان كنت انت
قال وان كنت انا قال فان بني اسرائيل يزعمون انك فجرت بفلانة فاحضرت فناشدها
موسى بالذي فلق البحر وانزل التورية ان تصدق فتداركها الله فقالت كذبوا بل جعل لي
قارون جعلا على ان اقذفك بنفسي فخر موسى ساجدا يبكي وقال يا رب ان كنت رسولك فاغضب
لي فاوحى اليه ان مر الارض بما شئت فانها مطيعة لك فقال يا بني اسرائيل ان الله بعثني الى قارون
كما بعثني الى فرعون فمن كان معه فليلزم مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا جميعا غير رجلين

ثم قال

ثم قال يا ارض خذيهم فاخذتهم الى الركب ثم قال خذيهم فاخذتهم الى الاوساط ثم قال خذيهم
فاخذتهم الى الاعناق وقارون واصحابه يتضرعون الى موسى ويناشدونه بالله والرحم وموسى
لا يلتفت اليهم لشدة غضبه ثم قال خذيهم فانطبقت عليهم واوحى الله الى موسى ما افظك استغاثوا
بك مرارا فلم ترحمهم اما وعزتي لو اياي دعوا مرة واحدة لوجدوني قريبا مجيبا فاصبحت بنو
اسرائيل يتناجون بينهم انما دعا موسى على قارون ليستبد بداره وكنوزه فدعا الله حتى خسف
بداره وامواله من المنتصرين من المنتقمين من موسى او من الممتنعين من عذاب الله تعالى نصره
من عدوه فانتصر اي منعه منه فامتنع قد يذكر الامس ولا يراد به اليوم الذي قبل يومك ولكن
الوقت المستقرب على طريق الاستعارة مكانه منزلته من الدنيا وي عن كان وهي كلمة تنبه مفصولة
على الخطا وتندم ومعناه ان القوم قد تنبهوا على خطاهم في تمنيهم وقولهم يا ليت لنا مثل ما اوتي
قارون وتندموا ثم قالوا كانه لا يفلح الكافرون اي ما اشبه الحال بان الكافرين لا ينالون الفلاح
وهو مذهب الخليل وسيبويه قال ويكان من يكن له نشب يحبب ومن يفتقر يعش عيش ضر
وحكى الفراء ان اعرابية قالت لزوجها اين ابنك فقال ويكانه وراء البيت وعند الكوفيين
ان ويك بمعنى ويلك وان المعنى الم تعلم انه لا يفلح الكافرون ويجوز ان تكون الكاف كاف الخطاب
مضمومة الى وي كقوله ويك عنتر اقدم وانه بمعنى لانه واللام لبيان المقول لاجله هذا القول
او لانه لا يفلح الكافرون كان ذلك وهو الخسف بقارون ومن الناس من يقف على وي ويبتدي
كانه ومنهم من يقف على ويك وقرا الاعمش لولا من الله علينا وقرئ لخسف بنا وفيه ضمير الله ولا
نخسف بنا كقولك انقطع به ولتخسف بنا تلك تعظيم لها وتفخيم لشانها يعني تلك التي سمعت
بذكرها وبلغك وصفها ولم يعلق الموعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهما وميل القلوب
اليهما كما قال ولا تركنوا الى الذين ظلموا فعلق الوعيد بالركون وعن علي رضي الله عنه ان الرجل ليعجبه

ان يكون شراك نعله اجود من شراك نعل صاحبه فيدخل تحتها وعن الفضيل انه قراها ثم قال ذهبت الاماني
ها هنا وعن عمر بن عبد العزيز انه كان يرددها حتى قبض ومن الطماع من جعل العلو لفرعون
والفساد لقارون متعلقا بقوله ان فرعون علا في الارض ولا تبغ الفساد في الارض ويقول من لم يكن
مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا يتدبر قوله والعاقبة للمتقين كما تدبره علي والفضيل
وعمر معناه فلا يجزون فوضع الذين عملوا السيئات موضع الضمير لان في اسناد عمل السيئة اليهم
مكررا فضل تهجين لحالهم وزيادة تبغيض للسيئة الى قلوب السامعين الا ما كانوا يعملون الا مثل
ما كانوا يعملون وهذا من فضله العظيم وكرمه الواسع ان لا يجزي السيئة الا بمثلها ويجزي الحسنة
بعشر امثالها وبسبعمائة وهو معنى قوله فله خير منها فرض عليك القرآن اوجب عليك تلاوته وتبليغه
والعمل بما فيه يعني ان الذي حملك صعوبة هذا التكليف لمثيبك عليها ثوابا لا يحيط به
الوصف ولرادك بعد الموت الى معاد اي معاد ليس لغيرك من البشر وتنكير المعاد لذلك
وقيل المراد به مكة ووجهه ان يراد رده اليها يوم الفتح ووجه تنكيره انها كانت في ذلك اليوم
معادا له شان ومرجعا له اعتداد لغلبة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقهره لاهلها ولظهور عز
الاسلام واهله وذل الشرك وحزبه منها ويعدك اليها ظاهرا ظافرا وقيل نزلت عليه حين بلغ
الجحفة في مهاجره وقد اشتاق الى مولده ومولد آبائه وحرم ابراهيم فنزل جبريل فقال اتشتاق
الى مكة قال نعم فاوحاها اليه **فان قلت** كيف اتصل قوله قل ربي اعلم بما قبله **قلت**
لما وعد رسوله الرد الى معاد قال قل للمشركين ربي اعلم من جاء بالهدى يعني نفسه وما
يستحقه من الثواب في معاده ومن هو في ضلال مبين يعنيهم وما يستحقونه من العقاب في
معادهم **فان قلت** قوله الا رحمة من ربك ما وجه الاستثناء فيه **قلت** هذا الكلام
محمول على المعنى كانه قيل وما القي عليك الكتاب الا رحمة من ربك ويجوز ان يكون الا بمعنى لكن للاستدراك

الى معاد

والسورة مكية وكان الله وعده وهو بمكة في اذى وغلبة من اهلها انه يهاجر به [illegible]

الكتاب

اي

اي ولكن لرحمة من ربك القي اليك وقرئ يصدنك من اصده بمعنى صده وهي في لغة كلب
وقال اناس اصدوا الناس بالسيف عنهم صدود السواقي عن انوف الحوائم بعد اذ انزلت اليك
بعد وقت انزاله واذ تضاف اليه اسماء الزمان كقولك حينئذ وليلتئذ ويومئذ وما اشبه ذلك
والنهي عن مظاهرة الكافرين ونحو ذلك من باب التهييج الذي سبق ذكره الا وجهه الا اياه والوجه يعبر به
عن الذات قال رسول الله صلى الله عليه من قرا طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق
موسى وكذب ولم يبق ملك في السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا ان
كل شيء هالك الا وجهه له الحكم واليه ترجعون

والوجه م

سورة العنكبوت مكية وهي تسع وستون آية

بسم الله الرحمن الرحيم الحسبان لا يصح تعليقه بمعاني المفردات ولكن بمضامين
الجمل الا ترى انك لو قلت حسبت زيدا وظننت الفرس لم يكن شيئا حتى تقول حسبت زيدا
عالما وظننت الفرس جوادا لان قولك زيد عالم او الفرس جواد كلام دال على مضمون فاردت الاخبار
عن ذلك المضمون ثابتا عندك على وجه الظن لا اليقين فلم تجد بدا في العبارة عن ثباته عندك
على ذلك الوجه من ذكر شطري الجملة مدخلا عليهما فعل الحسبان حتى يتم لك غرضك **فان قلت**
فاين الكلام الدال على المضمون الذي يقتضيه الحسبان في الآية **قلت** هو في قوله ان
يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون وذلك ان تقديره احسبوا تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا
فالترك اول مفعولي حسب ولقولهم آمنا هو الخبر واما غير مفتونين فتتمة الترك لانه من الترك
الذي هو بمعنى التصيير كقوله فتركته جزر السباع ينشنه الا ترى انك قبل المجيء بالحسبان تقدر
ان تقول تركهم غير مفتونين لقولهم آمنا على تقدير حاصل ومستقر قبل اللام **فان قلت** ان يقولوا

النوش التناول

دال م

الحسبان م

هو علة تركهم غير مفتونين وكيف يصح ان يكون خبر مبتداء **قلت** كما تقول خروجه لمخافه
الشر وضربه للتاديب وقد كان التاديب والمخافه في قولك خرجت مخافة الشر وضربته
تاديبا تعليلين وتقول ايضا حسبت خروجه لمخافة الشر وظننت ضربه للتاديب فتجعلهما مفعولين
كما جعلتهما مبتداء وخبرا والفتنه الامتحان بشدايد التكليف من مفارقه الاوطان ومجاهده
الاعداء وساير الطاعات الشاقه وهجر الشهوات والملاذ وبالفقر والقحط وانواع المصايب
في الانفس والاموال وبمصابرة الكفار على اذاهم وكيدهم وضرارهم والمعنى احسب الذين اجروا
كلمه الشهاده على السنتهم واظهروا القول بالايمان انهم يتركون لذلك غير ممتحنين بل يمتحنهم الله
بضروب المحن حتى يبلو صبرهم وثبات اقدامهم وصحة عقايدهم ونصوع نياتهم ليتميز
المخلص من غير المخلص والراسخ في الدين من المضطرب والمتمكن من العابد على حرف كما قال
لتبلون في اموالكم وانفسكم ولتسمعن من الذين اوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين اشركوا
اذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فان ذلك من عزم الامور وروى انها نزلت في ناس من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم قد جزعوا من اذى المشركين وقيل في عمار بن ياسر وكان يعذب
في الله وقيل في اناس اسلموا بمكه فكتب اليهم المهاجرون لا يقبل منكم اسلامكم حتى تهاجروا فخرجوا فتبعهم
المشركون فردوهم فلما نزلت كتبوا بها اليهم فخرجوا فاتبعهم المشركون فقاتلوهم فمنهم من قتل ومنهم
من نجا وقيل في مهجع بن عبد الله مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو اول قتيل من المسلمين يوم
بدر رماه عامر بن الحضرمي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد الشهداء مهجع وهو اول من يدعى
الى باب الجنة من هذه الامة فجزع عليه ابواه وامراته ولقد فتنا موصول بالحسب ولا يفتنون
كقولك الا يمتحن فلان وقد امتحن من هو خير منه يعني ان اتباع الانبياء قبلهم قد اصابهم من الفتن
والمحن نحو ما اصابهم او ما هو اشد منه فصبروا كما قال وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا

الاية

الاية وعن النبي صلى الله عليه وسلم قد كان من قبلكم يوخذ فيوضع المنشار على راسه فيفرق فرقتين
ما يصرفه ذلك عن دينه ويمشط بامشاط الحديد ما دون عظمه من لحم وعصب ما يصرفه ذلك
عن دينه فليعلمن الله بالامتحان الذين صدقوا في الايمان وليعلمن الكاذبين فيه **فان قلت**
كيف وهو عالم بذلك فيما لم يزل **قلت** لم يزل يعلمه معدوما ولا يعلمه موجودا الا اذا وجد
والمعنى وليتميزن الصادق منهم من الكاذب ويجوز ان يكون وعدا ووعيدا كانه قال وليثيبن
الذين صدقوا وليعاقبن الكاذبين وقرا امير المومنين علي بن ابي طالب رضي الله عنه والزهري
وليعلمن من الاعلام اي وليعرفنهم الله الناس من هم او ليسمنهم بعلامة يعرفون بها من بياض
الوجوه وسوادها وكحل العيون وزرقتها ان يسبقونا ان يفوتونا يعني ان الجزا يلحقهم لا محاله
وهم لم يطمعوا في الفوت ولم يحدثوا به نفوسهم ولكنهم لغفلتهم وقلة فكرهم في العاقبه واصرارهم
على المعاصي في صورة من يقدر ذلك ويطمع فيه ونظيره وما هم بمعجزين في الارض ولا يحسبن الذين
كفروا سبقوا انهم لا يعجزون **فان قلت** اي مفعولي حسب **قلت** اشتمال صلة ان على مسند ومسند
اليه سد مسد المفعولين كقوله ام حسبتم ان تدخلوا الجنة آن يضمن حسب معنى قدر وام
منقطعه ومعنى الاضراب فيها ان هذا الحسبان ابطل من الحسبان الاول لان ذاك يقدر انه
لا يمتحن لايمانه وهذا يظن انه لا يجازى بمساويه ساء ما يحكمون حكمهم هذا او بيس حكما يحكمونه حكمهم
هذا فحذف المخصوص بالذم لقاء الله مثل للوصول الى العاقبه من تلقي ملك الموت والبعث والحساب
والجزاء مثلت تلك الحال بحال عبد قدم على سيده بعد عهد طويل وقد اطلع مولاه على ما كان يأتي
ويذر فاما ان يلقاه ببشر وترحيب لما رضي من افعاله او بضد ذلك لما سخط منها فمعنى قوله من كان
يرجو لقاء الله من كان يامل تلك الحال وان يلقى فيها الكرامة من الله والبشرى فان اجل الله وهو الموت
لات لا محاله فليبادر العمل الصالح الذي يصدق رجاءه ويحقق امله ويكتسب به القربه عند الله والزلفى

ويجوز م

بيس الذي يحكمونه م

وهو السميع العليم الذي لا يخفى عليه شيء مما يقوله عباده ومما يفعلونه فهو حقيق بالتقوى والخشية
وقيل يرجو يخاف من قول الهذلي في صفة عسّال اذا لسعته الدبر لم يرج لسعها فان قلت
اجل الله لآت كيف وقع جوابا للشرط قلت اذا علم ان لقاء الله عنيت به تلك الحال
الممثلة والوقت الذي تقع فيه تلك الحال هو الاجل المضروب فكانه قال من كان يرجو لقاء الله
فان لقاء الله لآت لان الاجل واقع فيه اللقاء كما يقول من كان يرجو لقاء الملك فان الجمعة قريب
اذا علم انه يقعد للناس يوم الجمعة ومن جاهد نفسه في منعها ما تأمر به وحملها على ما تأباه فانما يجاهد
لها لان منفعة ذلك راجعة اليها وانما امر الله ونهى رحمة لعباده وهو الغني عنهم وعن طاعتهم
اما ان يريد قوما مسلمين صالحين قد اساؤا في بعض اعمالهم وسيئاتهم مغمورة بحسناتهم فهو يكفرها
عنهم اي يسقط عقابها بثواب الحسنات ويجزيهم احسن الذي كانوا يعملون اي احسن جزاء
اعمالهم واما قوما مشركين امنوا وعملوا الصالحات فالله عز وجل يكفر سيئاتهم بان يسقط عقاب
ما تقدم لهم من الكفر والمعاصي ويجزيهم احسن جزاء اعمالهم في الاسلام ووصى حكمه حكم امر في
معناه وتصرفه يقال وصيت زيدا بان يفعل خيرا كما تقول امرته بان يفعل ومنه بيت الاصلاح
وذبيانية وصت بنيها بان كذب القراطف والقروف كما لو قال امرتهم بان ينتهبوها ومنه
قوله تعالى ووصى بها ابرهيم بنيه اي وصاهم بكلمة التوحيد وامرهم بها وقولك وصيت زيدا بعمرو
ومعناه وصيته بتعهد عمرو ومراعاته ونحو ذلك وكذلك معنى قوله ووصينا الانسان بوالديه
حسنا ووصيناه بايتاء والديه حسنا او بايلاء والديه حسنا اي فعلا ذا حسن او ما هو في
ذاته حسن لفرط حسنه كقوله وقولوا للناس حسنا وقرئ حسنا واحسانا ويجوز ان يجعل حسنا
من باب قولك زيدا باضمار اضرب اذا رأيته متهيئا للضرب فتنصبه باضمار اولهما او افعل بهما
لان التوصية بهما دالة عليه وما بعده مطابق له كانه قال قلنا اولهما معروفا ولا تطعهما في الشرك

اذا حملاك عليه وعلى هذا التفسير ان وقف على بوالديه وابتدأ حسنا حسن الوقف وعلى
التفسير الاول لا بد من اضمار القول معناه وقلنا ان جاهداك ايها الانسان ما ليس لك به علم اي
لا علم لك بالاهيته والمراد بنفي العلم نفي المعلوم كانه قال لتشرك بي شيئا لا يصح ان يكون الها
ولا يستقيم وصاه بوالديه وامره بالاحسان اليهما ثم نهاه عن طاعتهما اذا ارادا على ما ذكر
على ان كل حق وان عظم ساقط اذا جاء حق الله وانه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق ثم قال
الي مرجعكم مرجع من آمن منكم ومن اشرك فلاجازينكم حق جزائكم وفيه شيئان احدهما ان الجزاء الي فلا تحدث
نفسك بجفوة والديك وعقوقهما لشركهما ولا تحرمهما برك ومعروفك في الدنيا كما اني لا امنعهما
رزقي والثاني التحذير من متابعتهما على الشرك والحث على الثبات والاستقامة في الدين
بذكر المرجع والوعيد روي ان سعد بن ابي وقاص الزهري حين اسلم قالت امه وهي حمنة بنت
ابي سفين بن امية بن عبد شمس يا سعد بلغني انك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح
والريح وان الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان احب ولدها اليها فابى سعد
وبقيت ثلثة ايام كذلك فجاء سعد الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه
الاية والتي في لقمن والتي في الاحقاف فامره رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يداريها ويترضاها بالاحسان
وروي انها نزلت في عياش بن ابي ربيعة المخزومي وذلك انه هاجر مع عمر بن الخطاب مترافقين
حتى نزلا المدينة فخرج ابو جهل بن هشام والحرث بن هشام اخواه لامه اسماء بنت مخرمة امرأة
من بني تميم من بني حنظلة فنزلا بعياش وقالا له ان من دين محمد صلة الارحام وبر الوالدين
وقد تركت امك لا تطعم ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي اشد حبا لك منا فاخرج معنا
وفتلا منه في الذروة والغارب فاستشار عمر فقال هما يخدعانك ولك علي ان اقسم مالي بيني
وبينك فما زالا به حتى اطاعهما وعصى عمر فقال عمر اما اذ عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير

يلحقها فان رابك منهم ريب فارجع فلما انتهوا الى البيداء قال ابو جهل ان ناقتي قد كلت فاحملني
معك قال نعم فنزل ليوطيها لنفسه وله فاخذاه وشداه وثاقا وجلده كل واحد منهما مائة جلدة
وذهبا به الى امه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت في الصالحين
في جملتهم والصلاح من ابلغ صفات المومنين وهو متمنى انبياء الله قال الله تعالى حكاية عن سليمان
وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين وقال في ابراهيم وانه في الاخرة لمن الصالحين او في مدخل
الصالحين وهي الجنة وهذا نحو قوله ومن يطع الله والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم الاية
هم ناس كانوا يومنون بالسنتهم فاذا مسهم اذى من الكفار وهو المراد بفتنة الناس كان ذلك
صارفا لهم عن الايمان كما ان عذاب الله صارف للمومنين عن الكفر او كما يجب ان يكون عذاب الله
صارفا واذا نصر الله المومنين وغنمهم اعترضوهم وقالوا انا كنا معكم اي متابعين لكم في دينكم ثابتين
عليه بثباتكم فاعطونا نصيبنا من المغنم ثم اخبر سبحانه انه اعلم بما في صدور
العالمين من العالمين بما في صدورهم ومن ذلك ما تكن صدور هولاء من النفاق وهذا اطلاع منه
للمومنين على ما ابطنوه ثم وعد المومنين واوعد المنافقين وقرى ليقولن بفتح اللام امروهم
باتباع سبيلهم وهي طريقتهم التي كانوا عليها في دينهم وامروا انفسهم بحمل خطاياهم فعطف الامر
على الامر وارادوا ليجتمع هذان الامران في الحصول ان تتبعوا سبيلنا وان نحمل خطاياكم
والمعنى تعليق الحمل بالاتباع وهذا قول صناديد قريش كانوا يقولون لمن آمن منهم لا نبعث نحن
ولا انتم فان عسى كان ذلك فانا نتحمل عنكم الاثم وترى في المتسمين بالاسلام من يستن باولئك
فيقول لصاحبه اذا اراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظايم افعل هذا واثمه في عنقي وكم
من مغرور بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ومنه ما يحكى ان ابا جعفر المنصور
رفع اليه بعض اهل الحشو حوايجه فلما قضاها قال يا امير المومنين بقيت الحاجة العظمى قال

وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال له عمرو بن عبيد رحمه الله اياك وهولاء فانهم قطاع
الطريق في المامن **فان قلت** كيف سماهم كاذبين وانما ضمنوا شيئا علم الله انهم لا يقدرون
على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لانه
في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه **قلت** شبه الله
حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى ان يفوا به وكان ضمانهم عندك لا على ما عليه المضمون
بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنه ويجوز ان يريد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك
وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف وليحملن اثقالهم
اي اثقال انفسهم واثقالا يعني اثقالا اخر غير الخطايا التي ضمنوا للمومنين حملها وهي اثقال
الذين كانوا اسبابا في ضلالهم وليسئلن سوال تقريع عما كانوا يفترون اي يختلقون من الاكاذيب
والاباطيل وقرى من خطاياهم كان عمر نوح عليه السلم الفا وخمسين سنة بعث على راس اربعين و
لبث في قومه تسعمائة وخمسين وعاش بعد الطوفان ستين وعن وهب انه عاش الفا
واربعمائة سنة **فان قلت** هلا قيل تسعمائة وخمسين سنة **قلت** ما اورده الله احكم
لانه لو قيل كما قلت جاز ان يتوهم اطلاق هذا العدد على اكثره وهذا التوهم زايل مع مجيه
كذلك وكانه قيل تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا ان ذلك اخصر واعذب لفظا
واملا بالفائدة وفيه نكتة اخرى وهي ان القصة مسوقة لذكر ما ابتلي به نوح عليه السلم من امته
وما كابده من طول المصابرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وتثبيتا له وكان ذكر راس العدد
الذي لا راس اكثر منه اوقع واوصل الى الغرض من استطالة السامع مدة صبره **فان قلت**
فلم جاء المميز اولا بالسنة وثانيا بالعام **قلت** لان تكرير اللفظ الواحد في الكلام الواحد
حقيق بالاجتناب في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض ينتحيه المتكلم من تفخيم او تهويل

او ثنويه او نحو ذلك والطوفان ما اطاف واحاط بكثرة وغلبة من سيل او ظلام ليل او نحوهما
قال العجاج وغم طوفان الظلام الاثابا اصحاب السفينة كانوا ثمانية وسبعين نفسا نصفهم ذكور
ونصفهم اناث منهم اولاد نوح سام وحام ويافث ونساؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة
رجال وخمس نسوة وقد روى صلى الله عليه وسلم كانوا ثمانية نوح واهله وبنوه الثلاثة
والضمير في وجعلناها للسفينة او للحادثة والقصة نصب ابرهيم باضمار اذكر وابدل عنه اذ بدل
الاشتمال لان الاحيان تشتمل على ما فيها او هو معطوف على نوحا واذ ظرف لارسلنا يعني ارسلناه
حين بلغ من السن والعلم مبلغا صلح فيه لان يعظ قومه وينصحهم ويعرض عليهم الحق ويامرهم بالعبادة
والتقوى وقرا ابرهيم النخعي وابو حنيفة رضي الله عنهما وابرهيم بالرفع على معنى ومن المرسلين ابرهيم
ان كنتم تعلمون يعني ان كان فيكم علم بما هو خير لكم مما هو شر لكم او ان نظرتم بعين الدراية المبصرة دون
عين الجهل العمياء علمتم انه خير لكم وقرى تخلقون من خلق بمعنى التكثير في خلق وتخلقون من
تخلق بمعنى تكذب وتخرص وقرى افكا وفيه وجهان ان يكون مصدرا نحو كذب ولعب والافك
مخفف منه كالكذب واللعب من اصلهما وان يكون صفة على فعل اي خلقا افكا اي ذا افك وباطل
واختلاقهم الافك تسميتهم الاوثان الهة وشركاء لله او شفعاء اليه او سمى الاصنام افكا وعملهم لها
ونحتهم خلقا للافك **فان قلت** لم نكر الرزق ثم عرفه **قلت** لانه اراد لا يستطيعون
ان يرزقوكم شيئا من الرزق فابتغوا عند الله الرزق كله فانه هو الرزاق وحده لا يرزق غيره واليه
ترجعون وقرى بفتح التاء فاستعدوا للقائه بعبادته والشكر له على انعمه وان تكذبوني فلا
تضروني بتكذيبكم فان الرسل قبلي قد كذبتهم اممهم وما ضروهم وانما ضروا انفسهم حيث حل بهم
ما حل بسبب تكذيب الرسل واما الرسول فقد تم امره حين بلغ البلاغ المبين الذي زال معه
الشك وهو اقترانه بايات الله ومعجزاته او وان كنت مكذبا فيما بينكم فلي في سائر الانبياء اسوة

وسلوة

١٧٦

وسلوة حيث كذبوا وعلى الرسول ان يبلغ وما عليه ان يصدق ولا يكذب وهذه الاية والايات
التي بعدها الى قوله فما كان جواب قومه محتملة ان تكون من جملة قول ابرهيم صلوات الله
عليه لقومه وان تكون ايات وقعت معترضة في شان رسول الله صلى الله عليه وسلم وشان قريش
بين اول قصة ابرهيم وآخرها **فان قلت** اذا كانت من قول ابرهيم فما المراد بالامم قبله
قلت قوم شيث وادريس ونوح وغيرهم وكفى بقوم نوح امة في معنى امم جمة مكذبة ولقد
عاش ادريس الف سنة في قومه الى ان رفع الى السماء وامن به الف انسان منهم على عدد سنيه
واعقابهم على التكذيب **فان قلت** فما تصنع بقوله قل سيروا في الارض **قلت** هي
حكاية كلام الله حكاه ابرهيم عليه السلام لقومه كما يحكي رسولنا صلى الله عليه وسلم كلام الله
على هذا المنهاج في اكثر القران **فان قلت** فاذا كانت خطابا لقريش فما وجه توسطها
بين طرفي قصة ابرهيم والجملة او الجمل الاعتراضية لا بد لها من اتصال بما وقعت معترضة فيه
الا تراك لا تقول مكة وزيد ابوه قائم خير بلاد الله **قلت** ايراد قصة ابرهيم ليس الا ارادة
للتنفيس عن رسول الله وان تكون مسلاة له ومتفرجا بان اباه ابرهيم خليل الله كان ممنوا بنحو ما
مني به من شرك قومه وعبادتهم الاوثان فاعترض بقوله وان تكذبوا على معنى انكم يا معشر قريش
ان تكذبوا محمدا فقد كذب ابرهيم قومه وكل امة نبيها لان قوله فقد كذب امم من قبلكم
لا بد من تناوله لامة ابرهيم وهو كما ترى اعتراض واقع متصل ثم سائر الايات الواقعة عقيبها
من اذيالها وتوابعها لكونها ناطقة بالتوحيد ودلائله وهدم الشرك وتوهين قواعده وصفة
قدرة الله وسلطانه ووضوح حجته وبرهانه قرى تروا بالتاء والياء ويبدئ ويبدأ وقوله
ثم يعيده ليس بمعطوف على يبدئ وليست الرؤية واقعة عليه وانما هو اخبار على حياله بالاعادة
بعد الموت كما وقع النظر في قوله كيف بدأ الخلق ثم الله ينشئ النشأة الاخرة على البدء دون الانشاء

ونحوه قولك ما زلت اوثر فلانا واستخلفه على من اخلفه فان قلت هو معطوف بحرف
العطف فلا بد له من معطوف عليه فما هو قلت هو جملة قوله اولم يروا كيف يبدئ الله الخلق
وكذلك واستخلفه معطوف على جملة قوله ما زلت اوثر فلانا اذ ذلك يرجع الى ما يرجع اليه هو في
قوله وهو اهون عليه من معنى يعيده دل بقوله النشاة الآخرة على انهما نشاتان وان كل واحدة منهما
انشاء اي ابتداء واختراع واخراج من العدم الى الوجود لا تفاوت بينهما الا ان الآخرة انشاء بعد
انشاء مثله والاولى ليست كذلك وقرى النشاءة والنشاة كالرافة والرآفة فان قلت ما معنى
الافصاح باسمه مع ايقاعه مبتدا في قوله ثم الله ينشئ النشاة الآخرة بعد اضماره في قوله كيف بدا الخلق
وكان القياس ان يقال كيف بدا الله الخلق ثم ينشئ النشاة الآخرة قلت الكلام معهم كان
واقعا في الاعادة وفيها كانت تصطك الركب فلما قررهم في الابداء بانه من الله احتج عليهم بان
الاعادة انشاء مثل الابداء فاذا كان الله الذي لا يعجزه شيء هو الذي لم يعجزه الابداء فهو
الذي وجب ان لا تعجزه الاعادة وكانه قال ثم ذاك الذي انشا النشاة الاولى هو الذي
ينشئ النشاة الآخرة فللتنبيه على هذا المعنى ابرز اسمه واوقعه مبتدا يعذب من يشاء تعذيبه
ويرحم من يشاء رحمته ومتعلق المشيئتين مفسر مبين في مواضع من القران وهو من يستوجبهما من الكافر
والفاسق اذا لم يتوبا ومن المعصوم والتائب تقلبون تردون وترجعون وما انتم بمعجزين اي لا
تفوتونه ان هربتم من حكمه وقضائه في الارض الفسيحة ولا في السماء التي هي افسح منها وابسط
لو كنتم فيها كقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من اقطار السموات والارض فانفذوا وقيل ولا من
في السماء كما قال حسان امن يهجو رسول الله منكم ويمدحه وينصره سواء ويحتمل ان يراد لا تعجزونه
كيفما هبطتم في مهاوي الارض واعماقها او علوتم في البروج والقلاع الذاهبة في السما كقوله ولو
كنتم في بروج مشيدة اولا تعجزون امره الجاري في السما والارض ان يجري عليكم فيصيبكم ببلاء

يظهر

يظهر من الارض او ينزل من السماء بآيات الله بدلايله على وحدانيته وكتبه ومعجزاته ولقايه و
البعث يئسوا من رحمتي وعيدا اي ييأسون يوم القيمة كقوله تعالى ويوم تقوم الساعة يبلس
المجرمون او هو وصف لحالهم لان المؤمن انما يكون راجيا خاشيا واما الكافر فلا يخطر
بباله رجاء ولا خوف او شبه حالهم في انتفاء الرحمة عنهم بحال من يئس وعن قتادة ان الله [من الرحمة]
ذم قوما هانوا عليه فقال اولئك يئسوا من رحمتي وقال انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون
فينبغي للمؤمنين ان لا ييأسوا من روح الله ولا من رحمته وان لا يأمنوا عذابه وعقابه وصفة المؤمن
ان يكون راجيا لله خايفا قرى جواب قومه بالنصب والرفع قالوا قال بعضهم لبعض او قاله
واحد منهم وكان الباقون راضين فكانوا جميعا في حكم القايلين وروي انه لم ينتفع في ذلك [احد]
اليوم بالنار يعني يوم القي ابرهيم في النار وذلك لذهاب حرها قرى على النصب بغير اضافة
وباضافة وعلى الرفع كذلك فالنصب على وجهين على التعليل اي لتتوادوا بينكم وتتواصلوا لاجتماعكم
على عبادتها واتفاقكم عليها وايتلافكم كما يتفق الناس على مذهب فيكون ذلك سبب تحابهم و
تصادقهم وان يكون مفعولا ثانيا كقوله الهه هواه اي اتخذتم الاوثان سبب المودة بينكم [اتخذ]
على تقدير حذف المضاف او اتخذتموها مودة بينكم بمعنى مودودة بينكم كقوله تعالى ومن الناس
من يتخذ من دون الله اندادا يحبونهم كحب الله وفي الرفع وجهان ان يكون خبرا لان على ان
ما موصولة وان يكون خبر مبتدا محذوف والمعنى ان الاوثان مودة بينكم اي مودودة
او سبب مودة وعن عاصم مودة بينكم بفتح بينكم مع الاضافة كما قرى لقد تقطع بينكم ففتح
وهو فاعل وقرا ابن مسعود رضي الله عنه اوثانا انما مودة بينكم في الحيوة الدنيا اي انما تتوادون
عليها او تودونها في الحيوة الدنيا ثم يوم القيمة يقوم بينكم التلاعن والتباغض ويتلاعن العبدة [والتعادي]
ويتلاعن العبدة والاصنام كقوله عز وعلا ويكونون عليهم ضدا كان لوط ابن اخت ابرهيم وهو

اول من امن له حين راى النار لم تحرقه وقال يعني ابرهيم انى مهاجر من كوثى وهي من سواد الكوفة
الى حران ثم منها الى فلسطين ومن ثم قالوا لكل نبي هجرة ولابرهيم هجرتان وكان معه في هجرته لوط
وامراته سارة وهاجر وهو ابن خمس وسبعين سنة الى ربي اى حيث امرني بالهجرة اليه انه هو العزيز
الذي يمنعني من اعدائي الحكيم الذي لا يامرني الا بما هو مصلحتي اجره في الدنيا الحسن والصلوة عليه
آخر الدهر والذرية الطيبة والنبوة وان اهل الملل كلهم يتولونه **فان قلت** ما بال اسمعيل
عليه السلم لم يذكر وذكر اسحق وعقبه **قلت** قد دل عليه في قوله وجعلنا في ذريته النبوة
والكتاب فكفى الدليل لشهرة امره وعلو قدره **فان قلت** ما المراد بالكتاب **قلت**
قصد به جنس الكتاب حتى دخل تحته ما نزل على ذريته من الكتب الاربعة التي هي التورية و
الزبور والانجيل والقران ولوطا معطوف على ابرهيم او على ما عطف عليه والفاحشة الفعلة
البالغة في القبح وما سبقكم بها من احد من العالمين جملة مستانفة مقررة لفاحشة تلك الفعلة
كان قائلا قال لم كانت فاحشة فقيل له لان احدا قبلهم لم يقدم عليها اشمئزازا منها في طباعهم
لافراط قبحها حتى اقدم عليها قوم لوط لخبث طينتهم وقذر طباعهم قالوا لم ينز ذكر على ذكر قبل
قوم لوط قط وقرى انكم بغير استفهام في الاول دون الثاني قال ابو عبيدة وجدته في الامام
بحرف واحد بغير ياء ورايت الثاني بحرفين الياء والنون وقطع السبيل عمل قطاع الطريق من
قتل الانفس واخذ الاموال وقيل اعتراضهم السابلة بالفاحشة وعن الحسن قطع النسل باتيان
ما ليس بحرث والمنكر عن ابن عباس هو الخذف بالحصى والرمي بالبنادق والفرقعة ومضغ العلك
والسواك بين الناس وحل الازرار من الاقبية والسباب والفحش في المزاح وعن عائشة كانوا
يتحابقون وقيل السخرية لمن مر بهم وقيل المجاهرة في ناديهم بذلك العمل وكل معصية فاظهارها
اقبح من سترها ولذلك جاء من القى جلباب الحياء فلا غيبة له ولا يقال للمجلس ناد الا ما دام فيه

اهله

اهله فاذا قاموا عنه لم يبق ناديا ان كنت من الصادقين فيما تعدنا من نزول العذاب كانوا
يفسدون الناس بحملهم على ما كانوا عليه من المعاصي والفواحش طوعا وكرها ولانهم ابتدعوا
الفاحشة وسنوها لمن بعدهم وقال الله تعالى الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا
فوق العذاب بما كانوا يفسدون فاراد لوط عليه السلم ان يشتد غضب الله عليهم فذكر لذلك
صفة المفسدين في دعائه بالبشرى هي البشارة بالولد والنافلة وهما اسحق ويعقوب و
اضافة مهلكوا اضافة تخفيف لا تعريف والمعنى الاستقبال والقرية سدوم التي قيل فيها اجور
من قاضي سدوم كانوا ظالمين معناه ان الظلم قد استمر منهم ايجاده في الايام السالفة وهم عليه
مصرون وظلمهم كفرهم والوان معاصيهم ان فيها لوطا ليس اخبارا لهم بكونه فيها وانما هو جدال
في شانه لانهم لما عللوا اهلاك اهلها بظلمهم اعترض عليهم بان فيها من هو بري من الظلم واراد
بالجدال اظهار الشفقة عليه وما يجب للمؤمن من التحزن لاخيه والتشمر في نصرته وحياطته والخوف
من ان يمسه اذى او يلحقه ضرر قال قتادة لا يرى المؤمن ان لا يحوط المؤمن الا ترى الى جوابهم
بانهم اعلم منهم بمن فيها يعنون نحن اعلم منك واخبر بحال لوط وحال قومه وامتيازه منهم
الامتياز البين وانه لا يستاهل ما يستاهلونه فخفض على نفسك وهون عليك الخطب وقرى
لننجينه بالتشديد والتخفيف وكذلك منجوك ان صلة اكدت وجود الفعلين مرتبا احدهما على
الاخر في وقتين متجاورين لا فاصل بينهما كانهما وجدا في جزء واحد من الزمان كانه قيل لما احس
بمجيئهم فاجاته المساءة من غير ريث خيفة عليهم من قومه وضاق بهم ذرعا وضاق بشانهم و
بتدبير امرهم ذرعه اي طاقته وقد جعلت العرب ضيق الذراع والذرع عبارة عن فقد الطاقة
كما قالوا رحب الذراع بكذا اذا كان مطيقا له والاصل فيه ان الرجل اذا طالت ذراعه نال
ما لا يناله القصير الذراع فضرب ذلك مثلا في العجز والقدرة الرجز والرجس العذاب من قولهم

ارجزوا رجس اذا اضطرب لما يلحق المعذب من القلق والاضطراب وقرئ منزلون
مخففا ومشددا منها من القرية آية بينة هي آثار منازلهم الخربة وقيل بقية الحجارة وقيل
الماء الاسود على وجه الارض وقيل الخبر عما صنع بهم لقوم متعلق بتركنا او ببينة وارجوا وافعلوا
ما ترجون به العاقبة فاقيم المسبب مقام السبب او امروا بالرجاء والمراد اشتراط ما يسوغه من
الايمان كما يؤمر الكافر بالشرعيات على ارادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف والرجفة
الزلزلة الشديدة وعن الضحاك صيحة جبريل لان القلوب رجفت لها في دارهم في بلدهم وارضهم
او في ديارهم فاكتفى بالواحد لانه لا يلبس جاثمين باركين على الركب ميتين وعادا منصوب باضمار
اهلكنا لان قوله فاخذتهم الرجفة يدل عليه لانه في معنى الاهلاك وقد تبين لكم ذلك يعني ما وصف
من اهلاكهم من جهة مساكنهم اذا نظرتم اليها عند مروركم بها وكان اهل مكة يمرون عليها في اسفارهم
فيبصرونها وكانوا مستبصرين عقلاء متمكنين من النظر والافتكار ولكنهم لم يفعلوا او كانوا متبينين
ان العذاب نازل بهم لان الله تعالى قد بين لهم على السنة الرسل ولكنهم لجوا حتى هلكوا سابقين
فائتين ادركهم امر الله فلم يفوتوه والحاصب لقوم لوط وهي ريح عاصف فيها حصباء وقيل ملك كان
يرميهم والصيحة لمدين وثمود والخسف لقارون والغرق لقوم نوح وفرعون الغرض تشبيه ما
اتخذوه متكلا ومعتمدا في دينهم وتولوه من دون الله بما هو مثل عند الناس في الوهن وضعف القوة
وهو نسج العنكبوت الا ترى الى مقطع التشبيه وهو قوله وان اوهن البيوت لبيت العنكبوت
فان قلت ما معنى قوله لو كانوا يعلمون وكل احد يعلم وهن بيت العنكبوت **قلت**
معناه لو كانوا يعلمون ان هذا مثلهم وان امر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن ووجه آخر وهو انه
اذا صح تشبيه ما اعتمدوه في دينهم ببيت العنكبوت وقد صح ان اوهن البيوت بيت العنكبوت
فقد تبين ان دينهم اوهن الاديان لو كانوا يعلمون او اخرج الكلام بعد تصحيح التشبيه مخرج

المجاز

المجاز فكانه قال وان اوهن ما يعتمد عليه في الدين عبادة الاوثان لو كانوا يعلمون ولقائل ان
يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت يتخذ
بيتا بالاضافة الى رجل يبني بيتا باجر وجص او ينحته من صخر وكما ان اوهن البيوت اذا استقريتها
بيتا بيتا بيت العنكبوت كذلك اضعف الاديان اذا استقريتها دينا دينا عبادة الاوثان
لو كانوا يعلمون قرئ تدعون بالتاء والياء وهذا توكيد للمثل وزيادة عليه حيث لم يجعل ما يدعونه
شيئا وهو العزيز الحكيم فيه تجهيل لهم حيث عبدوا ما ليس بشيء لانه جماد ليس معه مصحح العلم والقدرة
اصلا وتركوا عبادة القادر القاهر على كل شيء الحكيم الذي لا يفعل شيئا الا بحكمة وتدبير كان
الجهلة والسفهاء من قريش يقولون ان رب محمد يضرب المثل بالذباب والعنكبوت و
يضحكون من ذلك فلذلك قال وما يعقلها الا العالمون اي لا يعقل صحتها وحسنها وفائدتها
الا هم لان الامثال والتشبيهات انما هي الطرق الى المعاني المحتجبة في الاستار حتى تبرزها وتكشف
عنها وتصورها للافهام كما صور هذا التشبيه الفرق بين حال المشرك وحال الموحد وعن النبي
صلى الله عليه وسلم انه تلا هذه الآية فقال العالم من عقل عن الله فعمل بطاعته واجتنب سخطه بالحق
اي بالغرض الصحيح الذي هو حق لا باطل وهو ان تكونا مساكن عباده وعبرة للمعتبرين منهم
ودلائل على عظم قدرته الا ترى الى قوله ان في ذلك لآية للمؤمنين ونحوه قوله تعالى وما خلقنا السماء
والارض وما بينهما باطلا ثم قال ذلك ظن الذين كفروا الصلوة تكون لطفا في ترك المعاصي فكانها
ناهية عنها **فان قلت** كم من مصل يرتكب المعاصي ولا تنهاه صلوته **قلت** الصلوة
التي هي الصلوة عند الله المستحق بها الثواب ان يدخل فيها مقدما للتوبة النصوح متقيا لقوله
تعالى انما يتقبل الله من المتقين ويصليها خاشعا بالقلب والجوارح فقد روى عن حاتم كان
رجلي على الصراط والجنة عن يميني والنار عن يساري وملك الموت من فوقي واصلي بين الخوف

والرجاء بحوطها بعد أن يصليها ولا يحبطها فهي الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وعن ابن عباس
من لم تأمره صلاته بالمعروف وتنهه عن المنكر لم يزدد بصلاته من الله إلا بعداً وعن الحسن رحمه الله من لم
تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فليست صلاته بصلاة وهي وبال عليه وقيل من كان مراعياً للصلاة
جرّه ذلك إلى أن ينتهي عن السيئات يوماً ما فقد روي أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن فلاناً
يصلي بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروي أن فتى من الأنصار كان يصلي معه الصلوات
ولا يدع شيئاً من الفواحش إلا ركبه فوصف له فقال إن صلاته ستنهاه فلم يلبث أن تاب وعلى كل حال
فإن المراعي للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر ممن لا يراعيها وأيضاً فكم من مصلين تنهاهم
الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول
إن زيداً ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى عن جميع المناكير وإنما تريد أن هذه الخصلة موجودة
فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم ولذكر الله أكبر يريد وللصلاة أكبر من غيرها من الطاعات وسماها
بذكر الله كما قال فاسعوا إلى ذكر الله وإنما قال ولذكر الله ليستقل بالتعليل كأنه قال وللصلاة أكبر
لأنها ذكر الله أو ولذكر الله عند الفحشاء والمنكر وذكر نهيه عنهما ووعيده عليهما أكبر فكان أولى
بأن ينهى من اللطف الذي في الصلاة وعن ابن عباس رضي الله عنه ولذكر الله إياكم برحمته أكبر من
ذكركم إياه بطاعته والله يعلم ما تصنعون من الخير والطاعة فيثيبكم أحسن الثواب بالتي هي أحسن
بالخصلة التي هي أحسن وهي مقابلة الخشونة باللين والغضب بالكظم والسورة بالأناة كما قال
ادفع بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فأفرطوا في الاعتداء والعناد ولم يقبلوا النصح ولم ينفع فيهم الرفق
فاستعملوا معهم الغلظة وقيل إلا الذين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل إلا الذين أثبتوا
الولد والشريك وقالوا يد الله مغلولة وقيل معناه ولا تجادلوا الداخلين في الذمة المؤدين
الجزية إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا فنبذوا الذمة ومنعوا الجزية فإن أولئك مجادلتهم بالسيف

وعن قتادة

وعن قتادة الآية منسوخة بقوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا مجادلة أشد
من السيف وقوله وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا من حسن المجادلة بالتي هي أحسن وعن النبي صلى الله
عليه وسلم ما حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فإن
كان باطلاً لم تصدقوهم وإن كان حقاً لم تكذبوهم ومثل ذلك الإنزال أنزلنا إليك الكتاب أي
أنزلناه مصدقاً لسائر الكتب السماوية تحقيقاً لقوله آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وقيل و
كما أنزلنا الكتب إلى من كان قبلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب هم عبد الله بن سلام
ومن آمن معه ومن هؤلاء من أهل مكة وقيل أراد بالذين أوتوا الكتاب الذين تقدموا عهد رسول الله عليه السلام
من أهل الكتاب ومن هؤلاء ممن في عهده منهم وما يجحد بآياتنا مع ظهورها وزوال الشبهة
عنها إلا المتوغلون في الكفر المصممون عليه وقيل هم كعب بن الأشرف وأصحابه وأنت أمي ما عرفك
أحد قط بتلاوة كتاب ولا خط إذن لو كان شيء من ذلك أي من التلاوة والخط لارتاب
المبطلون من أهل الكتاب وقالوا الذي نجده في كتبنا أمي لا يكتب ولا يقرأ وليس به أو لارتاب
مشركو مكة وقالوا لعله تعلمه أو كتبه بيده **فإن قلت** لم سماهم مبطلين ولو لم يكن أمياً وقالوا
ليس بالذي نجد في كتبنا لكانوا صادقين محقين ولكان أهل مكة أيضاً على حق في قولهم لعله
تعلمه أو كتبه بيده فإنه رجل قارئ كاتب **قلت** سماهم مبطلين لأنهم كفروا به وهو أمي بعيد
من الريب وكأنه قال هؤلاء المبطلون في كفرهم به لو لم يكن أمياً لارتابوا أشد الريب فحين ليس
بقارئ كاتب فلا وجه لارتيابهم وشيء آخر وهو أن سائر الأنبياء لم يكونوا أميين ووجب الإيمان
بهم وبما جاءوا به لكونهم مصدقين من جهة الحكيم بالمعجزات فهب أنه قارئ كاتب فما لهم لم يؤمنوا
به من الوجه الذي آمنوا منه بموسى وعيسى على أن المنزلين ليسا بمعجزين وهذا المنزل معجز فإذن
هم مبطلون حيث لم يؤمنوا به وهو أمي ومبطلون لو لم يؤمنوا به وهو غير أمي **فإن قلت**

فما فائدة قوله بيمينك قلت ذكر اليمين وهي الجارحة التي يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي
عنه من كونه كاتبا الا ترى انك اذا قلت في الاثبات رايت الامير يخط هذا الكتاب بيمينه كان
اشد لاثباتك انه تولى كتبته فكذلك النفي بل القران ايات بينات في صدور العلماء به وحفاظه
وهما من خصائص القران كون اياته بينات الاعجاز وكونه محفوظا في الصدور يتلوه اكثر الامة
ظاهرا بخلاف سائر الكتب فانها لم تكن معجزات وما كانت تقرا الا من المصاحف ومنه ما
جاء في صفة هذه الامة صدورهم اناجيلهم وما يجحد بايات الله الواضحة الا المتوغلون في
الظلم المكابرون قرئ اية وايات اراد هلا انزل عليه اية مثل ناقة صالح ومائدة عيسى ونحو ذلك
انما الايات عند الله ينزل ايتها شاء ولو شاء ان ينزل ما تقترحونه لفعل وانما انا نذير كلفت الانذار
وابانته بما اعطيت من الايات وليس لي ان اتخير على الله اياته فاقول انزل علي اية كذا دون اية كذا مع علمي ان الغرض
من الاية ثبوت الدلالة والايات كلها في حكم اية واحدة في ذلك ثم قال اولم يكفهم اية مغنية عن
سائر الايات ان كانوا طالبين للحق غير متعنتين هذا القران الذي تدوم تلاوته عليهم في كل مكان
وزمان فلا يزال معهم اية ثابتة لا تزول ولا تضمحل كما تزول كل اية بعد كونها وتكون في مكان دون
مكان ان في مثل هذه الاية الموجودة في كل مكان وزمان الى اخر الدهر لرحمة لنعمة عظيمة لا تشكر
وتذكرة لقوم يؤمنون وقيل اولم يكفهم يعني اليهود انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم تحقيق ما في
ايديهم من نعتك ونعت دينك وقيل ان ناسا من المسلمين اتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بكتف قد
كتبوا فيها بعض ما يقول اليهود فلما ان نظر اليها القاها وقال كفى بها حماقة قوم او ضلالة قوم
ان يرغبوا عما جاءهم به نبيهم الى ما جاء به غير نبيهم فنزلت والوجه ما ذكرنا كفى بالله بيني وبينكم شهيدا
اني قد بلغتكم ما ارسلت به اليكم وانذرتكم وانكم قابلتموني بالجحد والتكذيب يعلم ما في السموات والارض
فهو مطلع على امري وامركم وعالم بحقي وباطلكم والذين امنوا بالباطل منكم وهو ما تعبدون من دون الله

وكفروا

وكفروا بالله واياته اولئك هم الخاسرون المغبونون في صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالايمان الا ان الكلام
ورد مورد الانصاف كقوله وانا او اياكم لعلى هدى او في ضلال مبين وكقول حسان فشركما لخيركما
الفداء وروي ان كعب بن الاشرف واصحابه قالوا يا محمد من يشهد لك بانك رسول الله
فنزلت كان استعجال العذاب استهزاء منهم وتكذيبا والنضر بن الحرث هو الذي قال اللهم
امطر علينا حجارة من السماء كما قال اصحاب الايكة فاسقط علينا كسفا من السماء ولولا اجل
قد سماه الله وبينه في اللوح لعذابهم واوجبت الحكمة تاخيره الى ذلك الاجل المسمى لجاءهم العذاب
عاجلا والمراد بالاجل الاخرة لما روي ان الله عز وجل وعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لا يعذب
قومه ولا يستاصلهم وان يوخر عذابهم الى يوم القيمة وقيل يوم بدر وقيل وقت فنائهم باجالهم
لمحيطة اي ستحيط بهم يوم يغشاهم العذاب او هي محيطة بهم في الدنيا لان المعاصي التي توجبها
محيطة بهم او لانها مالهم ومرجعهم لا محالة فكانها الساعة محيطة بهم ويوم يغشاهم على هذا
منصوب بمضمر اي يوم يغشاهم العذاب كان كيت وكيت ومن فوقهم ومن تحت ارجلهم كقوله
لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل ويقول قرئ بالنون والياء ما كنتم تعملون اي جزاءه معنى
الاية ان المؤمن اذا لم يتسهل له العبادة في بلد هو فيه ولم يتمش له امر دينه كما يجب فليهاجر عنه
الى بلد يقدر انه فيه اسلم قلبا واصح دينا واكثر عبادة واحسن خشوعا ولعمري ان البقاع تتفاوت
في ذلك التفاوت الكثير فلقد جربنا وجرب اولونا فلم نجد فيما درنا وداروا اعون على
قهر النفس وعصيان الشهوة واجمع للقلب المتلفت واضم للهم المنتشر واحث على القناعة و
اطرد للشيطان وابعد من كثير من الفتن واضبط للامر الديني في الجملة من سكنى حرم الله و
جوار بيت الله فلله الحمد على ما سهل من ذلك وقرب ورزق من الصبر واوزع من الشكر وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم من فر بدينه من ارض الى ارض وان كان شبرا من الارض استوجب

الجنة وكان دمنوا ابرهيم مجهز وقرى في المستضعفين بمكة الذين نزلت فيهم الم تكن ارض الله
واسعة فتهاجروا فيها وانما كان ذلك لان امر دينهم ما كان يستتب لهم بين ظهراني الكفرة فاياى
فاعبدون في المتكلم نحو اياه ضربته في الغايب واياك ضربتك في المخاطب والتقدير فاياى
فاعبدوا فاعبدون **فان قلت** ما معنى الفاء في فاعبدون وتقديم المفعول
قلت الفاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تخلصوا العبادة لي
في ارض فاخلصوها لي في غيرها ثم حذف الشرط وعوض من حذفه تقديم المفعول مع افادة تقديمه
معنى الاختصاص والاخلاص لما امر عباده بالحرص على العبادة وصدق الاهتمام بها حتى يتطلبوا
لها اوفق البلاد وان شسعت اتبعه قوله كل نفس ذائقة الموت اى واجدة مرارته وكربه كما يجد
الذائق طعم المذوق ومعناه انكم ميتون فواصلون الى الجزاء ومن كانت هذه عاقبته لم يكن له بد
من التزود لها والاستعداد بجهده لنبوئنهم لننزلنهم من الجنة علالي وقرى لنثوينهم من الثواء وهو
النزول للاقامة يقال ثوى في المنزل واثوى غيره وثوى غير متعد فاذا تعدى بزيادة همزة النقل لم
يتجاوز مفعولا واحدا نحو ذهب واذهبته والوجه في تعديته الى ضمير المومنين والى الغرف اما اجراؤه
مجرى لننزلنهم ونبوئنهم او حذف الجار وايصال الفعل او تشبيه الظرف المؤقت بالمبهم وقراء
يحيى بن وثاب فنعم بزيادة الفاء الذين صبروا على مفارقة الاوطان والهجرة لاجل الدين وعلى
اذى المشركين وعلى المحن والمصايب وعلى الطاعات وعن المعاصي ولم يتوكلوا في جميع ذلك
الا على الله لما امر رسول الله صلى الله عليه وسلم من اسلم بمكة بالهجرة خافوا الفقر والضيعة فكان يقول
الرجل منهم كيف اقدم بلدة ليست لي فيها معيشة فنزلت والدابة كل نفس دبت على وجه
الارض عقلت او لم تعقل لا تحمل رزقها لا تطيق ان تحمله لضعفها عن حمله الله يرزقها واياكم اى لا يرزق
تلك الدواب الضعاف الا الله ولا يرزقكم ايضا ايها الاقوياء الا هو وان كنتم مطيقين لحمل ارزاقكم وكسبها

لانه

لانه لو لم يقدركم ولم يقدر لكم اسباب الكسب لكنتم اعجز من الدواب التي لا تحمل رزقها
وعن الحسن لا تحمل رزقها لا تدخره انما تصبح فيرزقها الله وعن ابن عيينة ليس شيء يخبأ الا الانسان
والنملة والفارة وعن بعضهم رايت البلبل يحتكر في حضنيه ويقال للعقعق مخابي الا انه ينساها
وهو السميع لقولكم نخشى الفقر والضيعة العليم بما في ضمائركم الضمير في سالتهم لاهل مكة فانى يوفكون
فكيف يصرفون عن توحيد الله وان لا يشركوا به مع اقرارهم بانه خالق السموات والارض قدر الرزق
وقتره بمعنى اذا ضيقه **فان قلت** الذي رجع اليه الضمير في قوله ويقدر له من من يشاء وكان
بسط الرزق وقدره جعلا لواحد **قلت** يحتمل الوجهين جميعا ان يريد ويقدر لمن يشاء
فوضع الضمير موضع من يشاء لان من يشاء مبهم غير معين وكان الضمير مبهما مثله وان يريد
تعاقب الامرين على واحد على حسب المصلحة ان الله بكل شيء عليم يعلم ما يصلح العباد وما يفسدهم
استحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم على انه ممن اقر بنحو ما اقروا به ثم نفعه ذلك في توحيد الله
ونفي الانداد والشركاء عنه ولم يكن اقرارا عاطلا كاقرار المشركين وعلى انهم اقروا بما هو حجة
عليهم حيث نسبوا النعمة الى الله وقد جعلوا العبادة للصنم ثم قال بل اكثرهم لا يعقلون ما يقولون
وما فيه من الدلالة على بطلان الشرك وصحة التوحيد او لا يعقلون ما تريد بقولك الحمد لله
ولا يفطنون لم حمدت الله عند مقالتهم هذه فيها ازدراء للدنيا وتصغير لامرها وكيف لا يصغرها
وهي لا تزن عنده جناح بعوضة يريد ما هي لسرعة زوالها عن اهلها وموتهم عنها الا كما
يلعب الصبيان ساعة ثم يتفرقون وان الاخرة لهي الحيوان اى ليس فيها الا حيوة مستمرة دائمة
خالدة لا موت فيها وكانها في ذاتها حيوة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلبت الياء
الثانية واوا كما قالوا حيوة في اسم رجل وبه سمي ما فيه حيوة حيوانا قالوا اشتر من الموتان ولا تشتر
من الحيوان وفي بناء الحيوان زيادة معنى ليس في بناء الحيوة وهي ما في بناء فعلان من معنى الحركة والاضطراب

كالنزوان والنفضان واللهبان وما اشبه ذلك والحيوان حركة كما ان الموت سكون فمجيئه
على بناء دال على معنى الحركة مبالغة في معنى الحياة ولذلك اختيرت على الحيوة في هذا الموضع
المقتضي للمبالغة لو كانوا يعلمون فلم يؤثروا الحيوة الدنيا عليها **فان قلت** بم اتصل قوله
فاذا ركبوا **قلت** بمحذوف دل عليه ما وصفهم به وشرح من امرهم معناه هم على ما وصفوا
من الشرك والعناد فاذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين كائنين في صورة من يخلص
الدين لله من المؤمنين حيث لا يذكرون الا الله ولا يدعون معه الها اخر وفي تسميتهم مخلصين ضرب
من التهكم فلما نجاهم الى البر وآمنوا عادوا الى حال الشرك واللام في ليكفروا محتملة ان تكون
لام كي وكذلك في وليتمتعوا فيمن قراها بالكسر والمعنى انهم يعودون الى شركهم ليكونوا بالعود الى
شركهم كافرين بنعمة النجاة قاصدين التمتع بها والتلذذ لا غير على خلاف ما هو عادة المؤمنين المخلصين
على الحقيقة اذا انجاهم الله ان يشكروا نعمة الله في انجائهم ويجعلوا نعمة النجاة ذريعة الى ازدياد الطاعة
لا الى التمتع والتلذذ وان تكون لام الامر وقراءة من قرا وليتمتعوا بالسكون تشهد له ونحوه قوله
تعالى اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير **فان قلت** كيف جاز ان يامر الله تعالى بالكفر وبان
يعمل العصاة ما شاؤا وهو ناه عن ذلك ومتوعد عليه **قلت** هو مجاز عن الخذلان و
التخلية وان ذلك الامر متسخط الى غاية ومثاله ان ترى الرجل قد عزم على امر وعندك ان
ذلك الامر خطأ وانه يؤدي الى ضرر عظيم فتبالغ في نصحه واستنزاله عن رأيه فاذا لم تر منه
الا الاباء والتصميم حردت عليه وقلت انت وشانك وافعل ما شئت فلا تريد بهذا حقيقة الامر
وكيف والآمر بالشيء مريد له وانت شديد الكراهة متحسر ولكنك كانك تقول له فاذ قد ابيت قبول
النصيحة فانت اهل ليقال لك افعل ما شئت وتبعث عليه ليتبين لك اذا فعلت صحة رأي الناصح
وفساد رايك كانت العرب حول مكة يغزو بعضهم بعضا ويتغاورون ويتناهبون واهل مكة قارون

آمنون

آمنون فيها لا يغزون ولا يغار عليهم مع قلتهم وكثرة العرب فذكرهم الله هذه النعمة الخاصة عليهم
ووبخهم بانهم يؤمنون بالباطل الذي هم عليه ومثل هذه النعمة المكشوفة الظاهرة وغيرها من النعم
التي لا يقدر عليها الا الله مكفورة عندهم افتراؤهم على الله كذبا زعمهم ان لله شريكا وتكذيبهم بما جاءهم
من الحق كفرهم بالرسول والكتاب وفي قوله لما جاءه تسفيه لهم يعني لم يتلعثموا في تكذيبه وقت
سمعوه ولم يفعلوا كما يفعل المراجيح العقول المتثبتون في الامور يسمعون الخبر فيستعملون فيه الروية
والفكر ويستانون الى ان يصح لهم صدقه او كذبه اليس تقرير لثوائهم في جهنم كقوله الستم خير
من ركب المطايا قال بعضهم ولو كان استفهاما ما اعطاه الخليفة مائة من الابل وحقيقته ان
الهمزة همزة الانكار دخلت على النفي فرجع الى معنى التقرير فهما وجهان احدهما الا يثوون في جهنم
والا يستوجبون الثواء فيها وقد افتروا مثل هذا الكذب على الله وكذبوا بالحق هذا التكذيب و
الثاني الم يصح عندهم ان في جهنم مثوى للكافرين حتى اجترؤا مثل هذه الجراءة اطلق المجاهدة
ولم يقيدها بمفعول ليتناول كل ما يجب مجاهدته من النفس الامارة بالسوء والشيطان واعداء
الدين فينا في حقنا ومن اجلنا ولوجهنا خالصا لنهدينهم سبلنا لنزيدنهم هداية الى سبل
الخير وتوفيقا كقوله والذين اهتدوا زادهم هدى وعن ابي سليمان الداراني والذين جاهدوا
فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لا يعلم وقيل ان الذي نرى من جهلنا
بما نعلم انما هو من تقصيرنا فيما نعلم لمع المحسنين لناصرهم ومعينهم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرا سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل المؤمنين والمنافقين

سورة الروم مكية الا قوله فسبحان الله وهي ستون آية وقيل تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم القراءة المشهورة الكثيرة غلبت بضم الغين وسيغلبون بفتح

الينا والارض ارض العرب لان الارض المعهوده عند العرب ارضهم والمعنى غلبوا فى ادنى ارض
العرب منهم وهى اطراف الشام او اراد ارضهم على انابة اللام مناب المضاف اليه اى فى ادنى
ارضهم الى عدوهم قال مجاهد هى ارض الجزيره وهى ادنى ارض الروم الى فارس وعن ابن عباس
الاردن وفلسطين وقرى فى ادانى الارض والبضع ما بين الثلث الى العشر عن الاصمعى وقيل
احتربت الروم وفارس بين اذرعات وبصرى فغلبت فارس الروم فبلغ الخبر مكه فشق على
رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمين لان فارس مجوس لا كتاب لهم والروم اهل كتاب وفرح المشركون
وشمتوا وقالوا انتم والنصارى اهل كتاب ونحن وفارس اميون وقد ظهر اخواننا على اخوانكم
ولنظهرن نحن عليكم فنزلت فقال لهم ابو بكر رضى الله عنه لا يقرر الله اعينكم فوالله ليظهرن
الروم على فارس بعد بضع سنين فقال ابى بن خلف كذبت يا ابا فصيل اجعل بيننا اجلا اناحبك
عليه والمناحبة المراهنة فناحبه على عشر قلايص من كل واحد منهما وجعلا الاجل ثلث سنين
فاخبر ابو بكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال البضع ما بين الثلث الى التسع فزايده فى الخطر
وماده فى الاجل فجعلاها مائة قلوص الى تسع سنين ومات ابى من جرح رسول الله صلى الله عليه
وسلم وظهرت الروم على فارس يوم الحديبيه وذلك عند راس سبع سنين وقيل كان النصر يوم
بدر للفريقين فاخذ ابو بكر الخطر من ذريه ابى وجاء به الى رسول الله فقال تصدق به وهذه
الايه من الايات البينه الشاهده على صحة النبوه وان القران من عند الله لانها انباء
والغلب عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله وقرى غلبهم بسكون اللام والغلب مصدران كالجلب
والجلب والحلب والحلب وقرى غلبت الروم بالفتح وسيغلبون بالضم ومعناه ان الروم غلبوا
على ريف الشام وسيغلبهم المسلمون فى بضع سنين وعند انقضاء هذه المده اخذ المسلمون
فى جهاد الروم واضافه غلبهم تختلف باختلاف القراتين فهى فى احديهما اضافه المصدر الى

جمع قلوص من غير القياس وهى الشابة من الابل

184

كيف صحت المناحبه وانما هى قمار قلت

الى المفعول وفى الثانيه اضافته الى الفاعل ومثله لما يحرم عليكم اخراجهم ولن يخلف الله وعده فان قلت
عن قتاده رحمه الله انه كان ذلك قبل تحريم القمار ومن مذهب ابى حنيفه رضى الله عنه
ومحمد ان العقود الفاسده من عقود الربا وغيرها جائزه فى دار الحرب بين المسلمين والكفار
وقد احتجا على صحة ذلك بما عقده ابو بكر رضى الله عنه بينه وبين ابى بن خلف من قبل ومن
بعد اى فى اول الوقتين وفى اخرهما حين غلبوا وحين يغلبون كانه قيل من قبل كونهم غالبين و
هو وقت كونهم مغلوبين ومن بعد كونهم مغلوبين وهو وقت كونهم غالبين يعنى ان كونهم مغلوبين
اولا وغالبين آخرا ليس الا بامر الله وقضايه وتلك الايام نداولها بين الناس وقرى من قبل ومن بعد
على الجر من غير تقدير مضاف اليه واقتطاعه كانه قيل قبلا وبعدا بمعنى اولا واخرا ويومئذ ويوم
تغلب الروم على فارس ويحل ما وعده الله من غلبتهم يفرح المؤمنون بنصر الله وتغليبه من له كتاب
على من لا كتاب له وغيظ من شمت بهم من كفار مكه وقيل نصر الله هو اظهار صدق المؤمنين فيما
اخبروا به المشركين من غلبه الروم وقيل نصر الله انه ولى بعض الظالمين بعضا وفرق بين كلمهم حتى
تفانوا وتناقصوا وفل هولاء شوكة هولاء وفى ذلك قوة للاسلام وعن ابى سعيد الخدرى رضى الله عنه
وافق ذلك يوم بدر وفى هذا اليوم نصر المؤمنون وهو العزيز الرحيم ينصر عليكم تارة وينصركم
اخرى وعد الله مصدر موكد كقولك لك على الف درهم عرفا لان معناه اعترف لك بها اعترافا
ووعد الله ذلك وعدا لان ما سبقه فى معنى وعد ذمهم الله عز وجل بانهم عقلا فى امور الدنيا بله
فى امر الدين وذلك انهم كانوا اصحاب تجارات ومكاسب وعن الحسن بلغ من حذق احدهم
انه ياخذ الدرهم فينقره باصبعه فيعلم اردى هو ام جيد وقوله يعلمون بدل من قوله
لا يعلمون وفى هذا الابدال من النكته انه ابدله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويسد مسده
ليعلمك انه لا فرق بين عدم العلم الذى هو الجهل وبين وجود العلم الذى لا يتجاوز الدنيا وقوله ظاهرا

من الحيوة الدنيا يفيد ان للدنيا ظاهرًا وباطنًا فظاهرها ما يعرفه الجهال من التمتع بزخارفها
والتنعم بملاذها وباطنها وحقيقتها انها مجاز الى الاخرة يتزود منها اليها بالطاعة والاعمال
الصالحة وفي تنكير الظاهر انهم لا يعلمون الا ظاهرًا واحدًا من جملة ظواهرها وهم الثانية يجوز ان
يكون مبتدا وغافلون خبره والجملة خبر هم الاولى وان يكون تكريرا للاولى وغافلون
خبر الاولى وايه كانت فذكرها مناد على انهم معدن الغفلة عن الاخرة ومقرها ومحلها
وانها منهم تنبع واليهم ترجع في انفسهم يحتمل ان يكون ظرفا كانه قيل اولم يحدثوا التفكر في انفسهم
اي في قلوبهم الفارغة من الفكر والتفكر لا يكون الا في القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال المتفكرين
كقولك اعتقده في قلبك واضمره في نفسك وان يكون صلة التفكر كقولك تفكر في الامر واجال
فيه فكره وما خلق متعلق بالقول المحذوف معناه اولم يتفكروا فيقولوا هذا القول وقيل معناه
فيعلموا لان في الكلام دليلا عليه الا بالحق واجل مسمى اي ما خلقها باطلا وعبثا بغير غرض صحيح
وحكمة بالغة ولا لتبقى خالدة وانما خلقها مقرونة بالحق مصحوبة بالحكمة وبتقدير اجل مسمى لا بد لها
من ان تنتهي اليه وهو قيام الساعة ووقت الحساب والثواب والعقاب الا ترى الى قوله
افحسبتم انما خلقناكم عبثا وانكم الينا لا ترجعون كيف سمى تركهم غير راجعين اليه عبثا و
الباء في قوله الا بالحق مثلها في قولك دخلت عليه بثياب السفر واشترى الفرس بسرجه ولجامه
تريد اشتريته وهو متلبس بالسرج واللجام غير منفك عنهما وكذلك المعنى ما خلقها الا وهي متلبسة
بالحق مقترنة به **فان قلت** اذا جعلت في انفسهم صلة للتفكر فما معناه **قلت** معناه
اولم يتفكروا في انفسهم التي هي اقرب اليهم من غيرها من المخلوقات وهم اعلم واخبر باحوالها منهم باحوال
ما عداها فتدبروا ما اودعها الله ظاهرًا وباطنا من غرائب الحكم الدالة على التدبير دون الاهمال
وانه لا بد لها من انتهاء الى وقت يجازيها فيه الحكيم الذي دبر امرها على الاحسان احسانا وعلى

الاساءه

الاساءة مثلها حتى يعلموا عند ذلك ان سائر الخلائق كذلك امرها جار على الحكمة والتدبير وانه
لا بد لها من الانتهاء الى ذلك الوقت والمراد بلقاء ربهم الاجل المسمى اولم يسيروا تقرير لسيرهم في
البلاد ونظرهم الى اثار المدمرين من عاد وثمود وغيرهم من الامم العاتية ثم اخذ يصف لهم
احوالهم وانهم كانوا اشد منهم قوة واثاروا الارض وحرثوها قال الله تعالى لا ذلول تثير الارض
وقيل لبقر الحرث المثيرة وقالوا سمي ثورا لاثارته الارض وبقرة لانها تبقرها اي تشقها وعمروها
يعني اولئك المدمرون اكثر مما عمروها من عمارة اهل مكة واهل مكة اهل واد غير ذي زرع ما لهم اثارة
الارض اصلا ولا عمارة لها راسا فما هو الا تهكم بهم وبضعف حالهم في دنياهم لان معظم ما يستظهر به
اهل الدنيا ويتباهون به امر الدهقنة وهم ايضا ضعاف القوى فقوله كانوا اشد منهم قوة اي
عاد وثمود واضرابهم من هذا القبيل كقوله اولم يروا ان الله الذي خلقهم هو اشد منهم قوة وان كان
هذا ابلغ لانه خالق القوى والقدر فما كان تدميره اياهم ظلما لهم لان حاله منافية للظلم ولكنهم ظلموا
انفسهم حيث عملوا ما اوجب تدميرهم قرئ عاقبة بالنصب والرفع والسوآى تانيث الاسوا
وهو الاقبح كما ان الحسنى تانيث الاحسن والمعنى انهم عوقبوا في الدنيا بالدمار ثم كانت
عاقبتهم السوءى الا انه وضع المظهر موضع المضمر اي العقوبة التي هي اسوا العقوبات
في الاخرة وهي جهنم التي اعدت للكافرين وان كذبوا بمعنى لان كذبوا ويجوز ان يكون ان بمعنى
اي لانه اذا كان تفسير الاساءة التكذيب والاستهزاء كانت في معنى القول نحو نادى وكتب
وما اشبه ذلك ووجه اخر ان يكون اساءوا السوءى بمعنى اقترفوا الخطيئة التي هي اسوا الخطايا
وان كذبوا عطف بيان لها وخبر كان محذوف كما يحذف جواب لما ولو ارادة الابهام ثم
اليه ترجعون اي الى ثوابه وعقابه وقرئ بالتاء والياء الابلاس ان يبقى بائسا ساكتا متحيرا
يقال ناظرته فابلس اذا لم ينبس وييس من ان يحتج ومنه الناقة المبلاس التي لا ترغو وقرئ

تبلس بفتح اللام من ابلسه اذا اسكته من شركائهم من الذين عبدوهم من دون الله وكانوا
بشركائهم كافرين اي يكفرون بالالهيتهم ويجحدونها او كانوا في الدنيا كافرين بسببهم
وكتب شفعوا في المصحف بواو قبل الالف كما كتب علموا بني اسرائيل وكذلك كتب السوآى
بالف قبل الياء اثباتا للهمزة على صورة الحرف الذي منه حركتها الضمير في يتفرقون للمسلمين
والكافرين لدلالة ما بعده عليه وعن الحسن هو تفرق المسلمين والكافرين هولاء في عليين وهولاء
في اسفل السافلين وعن قتادة فرقة لا اجتماع بعدها في روضة في بستان وهي الجنة والتنكير
لابهام امرها وتفخيمه والروضة عند العرب كل ارض ذات نبات وماء وفي امثالهم احسن
من بيضة في روضة يريدون بيضة النعامة يحبرون يقال حبره اذا سره سرورا تهلل له وجهه
وظهر فيه اثره ثم اختلفت فيه الاقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن مجاهد يكرمون وعن
قتادة ينعمون وعن ابن كيسان يحلون وعن ابي بكر بن عياش التيجان على روسهم وعن وكيع السماع
في الجنة وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها من النعيم وفي اخر القوم اعرابي
فقال يا رسول الله هل في الجنة من سماع قال نعم يا اعرابي ان في الجنة لنهرا حافتاه الابكار من
كل بيضاء خوصانية يتغنين باصوات لم يسمع الخلائق بمثلها قط فذلك افضل نعيم الجنة قال
الراوي فسالت ابا الدرداء بم يتغنين قال بالتسبيح وروي ان في الجنة لاشجارا عليها اجراس
من ذهب وفضة فاذا اراد اهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك
الاشجار فتحرك تلك الاجراس باصوات لو سمعها اهل الدنيا لماتوا طربا محضرون لا يغيبون
عنه ولا يخفف عنهم كقوله وما هم بخارجين منها لا يفتر عنهم لما ذكر الوعد والوعيد اتبعه
ذكر ما يوصل الى الوعد وينجي من الوعيد والمراد بالتسبيح ظاهره الذي هو تنزيه الله من السوء
والثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعمة الله الظاهرة وقيل الصلوة وقيل

لابن عباس

١٨٦

لابن عباس هل تجد الصلوات الخمس في القران قال نعم وتلا هذه الاية تمسون صلوتا المغرب
والعشاء وتصبحون صلوة الفجر وعشيا صلوة العصر وتظهرون صلوة الظهر وقوله وعشيا
متصل بقوله حين تمسون وقوله وله الحمد في السموات والارض اعتراض بينهما ومعناه ان على
المميزين كلهم من اهل السماوات والارض ان يحمدوه فان قلت لم ذهب الحسن رحمه الله
الى ان هذه الاية مدنية قلت لانه كان يقول فرضت الصلوات الخمس بالمدينة وكان
الواجب بمكة ركعتين في غير وقت معلوم والقول الاكثر ان الخمس انما فرضت بمكة وعن عائشة
رضي الله عنها فرضت الصلوة ركعتين فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة اقرت
صلوة السفر وزيد في الحضر وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم من سره ان يكال له بالقفيز الاوفى
فليقل فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون الاية وعنه عليه السلم من قال حين يصبح فسبحان الله
حين تمسون وحين تصبحون الى قوله وكذلك تخرجون ادرك ما فاته في يومه ومن قالها حين
يمسي ادرك ما فاته في ليلته وفي قراءة عكرمة حينا تمسون وحينا تصبحون والمعنى تمسون
فيه وتصبحون فيه كقوله يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا المعنى فيه الحي من الميت الطاير من البيضة
والميت من الحي البيضة من الطاير واحياء الارض اخراج النبات وكذلك تخرجون ومثل ذلك
الاخراج تخرجون من القبور وتبعثون والمعنى ان الابداء والاعادة متساويان في قدرة من
هو قادر على الطرد والعكس من اخراج الميت من الحي واخراج الحي من الميت واحياء الميت واماتة
الحي وقرئ الميت بالتشديد وتخرجون بفتح التاء خلقكم من تراب لانه خلق اصلهم منه واذا الكفاجاة
وتقديره ثم فاجاتم وقت كونكم بشرا منتشرين في الارض كقوله وبث منهما رجالا كثيرا ونساء من
انفسكم ازواجا لان حواء خلقت من ضلع آدم والنساء بعدها خلقن من اصلاب الرجال او من
شكل انفسكم وجنسها لا من جنس اخر وذلك لما بين الاثنين من جنس واحد من الالف والسكون

وما بين الجنسين المختلفين من التوافق وجعل بينكم التواد والتراحم بعصمة الزواج بعد ان لم تكن بينكم
سابقة معرفة ولا لقاء ولا سبب يوجب التعاطف من قرابة او رحم وعن الحسن المودة كناية عن الجماع
والرحمة عن الولد كما قال ورحمة منا وقال ذكر رحمة ربك عبده ويقال سكن اليه اذا مال
اليه كقولهم انقطع اليه واطمان اليه ومنه السكن وهو الالف المسكون اليه فعل بمعنى مفعول
وقيل ان المودة والرحمة من قبل الله وان الفرك من قبل الشيطان الالسنة اللغات او اجناس
النطق واشكاله خالف عز وعلا بين هذه الاشياء حتى لا تكاد تسمع منطقين متفقين في همس
واحد ولا جهارة ولا حدة ولا رخاوة ولا فصاحة ولا لكنة ولا نظم ولا اسلوب ولا غير ذلك
من صفات النطق واحواله وكذلك الصور وتخطيطها والالوان وتنويعها ولاختلاف ذلك
وقع التعارف والا فلو اتفقت وتشاكلت وكانت ضربا واحدا لوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت
مصالح كثيرة وربما رايت توامين يشتبهان في الحلية فيعروك الخطا في التمييز بينهما وتعرف حكمة
الله في المخالفة بين الحلى وفي ذلك اية بينة حيث ولدوا من اب واحد وفرعوا من اصل فذ وهم
على الكثرة التي لا يعلمها الا الله مختلفون متفاوتون وقرى للعالمين بفتح اللام وكسرها ويشهد للكسر
قوله تعالى وما يعقلها الا العالمون هذا من باب اللف وترتيبه ومن اياته منامكم وابتغاؤكم من
فضله بالليل والنهار الا انه فصل بين القرينين الاولين بالقرينين الاخرين لانهما زمانان والزمان والواقع
فيه كشي واحد مع اعانة اللف على الاتحاد ويجوز ان يراد منامكم في الزمانين وابتغاؤكم فيهما
والظاهر هو الاول لتكرره في القران واسد المعاني ما دل عليه القران يسمعونه بالاذان الواعية
يريكم فيه وجهان اضمار ان وانزال الفعل منزلة المصدر وبهما فسر المثل تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه وقول القائل وقالوا ما تشاء فقلت الهو الى الاصباح اثر ذي اثير خوفا من الصاعقة او من
الاخلاف وطمعا في الغيث وقيل خوفا للمسافر وطمعا للحاضر وهما منصوبان على المفعول له **فان قلت**

من حق المفعول له ان يكون فعلا لفاعل الفعل المعلل والخوف والطمع ليسا كذلك **قلت**
فيه وجهان احدهما ان المفعولين فاعلون في المعنى لانهم راؤون فكانه قيل يجعلكم رائين البرق
خوفا وطمعا والثاني ان يكون على تقدير حذف المضاف اي ارادة خوف وارادة طمع فحذف
المضاف واقيم المضاف اليه مقامه ويجوز ان يكونا حالين اي خائفين وطامعين وقرى ينزل
بالتشديد ومن اياته قيام السموات والارض واستمساكهما بغير عمد بامره اي بقوله كونا قائمتين
والمراد باقامته لهما ارادته لكونهما على صفة القيام دون الزوال وقوله اذا دعاكم بمنزلة قوله يخرجكم
في ايقاع الجملة موقع المفرد على المعنى كانه قال ومن اياته قيام السموات والارض ثم خروج
الموتى من القبور اذا دعاهم دعوة واحدة يا اهل القبور اخرجوا والمراد سرعة وجود ذلك من غير
توقف ولا تلبث كما يجيب الداعي المطاع مدعوه كما قال القائل دعوت كليبا دعوة فكانما
دعوت به ابن الطود او هو اسرع يريد بابن الطود الصدى او الحجر اذا تدهدى وانما عطف
هذا على قيام السموات والارض بثم بيانا لعظم ما يكون من ذلك الامر واقتداره على مثله وهو
ان يقول يا اهل القبور قوموا فلا تبقى نسمة من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال عز وعلا
ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون وقولك دعوته من مكان كذا كما يجوز ان يكون مكانك يجوز
ان يكون مكان صاحبك تقول دعوت زيدا من اعلى الجبل فنزل علي ودعوته من اسفل الوادي
فطلع الي **فان قلت** بم تعلق من الارض ابالفعل ام بالمصدر **قلت** هيهات اذا
جاء نهر الله بطل نهر معقل **فان قلت** ما الفرق بين اذا واذا **قلت** الاولى للشرط
والثانية للمفاجاة وهي تنوب مناب الفاء في جواب الشرط وقرى تخرجون بضم التاء وفتحها
قانتون منقادون لوجود افعاله فيهم لا يمتنعون عليه فيما يجب عندكم وينقاس على اصولكم وهو اهون عليه
ويقتضيه معقولكم لان من اعاد منكم صنعة شي كانت اسهل عليه واهون من انشائها وتعتذرون

للصانع اذا خطئ في بعض ما ينشئه بقولكم اول الغزو اخرق وتسمون الماهر في صناعته معاودا
تعنون انها عاودها كرة بعد اخرى حتى مرن عليها وهانت عليه **فان قلت** لم ذكر الضمير
في قوله وهو اهون عليه والمراد به الاعادة **قلت** معناه وان يعيده اهون عليه **فان قلت**
لم اخرت الصلة في قوله وهو اهون عليه وقدمت في قوله هو علي هين **قلت** هناك قصد
الاختصاص وهو محزه فقيل هو علي هين وان كان مستصعبا عندكم ان يولد بين هِمّ وعاقر
اما هاهنا فلا معنى للاختصاص كيف والامر مبني على ما يعقلون من ان الاعادة اسهل من الابتداء
فلو قدمت الصلة لتغير المعنى **فان قلت** ما بال الاعادة استعظمت في قوله ثم اذا دعاكم
حتى كانها فضلت على قيام السموات والارض بامره ثم هونت بعد ذلك **قلت** الاعادة في
نفسها عظيمة ولكنها هونت بالقياس الى الانشاء وقيل الضمير في عليه للخلق ومعناه ان البعث
اهون على الخلق من الانشاء لان تكوينه في حد الاستحكام والتمام اهون عليه واقل تعبا وكبدا
من ان ينتقل في احوال ويتدرج فيها الى ان يبلغ ذلك الحد وقيل الاهون بمعنى الهين ووجه
اخر وهو ان الانشاء من قبيل التفضل الذي يتخير فيه الفاعل بين ان يفعله وان لا يفعله والاعادة
من قبيل الواجب الذي لا بد له من فعله لانها لجزاء الاعمال وجزاؤها واجب والافعال اما محال والمحال
ممتنع اصلا خارج عن المقدور واما ما يصرف الحكيم عن فعله صارف وهو القبيح وهو رديف المحال
لان الصارف يمنع وجود الفعل كما تمنعه الاحالة واما تفضل والتفضل حالة بين بين للفاعل ان يفعله وان
لا يفعله واما واجب لا بد من فعله ولا سبيل الى الاخلال به فكان الواجب ابعد الافعال
من الامتناع واقربها من الحصول فلما كانت الاعادة من قبيل الواجب كانت ابعد الافعال
من الامتناع واذا كانت ابعدها من الامتناع كانت ادخلها في التأتي والتسهل فكانت اهون
منها واذا كانت اهون منها كانت اهون من الانشا وله المثل الاعلى اي الوصف الاعلى الذي ليس

لغيره مثله قد عرف به ووصف في السموات والارض على السنة الخلائق والسنة الدلائل وهو انه
القادر الذي لا يعجز عن شيء من انشاء واعادة وغيرهما من المقدورات ويدل عليه قوله وهو العزيز
الحكيم اي القاهر لكل مقدور الحكيم الذي يجري كل فعل على قضايا حكمته وعلمه وعن مجاهد المثل
الاعلى قول لا اله الا الله ومعناه وله الوصف الاعلى الذي هو الوصف بالوحدانية ويعضده
قوله ضرب لكم مثلا من انفسكم وقال الزجاج وله المثل الاعلى في السموات والارض قوله هو
اهون عليه قد ضربه لكم مثلا فيما يصعب ويسهل يريد التفسير الاول **فان قلت** اي
اي فرق بين من الاولى والثانية والثالثة في قوله من انفسكم مما ملكت ايمانكم من شركاء **قلت** الاولى
للابتداء كانه قال اخذ مثلا وانتزعه من اقرب شيء منكم وهي انفسكم ولم يبعد والثانية للتبعيض ولم
والثالثة مزيدة لتاكيد الاستفهام الجاري مجرى النفي ومعناه هل ترضون لانفسكم وعبيدكم
امثالكم بشر كبشر وعبيد كعبيد ان يشارككم بعضهم فيما رزقناكم من الاموال وغيرها تكونون
انتم وهم فيه على السواء من غير تفصلة بين حر وعبد تهابون ان تستبدوا بتصرف دونهم
وان تفتاتوا بتدبير عليهم كما يهاب بعضكم بعضا من الاحرار فاذا لم ترضوا بذلك لانفسكم فكيف
ترضون لرب الارباب ومالك الاحرار والعبيد ان يجعلوا بعض عبيده له شركاء كذلك اي مثل
هذا التفصيل نفصل الايات اي نبينها لان التمثيل مما يكشف المعاني ويوضحها لانه بمنزلة التصوير
والتشكيل لها الا ترى كيف صور الشرك بالصورة المشوهة الذين ظلموا اي اشركوا كقوله ان الشرك
لظلم عظيم بغير علم اي اتبعوا اهواءهم جاهلين لان العالم اذا ركب هواه ربما ردعه علمه وكفه
واما الجاهل فيهيم على وجهه كالبهيمة لا يكفه شيء من اضل الله من خذله ولم يلطف به لعلمه انه ممن
لا لطف له فمن يقدر على هداية مثله وقوله وما لهم من ناصرين دليل على ان المراد بالاضلال الخذلان
فاقم وجهك للدين فقوم وجهك له وعدله غير ملتفت عنه يمينا ولا شمالا وهو تمثيل لاقباله على

الدين واستقامته عليه وثباته واهتمامه باسبابه فان من اهتم بالشي عقد عليه طرفه وسدد
اليه نظره وقوم له وجهه مقبلا به عليه وحنيفا حال من المامور او من الدين فطرة الله الزموا
فطرة الله او عليكم فطرة الله وانما اضمرته على خطاب الجماعة لقوله منيبين اليه ومنيبين حال
من الضمير في الزموا وقوله واتقوه واقيموا ولا تكونوا معطوف على هذا المضمر والفطرة الخلقة
الا ترى الى قوله لا تبديل لخلق الله والمعنى انه خلقهم قابلين للتوحيد ودين الاسلام غير نابين
عنه ولا منكرين له لكونه مجاوبا للعقل مساوقا للنظر الصحيح حتى لو تركوا لما اختاروا عليه
دينا اخر ومن غوى منهم فباغواء شياطين الانس والجن ومنه قوله عليه السلم كل عبادي خلقت
حنفاء فاجتالتهم الشياطين عن دينهم وامروهم ان يشركوا بي غيري وقوله عليه السلم كل مولود يولد على
الفطرة حتى يكون ابواه هما اللذان يهودانه وينصرانه لا تبديل لخلق الله اي ما ينبغي ان تبدل
تلك الفطرة او تغير **فان قلت** لم وحد الخطاب اولا ثم جمع **قلت** خوطب رسول الله صلى الله
عليه وسلم اولا وخطاب الرسول خطاب لامته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك
للبيان والتلخيص من الذين بدل من المشركين فارقوا دينهم تركوا دين الاسلام وقرى فرقوا
دينهم اي جعلوه اديانا مختلفة لاختلاف اهوائهم وكانوا شيعا فرقا كل واحدة تشايع امامها الذي
اضلها كل حزب منهم فرح بمذهبه مسرور يحسب باطله حقا ويجوز ان يكون من الذين منقطعا
مما قبله ومعناه من المفارقين دينهم كل حزب فرحين بما لديهم ولكنه رفع فرحون على الوصف لكل
كقوله وكل خليل غير هاضم نفسه الضر الشدة من هزال او مرض او قحط او غير ذلك والرحمة
الخلاص من الشدة واللام في ليكفروا مجاز مثلها في ليكون لهم عدوا فتمتعوا نظير اعملوا ما شئتم
فسوف تعلمون وبال تمتعكم وقرا ابن مسعود رضي الله عنه وليتمتعوا السلطان الحجة وتكلمه
مجاز كما تقول كتابه ناطق بكذا وهذا مما نطق به القران ومعناه الدلالة والشهادة كانه قال فهو

يشهد

يشهد بشركهم وبصحته وما في بما كانوا مصدرية اي بكونهم بالله يشركون ويجوز ان تكون موصولة
ويرجع الضمير اليها ومعناه فهو يتكلم بالامر الذي بسببه يشركون ويحتمل ان يكون المعنى ام
انزلنا عليهم ذا سلطان اي ملكا معه برهان فذلك الملك يتكلم بالبرهان الذي بسببه
يشركون واذا اذقنا الناس رحمة اي نعمة من مطر او سعة او صحة فرحوا بها وان تصبهم سيئة
اي بلاء من جدب او ضيق او مرض والسبب فيها شوم معاصيهم قنطوا من الرحمة ثم انكر عليهم
بانهم قد علموا انه هو الباسط القابض فما لهم يقنطون من رحمته وما لهم لا يرجعون اليه
تائبين من المعاصي التي عوقبوا بالشدة من اجلها حتى يعيد اليهم رحمته حق ذي القربى صلة الرحم
وحق المسكين وابن السبيل نصيبهما من الصدقة المسماة لهما وقد احتج ابو حنيفة رضي الله عنه
بهذه الاية في وجوب النفقة للمحارم اذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي
رضي الله عنه لا نفقة بالقرابة الا على الولد والوالدين قاس سائر القرابات على ابن العم لانه لا
ولاد بينهم **فان قلت** كيف تعلق قوله فات ذا القربى بما قبله حتى جي بالفاء **قلت**
لما ذكر ان السيئة اصابتهم بما قدمت ايديهم اتبعه ذكر ما يجب ان يفعل وما يجب ان يترك
يريدون وجه الله يحتمل ان يراد بوجهه ذاته او جهته وجانبه اي يقصدون بمعروفهم اياه
خالصا وحقه كقوله تعالى الا ابتغاء وجه ربه الاعلى او يقصدون جهة التقرب الى الله لا جهة
اخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة هذه الاية في معنى قوله عز وجل يمحق الله
الربوا ويربي الصدقات سواء بسواء يريد وما اعطيتم اكلة الربوا من ربوا ليربوا في اموالهم ليزيد
ويزكوا في اموالهم فلا يزكوا عند الله ولا يبارك فيه وما اتيتم من زكوة اي صدقة تبتغون به وجهه
خالصا لا تطلبون به مكافاة ولا رياء ولا سمعة فاولئك هم المضعفون ذوو الاضعاف من
الحسنات ونظيره المضعف والمقوي والموسر لذي القوة واليسار وقرى بفتح العين وقيل نزلت

في تفسيره وكانوا يربون وقيل المراد ان يهب الرجل للرجل او يهدي له ليعوضه اكثر مما وهب
او اهدى فليست تلك الزيادة بحرام ولكن المعوض لا يثاب على تلك الزيادة وقالوا الربا
ربوان فالحرام كل قرض يوخذ فيه اكثر منه او يجر منفعة والذي ليس بحرام ان يستدعي بهبته
او بهديته اكثر منها وفي الحديث المستغزر يثاب من هبته وقرئ وما اتيتم من ربوا بمعنى وما
غشيتموه او رهقتموه من اعطاء ربا وقرئ لتربوا اي لتزيدوا في اموالهم كقوله ويربي الصدقات
اي يزيدها وقوله فاولئك هم المضعفون التفات حسن كانه قال للملائكة وخواص خلقه فاولئك
الذين يريدون وجه الله بصدقاتهم هم المضعفون فهو امدح لهم من ان يقول فانتم المضعفون
والمعنى المضعفون به لانه لا بد من ضمير يرجع الى ما ووجه اخر وهو ان يكون تقديره فمؤتوه
اولئك هم المضعفون والحذف لما في الكلام من الدليل عليه وهذا اسهل ماخذا والاول املأ
بالفائدة الله مبتدا وخبره الذي خلقكم اي الله هو فاعل هذه الافعال الخاصة التي لا يقدر على
شيء منها احد غيره ثم قال هل من شركائكم الذين اتخذتموهم اندادا له من الاصنام وغيرها من
يفعل شيئا قط من تلك الافعال حتى يصح ما ذهبتم اليه ثم استبعد حاله من حال شركائهم
ويجوز ان يكون الذي خلقكم صفة للمبتدا والخبر هل من شركائكم وقوله من ذلكم هو الذي ربط
الجملة بالمبتدا لان معناه من افعاله ومن الاولى والثانية والثالثة كل واحدة منهن مستقلة
تاكيد لتعجيز شركائهم وتجهيل عبدتهم الفساد في البر والبحر نحو الجدب والقحط وقلة الريع
في الزراعات والربح في التجارات ووقوع الموتان في الناس والدواب وكثرة الحرق والغرق
واخفاق الصيادين والغاصة ومحق البركات من كل شيء وقلة المنافع في الجملة وكثرة المضار
وعن ابن عباس اجدبت الارض وانقطعت مادة البحر وقالوا اذا انقطع القطر عميت دواب البحر
وعن الحسن ان المراد بالبحر مدن البحر وقراه التي على شاطئه وعن عكرمة العرب تسمي الامصار البحار

وقرئ

وقرئ في البر والبحور بما كسبت ايدي الناس بسبب معاصيهم وذنوبهم كقوله تعالى وما اصابكم
من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعن ابن عباس ظهر الفساد في البر بقتل ابن ادم اخاه وفي
البحر بان جلندى كان ياخذ كل سفينة غصبا وعن قتادة كان ذلك قبل البعث فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم رجع راجعون عن الضلال والظلم ويجوز ان يريد ظهور الشر والمعاصي
بكسب الناس ذلك **فان قلت** ما معنى قوله ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون
قلت اما على التفسير الاول فظاهر وهو ان الله قد افسد اسباب دنياهم ومحقها ليذيقهم
وبال بعض اعمالهم في الدنيا قبل ان يعاقبهم بجميعها في الاخرة لعلهم يرجعون عما هم عليه واما
على الثاني فاللام مجاز على معنى ان ظهور الشرور بسببهم مما استوجبوا به ان يذيقهم الله بعضه
وبال اعمالهم ارادة الرجوع وكانهم انما افسدوا وتسببوا لفشو المعاصي في الارض لاجل ذلك
وقرئ لنذيقهم بالنون ثم اكد تسبب المعاصي لغضب الله ونكاله حيث امرهم بان يسيروا
فينظروا كيف اهلك الله الامم واذاقهم سوء العاقبة لمعاصيهم ودل بقوله كان اكثرهم مشركين
على ان الشرك وحده لم يكن سبب تدميرهم وان ما دونه من المعاصي يكون سببا لذلك القيم
البليغ الاستقامة الذي لا ياتي فيه عوج من الله اما ان يتعلق بياتي فيكون المعنى من قبل ان
ياتي من الله يوم لا يرده احد كقوله فلا يستطيعون ردها او بمرد على معنى لا يرده هو بعد
ان يجيء به ولا رد له من جهته والمرد مصدر بمعنى الرد يصدعون يتصدعون اي يتفرقون كقوله
ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون فعليه كفره كلمة جامعة لما لا غاية وراءه من المضار لان
من كان ضاره كفره فقد احاطت به كل مضرة فلانفسهم يمهدون اي يسوون لانفسهم ما يسوي
لنفسه الذي يمهد فراشه ويوطئه لئلا يصيبه في مضجعه ما ينبيه عليه وينغص عليه مرقده
من نتوء او قضض او بعض ما يؤذي الراقد ويجوز ان يريد فعلى انفسهم يشفقون من قولهم في المشفق

ام قرشت فانامت وتقديم الظرف في الموضعين للدلالة على ان ضرر الكفر لا يعود الا على الكافر
لا يتعداه ومنفعة الايمان والعمل الصالح ترجع الى المومن لا تتجاوزه ليجزي متعلق بيمهدون
تعليل له من فضله مما يتفضل عليهم بعد توفية الواجب من الثواب وهذا يشبه الكناية لان
الفضل تبع للثواب فلا يكون الا بعد حصول ما هو تبع له او اراد من عطايه وهو ثوابه لان الفضول
والفواضل هي الاعطية عند العرب وتكرير الذين آمنوا وعملوا الصالحات وترك الضمير الى الصريح
لتقرير انه لا يفلح عنده الا المومن الصالح وقوله انه لا يحب الكافرين تقرير بعد تقرير على الطرد
والعكس الرياح هي الجنوب والشمال والصبا وهي رياح الرحمة واما الدبور فريح العذاب
ومنه قوله عليه السلام اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا وقد عدد الاغراض في ارسالها
وانه ارسلها للبشارة بالغيث ولاذاقة الرحمة وهي نزول المطر وحصول الخصب الذي يتبعه
والروح الذي مع هبوب الريح وزكاء الارض قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا كثرت المؤتفكات
زكت الارض وازالة العفونة من الهواء وتذرية الحبوب وغير ذلك ولتجري الفلك في البحر
عند هبوبها وانما زاد بامره لان الريح قد تهب ولا تكون مواتية فلا بد من ارساء السفن
والاحتيال لحبسها وربما عصفت فاغرقتها ولتبتغوا من فضله يريد تجارة البحر ولتشكروا نعمة
الله فيها **فان قلت** بم تعلق وليذيقكم **قلت** فيه وجهان ان يكون معطوفا على
مبشرات على المعنى كانه قيل ليبشركم وليذيقكم وان يتعلق بمحذوف تقديره وليذيقكم
وليكون كذا وكذا ارسلناها اختصر الطريق الى الغرض بان ادرج تحت ذكر الانتصار والنصر
ذكر الفريقين وقد اخلى الكلام اولا عن ذكرهما وقوله وكان حقا علينا نصر المومنين تعظيم للمؤمنين
ورفع من شانهم وتاهيل لكرامة سنية واظهار لفضل سابقة ومزية حيث جعلهم مستحقين على الله
ان ينصرهم مستوجبين عليه ان يظهرهم ويظفرهم وقد يوقف على حقا ومعناه وكان الانتقام

منهم

منهم حقا ثم تبتدئ علينا نصر المومنين وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من امرئ مسلم يرد
عن عرض اخيه الا كان حقا على الله ان يرد عنه نار جهنم يوم القيمة ثم تلا قوله وكان حقا علينا
نصر المومنين فيبسطه متصلا تارة ويجعله كسفا اي قطعا تارة فترى الودق يخرج من خلاله في
التارتين جميعا والمراد بالسماء سمت السماء وشقها كقوله وفرعها في السماء وباصابة العباد
اصابة بلادهم واراضيهم من قبله من باب التكرير والتوكيد كقوله تعالى فكان عاقبتهما انهما
في النار خالدين فيها ومعنى التوكيد فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول وبعد فاستحكم
ياسهم وتمادى ابلاسهم فكان الاستبشار على قدر اغتمامهم بذلك قرئ اثر واثار على التوحيد
والجمع وقرأ ابو حيوة وغيره كيف تحيي اي الرحمة ان ذلك يعني ان ذلك القادر الذي يحيي
الارض بعد موتها هو الذي يحيي الناس بعد موتهم وهو على كل شي من المقدورات قادر وهذا من
جملة المقدورات بدليل الانشاء فراوه فراوا اثر رحمة الله لان رحمة الله هي الغيث واثرها النبات
ومن قرأ بالجمع رجع الضمير الى معناه لان معنى اثار الرحمة النبات واسم النبات يقع على القليل
والكثير لانه مصدر سمي به ما ينبت ولئن هي اللام الموطئة للقسم دخلت على حرف الشرط وظلوا
جواب القسم سد مسد الجوابين اعني جواب القسم وجواب الشرط ومعناه ليظلن ذمهم الله عز وجل
بانه اذا حبس عنهم القطر قنطوا من رحمته وضربوا اذقانهم على صدورهم مبلسين فاذا اصابهم
رحمته ورزقهم المطر استبشروا وابتهجوا فاذا ارسل ريحا فضرب زروعهم بالصفار ضجوا وكفروا
بنعمة الله فهم في جميع هذه الاحوال على الصفة المذمومة كان عليهم ان يتوكلوا على الله وفضله فقنطوا
وان يشكروا نعمته ويحمدوه عليها فلم يزيدوا على الفرح والاستبشار وان يصبروا على بلائه فكفروا
والريح التي اصفر بها النبات يجوز ان تكون حرورا وحرجفا فكلتاهما مما يصوح له النبات
وتصبح هشيما وقال مصفرا لان تلك صفرة حادثة وقيل فراوا السحاب مصفرا لانه اذا كان

كذلك لم تُطر فرى بفتح الضاد وضمها وهما لغتان والضم اقوى في القراءة لما روى ابن عمر قال
قراتها على رسول الله صلى الله عليه وسلم من ضَعف فاقرأني من ضُعف وقوله خلقكم من ضُعف
كقوله خلق الانسان من عجل يعني ان اساس امركم وما عليه جبلتكم وبنيتكم الضعف وخلق
الانسان ضعيفا اي ابتداكم في اول الامر ضعافا وذلك حال الطفولة والنشو حتى بلغتم وقت
الاحتلام والشبيبة وتلك حال القوة الى الاكتهال وبلوغ الاشد ثم رددتم الى اصل حالكم وهو
الضعف بالشيخوخة والهرم وقيل من ضعف من النطف لقوله من ماء مهين وهذا الترديد
في الاحوال المختلفة والتغير من هيئة وصفة الى صفة اظهر دليل واعدل شاهد على الصانع العليم الصفة
القدير الساعة القيامة سميت بذلك لانها تقوم في اخر ساعة من ساعات الدنيا او لانها تقع بغتة
وبديهة كما تقول في ساعة لمن تستعجله وجرت علما لها كالنجم للثريا والكوكب للزهرة وارادوا
لبثهم في الدنيا او في القبور او فيما بين فناء الدنيا الى البعث وفي الحديث ما بين فناء الدنيا
الى وقت البعث اربعون قالوا لا نعلم اهي اربعون سنة ام اربعون الف سنة وذلك وقت
يفنون فيه وينقطع عذابهم وانما يقدرون وقت لبثهم بذلك على وجه استقصارهم له او ينسون
او يكذبون او يخمنون كذلك كانوا يؤفكون اي مثل ذلك الصرف كانوا يصرفون عن الصدق
والتحقيق في الدنيا وهكذا كانوا يبنون امرهم على خلاف الحق او مثل ذلك الافك كانوا يؤفكون في
الاغترار بما تبين لهم الآن انه ما كان الا ساعة القائلون هم الملائكة والانبياء والمؤمنون في كتاب الله
في اللوح او في علم الله وقضائه او فيما كتبه اي اوجبه بحكمته ردوا ما قالوه وحلفوا عليه واطلعوهم على
الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريعهم على انكار البعث بقولهم فهذا يوم البعث ولكنكم كنتم لا تعلمون
انه حق لتفريطكم في طلب الحق واتباعه **فان قلت** ما هذه الفاء وما حقيقتها **قلت** هي التي
في قوله فقد جئنا خراسان وحقيقتها انها جواب شرط يدل عليه الكلام كانه قال ان صح ما قلتم

من

اقصى ما يراد بنا فقد جئنا خراسانا

من ان خراسان اقصى ما يراد بنا وآن لنا ان نخلص وكذلك ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث اي فقد
تبين بطلان قولكم وقرأ الحسن يوم البعث بالتحريك لا يستعتبون قرئ بالياء والتاء يستعتبون
من استعتبني فلان فاعتبته اي استرضاني فارضيته وذلك اذا كنت جانيا عليه وحقيقة
اعتبته ازلت عتبه الا ترى الى قوله غضبت تميم ان تقتل عامر يوم النسار فاعتبوا بالصيلم كيف بيان النسار
جعلهم غضابا ثم قال فاعتبوا اي ازيل غضبهم والغضب في معنى العتب والمعنى لا يقال لهم ارضوا
ربكم بتوبة وطاعة ومثله قوله تعالى لا يخرجون منها ولا هم يستعتبون **فان قلت** كيف جعلوا
غير مستعتبين في بعض الآيات وغير معتبين في بعضها وهو قوله وان يستعتبوا فما هم من المعتبين
قلت اما كونهم غير مستعتبين فهذا معناه واما كونهم غير معتبين فمعناه انهم غير راضين بما هم
فيه فشبهت حالهم بحال قوم جني عليهم فهم عاتبون على الجاني غير راضين منه فان يستعتبوا الله
اي يسألوه ازالة ما هم فيه فما هم من المجابين الى ازالته ولقد وصفنا لهم كل صفة كانها مثل
في غرابتها وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشان كصفة المبعوثين يوم القيامة وقصتهم وما
يقولون وما يقال لهم وما لا ينفع من اعتذارهم ولا يسمع من استعتابهم ولكنهم لقسوة قلوبهم و
مج اسماعهم حديث الآخرة اذا جئتهم باية من آيات القرآن قالوا جئتنا بزور وباطل ثم قال مثل
ذلك الطبع يطبع الله على قلوب الجهلة ومعنى طبع الله منع الالطاف التي تنشرح لها الصدور
حتى تقبل الحق وانما يمنعها من علم انها لا تجدي عليه ولا تغني عنه كما يمنع الواعظ الموعظة
من يتبين له ان الموعظة تلغو ولا تنجع فيه فوقع ذلك كناية عن قسوة قلوبهم وركوب الصداء
والرين اياها وكانه قال كذلك تقسو وتصدأ قلوب الجهلة حتى يسموا المحقين مبطلين وهم
اعرق خلق الله في تلك الصفة فاصبر على عداوتهم ان وعد الله بنصرتك واظهار دينك على الدين
كله حق لا بد من انجازه والوفاء به ولا يحملنك على الخفة والقلق جزعا مما يقولون ويفعلون فانهم قوم

شاكون ضالون لا تستبدع ذلك وقرئ بتخفيف النون وقراء ابن ابي اسحق ويعقوب ولا يستحقنك
اي لا يفتننك فيملكوك ويكونوا احق بك من المؤمنين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قراء
سورة الروم كان له من الاجر عشر حسنات بعدد كل ملك سبح الله بين السماء والارض وادرك

ما ضيع في يومه وليلته

سورة لقمن مكية وهي اربع وثلثون اية وقيل ثلث وثلثون

بسم الله الرحمن الرحيم الكتاب الحكيم ذي الحكمة او وصف بصفة الله عز
وجل على الاسناد المجازي ويجوز ان يكون الاصل الحكيم قائله فحذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه فبانقلابه مرفوعا بعد الجر استكن في الصفة المشبهة هدى ورحمة بالنصب
على الحال عن الايات والعامل فيهما ما في تلك من معنى الاشارة وبالرفع على انه خبر بعد
خبر او خبر مبتدا محذوف للمحسنين للذين يعملون الحسنات وهي التي ذكرها من اقامة
الصلوة وايتاء الزكوة والايقان بالاخرة ونظيره قول اوس الالمعي الذي يظن بك الظن
كان قد راى وقد سمعا حكي عن الاصمعي انه سئل عن الالمعي فانشده ولم يزد او للذين يعملون
جميع ما يحسن من الاعمال ثم خص منهم القائمين بهذه الثلث لفضل اعتدادها بها اللهو كل باطل
الهى عن الخير وعما يعني ولهو الحديث نحو السمر بالاساطير والاحاديث التي لا اصل لها و
والتحدث بالخرافات والمضاحيك وفضول الكلام وما لا ينبغي من كان وكان ونحو الغناء و
تعلم الموسيقار وما اشبه ذلك وقيل نزلت في النضر بن الحارث وكان يتجر الى فارس فيشتري
كتب الاعاجم فيحدث بها قريشا ويقول ان كان محمد يحدثكم بحديث عاد وثمود فانا
احدثكم باحاديث رستم وبهرام والاكاسرة وملوك الحيرة فيستملحون حديثه ويتركون استماع
القران وقيل كان يشتري المغنيات فلا يظفر باحد يريد الاسلام الا انطلق به الى قينته فيقول

اطعميه

اطعميه واسقيه وغنيه ويقول هذا خير مما يدعوك اليه محمد من الصلوة والصيام وان يقاتل بين
يديه وفي حديث النبي صلى الله عليه وسلم لا يحل بيع المغنيات ولا شراؤهن ولا التجارة فيهن ولا
اثمانهن وعنه ما من رجل يرفع صوته بالغناء الا بعث الله عليه شيطانين احدهما على هذا المنكب
والاخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بارجلهما حتى يكون هو الذي يسكت وقيل الغناء
منفدة للمال مسخطة للرب مفسدة للقلب **فان قلت** ما معنى اضافة اللهو الى الحديث
قلت معناها التبيين وهي الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقولك صفة
خز وباب ساج والمعنى من يشتري اللهو من الحديث لان اللهو يكون من الحديث ومن غيره
فبين بالحديث والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المسجد ياكل
الحسنات كما تاكل البهيمة الحشيش ويجوز ان تكون الاضافة بمعنى من التبعيضية كانه قيل
ومن الناس من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو منه وقوله يشتري اما من الشرى على
ما روي عن النضر من شرى كتب الاعاجم او من شرى القيان واما من قوله اشتروا الكفر
بالايمان اي استبدلوه منه واختاروه عليه وعن قتادة اشتراؤه استحبابه يختار حديث
الباطل على حديث الحق وقرئ ليضل بضم الياء وفتحها وسبيل الله دين الاسلام او القران **فان قلت**
القراءة بالضم بينة لان النضر كان غرضه باشتراء اللهو ان يصد الناس عن الدخول في الاسلام و
استماع القران ويضلهم عنه فما معنى القراءة بالفتح **قلت** فيه معنيان احدهما ليثبت على
ضلاله الذي كان عليه ولا يصدف عنه ويزيد فيه ويمده فان المخذول كان شديد الشكيمة
في عداوة الدين وصد الناس عنه والثاني ان يوضع ليضل موضع ليضل من قبل ان من اضل كان
ضالا لا محالة فدل بالرديف على المردوف **فان قلت** ما معنى قوله بغير علم **قلت**
لما جعله مشتريا لهو الحديث بالقران قال يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بها حيث

يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين
اى وما كانوا مهتدين للتجارة بصرآء بها وقرئ ويتخذها بالنصب والرفع عطفا على يشترى
او ليضل والضمير للسبيل لانها مونثة كقوله تعالى ويصدون عن سبيل الله من امن به ويبغونها
عوجا ولّى مستكبرا زاما لا يعبأ بها ولا يرفع بها راسا تشبه حاله فى ذلك حال من لم يسمعها
وهو سامع كان فى اذنيه وقرا اى ثقلا ولا وقر فيهما وقرئ بسكون الذال فان قلت ما محل
الجملتين المصدرتين بكان قلت الاولى حال من مستكبرا والثانية من لم يسمعها ويجوز ان يكونا
استينافين والاصل فى كان المخففة كانه والضمير ضمير الشان وعد الله حقا مصدران الاول موكدان ع
موكد لنفسه والثانى موكد لغيره لان قوله لهم جنات النعيم فى معنى وعدهم الله جنات النعيم
فاكد معنى الوعد بالوعد واما حقا فدال على معنى الثبات اكد به معنى الوعد وموكدهما جميعا
قوله لهم جنات النعيم وهو العزيز الذى لا يغلبه شى ولا يعجزه يقدر على الشى وضده فيعطى النعيم
من يشاء والبوس من يشاء وهو الحكيم لا يشاء الا ما توجبه الحكمة والعدل ترونها الضمير فيه
للسموات وهو استشهاد برؤيتهم لها غير معمودة على قوله بغير عمد كما تقول لصاحبك انا بلا سيف
ولا رمح ترانى فان قلت ما محلها من الاعراب قلت لا محل لها لانها مستانفة او
هى فى محل الجر صفة للعمد اى بغير عمد مرئية يعنى انه عمدها بعمد لا ترى وهى امساكها بقدرته
هذا اشارة الى ما ذكر من مخلوقاته والخلق بمعنى المخلوق والذين من دونه الهتهم بكتهم بان
هذه الاشياء العظيمة مما خلقه الله وانشاه فارونى ماذا خلقته الهتكم حتى استوجبوا عندكم
العبادة ثم اضرب عن تبكيتهم الى التسجيل عليهم بالتورط فى ضلال ليس بعده ضلال هو لقمان بن
باعورا ابن اخت ايوب او ابن خالته وقيل كان من اولاد آزر عاش الف سنة وادرك داود عليه السلام
واخذ منه العلم وكان يفتى قبل مبعث داود فلما بعث قطع الفتوى فقيل له فقال الا اكتفى اذا

كفيت

كفيت وقيل كان قاضيا فى بنى اسرائيل واكثر الاقاويل انه كان حكيما لم يكن نبيا وعن ابن عباس
لقمان لم يكن نبيا ولا ملكا ولكن كان راعيا اسود فرزقه الله العتق ورضى قوله ووصيته فقص
امره فى القران لتمسكوا بوصيته وقال عكرمة والشعبى كان نبيا وقيل خير بين النبوة والحكمة فاختار ع
الحكمة وعن ابن المسيب كان اسود من سودان مصر خياطا وعن مجاهد كان عبدا اسود
غليظ الشفتين متشقق القدمين وقيل كان نجارا وقيل راعيا وقيل كان يحتطب لمولاه كل يوم
حزمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترانى غليظ الشفتين فانه يخرج من بينهما كلام رقيق
وان كنت ترانى اسود فقلبى ابيض وروى ان رجلا وقف عليه فى مجلسه فقال الست الذى
ترعى معى فى مكان كذا قال ما بلغ بك ما ارى قال صدق الحديث والصمت عما لا يعنينى وروى قال بلى ع
انه دخل على داود وهو يسرد الدرع وقد لين الله له الحديد كالطين فاراد ان يساله فادركته الحكمة
فسكت فلما اتمها لبسها وقال نعم لبوس الحرب انت فقال الصمت حكم وقليل فاعله فقال له داود
بحق ما سميت حكيما وروى ان مولاه امره بذبح شاة وبان يخرج منها اطيب مضغتين فاخرج اللسان
والقلب ثم امره بمثل ذلك بعد ايام وان يخرج اخبث مضغتين فاخرج اللسان والقلب فساله
عن ذلك فقال هما اطيب ما فيها اذا طابا واخبث ما فيها اذا خبثا وعن سعيد بن المسيب انه قال
لاسود لا تحزن فانه كان من خير الناس ثلثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان ان هى المفسرة
لان ايتاء الحكمة فى معنى القول وقد نبه الله سبحانه على ان الحكمة الاصلية والعلم الحقيقى هو العمل
بهما وعبادة الله والشكر له حيث فسر ايتاء الحكمة بالبعث على الشكر غنى غير محتاج الى الشكر حميد
حقيق بان يحمد وان لم يحمده احد قيل كان اسم ابنه انعم وقال الكلبى اشكم وقيل كان ابنه و
امراته كافرين فما زال بهما حتى اسلما الظلم عظيم لان التسوية بين من لا نعمة الا هى منه ومن لا نعمة
منه البتة ولا يتصور ان يكون منه ظلم لا يكتنه عظمه اى حملته تهن وهنا على وهن كقولك رجع عودا

عاید؟ بمعنی یعود عودًا علی بدء وهو فی موضع الحال والمعنی انها تضعف ضعفا فوق ضعف
ای یتزاید ضعفها ویتضاعف لان الحمل کلما ازداد وعظم ازدادت ثقلا وضعفًا وقری وهنا علی
وهن بالتحریک عن ابی عمرو یقال وَهَن یوهَن ووهن یهِن وقری وفِصٰله ان اشکر تفسیر لوصینا
ما لیس لک به علم اراد بنفی العلم به نفیه ای لا تشرک بی ما لیس بشیء یرید الاصنام کقوله ما یدعون من
دونه من شیء معروفا صحابا ای مصاحبا معروفا حسنًا بخلق جمیل وحلم واحتمال وبر وصلة وما
یقتضیه الکرم والمروة واتبع سبیل من اناب الی ترید واتبع سبیل المومنین فی دینک ولا تتبع سبیلهما
فیه وان کنت مامورًا بحسن مصاحبتهما فی الدنیا ثم الی مرجعک ومرجعهما فاجازیک علی ایمانک
واجازیهما علی کفرهما علم بذلک حکم الدنیا وما یجب علی الانسان فی صحبتهما ومعاشرتهما من
مراعات حق الابوة وتعظیمه وما لهما من المواجب التی لا یسوغ الاخلال بها ثم بین حکمهما وما
حالهما فی الاخرة وروی انها نزلت فی سعد بن ابی وقاص وامه وفی القصة انها مکثت ثلاثا لا
تطعم ولا تشرب حتی شجروا فاها بعود وروی انه قال لو کانت لها سبعون نفسا فخرجت لما
ارتددت الی الکفر **فان قلت** هذا الکلام کیف وقع فی اثناء وصیة لقمان **قلت** هو کلام
اعترض به علی سبیل الاستطراد تاکیدا لما فی وصیة لقمان من النهی عن الشرک **فان قلت**
فقوله حملته امه وهنا علی وهن وفصاله فی عامین کیف اعترض به بین المفسَّر والمفسِّر **قلت** والتابعی
لما وصی بالوالدین ذکر ما تکابده الام وتعانیه من المشاق فی حمله وفصاله هذه المدة المتطاولة
ایجابا للتوصیة بالوالدة خصوصا وتذکیرا بحقها العظیم مفردًا ومن ثم قال رسول الله صلی الله
علیه وسلم لمن قال له من ابر امک ثم امک ثم امک ثم قال بعد ذلک ثم اباک وعن بعض العرب
انه حمل امه الی الحج علی ظهره وهو یقول فی حدائه بنفسه احمل امی وهی الحمالة ترضعنی الدرة والعلالة
ولا یجازی والد فعاله **فان قلت** ما معنی توقیت الفصال بالعامین **قلت** المعنی فی توقیته

بهذه

١٩٥

بهذه المدة انها الغایة التی لا تتجاوز والامر فیما دون العامین موکول الی اجتهاد الام ان علمت
انه یقوی علی الفطام فلها ان تفطمه ویدل علیه قوله عز وعلا والوالدات یرضعن اولادهن
حولین کاملین لمن اراد ان یتم الرضاعة وبه استشهد الشافعی رضی الله عنه علی ان مدة الرضاع
سنتان لا تثبت حرمة الرضاع بعد انقضائهما وهو مذهب ابی یوسف ومحمد واما عند ابی
حنیفة رضی الله عنه فمدة الرضاع ثلثون شهرا وعن ابی حنیفة ان فطمته قبل العامین فاستغنی
بالطعام ثم ارضعته لم یکن رضاعا وان اکل اکلا ضعیفا فهو رضاع محرم وقری مثقال حبة بالنصب لم یستغن به عن الرضاع ثم ارضعته ح
والرفع فمن نصب کان الضمیر للهنة من الاساءة او الاحسان ای ان کانت مثلا فی الصغر والقماءة
کحبة الخردل وکانت مع صغرها فی اخفی موضع واحرزه کجوف الصخرة او حیث کانت فی العالم العلوی
او السفلی یات بها یوم القیامة فیحاسب بها عاملها ان الله لطیف یتوصل علمه الی کل خفی
خبیر عالم بکنهه وعن قتادة لطیف باستخراجها خبیر بمستقرها ومن قرا بالرفع کان ضمیر القصة
وانما انث المثقال لاضافته الی الحبة کما قال کما شرقت صدر القناة من الدم وروی ان
ابن لقمان قال له ارایت الحبة تکون فی مقل البحر ای فی مغاصه یعلمها الله فقال ان الله یعلم اصغر الاشیاء
فی اخفی الامکنة لان الحبة فی الصخرة اخفی منها فی الماء وقیل الصخرة هی التی تحت الارض وهی السجین
یکتب فیها اعمال الکفار وقری فتکن بکسر الکاف من وکن الطایر یکن اذا استقر فی وکنته وهی مقره
لیلا واصبر علی ما اصابک یجوز ان یکون عاما فی کل ما یصیبه من المحن وان یکون خاصا بما یصیبه
فیما امر به من الامر بالمعروف والنهی عن المنکر من اذی من یبعثهم علی الخیر وینکر علیهم الشر ان ذلک
مما عزمه الله من الامور ای قطعه قطع ایجاب والزام ومنه الحدیث لا صیام لمن لم یعزم الصیام
من اللیل ای لم یقطعه بالنیة الا تری الی قوله علیه السلام لمن لم یبیت الصیام ومنه ان الله یحب ان
یوخذ برخصه کما یحب ان یوخذ بعزائمه وقولهم عزمة من عزمات ربنا ومنه عزمات الملوک

وذلك ان يقول الملك لبعض من تحت يده عزمت عليك الا فعلت كذا اذا قال ذلك لم يكن
للمعزوم عليه بد من فعله ولا مندوحة في تركه وحقيقته انه من تسمية المفعول بالمصدر و
اصله من معزومات الامور اي من مقطوعاتها ومفروضاتها ويجوز ان يكون مصدرا في معنى
الفاعل اصله من عازمات الامور من قوله تعالى فاذا عزم الامر كقولك جد الامر وصدق القتال
وناهيك بهذه الآية مؤذنة بقدم هذه الطاعات وانها كانت مامورا بها في سائر الامم
ان الصلوة لم تزل عظيمة الشان سابقة القدم على ما سواها موصى بها في الاديان كلها تصاعر
تصعر بالتشديد والتخفيف يقال اصعر خده وصعره وصاعره كقولك اعلاه وعلاه وعالاه
بمعنى والصعر والصيد داء يصيب البعير يلوي منه عنقه والمعنى اقبل على الناس بوجهك
تواضعا ولا تولهم شق وجهك وصفحته كما يفعل المتكبرون اراد ولا تمش تمرح مرحا او اوقع المصدر
موقع الحال بمعنى مرحا ويجوز ان يريد لا تمش لاجل المرح والاشر اي لا يكن غرضك في المشي البطالة
والاشر كما يمشي كثير من الناس لذلك لا لكفاية مهم ديني او دنيوي ونحوه قوله تعالى ولا تكونوا
كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس والمختال مقابل للماشي مرحا وكذلك الفخور للمصعر خده
كبرا واقصد في مشيك واعدل فيه حتى يكون مشيا بين مشيتين لا تدب دبيب المتماوتين ولا تثب
وثب الشطار قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المومن واما قول عائشة رضي الله عنها
في عمر رضي الله عنه كان اذا مشى اسرع فانما ارادت السرعة المرتفعة عن دبيب المتماوت وقرئ
واقصد بقطع الهمزة اي سدد في مشيك من اقصد الرامي اذا سدد سهمه نحو الرمية واغضض
من صوتك وانقص منه واقصر من قولك فلان يغض من فلان اذا قصر به ووضع منه انكر الاصوات
اوحشها من قولك شي نكر اذا انكرته النفوس واستوحشت منه ونفرت والحمار مثل في الذم
البليغ والشتيمة وكذلك نهاقه ومن استفحاشهم لذكره مجردا وتفاديهم من اسمه انهم يكنون

عنه

عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الاذنين كما يكنى عن الاشياء المستقذرة و
قد عد في مساوي الآداب ان يجري ذكر الحمار في مجلس قوم من اولي المروة ومن العرب من
لا يركب الحمار استنكافا وان بلغت منه الرجلة فتشبيه الرافعين اصواتهم بالحمير وتمثيل اصواتهم
بالنهاق ثم اخلاء الكلام من لفظ التشبيه واخراجه مخرج الاستعارة وان جعلوا حميرا وصوتهم
نهاقا مبالغة شديدة في الذم والتهجين وافراط في التثبيط عن رفع الصوت والترغيب
عنه وتنبيه على انه من كراهة الله بمكان **فان قلت** لم وحد صوت الحمير ولم يجمع **قلت**
ليس المراد ان يذكر صوت كل واحد من آحاد هذا الجنس حتى يجمع وانما المراد ان كل جنس
من الحيوان الناطق له صوت وانكر اصوات هذه الاجناس صوت هذا الجنس فوجب توحيده
ما في السموات الشمس والقمر والنجوم والسحاب وغير ذلك وما في الارض البحار والانهار والمعادن
والدواب وما لا يحصى واسبغ قرئ بالسين والصاد وهكذا كل سين اجتمع معه الغين والخاء
والقاف تقول في سلخ صلخ وفي سقر صقر وفي سالغ صالغ وقرئ نعمه ونعمة ونعمته **فان قلت** صالغ ح
ما النعمة **قلت** كل نفع قصد به الاحسان والله عز وجل خلق العالم كله نعمة لانه اما حيوان
واما غير حيوان فما ليس بحيوان نعمة على الحيوان والحيوان نعمة من حيث ان ايجاده حيا نعمة عليه
لانه لولا ايجاده حيا لما صح منه الانتفاع وكل ما ادى الى الانتفاع وصححه فهو نعمة **فان قلت**
لم كان خلق العالم مقصودا به الاحسان **قلت** لانه لا يخلقه الا لغرض والا كان عبثا
والعبث لا يجوز عليه ولا يجوز ان يكون لغرض راجع اليه من نفع لانه غني غير محتاج الى المنافع
فلم يبق الا ان يكون لغرض يرجع الى الحيوان وهو نفعه **فان قلت** فما معنى الظاهرة والباطنة
قلت الظاهرة كل ما يعلم بالمشاهدة والباطنة ما لا يعلم الا بدليل او لا يعلم اصلا فكم في بدن الانسان
من نعمة لا يعلمها ولا يهتدي الى العلم بها وقد اكثروا في ذلك فعن مجاهد ظهور الاسلام والنصرة

على الأعداء والباطنة الإمداد من الملائكة وعن الحسن الظاهرة الإسلام والباطنة الستر وعن
الضحاك حسن الصورة وامتداد القامة وتسوية الأعضاء والباطنة المعرفة وقيل الظاهرة البصر
والسمع واللسان وسائر الجوارح والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك ويروى في دعاء
موسى صلوات الله عليه اللهم دلني على أخفى نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم
النفس ويروى أن أيسر ما يعذب به أهل النار الأخذ بالأنفاس معناه أيتبعونهم ولو كان
الشيطان يدعوهم أي في حال دعاء الشيطان إياهم إلى العذاب قرأ علي بن أبي طالب
رضي الله عنه ومن يسلّم بالتشديد يقال أسلم أمرك وسلّم أمرك إلى الله **فإن قلت** ما له عدّي
بإلى وقد عدي باللام في قوله بلى من أسلم وجهه لله **قلت** معناه مع اللام أنه جعل وجهه
وهو ذاته ونفسه سالماً لله أي خالصاً له ومعناه مع إلى أنه سلّم إليه نفسه كما يسلّم المتاع إلى الرجل
إذا دفع إليه والمراد التوكل عليه والتفويض إليه فقد استمسك بالعروة الوثقى من باب التمثيل
مثّل حال المتوكل بحال من أراد أن يتدلى من شاهق فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق
عروة من حبل متين مأمون انقطاعه وإلى الله عاقبة الأمور أي هي صائرة إليه قرئ يحزنك ويُحزنك
من حزن وأحزن والذي عليه الاستعمال المستفيض أحزنه ويحزنه والمعنى لا يهمنك كفر من كفر
وكيده للإسلام فإن الله عز وجل دافع كيده في نحره ومنتقم منه ومعاقبه على عمله إن الله يعلم ما في
صدور عباده فيفعل بهم على (حسبه) نمتعهم زماناً قليلاً بدنياهم ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ شبه إلزامهم
التعذيب وإرهاقهم إياه باضطرار المضطر إلى الشيء الذي لا يقدر على الانفكاك منه والغلظ مستعار
من الأجرام الغليظة والمراد الشدة والثقل على المعذب قل الحمد لله إلزام لهم على إقرارهم بأن الذي
خلق السموات والأرض هو الله وحده وأنه يجب أن يكون له الحمد والشكر وأن لا يعبد معه غيره
ثم قال بل أكثرهم لا يعلمون أن ذلك يلزمهم وإذا نبهوا عليه لم ينتبهوا إن الله هو الغني عن حمد

الحامدين

الحامدين المستحق للحمد وإن لم يحمدوه قرئ والبحر بالنصب عطفاً على اسم إن وبالرفع عطفاً على
محل إن ومعمولها على ولو ثبت كون الأشجار أقلاماً وثبت البحر ممدوداً بسبعة أبحر أو على
الابتداء والواو للحال على معنى ولو أن الأشجار أقلام في حال كون البحر ممدوداً وفي قراءة ابن مسعود
وبحر يمده على التنكير ويجب أن يحمل هذا على الوجه الأول وقرئ تمده ويمده بالياء والتاء
فإن قلت كان مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد **قلت**
أغنى عن ذكر المداد قوله يمده لأنه من قولك مدّ الدواة وأمدها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة
وجعل الأبحر السبعة مملوءة مداداً فهي تصب فيه مدادها أبداً صباً لا ينقطع والمعنى ولو أن
أشجار الأرض أقلام والبحر ممدود بسبعة أبحر وكتبت بتلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله
لما نفدت كلماته ونفدت الأقلام والمداد كقوله عز وجل قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربي لنفد
البحر قبل أن تنفد كلمات ربي **فإن قلت** زعمت أن قوله والبحر يمده حال في أحد وجهي
الرفع وليس فيه ضمير راجع إلى ذي الحال **قلت** هو كقوله وقد أغتدي والطير في وكناتها
وجئت والجيش مصطف وما أشبه ذلك من الأحوال التي حكمها حكم الظروف ويجوز أن يكون
المعنى وبحرها والضمير للأرض **فإن قلت** لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس
الذي هو شجر **قلت** أريد تفصيل الشجر وتقصيها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا
واحدة إلا وقد بريت أقلاماً **فإن قلت** الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل
فهلا قيل كلم الله **قلت** معناه أن كلماته لا تفي بكتبتها البحار فكيف بكلمه وعن ابن عباس أنها نزلت
جواباً لليهود لما قالوا قد أوتينا التوراة وفيها كل الحكمة وقيل إن المشركين قالوا إن هذا يعنون
الوحي كلام سينفد فأعلم الله أن كلامه لا ينفد وهذه الآية عند بعضهم مدنية وأنها نزلت بعد
الهجرة وقيل هي مكية وإنما أمر اليهود وفد قريش أن يقولوا لرسول الله ألست تتلو فيما

انزل عليك انا قد اوتينا التورية فيها علم كل شيء ان الله عزيز لا يعجزه شيء حكيم لا يخرج من علمه و
حكمته شيء ومثله لا تنفد كلماته وحكمته الا كنفس واحدة الا كخلقها وبعثها اى سواء فى قدرته
القليل والكثير والواحد والجمع لا يتفاوت وذلك انه انما كانت تتفاوت النفس الواحدة والنفوس
الكثيرة العدد ان لو شغله شان عن شان وفعل عن فعل وقد تعالى عن ذلك ان الله سميع بصير
يسمع كل صوت ويبصر كل مبصر فى حالة واحدة لا يشغله ادراك بعضها عن ادراك بعض فكذلك
الخلق والبعث كل واحد من الشمس والقمر يجرى فى فلكه ويقطعه الى وقت معلوم الشمس الى اخر
السنة والقمر الى اخر الشهر وعن الحسن الاجل المسمى يوم القيمة لانه لا ينقطع جريهما الا حينئذ
دل ايضا بالليل والنهار وتعاقبهما وزيادتهما ونقصانهما وجرى النيرين فى فلكيهما كل ذلك على تقدير
وحساب وباحاطته بجميع اعمال الخلق على عظم قدرته وحكمته فان قلت يجرى لاجل مسمى ويجرى الفلك
الى اجل مسمى اهو من تعاقب الحرفين قلت كلا ولا يسلك هذه الطريقة الا بليد الطبع ضيق
العطن ولكن المعنيين اعنى الانتهاء والاختصاص كل واحد منهما ملائم لصحة الغرض لان قولك
يجرى الى اجل مسمى معناه يبلغه وينتهى اليه وقولك يجرى لاجل مسمى تريد يجرى لادراك اجل
مسمى تجعل الجرى مختصا بادراك اجل مسمى الا ترى ان جرى الشمس مختص باخر السنة وجرى
القمر باخر الشهر فكلا المعنيين غير ناب به موضعه ذلك الذى وصف من عجائب قدرته وحكمته
التى تعجز عنها الاحياء القادرون العالمون فكيف بالجماد الذى تدعونه من دون الله انما هو بسبب
انه هو الحق الثابت الهيته وان من دونه باطل الالهية وان الله هو العلى الشان الكبير السلطان
او ذلك الذى اوحى اليك من هذه الآيات بسبب بيان ان الله هو الحق وان الها غيره باطل وان الله
هو العلى الكبير عن ان يشرك به قرئ الفلك بضم اللام وكل فعل يجوز فيه فعل كما يجوز فى كل فعل فعل
على مذهب التعويض وبنعمات الله بسكون العين وعين فعلات يجوز فيها الكسر والفتح والسكون رحمه الله

بالحسانه

وبرحمته صبار على بلائه شكور لنعمائه وهما صفتا المؤمن فكانه قال ان فى ذلك لآيات لكل مؤمن
يرتفع الموج ويتراكب فيعود مثل الظلل والظلة كل ما اظلك من جبل او سحاب او غيرهما وقرئ
كالظلال جمع ظلة كقلة وقلال فمنهم مقتصد متوسط فى الكفر والظلم خفض من غلوائه وانزجر
بعض الانزجار او مقتصد فى الاخلاص الذى كان عليه فى البحر يعنى ان ذلك الاخلاص الحادث
عند الخوف لا يبقى لاحد قط والمقتصد قليل نادر وقيل مؤمن قد ثبت على ما عاهد عليه الله
فى البحر والختر اشد الغدر ومنه قولهم انك لا تمد لنا شبرا من غدر الا مددنا لك باعا من ختر
قال وانك لو رايت ابا عمير ملأت يديك من غدر وختر لا يجزى لا يقضى عنه ومنه قولهم
للمتقاضى المتجازى وفى الحديث فى جذعة بن نيار تجزى عنك ولا تجزى عن احد بعدك وقرئ
لا يجزئ لا يغنى يقال اجزأت عنك مجزأ فلان والمعنى لا يجزى فيه فحذف والغرور الشيطان
وقيل الدنيا وقيل تمنيكم فى المعصية المغفرة وعن سعيد بن جبير الغرة بالله ان يتمادى الرجل
فى المعصية ويتمنى على الله المغفرة وقيل ذكرك لحسناتك ونسيانك لسيئاتك غرة وقرئ بضم الغين
وهو مصدر غره غرورا وجعل الغرور غارا كما قيل جد جده او اريد زينة الدنيا لانها غرور
فان قلت قوله ولا مولود هو جاز عن والده شيئا وارد على طريق من التوكيد
لم يرد عليه ما هو معطوف عليه قلت الامر كذلك لان الجملة الاسمية اكد من الفعلية
وقد انضم الى ذلك قوله هو وقوله مولود والسبب فى مجيئه على هذا السنن ان الخطاب للمؤمنين
وعليتهم قبض اباؤهم على الكفر وعلى الدين الجاهلى فاريد حسم اطماعهم واطماع الناس فيهم ان ينفعوا
اباءهم فى الاخرة وان يشفعوا لهم وان يغنوا عنهم من الله شيئا فلذلك جيء به على الطريق الاكد
ومعنى التوكيد فى لفظ المولود ان الواحد منهم لو شفع فى الاب الادنى الذى ولد منه لم تقبل
شفاعته فضلا ان يشفع لمن فوقه من اجداده لان الولد يقع على الولد وولد الولد بخلاف المولود

فانه لمن ولد منك روى ان رجلا من محارب وهو الحرث بن عمرو بن حارثة اتى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله اخبرني عن الساعة متى قيامها واني قد القيت حباتي في الارض وقد
ابطات عنا السماء فمتى تمطر واخبرني عن امراتي فقد اشتملت ما في بطنها اذكر ام انثى واني علمت
ما عملت امس فما اعمل غدا وهذا مولدي قد عرفته فاين اموت فنزلت وعن النبي صلى الله عليه وسلم
مفاتح الغيب خمس وتلا هذه الاية وعن ابن عباس من ادعى علم هذه الخمسة فقد كذب اياكم
والكهانة فانها تدعو الى الشرك والشرك واهله في النار وعن المنصور انه اهمه معرفة مدة عمره فراى
في منامه كان خيالا اخرج يده من البحر واشار اليه بالاصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتاولوها
بخمس سنين وبخمسة اشهر وبغير ذلك حتى قال ابو حنيفة رضي الله عنه تاويلها ان مفاتح الغيب
خمس لا يعلمها الا الله وان ما طلبت معرفته لا سبيل لك اليه عنده علم الساعة ايان مرساها وينزل
الغيث في ابانه من غير تقديم ولا تاخير وفي بلد لا يتجاوزه به ويعلم ما في الارحام اذكر ام
انثى اتام ام ناقص وكذلك ما سوى ذلك من الاحوال وما تدري نفس برة ام فاجرة ماذا تكسب
غدا من خير او شر وربما كانت عازمة على خير فعملت شرا وعازمة على شر فعملت خيرا وما تدري
نفس باي ارض تموت وربما اقامت بارض وضربت اوتادها وقالت لا ابرحها واقبر فيها فترمي بها
مرامي القدر حتى تموت في مكان لم يخطر ببالها ولا حدثتها به ظنونها وروي ان ملك الموت
مر على سليمان فجعل ينظر الى رجل من جلسائه يديم النظر اليه فقال الرجل من هذا قال ملك الموت فقال
كانه يريدني وسال سليمان ان يحمله على الريح ويلقيه ببلاد الهند ففعل ثم قال ملك الموت
لسليمان كان دوام نظري اليه تعجبا منه لاني امرت ان اقبض روحه بالهند وهو عندك
وجعل العلم لله والدراية للعبد لما في الدراية من معنى الختل والحيلة والمعنى انها لا تعرف وان اعملت
حيلها ما يلتصق بها ويختص ولا يتخطاها ولا شيء اخص بالانسان من كسبه وعاقبته فاذا لم يكن له

طريق الى معرفتهما كان من معرفة ما عداهما ابعد وقرئ باية ارض وشبه سيبويه تانيث
اي بتانيث كل في قولهم كلتهن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة لقمان كان له لقمان رفيقا
يوم القيامة واعطي من الحسنات عشرا عشرا بعدد من عمل بالمعروف ونهى عن المنكر

سورة السجدة مكية وهي ثلثون اية وقيل تسع وعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم الم على انها اسم السورة مبتدا خبره تنزيل الكتاب وان
جعلتها تعديدا للحروف ارتفع تنزيل الكتاب بانه خبر مبتدا محذوف او هو مبتدا خبره لا ريب فيه
والوجه ان يرتفع بالابتداء وخبره من رب العالمين ولا ريب فيه اعتراض لا محل له والضمير
في فيه راجع الى مضمون الجملة كانه قيل لا ريب في ذلك اي في كونه منزلا من رب العالمين ويشهد
لوجاهته قوله ام يقولون افتراه لان قولهم هذا مفترى انكار لان يكون من رب العالمين و
كذلك قوله بل هو الحق من ربك وما فيه من تقرير انه من الله وهذا اسلوب صحيح محكم اثبت
اولا ان تنزيله من رب العالمين وان ذلك ما لا ريب فيه ثم اضرب عن ذلك الى قوله يقولون
افتراه لان ام هي المنقطعة الكائنة بمعنى بل والهمزة انكارا لقولهم وتعجيبا منهم لظهور امره في عجز
بلغائهم عن مثل ثلاث ايات منه ثم اضرب عن الانكار الى اثبات انه الحق من ربك ونظيره ان
يعلل العالم في المسئلة بعلة صحيحة جامعة قد احترز فيها انواع الاحتراز كقول المتكلمين النظر اول
الافعال الواجبة على الاطلاق التي لا يعرى عن وجوبها مكلف ثم يعترض عليه فيها ببعض ما وقع احترازه
منه فيرده بتخلصه انه احترز من ذلك ثم يعود الى تقرير كلامه وتمشيته فان قلت كيف
نفى ان يرتاب في انه من الله وقد اثبت ما هو اطم من الريب وهو قولهم افتراه قلت معنى لا ريب
فيه ان لا مدخل للريب في انه تنزيل الله لان نافي الريب ومميطه معه لا ينفك عنه وهو كونه معجزا

للبشر ومثله ابعد شيء من الريب واما قولهم افتراه فاما قول متعنت مع علمه انه من الله لظهور
الاعجاز له او جاهل يقوله قبل التامل والنظر لانه يسمع الناس يقولونه ما اتاهم من نذير من قبلك
كقوله ما انذر اباؤهم وذلك ان قريشا لم يبعث الله اليهم رسولا قبل محمد صلى الله عليه وسلم ○
فان قلت فاذا لم ياتهم نذير لم تقم عليهم حجة قلت اما قيام الحجة بالشرائع التي لا يدرك
علمها الا بالرسل فلا واما قيامها بمعرفة الله وتوحيده وحكمته فنعم لان ادلة العقل الموصلة الى
ذلك معهم في كل زمان لعلهم يهتدون فيه وجهان ان يكون على الترجي من رسول الله كما كان
لعله يتذكر على الترجي من موسى وهرون وان يستعار لفظ الترجي للارادة فان قلت
ما معنى قوله ما لكم من دونه من ولي ولا شفيع قلت هو على معنيين احدهما انكم اذا جاوزتم
رضاه لم تجدوا لانفسكم وليا اي ناصرا ينصركم ولا شفيعا يشفع لكم والثاني ان الله وليكم الذي
يتولى مصالحكم وشفيعكم اي ناصركم على سبيل المجاز لان الشفيع ينصر المشفوع له فهو كقوله وما لكم
من دونه من ولي ولا نصير فاذا خذلكم لم يبق لكم ولي ولا نصير الامر المأمور به من الطاعات والاعمال
الصالحة ينزله مدبرا من السماء الى الارض ثم لا يعمل به ولا يصعد اليه ذلك المأمور به خالصا
كما يريده ويرتضيه الا في مدة متطاولة لقلة عمال الله والخلص من عباده وقلة الاعمال الصاعدة
لانه لا يوصف بالصعود الا الخالص ودل عليه قوله على اثره قليلا ما تشكرون او يدبر امر الدنيا
كلها من السماء الى الارض لكل يوم من ايام الله وهو الف سنة كما قال وان يوما عند ربك كالف
سنة مما تعدون ثم يعرج اليه اي يصير اليه ويثبت عنده ويكتب في صحف ملائكته كل وقت
من اوقات هذه المدة ما يرتفع من ذلك الامر ويدخل تحت الوجود الى ان يبلغ المدة اخرها ثم يدبر
ايضا ليوم اخر وهلم جرا الى ان تقوم الساعة وقيل ينزل الوحي مع جبريل من السماء الى الارض
ثم يرجع اليه ما كان من قبول الوحي او رده مع جبريل وذلك في وقت هو في الحقيقة الف سنة لان

المسافة

المسافة مسيرة الف سنة في الهبوط والصعود لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام و
هو يوم من ايامكم لسرعة جبريل لانه يقطع مسيرة الف سنة في يوم واحد وقيل يدبر امر الدنيا
من السماء الى الارض الى ان تقوم الساعة ثم يعرج اليه ذلك الامر كله اي يصير اليه ليحكم فيه في
يوم كان مقداره الف سنة وهو يوم القيامة وقرأ ابن ابي عبلة يعرج على البناء للمفعول وقرئ
تعدون بالتاء والياء احسن كل شيء حسنه لانه ما من شيء خلقه الا وهو مرتب على ما اقتضته
الحكمة واوجبته المصلحة فجميع المخلوقات حسنة وان تفاوتت الى حسن واحسن كما قال لقد
خلقنا الانسان في احسن تقويم وقيل علم كيف يخلقه من قوله قيمة المرء ما يحسن وحقيقته يحسن
معرفته اي يعرفه معرفة حسنة بتحقيق واتقان وقرئ خلقه على البدل اي احسن خلق
كل شيء وخلقه على الوصف اي كل شيء خلقه فقد احسنه سميت الذرية نسلا لانها تنسل
منه اي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قولهم للولد سليل ونجل وسواه قومه كقوله في
احسن تقويم دل باضافة الروح الى ذاته على انه خلق عجيب لا يعلم كنهه الا هو كقوله ويسالونك
عن الروح الاية كانه قال ونفخ فيه من الشيء الذي اختص هو به وبمعرفته وقالوا قيل القائل ابي
بن خلف ولرضاهم بقوله اسند اليهم جميعا وقرئ اينا وانا على الاستفهام وتركه ضللنا
صرنا ترابا وذهبنا مختلطين بتراب الارض لا نتميز منه كما يضل الماء في اللبن وغبنا في
الارض بالدفن فيها من قوله واب مضلوة بعين جلية وقرأ علي وابن عباس ضللنا بكسر اللام يقال
ضل يضل وضل يضل وقرأ الحسن صللنا من صل اللحم واصل اذا انتن وقيل صرنا من جنس الصلة
وهي الارض فان قلت بم انتصب الظرف في اذا ضللنا قلت بما دل عليه انا
لفي خلق جديد وهو نبعث ونجدد خلقنا لقاء ربهم هو الوصول الى العاقبة من تلقي ملك الموت
وما وراءه فلما ذكر كفرهم بالانشاء اضرب عنه الى ما هو ابلغ من الكفر وهو انهم كافرون بجميع ما

في العاقبة بالانشاء جديد الا ترى كيف خوطبوا بتوفي ملك الموت وبالرجوع الى ربهم بعد
ذلك مبعوثين للحساب والجزاء وهذا معنى لقاء الله على ما ذكرنا والتوفي استيفاء النفس وهي
الروح قال الله تعالى الله يتوفى الانفس وقال اخرجوا انفسكم وهو ان يقبض كلها لا يترك منها شي
من قولك توفيت حقي من فلان واستوفيته اذا اخذته وافيا كاملا من غير نقصان والتفعل و
الاستفعال يلتقيان في مواضع منه تقضيته واستقصيته وتعجلته واستعجلته وعن مجاهد
حويت لملك الموت الارض وجعلت له مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وعن قتادة
يتوفاهم ومعه اعوان من الملائكة وقيل ملك الموت يدعو الارواح فتجيبه ثم يامر اعوانه بقبضها
ولو ترى يجوز ان يكون خطابا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وفيه وجهان ان يراد به التمني
كانه قال وليتك ترى كقوله عليه السلام للمغيرة لو نظرت اليها والتمني لرسول الله كما كان الترجي
له في لعلهم يهتدون لانه تجرع منهم الغصص ومن عداوتهم وضرارهم فجعل الله له تمني ان يراهم
على تلك الصفة الفظيعة من الحياء والخزي والغم ليشمت بهم وان تكون لو الامتناعية قد حذف
جوابها وهو لرايت امرا فظيعا او لرايت اسوا حال ترى ويجوز ان يخاطب به كل احد كما تقول
فلان لئيم ان اكرمته اهانك وان احسنت اليه اساء اليك فلا تريد به مخاطبا بعينه فكانك
قلت ان اكرم وان احسن اليه ولو واذ كلاهما للمضي وانما جاز ذلك لان المترقب من الله
بمنزلة الموجود المقطوع به في تحققه ولا يقدر لترى ما يتناوله كانه قيل ولو تكون منك
الرؤية واذ ظرف له يستغيثون بقولهم ربنا ابصرنا وسمعنا فلا يغاثون يعني ابصرنا صدق
وعدك ووعيدك وسمعنا منك تصديق رسلك او كنا عميا وصما فابصرنا وسمعنا فارجعنا
هي الرجعة الى الدنيا لاتينا كل نفس هداها على طريق الالجاء والقسر ولكنا بنينا الامر على
الاختيار دون الاضطرار فاستحبوا العمى على الهدى فحقت كلمة العذاب على اهل العمى دون

البصراء

البصراء الا ترى الى ما عقبه به من قوله فذوقوا بما نسيتم فجعل ذوق العذاب نتيجة فعلهم من
نسيان العاقبة وقلة التفكر فيها وترك الاستعداد لها والمراد بالنسيان خلاف التذكر
يعني ان الانهماك في الشهوات اذهلكم والهاكم عن تذكر العاقبة وسلط عليكم نسيانها قال
انا نسيناكم على المقابلة اي جازيناكم جزاء نسيانكم وقيل هو بمعنى الترك اي تركتم الفكر في
العاقبة فتركناكم من الرحمة وفي استيناف قوله انا نسيناكم وبناء الفعل على ان واسمها تشديد
في الانتقام منهم والمعنى فذوقوا هذا اي ما انتم فيه من نكس الرؤوس والخزي والغم بسبب نسيان
اللقاء وذوقوا العذاب المخلد في جهنم بسبب ما عملتم من المعاصي والكبائر الموبقة اذا ذكروا
بها اي وعظوا سجدوا تواضعا لله وخشوعا وشكرا على ما رزقهم من الاسلام وسبحوا
حمد ربهم ونزهوا الله من نسبة القبائح اليه واثنوا عليه حامدين له وهم لا يستكبرون كما يفعل
من يصر مستكبرا كان لم يسمعها ومثله قوله ان الذين اوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون
للاذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا تتجافى ترتفع وتتنحى عن المضاجع عن الفرش ومواضع النوم
داعين ربهم عابدين له لاجل خوفهم من سخطه وطمعهم في رحمته وهم المتهجدون وعن
رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا جمع الله الاولين والاخرين يوم القيمة جاء مناد ينادي بصوت
يسمع الخلائق كلهم سيعلم اهل الجمع اليوم من اولى بالكرم ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانت تتجافى
جنوبهم عن المضاجع فيقومون وهم قليل ثم يرجع فينادي ليقم الذين كانوا يحمدون الله
في الباساء والضراء فيقومون وهم قليل فيسرحون جميعا الى الجنة ثم يحاسب سائر الناس وعن
انس بن مالك رضي الله عنه كان ناس من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلون من
صلوة المغرب الى صلوة العشاء الاخرة فنزلت فيهم وقيل هم الذين يصلون صلوة العتمة لا ينامون
عنها ما اخفي لهم على البناء للمفعول ما اخفي لهم على البناء للفاعل وهو الله سبحانه وتعالى ما

في تفسيرها قيام العبد من الليل وعن الحسن
انه التهجد وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم

ما اخفى لهم على البناء وما نخفى لهم وما اخفيت لهم البلاد للمتكلم وهو الله سبحانه و
ما بمعنى الذي او بمعنى اي وقرى من قرة اعين وقرات اعين والمعنى لا تعلم النفس كل نفس
ولا نفس واحدة منهن لا ملك مقرب ولا نبي مرسل اي نوع عظيم من الثواب ادخر الله لاولئك
واخفاه من جميع خلائقه لا يعلمه الا هو مما تقر به عيونهم ولا مزيد على هذه العدة ولا مطمح
وراءها ثم قال جزاء بما كانوا يعملون فحسم اطماع المتمنين وعن النبي صلى الله عليه وسلم اعددت لعبادي يقول الله تعالى م
الصالحين ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه اقرءوا
ان شئتم فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وعن الحسن اخفى القوم اعمالا في الدنيا فاخفى الله لهم
ما لا عين رأت ولا اذن سمعت كان مؤمنا وكان فاسقا محمولان على لفظ من ولا يستوون
محمول على المعنى بدليل قوله اما الذين امنوا واما الذين فسقوا ونحوه قوله ومنهم من يستمع
اليك حتى اذا خرجوا من عندك وجنات المأوى نوع من الجنان قال الله تعالى ولقد رآه
نزلة اخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روي عن ابن عباس
قال تأوي اليها ارواح الشهداء وقيل هي عن يمين العرش وقرئ جنة المأوى على التوحيد
نزلا عطاء باعمالهم والنزل عطاء النازل ثم صار عاما فمأواهم النار اي ملجاهم ومنزلهم
ويجوز ان يراد فجنة مأواهم النار اي النار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين كقوله فبشرهم
بعذاب اليم العذاب الادنى عذاب الدنيا من القتل والاسر وما محنوا به من السنة سبع سنين
وعن مجاهد عذاب القبر والعذاب الاكبر عذاب الاخرة اي نذيقهم عذاب الدنيا
قبل ان يصلوا الى الاخرة لعلهم يرجعون اي يتوبون عن الكفر او لعلهم يريدون الرجوع
ويطلبونه كقوله فارجعنا نعمل صالحا وسميت ارادة الرجوع رجوعا كما سميت ارادة القيام
قياما في قوله تعالى اذا قمتم الى الصلوة ويدل عليه قراءة من قرأ يرجعون على البناء للمفعول

فان قلت

فان قلت من اين صح تفسير الرجوع بالتوبة ولعل من الله ارادة واذا اراد الله شيئا كان
ولم يمتنع وتوبتهم مما لا يكون الا ترى انها لو كانت مما يكون لم يكونوا ذائقين العذاب
الاكبر **قلت** ارادة الله تتعلق بافعاله وافعال عباده فاذا اراد شيئا من افعاله كان
ولم يمتنع للاقتدار وخلوص الداعي واما افعال عباده فاما ان يريدها وهم مختارون
لها او مضطرون اليها بقسره والجائه فان ارادها وقد قسرهم فحكمها حكم افعاله وان ارادها
على ان يختاروها وهو عالم انهم لا يختارونها لم يقدح ذلك في اقتداره كما لا يقدح في اقتدارك
ارادتك ان يختار عبدك طاعتك وهو لا يختارها لان اختياره لا يتعلق بقدرتك واذا لم
يتعلق بقدرتك لم يكن فقده دالا على عجزك وروي في نزولها انه شجر بين علي بن ابي طالب و
الوليد بن عقبة بن ابي معيط يوم بدر كلام فقال له الوليد اسكت فانك صبي انا اشب منك
شبابا واجلد منك جلدا واذرب منك لسانا واحد منك سنانا واشجع منك جنانا واملا
منك حشوا في الكتيبة فقال له علي عليه السلم اسكت فانك فاسق فنزلت عامة للمؤمنين والفاسقين
فتناولتهما وكل من كان في مثل حالهما وعن الحسن بن علي عليه السلم انه قال للوليد كيف تشتم
عليا وقد سماه الله مؤمنا في عشر ايات وسماك فاسقا ثم في قوله ثم اعرض عنها للاستبعاد
والمعنى ان الاعراض عن مثل ايات الله في وضوحها وانارتها وارشادها الى سواء السبيل
والفوز بالسعادة العظمى بعد التذكير بها مستبعد في العقل والعدل كما تقول لصاحبك
وجدت مثل تلك الفرصة ثم لم تنتهزها استبعادا لتركه الانتهاز ومنه ثم في بيت الحماسة
لا يكشف الغماء الا ابن حرة يرى غمرات الموت ثم يزورها استبعد ان يزور غمرات الموت
بعد ان رآها واستيقنها واطلع على شدتها **فان قلت** هلا قيل انا منه منتقمون **قلت**
لما جعله اظلم كل ظالم ثم توعد المجرمين عامة بالانتقام منهم فقد دل على اصابة الاظلم النصيب

الاوفر من الانتقام ولو قاله بالضمير لم تفد هذه الفائدة الكتاب للجنس والضمير في لقائه له و
معناه انا آتينا موسى مثل ما آتيناك من الكتاب ولقيناه مثل ما لقيناك من الوحي فلا تك
في شك من انك لقيت مثله ولقيت نظيره كقوله فان كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل
الذين يقرءون الكتاب من قبلك ونحو قوله من لقائه قوله وانك لتلقى القرآن من لدن حكيم
عليم وقوله ويخرج له يوم القيمة كتابا يلقاه منشورا وجعلنا الكتاب المنزل على موسى هدى لقومه
وجعلنا منهم ائمة يهدون الناس ويدعونهم الى ما في التورية من دين الله وشرائعه لصبرهم وايقانهم
بالآيات وكذلك لنجعلن الكتاب المنزل اليك هدى ونورا ولنجعلن من امتك ائمة يهدون
مثل تلك الهداية لما صبروا عليه من نصرة الدين وثبتوا عليه من اليقين وقيل من لقائك موسى
ليلة الاسراء او يوم القيمة وقيل من لقاء موسى الكتاب اي من تلقيه له بالرضا والقبول وقرئ
لَمَا صبروا ولِمَا صبروا اي لصبرهم وعن الحسن صبروا عن الدنيا وقيل انما جعل الله التورية هدى
لبني اسرائيل خاصة ولم يتعبد بما فيها ولد اسمعيل يفصل بينهم يقضي فيميز المحق في دينه من المبطل
الواو في اولم يهد للعطف على معطوف عليه منوي من جنس المعطوف والضمير في لهم لاهل
مكة وقرئ بالنون والياء والفاعل ما دل عليه كم اهلكنا لان كم لا تقع فاعلة لا يقال جاءني كم رجل
تقديره اولم يهد لهم كثرة اهلاكنا القرون او هذا الكلام كما هو بمضمونه ومعناه كقولك يعصم
لا اله الا الله الدماء والاموال ويجوز ان يكون فيه ضمير الله بدلالة القراءة بالنون والقرون
عاد وثمود وقوم لوط يمشون في مساكنهم يعني اهل مكة يمرون في متاجرهم على ديارهم وبلادهم
وقرئ يمشّون بالتشديد الجرز الارض التي جرز نباتها اي قطع اما لعدم الماء واما لانه رعي و
ازيل ولا يقال للتي لا تنبت كالسباخ جرز ويدل عليه قوله فنخرج به زرعا وعن ابن عباس انها
ارض اليمن وعن مجاهد هي ابين بالماء تاكل من الزرع انعامهم من عصفه وانفسهم من حبه

وقرئ

وقرئ بالكل بالياء الفتح النصر او الفصل بالحكومة من قوله ربنا افتح بيننا وكان المسلمون
يقولون ان الله سيفتح لنا على المشركين او يفتح بيننا وبينهم فاذا سمع المشركون قالوا متى
هذا الفتح اي في اي وقت يكون ان كنتم صادقين في انه كائن ويوم الفتح يوم القيمة وهو يوم (النصر)
الفصل بين المومنين واعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة
فان قلت قد سالوا عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جوابا على سؤالهم **قلت**
كان غرضهم في السوال عن وقت الفتح استعجالا منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فاجيبوا
على حسب ما عرف من غرضهم في سوالهم فقيل لهم لا تستعجلوا به ولا تستهزءوا فكاني بكم
وقد حصلتم في ذلك اليوم وآمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرتم في ادراك العذاب
فلم تُنظروا **فان قلت** فمن فسره بيوم الفتح او بيوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا
ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر **قلت** المراد ان المقتولين
منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كما لم ينفع فرعون ايمانه عند ادراك الغرق وانتظر النصرة
عليهم وهلاكهم انهم منتظرون الغلبة عليكم وهلاككم كقوله فتربصوا انا معكم متربصون و
قرا ابن السميفع منتظَرون بفتح الظاء ومعناه وانتظر هلاكهم فانهم احقاء بان ينتظر هلاكهم
يعني انهم هالكون لا محالة او وانتظر ذلك فان الملائكة في السماء ينتظرونه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من قرا الم تنزيل الكتاب وتبارك الذي بيده الملك اعطي من الاجر كانما احيا
ليلة القدر وقال من قرا الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة ايام

سورة الاحزاب مدنية وهي ثلث وسبعون اية

بسم الله الرحمن الرحيم عن زر قال قال لي ابي بن كعب كم تعدون سورة

الاحزاب قلت ثلثا وسبعين اية قال فوالذي يحلف به ابي بن كعب ان كانت لتعدل
سورة البقرة او اطول ولقد قرانا منها اية الرجم الشيخ والشيخة اذا زنيا فارجموهما
البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم اراد ابي ان ذلك من جملة ما نسخ من القران واما ما يحكى
ان تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عايشة رضي الله عنها فاكلتها الداجن فمن تاليفات
الملاحدة والروافض جعل نداءه بالنبي والرسول في قوله يا ايها النبي اتق الله يا ايها النبي لم تحرم
يا ايها الرسول بلغ ما انزل اليك وترك نداءه باسمه كما قال يا ادم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة
له وتشريفا وربئا بمحله وتنويها بفضله فان قلت ان لم يوقع اسمه في النداء فقد اوقعه
في الاخبار في قوله محمد رسول الله وما محمد الا رسول قلت ذاك لتعليم الناس
بانه رسول الله وتلقين لهم ان يسموه بذلك ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاخبار الا ترى
الى ما لم يقصد به التعليم والتلقين من الاخبار كيف ذكره في النداء لقد جاءكم رسول من
انفسكم وقال الرسول يا رب لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله احق
ان يرضوه النبي اولى بالمؤمنين من انفسهم ان الله وملائكته يصلون على النبي ولو كانوا يؤمنون
بالله والنبي اتق الله واثبت على ما انت عليه من التقوى واثبت عليه وازدد منه وذلك
لان التقوى باب لا يبلغ اخره ولا تطع الكافرين والمنافقين لا تساعدهم على شيء ولا تقبل
لهم رايا ولا مشورة وجانبهم واحترس منهم فانهم اعداء الله واعداء المؤمنين لا يريدون
الا المضارة والمضادة وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر الى المدينة وكان
يحب اسلام اليهود قريظة والنضير وبني قينقاع وقد تابعه ناس منهم على النفاق وكان
يلين لهم جانبه ويكرم صغيرهم وكبيرهم واذا اتى منهم قبيح تجاوز عنه وكان يسمع منهم نزلت
روي ان ابا سفيان بن حرب وعكرمة بن ابي جهل وابا الاعور السلمي قدموا عليه في الموادعة

التي

التي كانت بينه وبينهم وقام معهم عبد الله بن ابي ومعتب بن قشير والجد بن قيس فقالوا
لرسول الله ارفض ذكر الهتنا وقل انها تشفع وتنفع وندعك وربك فشق ذلك على رسول الله
وعلى المؤمنين وهموا بقتلهم فنزلت اي اتق الله في نقض العهد ونبذ الموادعة ولا تطع الكافرين
من اهل مكة والمنافقين من اهل المدينة فيما طلبوا اليك وروي ان اهل مكة دعوا رسول الله
الى ان يرجع عن دينه ويعطوه شطر اموالهم وان يزوجه شيبة بن ربيعة بنته وخوفه منافقوا
المدينة انهم يقتلونه ان لم يرجع فنزلت ان الله كان عليما بالصواب من الخطا والمصلحة
من المفسدة حكيما لا يفعل شيئا ولا يامر به الا بداعي الحكمة واتبع ما يوحى اليك في ترك طاعة
طاعة الكافرين والمنافقين وغير ذلك ان الله الذي يوحي اليك خبير بما تعملون فموح اليك
ما يصلح به اعمالكم فلا حاجة بكم الى الاستماع من الكفرة وقرئ يعملون بالياء اي بما يعمل
المنافقون من كيدهم لكم ومكرهم بكم وتوكل على الله واسند امرك اليه وكله الى تدبيره وكيلا
حافظا موكولا اليه كل امر ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ولا زوجية وامومة في امراة ولا بنوة و
دعوة في رجل والمعنى ان الله سبحانه كما لم ير في حكمته ان يجعل للانسان قلبين لانه لا
يخلو اما ان يفعل باحدهما مثل ما يفعل بالاخر من افعال القلوب فاحدهما فضلة غير محتاج
اليها واما ان يفعل بهذا غير ما يفعل بذاك فذلك يؤدي الى اتصاف الجملة بكونه مريدا كارها
عالما ظانا موقنا شاكا في حالة واحدة لم ير ايضا ان تكون المراة الواحدة اما لرجل زوجا له لان
الام مخدومة مخفوض لها جناح الذل والزوجة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره
كالمملوكة وهما حالتان متنافيتان وان يكون الرجل الواحد دعيا لرجل وابنا له لان البنوة
اصالة في النسب وعراقة فيه والدعوة الصاق عارض بالتسمية لا غير ولا يجتمع في الشيء الواحد
ان يكون اصيلا غير اصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى في زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبي

من يشتري صغيرا وكانت العرب في جاهليتها يتغاورون ويتساءلون فاشتراه حكيم بن حزام
لعمته خديجة فلما تزوجها رسول الله وهبته له وطلبه ابوه وعمه فخير فاختار رسول الله فاعتقه
وكانوا يقولون زيد بن محمد فانزل الله عز وجل هذه الاية وقوله ما كان محمد ابا احد
من رجالكم وقيل كان ابو معمر رجلا من احفظ العرب وارواهم فقيل له ذو القلبين وقيل هو جميل
بن اسد الفهري وكان يقول ان لي قلبين افهم باحدهما اكثر مما يفهم محمد فروي انه انهزم يوم بدر
فمر بابي سفيان وهو معلق احدى نعليه بيده والاخرى في رجله فقال له ما فعل الناس فقال هم ما بين
مقتول وهارب فقال له ما بال احدى نعليك في رجلك والاخرى في يدك فقال ما ظننت الا انهما
في رجلي فاكذب الله قوله وقولهم وضربه مثلا في الظهار والتبني وعن ابن عباس كان المنافقون
يقولون لمحمد قلبان فاكذبهم الله وقيل سها في صلوته فقالت اليهود له قلبان قلب مع اصحابه
وقلب معكم وعن الحسن نزلت في ان الواحد يقول نفس تامرني ونفس تنهاني والتنكير في رجل
وادخال من الاستغراقية على قلبين تاكيدان لما قصد من المعنى كانه قال ما جعل الله لامة الرجال
ولا لواحد منهم قلبين البتة في جوفه **فان قلت** اي فائدة في ذكر الجوف **قلت** الفائدة
فيه كالفائدة في قوله القلوب التي في الصدور وذلك ما يحصل للسامع من زيادة التصور والتجلي
للمدلول عليه لانه اذا سمع به صور لنفسه جوفا يشتمل على قلبين فكان اسرع الى الانكار قرئ
اللاء بياء وهمزة مكسورتين واللاي بياء ساكنة بعد الهمزة وتظاهرون من ظاهر وتظاهرون من اظاهر
بمعنى تظاهر وتظهرون من اظهر بمعنى تظهر وتظهرون من ظهر بمعنى ظاهر كعقد بمعنى عاقد
وتظهرون من ظهر بلفظ فعل من الظهور ومعنى ظاهر من امراته قال لها انت علي كظهر امي ونحوه في
العبارة عن اللفظ لبى المحرم اذا قال لبيك وافف الرجل اذا قال اف ولخواتهن **فان قلت**
ما وجه تعديته بمن **قلت** كان الظهار طلاقا عند اهل الجاهلية فكانوا يتجنبون المراة

المظاهر

المظاهر منها كما يتجنبون المطلقة فكان قولهم تظاهر منها تباعد منها بجهة الظهار وتظهر
منها تحرز منها وظاهر منها حاذر منها وظهر منها وحش منها وظهر منها خلص منها ونظيره الى
من امراته لما ضمن معنى التباعد منها عدي بمن والا فآلى في اصله الذي هو بمعنى حلف واقسم
ليس هذا بحكمه **فان قلت** ما معنى قوله انت علي كظهر امي **قلت** ارادوا ان يقولوا
انت علي حرام كبطن امي فكنوا عن البطن بالظهر لئلا يذكروا البطن الذي ذكره يقارب
ذكر الفرج وانما جعلوا الكناية عن البطن بالظهر لانه عمود البطن ومنه حديث عمر يجيء به احدهم
على عمود بطنه اراد على ظهره ووجه اخر وهو ان اتيان المراة وظهرها الى السماء كان محرما
عندهم محظورا وكان اهل المدينة يقولون اذا اتيت المراة ووجهها الى الارض جاء الولد
احول فلقصد المطلق منهم الى التغليظ في تحريم امراته عليه شبهها بالظهر ثم لم يقنع بذلك
حتى جعله ظهر امه فلم يترك **فان قلت** الدعي فعيل بمعنى مفعول وهو الذي يدعى ولدا
فما له جمع على افعلاء وبابه ما كان منه بمعنى فاعل كتقي واتقياء وشقي واشقياء ولا يكون ذلك في
نحو رمي وسمي **قلت** ان شذوذه عن القياس كشذوذ قتلاء واسراء والطريق
في مثل ذلك التشبيه اللفظي ذلكم النسب هو قولكم بافواهكم هذا ابني لا غير من غير ان يواطئه
اعتقاد لصحته وكونه حقا والله عز وجل لا يقول الا ما هو حق ظاهره وباطنه ولا يهدي الا سبيل
الحق ثم قال ما هو الحق وهدى الى ما هو سبيل الحق وهو قوله ادعوهم لآبائهم وبين ان دعاءهم لآبائهم
هو ادخل الامرين في القسط والعدل وفي فصل هذه الجمل ووصلها من الحسن والفصاحة ما لا
يغبى على عالم بطرق النظم وقرأ قتادة وهو الذي يهدي السبيل وقيل كان الرجل في الجاهلية
اذا اعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه الى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من اولاده من ميراثه
وكان ينسب اليه فيقال فلان بن فلان فان لم تعلموا لهم آباء تنسبونهم اليهم فهم اخوانكم في الدين

واوليائكم في الدين فقولوا هذا اخي وهذا مولاي ويا اخي ويا مولاي يريد الاخوة في الدين
والولاية فيه ما تعمدت في محل الجر عطفا على ما اخطاتم ويجوز ان يكون مرتفعا على الابتداء
والخبر محذوف تقديره ولكن ما تعمدت قلوبكم فيه الجناح والمعنى لا اثم عليكم فيما فعلتموه من
ذلك مخطئين جاهلين قبل ورود النهي ولكن الاثم فيما تعمدتموه بعد النهي او لا اثم عليكم
اذا قلتم لولد غيركم يا بني على سبيل الخطاء وسبق اللسان ولكن اذا قلتموه متعمدين ويجوز
ان يراد العفو عن الخطاء دون العمد على طريق العموم كقوله عليه السلام ما اخشى عليكم الخطا
ولكن اخشى عليكم العمد وقوله وضع عن امتي الخطاء والنسيان وما اكرهوا عليه ثم تناول العموم
خطاء التبني وعمده **فان قلت** فاذا وجد التبني فما حكمه **قلت** اذا كان المتبنى
مجهول النسب واصغر سنا من المتبني ثبت نسبه منه وان كان عبدا له عتق مع ثبوت
النسب وان كان لا يولد مثله لمثله لم يثبت النسب ولكنه يعتق عند ابي حنيفة رضي الله عنه
وعند صاحبيه رحمهما الله لا يعتق واما المعروف النسب فلا يثبت نسبه بالتبني وان كان عبدا
اعتق وكان الله غفورا رحيما لعفوه عن الخطاء وعن العمد اذا تاب العامد النبي اولى بالمومنين في
كل شيء من امور الدين والدنيا من انفسهم ولهذا اطلق ولم يقيد فيجب عليهم ان يكون احب
اليهم من انفسهم وحكمه انفذ عليهم من حكمها وحقه آثر لديهم من حقوقها وشفقتهم عليه
اقدم من شفقتهم عليها وان يبذلوها دونه ويجعلوها فداءه اذا اعضل خطب ووقاءه
اذا لقحت حرب وان لا يتبعوا ما تدعوهم اليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه ويتبعوا كل ما دعاهم
اليه رسول الله وصرفهم عنه لان كل ما دعاهم اليه فهو ارشاد لهم الى نيل النجاة والظفر بسعادة
الدارين وما صرفهم عنه فاخذ بحجزهم لئلا يتهافتوا فيما يرمي بهم الى الشقاوة وعذاب النار او
هو اولى بهم على معنى انه ارأف بهم واعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى بالمومنين رؤف رحيم وعن

النبي

النبي صلى الله عليه وسلم ما من مومن الا انا اولى به في الدنيا والاخرة اقرأوا ان شئتم النبي اولى
بالمومنين من انفسهم فايما مومن هلك وترك مالا فليرثه عصبته من كانوا وان ترك دينا او
ضياعا فالي وفي قراءة ابن مسعود رضي الله عنه النبي اولى بالمومنين من انفسهم وهو اب لهم
وقال مجاهد كل نبي فهو ابو امته ولذلك صار المومنون اخوة لان النبي صلى الله عليه وسلم
ابوهم في الدين وازواجه امهاتهم تشبيه لهن بالامهات في بعض الاحكام وهو وجوب
تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن قال الله تعالى ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا وهن
فيما وراء ذلك بمنزلة الاجنبيات ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها لسنا امهات النساء
تعني انهن انما كن امهات الرجال لكونهن محرمات عليهم كتحريم امهاتهم والدليل على ذلك
ان هذا التحريم لم يتعد الى بناتهن وكذلك لم يثبت لهن سائر احكام الامهات كان المسلمون
في صدر الاسلام يتوارثون بالولاية في الدين وبالهجرة لا بالقرابة كما كانت تتألف قلوب
قوم باسهام لهم في الصدقات ثم نسخ ذلك لما دجا الاسلام وعز اهله وجعل التوارث بحق
القرابة في كتاب الله في اللوح او فيما اوحى الله الى نبيه وهو هذه الاية او في آية المواريث
او فيما فرض الله كقوله كتاب الله عليكم من المومنين والمهاجرين يجوز ان يكون بيانا لاولي الارحام
اي الاقرباء من هولاء بعضهم اولى بان يرث بعضا من الاجانب ويجوز ان يكون لابتداء
الغاية اي اولو الارحام بحق القرابة اولى بالميراث من المومنين بحق الولاية في الدين ومن
المهاجرين بحق الهجرة **فان قلت** مم استثنى ان تفعلوا **قلت** من اعم العام في معنى
النفع والاحسان كما تقول القريب اولى من الاجنبي الا في الوصية تريد انه احق منه في كل
نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك الا في الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية
لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه في معنى تسدوا وتزلوا والمراد بالاولياء المومنون

والمهاجرون للولاية في الدين ذلك اشارة الى ما ذكر في الايتين جميعا وتفسير الكتاب ما مر
آنفا والجملة مستانفة كالخاتمة لما ذكر من الاحكام واذكر حين اخذنا من النبيين جميعا ميثاقهم
تبليغ الرسالة والدعا الى الدين القيم ومنك خصوصا ومن نوح وابرهيم وموسى وعيسى وانما
فعلنا ذلك ليسال الله يوم القيمة عند تواقف الاشهاد المومنين الذين صدقوا عهدهم
ووفوا به من جملة من اشهدهم على انفسهم الست بربكم قالوا بلى عن صدقهم عهدهم وشهادتهم
فيشهد لهم الانبيا بانهم صدقوا عهدهم وشهادتهم وكانوا مومنين او ليسال المصدقين للانبيا
عن تصديقهم لان من قال للصادق صدقت كان صادقا في قوله او ليسال الانبيا ما الذي اجابتهم
به اممهم وتاويل مسئلة الرسل تبكيت الكافرين بهم كقوله ءانت قلت للناس اتخذوني وامي
الهين من دون الله **فان قلت** لم قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم على نوح فمن بعده ○
قلت هذا العطف لبيان فضيلة الانبيا الذين هم مشاهيرهم وذراريهم فلما كان محمد
صلى الله عليه وسلم افضل هولا المفضلين قدم عليهم لبيان انه افضلهم ولولا ذلك لقدم من قدمه
زمانه **فان قلت** فقد قدم عليه نوح في الاية التي هي اخت هذه الاية وهي قوله شرع لكم من
الدين ما وصى به نوحا والذي اوحينا اليك ثم قدم على غيره **قلت** مورد هذه الاية على
طريقة خلاف طريقة تلك وذلك ان الله عز وجل انما اوردها لوصف دين الاسلام بالاصالة و
الاستقامة وكانه قال شرع لكم الدين الاصيل الذي بعث عليه من توسط بينهما من الانبيا المشاهير نوح في عهد القديم وبعث عليه محمد خاتم الانبياء في عهد الحديث وبعث عليه
فان قلت فماذا اراد بالميثاق الغليظ **قلت** اراد به ذلك الميثاق بعينه معناه و
اخذنا منهم بذلك الميثاق ميثاقا غليظا والغلظة استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق
وجلالة شانه في بابه وقيل الميثاق الغليظ اليمين بالله على الوفا بما حملوا **فان قلت** علام عطف
قوله واعد للكافرين **قلت** على اخذنا من النبيين لان المعنى ان الله اكد على الانبيا الدعوة

١٧

الى دينه لاجل اثابة المومنين واعد للكافرين عذابا او على ما دل عليه ليسال الصادقين كانه
قال فاثاب المومنين واعد للكافرين اذكروا ما انعم الله به عليكم يوم الاحزاب وهو يوم الخندق
اذ جاءتكم جنود وهم الاحزاب فارسل الله عليهم ريح الصبا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
نصرت بالصبا واهلكت عاد بالدبور وجنودا لم تروها وهم الملائكة وكانوا الفا بعث الله
عليهم صبا باردة في ليلة شاتية فاخصرتهم وسفت التراب في وجوههم وامر الملائكة فقلعت
الاوتاد وقطعت الاطناب واطفات النيران واكفات القدور وماجت الخيل بعضها في
بعض وقذف في قلوبهم الرعب وكبرت الملائكة في جوانب عسكرهم فقال طليحة بن خويلد
الاسدي اما محمد فقد بداكم بالسحر فالنجا النجا فانهزموا من غير قتال وحين سمع رسول الله
صلى الله عليه وسلم باقبالهم ضرب الخندق على المدينة اشار عليه بذلك سلمان الفارسي
رضي الله عنه ثم خرج في ثلاثة الاف من المسلمين فضرب معسكره والخندق بينه وبين القوم
وامر بالذراري والنساء فرفعوا الى الاطام واشتد الخوف وظن المومنون كل ظن ونجم النفاق
من المنافقين حتى قال معتب بن قشير كان محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر لا نقدر ان نذهب
الى الغائط وكانت قريش قد اقبلت في عشرة الاف من الاحابيش وبني كنانة واهل تهامة
وقائدهم ابو سفيان وخرج غطفان في الف ومن تابعهم من اهل نجد وقائدهم عيينة بن
حصن وعامر بن الطفيل في هوازن وضامتهم اليهود من قريظة والنضير ومضى على الفريقين
قريب من شهر لا حرب بينهم الا الترامي بالنبل والحجارة حتى انزل الله النصر يعلون قرى
بالما والنا من فوقكم من اعلى الوادي من قبل المشرق بنو غطفان ومن اسفل منكم من اسفل
الوادي من قبل قريش تحزبوا وقالوا سنكون جملة واحدة حتى نستاصل محمدا زاغت الابصار المغرب م
مالت عن سننها ومستوى نظرها حيرة وشخوصا وقيل عدلت عن كل شي فلم تلتفت الا الى عدوها

لشدة الروع الحنجرة راس الغلصمه وهي منتهى الحلقوم والحلقوم مدخل الطعام والشراب قالوا اذا
انتفخت الريه من شدة الفزع او الغضب او الغم الشديد ربت وارتفع القلب بارتفاعها
الى راس الحنجرة ومن ثم قيل للجبان انتفخ سحره ويجوز ان يكون ذلك مثلا في اضطراب القلوب
ووجيبها وان لم تبلغ الحناجر حقيقه وتظنون بالله الظنونا خطاب للذين امنوا ومنهم الثُبّت
القلوب والاقدام والضعاف القلوب الذين هم على حرف والمنافقون الذين لم يوجد
منهم الايمان الا بالسنتهم فظن الاولون بالله انه يبتليهم ويفتنهم فخافوا الزلل وضعف الاحتمال
واما الاخرون فظنوا بالله ما حكي عنهم وعن الحسن ظنوا ظنونا مختلفه ظن المنافقون ان
المسلمين يستاصلون وظن المومنون انهم يبتلون وقرئ الظنون بغير الف في الوصل و
الوقف وهو القياس وبزيادة الف في الوقف زادوها في الفاصله كما زادوها في القافية
من قال اقلي اللوم عاذل والعتابا وكذلك الرسولا والسبيلا وقرئ بزيادتها في الوصل ايضا
اجراء لها مجرى الوقف قال ابو عبيد وهن كلهن في الامام بالف وعن ابي عمرو اشمام زاي زلزلوا
وقرئ زلزالا بالفتح والمعنى ان الخوف ازعجهم اشد الازعاج الا غرورا قائله معتب بن قشير ابن قُشَير
حين راى الاحزاب قال يعدنا محمد فتح فارس والروم واحدنا لا يقدر ان يتبرز فرقا ما هذا الا وعد
غرور طائفه منهم هم اوس بن قيظي ومن وافقه على رايه وعن السدي عبد الله بن ابي واصحابه
ويثرب اسم المدينه وقيل ارض وقعت المدينه في ناحيه منها الا معام لكم قرئ بضم الميم وفتحها
اي لا قرار لكم ههنا ولا مكان تقيمون فيه او تقومون فارجعوا الى المدينه امروهم بالهرب من
عسكر رسول الله وقيل قالوا لهم ارجعوا كفارا واسلموا محمدا والا فليست يثرب
لكم بمكان قرئ عورة بسكون الواو وكسرها فالعورة الخلل والعورة ذات العورة يقال عور
المكان عورا اذا بدا فيه خلل يخاف منه العدو والسارق ويجوز ان يكون عورة تخفيف عورة

اعتذروا

اعتذروا ان بيوتهم معرضه للعدو ممكنه للسراق لانها غير محرزه ولا محصنه فاستاذنوه
ليحصنوها ثم يرجعوا اليه فاكذبهم الله بانهم لا يخافون ذلك وانما يريدون الفرار ولو دخلت
عليهم المدينه وقيل بيوتهم من قولك دخلت على فلان داره من اقطارها من جوانبها يريد ولو
دخلت هذه العساكر المتحزبة التي يفرون خوفا منها مدينتهم وبيوتهم من نواحيها كلها وانثالت
على اهاليهم واولادهم ناهبين سابين ثم سئلوا عند ذلك الفزع وتلك الرجفه الفتنه اي الردة
والرجعه الى الكفر ومقاتله المسلمين لاتوها لجاؤوها وفعلوها وقرئ لاتوها لاعطوها وما تلبثوا
بها وما البثوا اعطاءها الا يسيرا ريثما يكون السوال والجواب من غير توقف او وما لبثوا بالمدينه
بعد ارتدادهم الا يسيرا فان الله يهلكهم والمعنى انهم يتعللون باعوار بيوتهم ويتمحلون ليفروا
عن نصره رسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين وعن مصافة الاحزاب الذين ملؤوهم هولا ورعبا
وهولا الاحزاب كما هم لو كبسوا عليهم ارضهم وديارهم وعرض عليهم الكفر وقيل لهم كونوا على
المسلمين وقيل لهم كونوا على المسلمين لسارعوا اليه وما تعللوا بشي وما ذاك الا لمقتهم الاسلام
وشده بغضهم لاهله وحبهم الكفر وتهالكهم على حزبه عن ابن عباس عاهدوا رسول الله صلى الله
عليه وسلم ليله العقبه ان يمنعوه مما يمنعون منه انفسهم وقيل هم قوم غابوا عن بدر فقالوا لئن
اشهدنا الله قتالا لنقاتلن وعن محمد بن اسحق عاهدوا يوم احد ان لا يفروا بعد ما نزل
فيهم ما نزل مسوولا مطلوبا مقتضى حتى يوفى به لن ينفعكم الفرار مما لا بد لكم من نزوله بكم من حتف
انف او قتل وان نفعكم الفرار مثلا فمتعتم بالتاخير لم يكن ذلك التمتع الا زمانا قليلا وعن
بعض المروانيه انه مر بحائط مائل فاسرع فتليت له هذه الايه فقال ذلك القليل نطلب
فان قلت كيف جعلت الرحمة قرينه السوء في العصمه ولا عصمة الا من السوء **قلت**
معناه او يصيبكم بسوء ان اراد بكم رحمة فاختصر الكلام واجرى مجرى قوله متقلدا سيفا

ورجحا او حمل الثاني على الاول لما في العصمة من معنى المنع المعوقين المثبطين عن رسول الله وهم
المنافقون كانوا يقولون لاخوانهم من ساكني المدينة من انصار رسول الله ما محمد واصحابه
الا اكلة راس ولو كانوا لحما لالتهمهما ابو سفيان واصحابه فخلوهم وهلم الينا اي قربوا انفسكم
الينا وهي لغة اهل الحجاز يسوون فيه بين الواحد والجماعة واما تميم فيقولون هلم يا رجل
وهلموا يا رجال وهو صوت سمي به فعل متعد مثل احضر وقرب قل هلم شهداءكم الا قليلا الا
الا اتيانا قليلا اذا اضطر الا اتيانا قليلا يخرجون مع المومنين يوهمونهم انهم معهم ولا
نراهم يبارزون ويقاتلون الا شيئا قليلا اذا اضطروا اليه كقوله ما قاتلوا الا قليلا اشحة
عليكم في وقت الحرب اضناء بكم يترفرفون عليكم كما يفعل الرجل بالذاب عنه المناضل دونه
عند الخوف ينظرون اليك في تلك الحالة كما ينظر المغشي عليه من معالجة سكرات الموت
حذرا وخورا ولواذا بك فاذا ذهب الخوف وحيزت الغنائم ووقعت القسمة نقلوا ذلك
الشح وتلك الضنة والرفرفة عليكم الى الخير وهو المال والغنيمة ونسوا تلك الحالة الاولى
واجترؤوا عليكم وضربوكم بالسنتهم وقالوا وفروا قسمتنا فانا قد شاهدناكم وقاتلنا معكم
وبمكاننا غلبتم عدوكم وبنا نصرتم عليه ونصب اشحة على الحال او على الذم وقرئ اشحة بالرفع
وصلقوكم بالصاد **فان قلت** هل يثبت للمنافق عمل حتى يرد عليه الاحباط **قلت**
لا ولكنه تعليم لمن عسى يظن ان الايمان باللسان ايمان وان لم يواطئه القلب وان ما يعمل
المنافق من الاعمال يجدي عليه فبين ان ايمانه ليس بايمان وان كل عمل يوجد منه باطل وفيه
بعث على اتقان المكلف اساس امره وهو الايمان الصحيح وتنبيه على ان الاعمال
الكثيرة من غير تصحيح المعرفة كالبناء على غير اساس وانها مما تذهب عند الله هباء منثورا
فان قلت ما معنى قوله وكان ذلك على الله يسيرا وكل شيء عليه يسير **قلت** معناه ان

لا تتهمهم

الكلم

اعمالهم حسنة بالاحباط تدعو اليه الدواعي ولا يصرف عنه صارف يحسبون ان الاحزاب
لم ينهزموا وقد انهزموا فانصرفوا عن الخندق الى المدينة راجعين لما نزل بهم من الخوف الشديد
ودخلهم من الجبن المفرط وان يات الاحزاب كرة ثانية تمنوا لخوفهم مما منوا به هذه الكرة انهم خارجون
الى البدو وحاصلون بين الاعراب يسالون كل قادم منهم من جانب المدينة عن اخباركم
وعما جرى عليكم ولو كانوا فيكم ولم يرجعوا الى المدينة وكان قتال لم يقاتلوا الا تعلة رياء وسمعة
وقرئ بدّى على فعّل جمع باد كغاز وغزّى وفي رواية صاحب الاقليد بدًّا بوزن عدى ويتساءلون
اي يتساءلون ومعناه يقول بعضهم لبعض ماذا سمعت ماذا بلغك او يتساءلون الاعراب كما تقول
رايت الهلال وتراءيناه كان عليكم ان تواسوا رسول الله بانفسكم فتوازروه وتثبتوا معه كما
آساكم بنفسه في الصبر على الجهاد والثبات في مرحى الحرب حتى كسرت رباعيته يوم احد وشج
وجهه **فان قلت** فما حقيقة قوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة وقرئ اسوة
بالضم **قلت** فيه وجهان احدهما انه في نفسه اسوة حسنة اي قدوة وهو المؤتسى به اي
المقتدى به كما تقول في البيضة عشرون منا حديدا اي هي في نفسها هذا المبلغ من الحديد
والثاني ان فيه خصلة من حقها ان يؤتسى بها وتتبع وهي المواساة بنفسه لمن كان يرجوا
بدل من لكم كقوله للذين استضعفوا لمن آمن منهم يرجوا الله الاخر من قولك رجوت زيدا
وفضله اي فضل زيد او يرجوا ايام الله واليوم الاخر خصوصا والرجاء بمعنى الامل او الخوف
وذكر الله كثيرا وقرن الرجاء بالطاعات الكثيرة والتوفر على الاعمال الصالحة والمؤتسي
برسول الله من كان كذلك وعدهم الله ان يزلزلوا حتى يستغيثوه ويستنصروه في قوله ام
حسبتم ان تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم فلما جاء الاحزاب وشخص بهم
واضطربوا ورعبوا الرعب الشديد قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله وايقنوا بالجنة والنصر

بدًّا

الله

وعن ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصحابه ان الاحزاب سائرون اليكم تسعا
او عشرا اي في اخر تسع ليال او عشر فلما راوهم قد اقبلوا للميعاد قالوا ذلك وهذا اشارة
الى الخطب او البلاء ايمانا بالله وبمواعيده وتسليما لقضائه وقدره نذر رجال من الصحابة
انهم اذا لقوا حربا مع رسول الله ثبتوا وقاتلوا حتى يستشهدوا وهم عثمان بن عفان وطلحة بن
عبيد الله وسعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل وحمزة ومصعب بن عمير وغيرهم فمنهم من قضى نحبه
يعني حمزة ومصعبا ومنهم من ينتظر يعني عثمان وطلحة وفي الحديث من احب ان ينظر الى شهيد
يمشي على وجه الارض فلينظر الى طلحة **فان قلت** ما قضاء النحب **قلت** وقع عبارة
عن الموت لان كل حي لا بد له من ان يموت فكانه نذر لازم في رقبته فاذا مات فقد قضى
نحبه اي نذره وقوله فمنهم من قضى نحبه يحتمل موته شهيدا ويحتمل وفاءه بنذره من الثبات
مع رسول الله **فان قلت** فما حقيقة قوله صدقوا ما عاهدوا الله عليه **قلت** يقال
صدقني اخوك وكذبني اذا قال لك الصدق والكذب واما المثل صدقني سن بكره
فمعناه صدقني في سن بكره بطرح الجار وايصال الفعل فلا يخلو ما عاهدوا الله عليه اما ان
يكون بمنزلة السن في طرح الجار واما ان يجعل المعاهد عليه مصدوقا على المجاز كانهم
قالوا للمعاهد عليه سنفي بك وهم وافون به فقد صدقوه ولو كانوا ناكثين لكذبوه ولكان
مكذوبا وما بدلوا العهد ولا غيروه لا المستشهد ولا من ينتظر الشهادة
ولقد ثبت طلحة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم احد حتى اصيبت يده فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اوجب طلحة وفيه تعريض بمن بدلوا من اهل النفاق ومرض القلوب
جعل المنافقون كانهم قصدوا عاقبة السوء وارادوها بتبديلهم كما قصد الصادقون
عاقبة الصدق بوفائهم لان كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكانهما

استويا

استويا في طلبها والسعي لتحصيلها ويعذبهم ان شاء اذا لم يتوبوا او يتوب عليهم اذا تابوا
ورد الله الذين كفروا الاحزاب بغيظهم مغيظين كقوله تنبت بالدهن لم ينالوا خيرا غير
ظافرين وهما حالان بتداخل او تعاقب ويجوز ان تكون الثانية بيانا للاولى او استئنافا
وكفى الله المؤمنين القتال بالريح والملائكة وانزل الذين ظاهروهم الاحزاب من اهل الكتاب من
صياصيهم من حصونهم والصيصية ما تحصن به يقال لقرن الثور والظبي صيصية ولشوكة
الديك وهي مخلبه التي في ساقه لانه يتحصن بها روي ان جبريل عليه السلام اتى رسول الله صبيحة
الليلة التي انهزم فيها الاحزاب ورجع المسلمون الى المدينة ووضعوا سلاحهم على فرسه الحيزوم
والغبار على وجه الفرس وعلى السرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل
رسول الله يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح
ان الله يامرك بالمسير الى بني قريظة وانا عامد اليهم فان الله داقهم دق البيض على الصفا وانهم
لكم طعمة فاذن في الناس ان من كان سامعا مطيعا فلا يصلي العصر الا في بني قريظة
فما صلى كثير من الناس العصر الا بعد العشاء الاخرة لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم فحاصرهم
خمسا وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على
حكمي فابوا فقال على حكم سعد بن معاذ فرضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلتهم وتسبى
ذراريهم ونساؤهم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت بحكم الله من فوق سبعة
ارقعة ثم استنزلهم وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فضرب اعناقهم وهم من ثمان
مائة الى تسعمائة وقيل كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة اسير وقرئ الرعب بسكون العين
وضمها وتاسرون بضم السين وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين
دون الانصار فقالت الانصار في ذلك فقال انكم في منازلكم وقال عمر اما تخمس كما خمست

يوم بدر وقال الا انما جعلت هذه لي طعمة دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وارضا
لم تطؤها عن الحسن فارس والروم وعن قتادة كنا نحدث انها مكة وعن مقاتل هي خيبر وعن
عكرمة كل ارض تفتح الى يوم القيمة ومن بدع التفاسير انه اراد نساءهم اردن شيا
من الدنيا من ثياب وزيادة نفقة وتغايرن فغم ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت
فبدا بعايشة وكانت احبهن اليه فخيرها وقرا عليها القران فاختارت الله ورسوله
والدار الاخرة فرؤي الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه ثم اختارت جميعهن اختيارها
فشكر لهن الله ذلك فانزل لا يحل لك النساء من بعد ولا ان تبدل بهن من ازواج وروي
انه قال لعايشة اني ذاكر لك امرا ولا عليك ان لا تعجلي فيه حتى تستامري ابويك ثم قرا
عليها القران فقالت افي هذا استامر ابوي فاني اريد الله ورسوله والدار الاخرة وروي
انها قالت لا تخبر ازواجك اني اخترتك فقال انما بعثني الله مبلغا ولم يبعثني متعنتا
فان قلت ما حكم التخيير في الطلاق **قلت** اذا قال لها اختاري فقالت اخترت
نفسي او اخترت نفسي او قال اختاري نفسك فقالت اخترت لا بد من ذكر النفس في قول المخير
او المخيرة وقعت طلقة باينة عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم واعتبروا ان يكون في ذلك
المجلس قبل القيام او الاشتغال بما يدل على الاعراض واعتبر الشافعي رضي الله عنه اختيارها
على الفور وهي عنده طلقة رجعية وهو مذهب عمر وابن مسعود وعن الحسن وقتادة والزهري
امرها بيدها في ذلك المجلس وفي غيره واذا اختارت زوجها لم يقع شي باجماع فقهاء الامصار
وعن عايشة رضي الله عنها خيرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخترناه فلم يعده طلاقا وروي
انه كان طلاقا عن علي عليه السلم اذا اختارت زوجها فواحدة رجعية وان اختارت نفسها
فواحدة باينة وروي عنه ايضا انها ان اختارت زوجها فليس بشي اصلا تعال ان يقوله

من في

من في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطي ثم كثر حتى استوت في استعماله الامكنة ومعنى
تعالين اقبلن بارادتكن واختياركن لاحد امرين ولم يرد نهوضهن اليه بانفسهن كما يقول
اقبل يخاصمني وذهب يكلمني وقام يهددني امتعكن اعطكن متعة الطلاق **فان قلت**
المتعة في الطلاق واجبة ام لا **قلت** المطلقة التي لم يدخل بها ولم يفرض لها في العقد
متعتها واجبة عند ابي حنيفة واصحابه رحمهم الله واما ساير المطلقات فمتعتهن مستحبة
وعن الزهري متعتان احداهما يقضي بها السلطان من طلق قبل ان يفرض ويدخل بها والثانية
حق على المتقين من طلق بعد ما يفرض ويدخل وخاصمت امراة الى شريح في المتعة فقال
متعها ان كنت من المتقين ولم يجبره وعن سعيد بن جبير المتعة حق مفروض وعن الحسن لكل
مطلقة متعة الا المختلعة والملاعنة والمتعة درع وخمار وملحفة على حسب السعة والاقتار
الا ان يكون نصف مهرها اقل من ذلك فيجب لها الاقل منهما ولا ينقص من خمسة دراهم لان
اقل المهر عشرة دراهم فلا ينقص من نصفها **فان قلت** ما وجه قراءة من قرا امتعكن واسرحكن
بالرفع **قلت** وجهه الاستيناف سراحا جميلا من غير ضرار طلاقا بالسنة من كن للبيان
لا للتبعيض الفاحشة السيئة البليغة في القبح وهي الكبيرة والمبينة الظاهر فحشها والمراد
كل ما اقترفن من الكباير وقيل هي عصيانهن رسول الله صلى الله عليه وسلم ونشوزهن وطلبهن منه
ما يشق عليه او ما يضيق به ذرعه ويغتم لاجله وقيل الزنى والله عاصم رسوله من ذلك كما مر في
حديث الافك وانما ضوعف عذابهن لان ما قبح من ساير النساء كان اقبح منهن واقبح لان
زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة وزيادة النعمة على من المعصي وليس لاحد العاصي
من النساء مثل فضل نساء النبي ولا على احد منهن مثل ما لله عليهن من النعمة والجزاء يتبع الفعل
وكون الجزاء عقابا يتبع كون الفعل قبيحا فمتى ازداد قبحا ازداد عقابه شدة ولذلك

كان ذم العقلا للعاصي العالم اشد منه للعاصي الجاهل لان المعصية من العالم اقبح ولذلك
فضل حد الاحرار على حد العبد حتى ان ابا حنيفة واصحابه رحمهم الله لا يرون الرجم على الكافر
وكان ذلك على الله يسيرا ايذان بان كونهن نساء النبي ليس بمغن عنهن شيئا وكيف يغني
عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب وكان داعيا الى تشديد الامر عليهن غير صارف
عنه قرئ يات بالتاء والياء مبينة بفتح الياء وكسرها من بين بمعنى تبين يضاعف نضعف
على البناء للمفعول ويضاعف ونضعف بالياء والنون وقرئ يقنت وتعمل بالتاء والياء نؤتها بالياء
والنون والقنوت الطاعة وانما ضوعف اجرهن لطلبهن رضاء رسول الله صلى الله عليه
وسلم بحسن الخلق وطيب المعاشرة والقناعة وتوفرهن على عبادة الله والتقوى احد في الاصل
بمعنى وحد وهو الواحد ثم وضع في النفي العام مستويا فيه المذكر والمؤنث والواحد وما
وراءه ومعنى قوله لستن كاحد من النساء لستن كجماعة واحدة من جماعات النساء اي
اذا تقصيت امة النساء جماعة جماعة لم توجد منهن جماعة واحدة تساويكن في الفضل
والسابقة ومنه قوله عز وجل والذين امنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين احد منهم
يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في انهم على الحق المبين ان اتقيتن ان اردتن
التقوى وان كنتن متقيات فلا تخضعن بالقول فلا تجئن بقولكن خاضعا اي لينا خنثا
مثل كلام المريبات والمومسات فيطمع الذي في قلبه مرض اي ريبة وفجور وقرئ بالجزم عطفا
على محل فعل النهي على انه نهين عن الخضوع بالقول ونهي المريض القلب عن الطمع كانه قيل
لا تخضعن فلا يطمع وعن ابن محيصن انه قرا بكسر الميم وسبيله ضم الياء مع كسرها واسناد الفعل
الى ضمير القول اي فيطمع القول المريب قولا معروفا بعيدا من طمع المريب بجد وخشونة من غير
تخنيث او قولا حسنا مع كونه خشنا وقرن بكسر القاف من وقر يقر وقارا او من قر يقر حذفت

الاولى

الاولى من قر يقر او من قار يقار ونقلت كسرتها الى القاف كما تقول ظلن وقرن بفتحها واصله اقررن فحذفت
الراء والقيت فتحتها على ما قبلها كقولك ظلن وذكر ابو الفتح الهمداني في كتاب التبيان
وجها اخر قال قار يقار اذا اجتمع ومنه القارة لاجتماعها الا ترى الى قول عضل والديش اجتمعوا
وكونوا قارة والجاهلية الاولى هي القديمة التي يقال لها الجاهلية الجهلاء وهي الزمن الذي
ولد فيه ابراهيم كانت المراة تلبس الدرع من اللؤلؤ فتمشي وسط الطريق تعرض نفسها على الرجال
وقيل ما بين ادم ونوح وقيل بين ادريس ونوح وقيل زمن داود وسليمان والجاهلية الاخرى
ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليهما ويجوز ان تكون الجاهلية الاولى جاهلية الكفر قبل الاسلام
والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق والفجور في الاسلام فكان المعنى ولا تحدثن بالتبرج جاهلية
في الاسلام تتشبهن بها باهل جاهلية الكفر ويعضده ما روي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لابي الدرداء ان فيك جاهلية قال جاهلية كفر ام اسلام فقال بل جاهلية كفر امرهن امرا خاصا
بالصلوة والزكوة ثم جاء به عاما في جميع الطاعات لان هاتين الطاعتين البدنية والمالية
هما اصل سائر الطاعات من اعتنى بهما حق اعتنائه جرتاه الى ما وراءهما ثم بين انه انما نهاهن وامرهن
ووعظهن لئلا تقارف اهل بيت رسول الله المآثم وليتصونوا عنها بالتقوى واستعار للذنوب الرجس
وللتقوى الطهر لان عرض المقترف للمقبحات يتلوث بها ويتدنس كما يتلوث بدنه بالارجاس
واما المحسنات فالعرض معها نقي مصون كالثوب الطاهر وفي هذه الاستعارة ما ينفر
اولي الالباب عما كرهه الله لعباده ونهاهم عنه ويرغبهم فيما رضيه لهم وامرهم به واهل البيت
نصب على النداء او على المدح وفي هذا دليل بين على ان نساء النبي من اهل بيته ثم ذكرهن
ان بيوتهن مهابط الوحي وامرهن ان لا ينسين ما يتلى فيها من الكتاب الجامع بين امرين هو
ايات بينات تدل على صدق النبوة لانه معجز بنظمه وهو حكمة وعلوم وشرائع ان الله كان لطيفا

خير الحسن علم ما ينفعكم ويصلحكم في دينكم فانزله عليكم او علم من يصلح لنبوته ومن يصلح لان يكونوا
اهل بيته او حيث جعل الكلام الواحد جامعًا بين الغرضين روى ان ازواج النبي صلى الله
عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القران بخير افما فينا خير نذكر به انا نخاف
ان لا يقبل منا طاعة وقيل السايلة ام سلمة وروى انه لما نزل في نساء النبي ما نزل قال نساء
المسلمين فما نزل فينا شي فنزلت والمسلم الداخل في السلم بعد الحرب المنقاد الذي لا يعاند
او المفوض امره الى الله المتوكل عليه من اسلم وجهه الى الله والمؤمن المصدق بالله ورسوله وبما
يجب ان يصدق به في نيته وقوله وعمله والصابر الذي يصبر على الطاعات وعن المعاصي
به والقانت القائم بالطاعة الدائم عليها والصادق الذي يصدق صح
والخاشع المتواضع لله بقلبه وجوارحه وقيل الذي اذا صلى لم يعرف من عن يمينه وشماله
والمتصدق الذي يزكي ماله ولا يخل بالنوافل وقيل من تصدق في اسبوع بدرهم فهو من
المتصدقين ومن صام البيض من كل شهر فهو من الصايمين والذاكر الله كثيرًا من لا يكاد
يخلو من ذكر الله بقلبه ولسانه او بهما وقراءة القران والاشتغال بالعلم من الذكر وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم من استيقظ من نومه وايقظ امراته فصليا جميعًا ركعتين كتبا
من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرات والمعنى والحافظاتها والذاكراته فحذف لان الظاهر
يدل عليه فان قلت اي فرق بين العطفين اعني عطف الاناث على الذكور
وعطف الزوجين على الزوجين قلت العطف الاول نحو قوله ثيبات وابكارًا في
انهما جنسان مختلفان اذا اشتركا في حكم لم يكن بد من توسيط العاطف بينهما واما العطف
بينهما واما العطف الثاني فمن عطف الصفة على الصفة بحرف الجمع وكان معناه ان الجامعين
والجامعات لهذه الطاعات اعد الله لهم خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش
بنت عمته اميمة بنت عبد المطلب على مولاه زيد بن حارثة فابت وابى اخوها عبد الله فنزلت

٢١٣

فقالا رضينا يا رسول الله فانكحها اياه وساق عنه اليها مهرها ستين درهمًا وخمارًا وملحفة
ودرعًا وازارًا وخمسين مدًا من طعام وثلثين صاعًا من تمر وقيل هي ام كلثوم بنت عقبة بن
ابي معيط وهي اول من هاجر من النساء وهبت نفسها للنبي فقال قد قبلت وزوجها
زيدًا فسخطت هي واخوها وقالا انما اردنا رسول الله فزوجنا عبده والمعنى وما صح لرجل
ولا امراة من المؤمنين اذا قضى الله ورسوله اي رسول الله او لان قضاء رسول الله هو
قضاء الله امرًا من الامور ان يختاروا من امرهم ما شاءوا بل من حقهم ان يجعلوا رايهم تبعًا
لرايه واختيارهم تلوًا لاختياره فان قلت كان من حق الضمير ان يوحد كما تقول
ما جاءني من رجل ولا امراة الا كان من شانه كذا قلت نعم ولكنهما وقعا تحت النفي
فعما كل مؤمن ومؤمنة فرجع الضمير على المعنى لا على اللفظ وقرئ يكون بالياء والتاء والخيرة
ما يتخير للذي انعم الله عليه بالاسلام الذي هو اجل النعم وبتوفيقك لعتقه ومحبته واختصاصه
وانعمت عليه بما وفقك الله فيه فهو متقلب في نعمة الله ونعمة رسوله وهو زيد بن حارثة امسك
عليك زوجك يعني زينب بنت جحش وذلك ان رسول الله ابصرها بعد ما انكحها اياه فوقعت
في نفسه فقال سبحان الله مقلب القلوب وذلك ان نفسه كانت تجفو عنها قبل ذلك
لا يريدها ولو ارادها لاختطبها وسمعت زينب بالتسبيحة فذكرتها لزيد ففطن والقى الله
في نفسه كراهة صحبتها والرغبة عنها لرسول الله فقال لرسول الله اني اريد ان افارق صاحبتي
فقال مالك ارابك منها شي قال لا والله ما رايت منها الا خيرا ولكنها تتعظم علي لشرفها وتوذيني
فقال له امسك عليك زوجك واتق الله ثم طلقها بعد فلما اعتدت قال رسول الله ما اجد احدًا
اوثق في نفسي منك اخطب علي زينب قال زيد فانطلقت فاذا بها تخمر عجينتها فلما رايتها عظمت
في صدري حتى ما استطيع ان انظر اليها حين علمت ان رسول الله ذكرها فوليتها ظهري فقلت

يا رب ابشري ان رسول الله يخطبك ففرحت وقالت ما انا بصانعة شيئا حتى اؤامر ربي
فقامت الى مسجدها ونزل القرآن زوجناكها فتزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخل
بها وما اولم على امراة من نسائه ما اولم عليها ذبح شاة واطعم الناس الخبز واللحم حتى امتد
النهار فان قلت ماذا اراد بقوله واتق الله قلت اراد واتق الله فلا تطلقها وقصد
نهي تنزيه لا تحريم لان الاولى ان لا يطلق وقيل اراد واتق الله فلا تذمها بالنسبة الى الكبر و
اذى الزوج فان قلت ما الذي اخفى في نفسه قلت تعلق قلبه بها وقيل مودة مفارقة
زيد اياها وقيل علمه بان زيدا سيطلقها وسينكحها لان الله قد اعلمه بذلك وعن عائشة
رضي الله عنها لو كتم رسول الله شيئا مما اوحي اليه لكتم هذه الآية فان قلت فماذا اراد الله
منه ان يقوله حين قال له زيد اريد مفارقتها وكان من الهجنة ان يقول له افعل فاني اريد نكاحها
قلت كان الذي اراد منه عز وجل ان يصمت عند ذلك او يقول له انت اعلم بشانك حتى
لا يخالف سره في ذلك علانيته لان الله يريد من الانبياء تساوي الظاهر والباطن والتصلب
في الامور والتجاوب في الاحوال والاستمرار على طريقة مستتبة كما جاء في حديث ارادة رسول الله
قتل عبد الله بن ابي سرح واعتراض عثمان رضي الله عنه بشفاعته له ان عمر قال له لقد كان
عيني اليك هل تشير الي فاقتله فقال ان الانبياء لا تومض ظاهرهم وباطنهم واحد فان قلت
كيف عاتبه الله في ستر ما استهجن التصريح به ولا يستهجن النبي التصريح بشيء الا والشيء في نفسه
مستهجن التصريح به وقالة الناس لا تتعلق الا بما يستقبح في العقول والعادات وما له لم يعاتبه
في نفس الامر ولم يامره بقمع الشهوة وكف النفس عن ان تنازع الى زينب وتتبعها ولم يعصم نبيه
عن تعلق الهجنة به وما يعرضه للقالة قلت كم من شيء يتحفظ منه الانسان ويستحيي من
اطلاع الناس عليه وهو في نفسه مباح متسع وحلال مطلق لا مقال فيه ولا عيب عند الله وربما

كان

٢١٤

كان الدخول في ذلك المباح سلما الى حصول واجبات يعظم اثرها في الدين ويجل ثوابها ولو لم يتحفظ
منه لاطلق كثير من الناس فيه السنتهم الا من اوتي فضلا وعلما ودينا ونظرا في حقائق الامور
ولبوبها دون قشورها الا ترى انهم كانوا اذا طعموا في بيوت رسول الله بقوا مرتكزين في
مجالسهم لا يريمون مستانسين بالحديث وكان رسول الله يؤذيه قعودهم ويضيق صدره حديثهم
والحيا يصده ان يامرهم بالانتشار حتى نزلت ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم والله
لا يستحيي من الحق ولو ابرز رسول الله صلى الله عليه مكنون ضميره وامرهم ان ينتشروا لشق عليهم
ولكان بعض القالة فكان هذا من ذلك القبيل لان طموح قلب الانسان الى بعض مشتهياته
من امراة او غيرها غير موصوف بالقبح في العقل ولا في الشرع لانه ليس بفعل الانسان
ولا وجوده باختياره وتناول المباح بالطريق الشرعي ليس بقبيح ايضا وهو خطبة زينب ونكاحها
من غير استنزال زيد عنها ولا طلب اليه وهو اقرب منه من زر قميصه ان يواسيه بمفارقتها
مع قوة العلم بان نفس زيد لم تكن من التعلق بها في شيء بل كانت تجفو عنها ونفس رسول الله
صلى الله عليه وسلم متعلقة بها ولم يكن مستنكرا عندهم ان ينزل الرجل عن امراته لصديقه ولا
مستهجنا اذا نزل عنها ان ينكحها الآخر فان المهاجرين حين دخلوا المدينة آساهم الانصار بكل
شيء حتى ان الرجل منهم اذا كانت له امراتان نزل عن احديهما وانكحها المهاجر واذا كان
الامر مباحا من جميع جهاته ولم يكن فيه وجه من وجوه القبح ولا مفسدة ولا مضرة بزيد
ولا باحد بل كان مستجرا مصالح ناهيك بواحدة منها ان بنت عمة رسول الله امنت الايمة و
الضيعة ونالت الشرف وعادت اما من امهات المسلمين الى ما ذكر الله عز وجل من المصلحة
العامة في قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم اذا قضوا منهن وطرا فبالحري
ان يعاتب الله رسوله حين كتمه وبالغ في كتمه بقوله امسك عليك زوجك واتق الله وان لا يرضى

لا مرضى له الا اتحاد الضمير والظاهر والثبات في مواطن الحق حتى يقتدي به المؤمنون
فلا يستحيوا من المكافحة بالحق وان كان مرا فان قلت الواو في وتخفي في نفسك
وتخشى الناس والله احق ما هي قلت واو الحال اي تقول لزيد امسك عليك زوجك
مخفيا في نفسك ارادة ان لا يمسكها وتخفي خاشيا قالة الناس وتخشى الناس حقيقا
في ذلك بان تخشى الله او واو العطف كانه قيل واذ تجمع بين قولك امسك واخفاء خلافه
وخشية الناس والله احق ان تخشاه حتى لا تفعل مثل ذلك اذا بلغ البالغ حاجته له فيه مرتين
همة قيل قضى منه وطره والمعنى فلما لم يبق لزيد فيها حاجة وتقاصرت عنها همته وطابت
عنها نفسه وطلقها وانقضت عدتها زوجناكها وقراة اهل البيت زوجتكها وقيل لجعفر
بن محمد اليس تقرا على غير ذلك فقال لا والذي لا اله الا هو ما قراتها على ابي
الا كذلك ولا قراها الحسن بن علي على ابيه الا كذلك ولا قراها علي بن ابي طالب على
النبي صلى الله عليه وسلم الا كذلك وكان امر الله مفعولا جملة اعتراضية يعني وكان امر الله الذي
يريد ان يكونه مفعولا مكونا لا محالة وهو مثل لما اراد كونه من تزويج رسول الله صلى الله عليه وسلم
زينب ومن نفي الحرج عن المؤمنين في اجراء ازواج المتبنين مجرى ازواج البنين في تحريمهن عليهم
بعد انقطاع علائق الزواج بينهم وبينهن ويجوز ان يراد بامر الله المكون لانه مفعول بكن وهو
امر الله فرض الله له قسم الله له واوجب من قولهم فرض لفلان في الديوان كذا ومنه فروض العسكر
لرزقاتهم سنة الله اسم موضوع موضع المصدر كقولهم تربا وجندلا مؤكد لقوله ما
كان على النبي من حرج كانه قيل سن الله ذلك سنة في الانبياء الماضين وهو ان لا يحرج
عليهم في الاقدام على ما اباح لهم ووسع عليهم في باب النكاح وغيره وقد كانت تحتهم المهائر
والسراري وكانت لداود مائة امراة وثلاثمائة سرية ولسليمان ثلاثمائة وسبعمائة في الذين خلوا

من قبل

في الانبياء الذين مضوا والذين يبلغون يحتمل وجوه الاعراب الجر على الوصف للانبياء والرفع و
النصب على المدح على هم الذين يبلغون او على اعني الذين يبلغون وقرئ رسالة الله قدرا
مقدورا قضاء مقضيا وحكما مبتوتا ووصف الانبياء بانهم لا يخشون الا الله تعريض بعد
التصريح في قوله وتخشى الناس والله احق ان تخشاه حسيبا كافيا للمخاوف او محاسبا
على الصغيرة والكبيرة فيجب ان يكون حق الخشية من مثله ما كان محمد ابا احد من
رجالكم اي لم يكن ابا رجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الاب وولده
من حرمة الصهر والنكاح ولكن كان رسول الله وكل رسول ابو امته فيما يرجع الى وجوب التوقير
والتعظيم له عليهم ووجوب الشفقة والنصيحة لهم عليه لا في سائر الاحكام الثابتة
بين الاباء والابناء وزيد واحد من رجالكم الذين ليسوا باولاده حقيقة فكان حكمه حكمهم
والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لا غير وكان خاتم النبيين يعني انه لو كان
له ولد بالغ مبلغ الرجال لكان نبيا ولم يكن هو خاتم الانبياء كما يروى انه قال في ابراهيم حين
توفي لو عاش لكان نبيا فان قلت اما كان ابا للطاهر والطيب والقاسم وابراهيم
قلت قد اخرجوا من حكم النفي بقوله من رجالكم من وجهين احدهما ان هؤلاء لم يبلغوا
مبلغ الرجال والثاني انه قد اضاف الرجال اليهم وهؤلاء رجاله لا رجالهم فان قلت
اما كان ابا للحسن والحسين قلت بلى ولكنهما لم يكونا رجلين حينئذ وهما ايضا من رجاله لا من
رجالهم وشيء اخر وهو انه انما قصد ولده خاصة لا ولد ولده لقوله وخاتم النبيين الا ترى
ان الحسن والحسين قد عاشا الى ان نيف احدهما على الاربعين والاخر على الخمسين قرئ
ولكن رسول الله بالنصب عطفا على ابا احد وبالرفع على ولكن هو رسول الله ولكن بالتشديد
على حذف الخبر تقديره ولكن رسول الله من عرفتموه اي لم يعش له ولد ذكر وخاتم بفتح التاء

بمعنى الطابع وبكسرها بمعنى الطابع وفاعل الختم وتقويه قراءة ابن مسعود ولكن نبيا ختم النبيين
فان قلت كيف كان آخر الانبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان قلت معنى كونه آخر
الانبياء انه لا ينبأ احد بعده وعيسى ممن نبئ قبله وحين ينزل عاملا على شريعة محمد
مصليا الى قبلته كانه بعض امته اذكروا الله اثنوا عليه بضروب الثناء من التقديس والتحميد
والتهليل والتكبير وما هو اهله واكثروا ذلك بكرة واصيلا في كافة الاوقات قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذكر الله على فم كل مسلم وروي في قلب كل مسلم وعن قتادة قولوا سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله وعن مجاهد هذه كلمات يقولهن
الطاهر والجنب والغفلان اعني اذكروا وسبحوا موجهان الى البكرة والاصيل كقولك صم
وصل يوم الجمعة والتسبيح من جملة الذكر وانما اختصه من بين انواعه اختصاص جبريل و
ميكائيل من بين الملائكة ليبين فضله على سائر الاذكار لان معناه تنزيه ذاته عما لا يجوز
عليه من الصفات والافعال وتبرئته من القبائح ومثال فضله على غيره من الاذكار فضل
وصف العبد بالنزاهة من ادناس المعاصي والطهر من ارجاس المآثم على سائر اوصافه
من كثرة الصيام والصلوة والتوفر على الطاعات كلها والاشتمال على العلوم والاشتهار
بالفضائل ويجوز ان يريد بالذكر واكثاره تكثير الطاعات والاقبال على العبادات فان
كل طاعة وكل خير من جملة الذكر ثم خص من ذلك التسبيح بكرة واصيلا وهي الصلوة في
جميع اوقاتها لفضل الصلوة على غيرها او صلوة الفجر والعشائين لان اداها اشق ومراعاتها
اشد لما كان من شان المصلي ان ينعطف في ركوعه وسجوده استعير لمن ينعطف على غيره
حنوا عليه وترؤفا كعائد المريض في انعطافه عليه والمرأة في حنوها على ولدها ثم كثر حتى
استعمل في الرحمة والترؤف ومنه قولهم صلى الله عليك اي ترحم عليك وترأف فان قلت

قوله

٢١٦

قوله هو الذي يصلي عليكم ان فسرته بيترحم عليكم ويترأف فما تصنع بقوله وملائكته وما معنى
صلوتهم قلت هي قولهم اللهم صل على المؤمنين جعلوا لكونهم مستجابي الدعوة
كانهم فاعلون الرحمة والرأفة ونظيره قولك حياك الله اي احياك وابقاك وحييتك اي
دعوت لك بان يحييك الله لانك لاتكالك على اجابة دعوتك كانك تبقيه على الحقيقة
وكذلك عمرك الله وعمرتك وسقاك الله وسقيتك وعليه قوله تعالى ان الله وملائكته يصلون
على النبي يا ايها الذين آمنوا صلوا عليه اي ادعوا الله بان يصلي عليه والمعنى هو الذي
يترحم عليكم ويترأف حيث يدعوكم الى الخير ويامركم باكثار الذكر والتوفر على الصلوة والطاعة
ليخرجكم من ظلمات المعصية الى نور الطاعة وكان بالمؤمنين رحيما دليل على ان المراد
بالصلوة الرحمة وروي انه لما نزل قوله ان الله وملائكته يصلون على النبي قال ابو بكر رضي الله عنه
ما خصك الله يا رسول الله بشرف الا وقد اشركنا فيه فانزلت تحيتهم من اضافة المصدر
الى المفعول اي يحيون يوم القيمة بسلام فيجوز ان يعظمهم الله بسلامه عليهم كما يفعل بهم
سائر انواع التعظيم وان يكون مثلا كاللقاء على ما فسرنا وقيل هو سلام ملك الموت والملائكة
معه عليهم وبشارتهم بالجنة وقيل سلام الملائكة عند الخروج من القبور وقيل عند دخول
الجنة كما قال والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم والاجر الكريم الجنة شاهدا
على من بعثت اليهم وعلى تكذيبهم وتصديقهم اي مقبولا قولك عند الله لهم وعليهم كما يقبل
قول الشاهد العدل في الحكم فان قلت وكيف كان شاهدا وقت الارسال وانما يكون
شاهدا عند تحمل الشهادة او عند ادائها قلت هو حال مقدرة كمسالة الكتاب مررت
برجل معه صقر صائدا به غدا اي مقدرا به الصيد غدا فان قلت قد فهم من قوله انا ارسلناك
داعيا انه مأذون له في الدعاء فما فائدة قوله باذنه قلت لم يرد به حقيقة الاذن

وانما جعل الاذن مستعارا للتسهيل والتيسير لان الدخول في حق المالك متعذر فاذا
صودف الاذن تسهل وتيسر فلما كان الاذن تسهيلا لما تعذر من ذلك وضع موضعه
وذلك ان دعاء اهل الشرك والجاهلية الى التوحيد والشرائع امر في غاية الصعوبة و
التعذر وقيل باذنه للايذان بان الامر صعب لا يتاتى ولا يستطاع الا اذا سهله الله
ويسره ومنه قولهم في الشحيح انه غير ماذون له في الانفاق اي غير مسهل له الانفاق لكونه
شاقا عليه داخلا في حد المتعذر جلى به الله ظلمات الشرك واهتدى به الضالون كما يجلى ظلام
الليل بالسراج المنير ويهتدى به او امد الله بنور نبوته نور البصائر كما يمد بنور السراج نور
الابصار ووصفه بالانارة لان من السراج ما لا يضيء اذا قل سليطه ودقت فتيلته وفي كلام بعضهم
ثلاثة تضني رسول بطيء وسراج لا يضيء ومائدة ينتظر لها من يجيء وسئل بعضهم عن الموحشين
فقال ظلام ساتر وسراج فاتر وقيل وذا سراج منيرا وتاليا سراجا منيرا ويجوز على هذا التفسير
ان يعطف على كاف ارسلناك الفضل ما يتفضل به عليهم زيادة على الثواب واذا ذكر المتفضل
به وكبره فما ظنك بالثواب ويجوز ان يريد بالفضل الثواب من قولهم للعطايا فضول وفواضل ضل
وان يريد ان لهم فضلا كبيرا على سائر الامم وذلك الفضل من جهته وانه اتاهم ما فضلوهم
به ولا تطع الكافرين معناه الدوام والثبات على ما كان عليه او التهييج اذاهم يحتمل اضافته
الى الفاعل والمفعول يعني ودع ان تؤذيهم بضرر او قتل وخذ بظاهرهم وحسابهم على الله في
باطنهم او ودع ما يؤذونك به ولا تجازهم عليه حتى تؤمر وعن ابن عباس هي منسوخة باية السيف وتوكل على الله ما يؤذونك صح
فانه يكفيكهم وكفى به مفوضا اليه ولقائل ان يقول وصفه الله بخمسة اوصاف وقابل كلا منها
بخطاب مناسب له قابل الشاهد بقوله وبشر المومنين لانه يكون شاهدا على امته وهم يكونون
شهداء على سائر الامم وهو الفضل الكبير والمبشر بالاعراض عن الكافرين والمنافقين لانه اذا اعرض

عنهم

عنهم اقبل جميع اقباله على المومنين وهو مناسب للبشارة والنذير بدع اذاهم لانه اذا ترك
اذاهم في الحاضر والاذى لا بد له من عقاب عاجل او اجل كانوا منذرين به والداعي الى الله
بتيسيره بقوله وتوكل على الله لان من توكل على الله يسر عليه كل عسير والسراج المنير بالاكتفا وبه
وكيلا لان من اناره الله برهانا على جميع خلقه كان جديرا ان يكتفي عن جميع خلقه النكاح
الوطء وتسمية العقد نكاحا لملابسته له من حيث انه طريق اليه ونظيره تسميتهم الخمر اثما لانها
سبب في اقتراف الاثم ونحوه في علم البيان قول الراجز اسنمة الابال في سحابه سمى الماء اسنمة
الابال لانه سبب سمن المال وارتفاع اسنمته ولم يرد لفظ النكاح في كتاب الله الا في معنى
العقد لانه في معنى الوطء من باب التصريح به ومن اداب القران الكناية عنه بلفظ الملامسة
والمماسة والقربان والتغشي والاتيان **فان قلت** لم خص المومنات والحكم الذي نطقت
به الاية تستوي فيه المومنات والكتابيات **قلت** في اختصاصهن تنبيه على ان اصل امر
المومن والاولى به ان يتخير لنطفته وان لا ينكح الا مومنة عفيفة ويتنزه عن مزاوجة الفواسق
فما بال الكوافر ويستنكف ان يدخل تحت لحاف واحد عدوة الله ووليه والتي في سورة المائدة
تعليم ما هو جائز غير محرم من نكاح المحصنات من الذين اوتوا الكتاب وهذه فيها تعليم
ما هو الاولى بالمومن من نكاح المومنات **فان قلت** ما فائدة ثم في قوله ثم طلقتموهن
قلت فائدته نفي التوهم عمن عسى يتوهم تفاوت الحكم بين ان يطلقها وهي قريبة العهد
من النكاح وبين ان يبعد عهدها بالنكاح وتتراخى بها المدة في حبالة الزوج ثم يطلقها
فان قلت اذا خلا بها خلوة يمكنه معها المساس هل يقوم ذلك مقام المساس **قلت**
نعم عند ابي حنيفة واصحابه رضي الله عنهم حكم الخلوة الصحيحة حكم المساس وقوله فما لكم
عليهن من عدة تعتدونها دليل على ان العدة حق واجب على النساء للرجال تعتدونها تستوفون

عدّدها من قولك عددت الدراهم فاعتدّها كقولك كلته فاكتاله ووزنته فاتزنه و
قرئ تعتدونها مخففا اي تعتدون فيها كقوله ويوم شهدناه والمراد بالاعتداء
ما في قوله ولا تمسكوهن ضرارا لتعتدوا **فان قلت** ما هذا التمتيع اواجب ام مندوب اليه
قلت ان كانت غير مفروض لها كانت المتعة واجبة ولا تجب المتعة عند ابي حنيفة
رضي الله عنه الا لها وحدها دون سائر المطلقات وان كانت مفروضا لها فالمتعة مختلف
فيها فبعض على الندب والاستحباب ومنهم ابو حنيفة رحمة الله عليه وبعض على الوجوب
سراحا جميلا من غير ضرار ولا منع واجب اجورهن مهورهن لان المهر اجر على البضع وايتاؤها
اما اعطاؤها عاجلا واما فرضها وتسميتها في العقد **فان قلت** لم قال اللاتي اتيت
اجورهن ومما افاء الله عليك واللاتي هاجرن معك وما فائدة هذه التخصيصات **قلت**
قد اختار الله لرسوله الافضل الاولى واستحبه بالاطيب الازكى كما اختصه بغيرها من الخصائص
واثره بما سواها من الاثر وذلك ان تسمية المهر في العقد اولى وافضل من ترك التسمية
وان وقع العقد جائزا اوله ان يماسها وعليه مهر المثل ان دخل بها والمتعة ان لم يدخل بها
بها وسوق ان لم يدخل المهر اليها عاجلا افضل من ان يسميه ويوجله وكان التعجيل
ديدن السلف وسنتهم وما لا يعرف بينهم غيره وكذلك الجارية اذا كانت سبية مالكها
وخطبة سيفه مالكها وخطبة سيفه ورمحه ومما غنمه الله من دار الحرب احل واطيب مما يشترى
من شق الجلب والسبي على ضربين سبي طيبة وسبي خبثة فسبي الطيبة ما سبي من اهل
الحرب واما من كان له عهد فالمسبي منهم سبي خبثة ويدل عليه قوله تعالى مما افاء الله
عليك لان فيء الله لا يطلق الا على الطيب دون الخبيث كما ان رزق الله يجب اطلاقه على الحلال
دون الحرام وكذلك اللاتي هاجرن معك من قرائبه غير المحارم افضل من غير المهاجرات

معه

معه وعن ام هانئ بنت ابي طالب خطبني رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت اليه فعذرني
ثم انزل الله هذه الاية فلم احل له لاني لم اهاجر معه كنت من الطلقاء واحللنا لك من وقع لها
ان تهب لك نفسها ولا تطلب مهرا من النساء المؤمنات ان اتفق ذلك ولذلك نكرها
واختلف في اتفاق ذلك فعن ابن عباس لم يكن عند رسول الله احد منهن بالهبة وقيل
الموهبات اربع ميمونة بنت الحرث وزينب بنت خزيمة ام المساكين الانصارية وام شريك
بنت جابر وخولة بنت حكيم وقرئ ان وهبت على الشرط وقرا الحسن أن بالفتح على
التعليل بتقدير حذف اللام ويجوز ان يكون مصدرا محذوفا معه الزمان كقولك اجلس
ما دام زيد جالسا بمعنى وقت دوامه جالسا ووقت هبتها نفسها وقرا ابن مسعود بغير
أن **فان قلت** ما معنى الشرط الثاني مع الاول **قلت** هو تقييد له شرط في الاحلال
هبتها نفسها وفي الهبة ارادة استنكاح رسول الله صلى الله عليه كانه قال احللناها لك ان وهبت
لك نفسها وانت تريد ان تستنكحها لان ارادته هي قبول الهبة وما به تتم **فان قلت**
لم عدل عن الخطاب الى الغيبة في قوله نفسها للنبي ان اراد النبي ثم رجع الى الخطاب **قلت**
للايذان بانه مما خص به واوثر ومجيئه على لفظ النبي للدلالة على ان الاختصاص تكرمة له
لاجل النبوة وتكرير تفخيم له وتقرير لاستحقاقه الكرامة لنبوته واستنكاحها طلب نكاحها
والرغبة فيه وقد استشهد به ابو حنيفة رضي الله عنه على جواز عقد النكاح بلفظ الهبة لان
رسول الله وامته سواء في الاحكام الا فيما خصه الدليل وقال الشافعي رضي الله عنه لا يصح
قد خص رسول الله بمعنى الهبة ولفظها جميعا لان اللفظ تابع للمعنى والمدعي للاشتراك في اللفظ
يحتاج الى دليل وقال ابو الحسن الكرخي ان عقد النكاح بلفظ الاجارة جائز لقوله اللاتي اتيت
اجورهن وقال ابو بكر الرازي لا يصح لان الاجارة عقد موقت وعقد النكاح مؤبد فهما متنافيان
خالصة مصدر موكد كوعد الله وصبغة الله اي خلص لك احلالا ما احللنا لك

خالصة بمعنى خلوصا والفاعل والفاعلة فى المصادر غير عزيز كالخارج والقاعد والكاذبة
والعافية والدليل على انها وردت فى اثر الاحلالات الاربع مخصوصة برسول الله على سبيل
التوكيد لها قوله قد علمنا ما فرضنا عليهم فى ازواجهم وما ملكت ايمانهم بعد قوله من دون المؤمنين
وهى جملة اعتراضية وقوله لكيلا يكون عليك حرج متصل بخالصة لك من دون المؤمنين
ومعنى هذه الجملة الاعتراضية ان الله قد علم ما يجب فرضه على المؤمنين فى الازواج والاماء
وعلى اى حد وصفة يجب ان يفرض عليهم ففرضه وعلم المصلحة فى اختصاص رسول الله بما
اختصه به ففعل ومعنى لكيلا يكون عليك حرج لئلا يكون عليك ضيق فى دينك حيث اختصصناك
بالتنزيه واختيار ما هو اولى وافضل وفى دنياك حيث احللنا لك اجناس المنكوحات وزدنا
لك الواهبة نفسها وقرئ خالصة لك بالرفع اى ذاك خلوص لك وخصوص من دون المؤمنين
ومن جعل خالصة نعتا للمرأة فعلى مذهبه هذه المرأة خالصة لك من دونهم وكان الله غفورا
للواقع فى الحرج اذا تاب رحيما بالتوسعة على عباده روى ان امهات المؤمنين حين تغايرن
وابتغين زيادة النفقة وغظن رسول الله هجرهن شهرا ونزل التخيير فاشفقن ان يطلقهن
فقلن يا رسول الله افرض لنا من نفسك ومالك ما شئت وروى ان عائشة رضى الله عنها
قالت انى ارى ربك يسارع فى هواك ترجى بهمز وبغير همز تؤخر وتؤوى تضم يعنى تترك
مضاجعة من تشاء منهن وتضاجع من تشاء او تطلق من تشاء وتمسك من تشاء او لا تقسم
لايتهن شئت وتقسم لمن شئت او تترك تزوج من شئت من نساء امتك وتتزوج من شئت وعن
الحسن كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا خطب امراة لم يكن لاحد ان يخطبها حتى يدعها وهذه
قسمة جامعة لما هو الغرض لانه اما ان يطلق واما ان يمسك فاذا امسك ضاجع او ترك وقسم او
لم يقسم واذا طلق وعزل فاما ان يخلى المعزولة لا يبتغيها او يبتغيها وروى انه ارجا منهن سودة

وجويرية

وجويرية وصفية وميمونة وام حبيبة وكان يقسم لهن ما شاء كما شاء وكانت ممن اوى اليه
عائشة وحفصة وام سلمة وزينب ارجا خمسا واوى اربعا وروى انه كان يسوى
مع ما اطلق له وخير فيه الا سودة فانها وهبت ليلتها لعائشة رضى الله عنها وقالت لا تطلقنى
حتى احشر فى زمرة نسائك ذلك التفويض الى مشيتك ادنى الى قرة عيونهن وقلة حزنهن
ورضاهن جميعا لانه اذا سوى بينهن فى الايواء والارجاء والعزل والابتغاء وارتفع التفاضل
ولم يكن لاحدهن مما تريد ومما لا تريد الا مثل ما للاخرى وعلمن ان هذا التفويض من عند الله
وبوحيه اطمانت نفوسهن وذهب التنافس والتغاير وحصل الرضا وقرت العيون وسلت
القلوب والله يعلم ما فى قلوبكم فيه وعيد لمن لم ترض منهن بما دبر الله من ذلك وفوض الى
مشيئة رسوله وبعث على تواطؤ قلوبهن والتصافى بينهن والتوافق على طلب رضا رسول الله
وما فيه طيب نفسه وقرئ تقر اعينهن بضم التاء ونصب الاعين وتقر اعينهن على البناء للمفعول
وكان الله عليما بذات الصدور حليما لا يعاجل بالعقاب فهو حقيق بان يتقى ويحذر كلهن تاكيد
لنون يرضين وقرأ ابن مسعود ويرضين كلهن بما اتيتهن على التقديم وقرئ كلهن تاكيدا لهن فى
اتيتهن لا تحل وقرئ بالتذكير لان تانيث الجمع غير حقيقى واذا جاز بغير فصل فى قوله وقال نسوة
كان مع الفصل اجوز من بعد من بعد التسع لان التسع نصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
من الازواج كما ان الاربع نصاب امته منهن فلا يحل له ان يتجاوز النصاب ولا ان تبدل بهن
ولا ان تستبدل بهن ازواجا اخر بكلهن او بعضهن اراد الله لهن كرامة وجزاء على
ما اخترن ورضين فقصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عليهن وهن التسع اللاتى مات عنهن عائشة
بنت ابى بكر حفصة بنت عمر ام حبيبة بنت ابى سفيان سودة بنت زمعة ام سلمة بنت ابى
امية صفية بنت حيى الخيبرية ميمونة بنت الحارث الهلالية زينب بنت جحش الاسدية

جويرية بنت الحارث المصطلقية من الأزواج لتأكيد النفي وفائدته استغراق جنس الأزواج
بالتحريم وقيل معناه لا تحل لك النساء من بعد النساء اللاتي نص احلالهن لك من الأجناس الأربعة
من الأعرابيات والغرائب او من الإماء بالنكاح وقيل في تحريم التبدل هو من البدل
الذي كان في الجاهلية كان يقول الرجل للرجل بادلني بامرأتك وأبادلك بامرأتي فينزل
كل واحد منهما عن امرأته لصاحبه ويحكى ان عيينة بن حصن دخل على النبي صلى الله عليه وسلم
وعنده عائشة من غير استئذان فقال رسول الله يا عيينة اين الاستئذان قال يا رسول الله
ما استأذنت على رجل قط ممن مضى منذ ادركت ثم قال من هذه الجميلة الى جنبك فقال
عليه السلام هذه عائشة ام المؤمنين قال عيينة افلا انزل لك عن احسن الخلق فقال صلى الله عليه
وسلم ان الله قد حرم ذلك فلما خرج قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال احمق مطاع وانه
على ما ترين لسيد قومه وعن عائشة رضي الله عنها ما مات رسول الله حتى احل له النساء يعني
ان الآية قد نسخت ولا نخ نسخها اما ان يكون بالسنة واما بقوله انا احللنا لك ازواجك وترتيب
النزول ليس على ترتيب المصحف ولو اعجبك في موضع الحال من الفاعل وهو الضمير في
تبدل لا من المفعول الذي هو من ازواج لانه موغل في التنكير وتقديره مفروضا اعجابك
بهن وقيل هي اسماء بنت عميس الخثعمية امرأة جعفر بن ابي طالب والمراد انها ممن اعجبهن
واستثنى ممن حرم عليه الاماء رقيبا حافظا مهيمنا وهو تحذير عن مجاوزة حدوده وتخطي
حلاله الى حرامه ان يؤذن لكم في معنى الظرف تقديره وقت وللحال معا كانه قيل لا تدخلوا
بيوت النبي الا وقت الاذن ولا تدخلوها الا غير ناظرين وهؤلاء قوم كانوا يتحينون طعام
رسول الله فيدخلون ويقعدون منتظرين لادراكه ومعناه لا تدخلوا يا هؤلاء المتحينون
للطعام الا ان يؤذن لكم الى طعام غير ناظرين اناه والا فلو لم يكن لهؤلاء خصوصا لما جاز لاحد ان يدخل

بيوت

او من الكتابيات ح

ان يؤذن لكم وغير ناظرين حال من لا تدخلوا
وقع الاستثناء على الوقت ح

١٢٠

بيوت النبي الا ان يؤذن له اذنا خاصا وهو الاذن الى الطعام فحسب وعن ابن ابي عبلة
انه قرأ غير ناظرين مجرورا صفة لطعام وليس بالوجه لانه جرى على غير ما هو له فمن حق ضمير
ما هو له ان يبرز الى اللفظ فيقال غير ناظرين اناه انتم كقولك هند زيد ضاربته هي واني الطعام
ادراكه يقال انى الطعام اني كقولك قلاه قلى ومنه قوله بين حميم آن بالغ اناه وقيل اناه
وقته اي غير ناظرين وقت الطعام وساعة اكله وروي ان رسول الله اولم على زينب بتمر
وسويق وشاة وامر انسا بان يدعو بالناس فترادفوا افواجا يأكل فوج فيخرج ثم يدخل فوج الى
ان قال يا رسول الله دعوت حتى ما اجد احدا ادعوه فقال ارفعوا طعامكم وتفرق الناس
وبقي ثلاثة نفر يتحدثون فاطالوا فقام رسول الله ليخرجوا فانطلق الى حجرة عائشة فقال السلام
عليكم اهل البيت فقالوا وعليك السلام يا رسول الله كيف وجدت اهلك وطاف بالحجرات
فسلم عليهن ودعون له ورجع فاذا الثلاثة جلوس يتحدثون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
شديد الحياء فتولى فلما رأوه متوليا خرجوا فرجع فنزلت ولا مستأنسين لحديث نهوا
عن ان يطيلوا الجلوس يستأنس بعضهم ببعض لاجل حديث يحدثه به او عن ان يستأنسوا
حديث اهل البيت واستئناسه تسمعه وتوجسه وهو مجرور معطوف على ناظرين وقيل
هو منصوب على لا تدخلوا مستأنسين لا بد في قوله فيستحيي منكم من تقدير المضاف
اي من اخراجكم بدليل قوله والله لا يستحيي من الحق يعني ان اخراجكم حق ما ينبغي ان يستحيي
منه ولما كان الحياء مما يمنع الحيي من بعض الافعال قيل لا يستحيي من الحق بمعنى لا يمتنع
منه ولا يتركه ترك الحيي منكم وهذا ادب ادب الله به الثقلاء وعن عائشة رضي الله عنها
حسبك في الثقلاء ان الله تعالى لم يحتملهم وقال فاذا طعمتم فانتشروا وقرئ لا يستحيي بياء
واحدة الضمير في سألتموهن لنساء النبي صلى الله عليه وسلم ولم يذكرن لان الحال ناطقة

يذكرهن منا غليلة فسلوهن المتاع قيل ان عمر رضي الله عنه كان يحب ضرب الحجاب
عليهن محبة شديدة وكان يذكره كثيرا ويود ان ينزل فيه وكان يقول لو اطاع فيكن
ما رأتكن عين وقال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو امرت المومنين بالحجاب امهات
فنزلت وروي انه مر عليهن وهن مع النساء في المسجد فقال لئن احتجبتن فان لكن
على النساء فضلا كما ان لزوجكن على الرجال الفضل فقالت زينب يا ابن الخطاب انك
لتغار علينا والوحي ينزل في بيوتنا فلم يلبثوا الا يسيرا حتى نزلت وقيل ان رسول الله كان
يطعم ومعه بعض اصحابه فاصابت يد رجل منهم يد عائشة فكره النبي صلى الله عليه
وسلم ذلك فنزلت اية الحجاب وذكر ان بعضهم قال انُنهى ان نكلم بنات عمنا الا من
وراء الحجاب لئن مات محمد لاتزوجن عائشة فاعلم الله ان ذلك محرم وما كان لكم وما صح
لكم ايذاء رسول الله ولا نكاح ازواجه من بعده ابدا وسمى نكاحهن بعده عظيما عنده و
هو من اعلام تعظيم الله لرسوله وايجاب حرمته حيا وميتا واعلامه بذلك مما طيب به نفسه
وسر قلبه واستغزر شكره فان نحو هذا مما يحدث به الرجل نفسه ولا يخلي منه فكره
ومن الناس من تفرط غيرته على حرمته حتى يتمنى لها الموت لئلا تنكح من بعده وعن
بعض الفتيان انه كانت له جارية لا يرى الدنيا بها شغفا واستهتارا فنظر اليها ذات
يوم فتنفس الصعداء وانتحب فعلا نحيبه مما ذهب به فكره هذا المذهب فلم يزل
ذلك حتى قتلها تصورا لما عسى يتفق من بقائها بعده وحصولها تحت يد غيره وعن بعض
الفقهاء ان الزوج الثاني في هدم الثلاث يجري مجرى العقوبة فصين رسول الله عما
يلاحظ ذلك ان تبدوا شيئا من نكاحهن على السنتكم او تخفوه في صدوركم فان الله يعلم
ذلك فيعاقبكم به وانما جاء به على اثر ذلك عاما لكل باد وخاف ليدخل تحته نكاحهن

وغيره

وغيره ولانه على هذه الطريقة اهول واجزل روي انه لما نزلت اية الحجاب قال الاباء
والابناء والاقارب يا رسول الله او نحن ايضا نكلمهن من وراء الحجاب فنزلت لا جناح
عليهن اي لا اثم عليهن في ان لا يحتجبن من هؤلاء ولم يذكر العم والخال لانهما يجريان مجرى
الوالدين وقد جاءت تسمية العم ابا قال الله تعالى واله ابائك ابرهيم واسمعيل واسحق
واسمعيل عم يعقوب وقيل كره ترك الاحتجاب عنهما لانهما يصفانها لابنائهما وابناؤهما غير
محارم ثم نقل الكلام من الغيبة الى الخطاب وفي هذا النقل ما يدل على فضل تشديد فقيل
واتقين الله فيما امرتن به من الاحتجاب وانزل فيه الوحي من الاستتار واحتطن فيه وفيما
استثني منه ما قدرتن واحفظن حدودهما واسلكن طريقة التقوى في حفظهما وليكن عملكن
في الحجب احسن مما كان وانتن غير محتجبات ليفضل سركن علنكن ان الله على كل شيء من السر
والعلن وظاهر الحجاب وباطنه شهيدا لا تتفاوت في علمه الاحوال قرئ وملائكته بالرفع
عطفا على محل ان واسمها وهو ظاهر على مذهب الكوفيين ووجهه عند البصريين ان يحذف
الخبر لدلالة يصلون عليه صلوا عليه وسلموا اي قولوا الصلاة على الرسول والسلام ومعناه
الدعاء بان يترحم عليه الله ويسلم **فان قلت** الصلاة على رسول الله واجبة ام مندوب اليها
قلت بل واجبة وقد اختلفوا في حال وجوبها فمنهم من اوجبها كلما جرى ذكره وفي
الحديث من ذكرت عنده فلم يصل علي فدخل النار فابعده الله ويروى انه قيل يا رسول الله
ارايت قول الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي فقال عليه السلام هذا من العلم المكنون
ولولا انكم سألتموني عنه ما اخبرتكم به ان الله وكل بي ملكين فلا اذكر عند عبد مسلم فيصلي
علي الا قال ذانك الملكان غفر الله لك وقال الله وملائكته جوابا لذينك الملكين امين ولا
اذكر عند عبد مسلم فلا يصلي علي الا قال ذانك الملكان لا غفر الله لك وقال الله وملائكته

لذلك الملكين امين ومنهم من قال يجب في كل مجلس مرة وان تكرر ذكره كما قيل في اية السجدة
وتشميت العاطس وكذلك في كل دعاء في اوله واخره ومنهم من اوجبها في العمر مرة وكذا قال
في اظهار الشهادتين والذي يقتضيه الاحتياط الصلوة عليه عند كل ذكر لما ورد من
الاخبار **فان قلت** فالصلوة عليه في الصلوة اهي شرط في جوازها ام لا **قلت** ابو حنيفة
واصحابه رحمهم الله لا يرونها شرطا وعن ابرهيم النخعي كانوا يكتفون عن ذلك يعني الصحابة به
التشهد وهو السلام عليك ايها النبي واما الشافعي رضي الله عنه فقد جعلها شرطا **فان قلت**
فما تقول في الصلوة على غيره **قلت** القياس جواز الصلوة على كل مومن لقوله هو الذي
يصلي عليكم وقوله وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم وقوله عليه السلام اللهم صل على آل ابي اوفى
ولكن للعلماء تفصيلا في ذلك وهو انها ان كانت على سبيل التبع كقولك صلى الله على النبي
واله فلا كلام فيها واما اذا افرد غيره من اهل البيت بالصلوة كما يفرد هو فمكروه لان ذلك
صار شعارا لذكر رسول الله ولانه يودي الى الاتهام بالرفض وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يقفن مواقف التهم يوذون الله ورسوله فيه وجهان
احدهما ان يعبر بايذايهما عن فعل ما يكرهانه ولا يرضيانه من الكفر والمعاصي وانكار النبوة
ومخالفة الشريعة وما كانوا يصيبون به رسول الله من انواع المكروه على المجاز وانما جعلته سبيله
مجازا فيهما جميعا وحقيقة الايذاء صحيحة في رسول الله لئلا اجعل العبارة الواحدة
معطية معنى المجاز والحقيقة والثاني ان يراد يوذون رسول الله وقيل في اذى الله هو قول
اليهود والنصارى والمشركين يد الله مغلولة وثالث ثلاثة والمسيح ابن الله والملائكة
بنات الله والاصنام شركاوه وقيل قول الذين يلحدون في اسمائه وصفاته وعن رسول الله فيما
فيما يحكي عن ربه شتمني ابن ادم ولم ينبغ له ان يشتمني واذاني ولم ينبغ له ان يوذيني فاما شتمه

الي فقوله اني اتخذت ولدا واما اذاه فقوله ان لا يعيدني بعد ان بداني وعن عكرمة
فعل اصحاب التصاوير الذين يرومون تكوين خلق مثل خلق الله وقيل في اذى رسول الله
قولهم ساحر شاعر كاهن مجنون وقيل كسر رباعيته وشج وجهه يوم احد وقيل طعنهم
عليه في نكاح صفية بنت حيي واطلق ايذاء الله ورسوله وقيد ايذاء المومنين والمومنات
لان اذى الله ورسوله لا يكون الا غير حق ابدا واما اذى المومنين والمومنات فمنه ومنه
فمنه ومنه ومعنى بغير ما اكتسبوا بغير جناية واستحقاق للاذى وقيل نزلت في ناس من
المنافقين يوذون عليا رضي الله عنه ويسمعونه وقيل في الذين افكوا على عائشة رضي الله
عنها وقيل في زناة كانوا يتبعون النساء وهن كارهات وعن الفضيل لا يحل لك ان توذي
كلبا او خنزيرا بغير حق فكيف وقد كان ابن عوف لا يكري الحوانيت الا من اهل الذمة
لما فيه من الروعة عند كر الحول الجلباب ثوب واسع اوسع من الخمار ودون الرداء
تلويه المراة على راسها وتبقي منه ما ترسله على صدرها وعن ابن عباس الرداء الذي
يستر من فوق الى اسفل وقيل الملحفة وكل ما يستتر به من كساء او غيره قال ابو زبيد مجلبب
من سواد الليل جلبابا ومعنى يدنين عليهن من جلابيبهن يرخينها عليهن ويغطين
بها وجوههن واعطافهن يقال اذا زل الثوب عن وجه المراة ادني ثوبك على وجهك وذلك
ان النساء كن في اول الاسلام على هجيراهن في الجاهلية متبذلات تبرز المراة في درع
وخمار لا فصل بين الحرة والامة وكان الفتيان واهل الشطار يتعرضون اذا خرجن بالليل
الى مقاضي حوائجهن في النخيل والغيطان للاماء وربما تعرضوا للحرة بعلة الامة يقولون
حسبتها امة فامرن ان يخالفن بزيهن عن زي الاماء بلبس الاردية والملاحف وستر
الروس والوجوه ليحتشمن ويهبن فلا يطمع فيهن طامع وذلك قوله ذلك ادنى ان يعرفن
اي اولى واجدر بان يعرفن فلا يتعرض لهن ولا يلقين ما يكرهن **فان قلت** ما معنى من

في من جلابيبهن **قلت** هو للتبعيض الا ان معنى التبعيض محتمل وجهين احدهما ان يتجلببن
ببعض ما لهن من الجلابيب والمراد ان لا تكون المراة متبذلة في درع وخمار كالامة والماهنة
ولها جلبابان فصاعدا في بيتها والثاني ان ترخي المراة بعض جلبابها وفضله على وجهها تتقنع
حتى تتميز من الامة وعن ابن سيرين سالت عبيدة السلماني عن ذلك فقال ان تضع رداءها
فوق الحاجب ثم تديره حتى تضعه على انفها وعن السدي ان تغطي احدى عينيها وجبهتها
والشق الآخر الا العين وعن الكسائي يتقنعن بملاحفهن منضمة عليهن اراد بالانضمام معنى
الادناء وكان الله غفورا لما سلف منهن من التفريط مع التوبة لان هذا مما يمكن معرفته بالعقل
الذين في قلوبهم مرض قوم كان فيهم ضعف ايمان وقلة ثبات عليه وهم الزناة واهل الفجور
من قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض والمرجفون ناس كانوا يرجفون باخبار السوء عن سرايا
رسول الله فيقولون هزموا وقتلوا وجرى عليهم كيت وكيت فيكسرون بذلك قلوب
المؤمنين يقال ارجف بكذا اذا اخبر به على غير حقيقة لكونه خبرا متزلزلا غير ثابت من
الرجفة وهي الزلزلة والمعنى لئن لم ينته المنافقون عن عداوتهم وكيدهم والفسقة عن فجورهم
والمرجفون عما يؤلفون من اخبار السوء لنامرنك بان تفعل بهم الافاعيل التي تسوؤهم و
تنوءهم ثم بان تضطرهم الى طلب الجلاء عن المدينة والى ان لا يساكنوك فيها الا زمنا قليلا
ريثما يرتحلون ويلتقطون انفسهم وعيالاتهم فسمي ذلك اغراء وهو التحريش على سبيل المجاز
ملعونين نصب على الشتم او الحال اي لا يجاورونك الا ملعونين دخل حرف الاستثناء على
الظرف والحال معا كما مر في قوله الا ان يؤذن لكم غير ناظرين ولا يصح ان ينتصب عن اخذوا
لان ما بعد كلمة الشرط لا يعمل فيما قبله وقيل في قليلا هو منصوب على الحال ايضا ومعناه لا
يجاورونك الا اقلاء اذلاء ملعونين **فان قلت** ما موقع لا يجاورونك **قلت** عطف على لنغرينك

لانه

لانه يجوز ان يجاب به القسم الا ترى الى صحة قولك لئن لم ينتهوا لا يجاورونك **فان قلت**
اما كان من حق لا يجاورونك ان يعطف بالفاء وان يقال لنغرينك بهم فلا يجاورونك
قلت لو جعل الثاني مسببا عن الاول لكان الامر كما قلت ولكنه جعل جوابا اخر للقسم
معطوفا على الاول وانما عطف بثم لان الجلاء عن الاوطان كان اعظم عليهم واعظم من
جميع ما اصيبوا به فتراخت حاله عن حال المعطوف عليه سنة الله في موضع مصدر مؤكد اي
سن الله في الذين ينافقون الانبياء ان يقتلوا حيثما ثقفوا وعن مقاتل يعني كما قتل اهل
بدر واسروا كان المشركون يسالون رسول الله عن وقت قيام الساعة استعجالا على طريق
الهزء واليهود يسالونه امتحانا لان الله عمى وقتها في التوراة وفي كل كتاب فامر رسوله
ان يجيبهم بانه علم قد استاثر الله به لم يطلع عليه ملكا ولا نبيا ثم بين لرسوله انها قريبة
الوقوع تهديدا للمستعجلين واسكاتا للممتحنين قريبا شيئا قريبا او لان الساعة في معنى
اليوم او في زمان قريب السعير النار المسعورة الشديدة الايقاد وقرئ تقلب على البناء للمفعول
وتقلب بمعنى تتقلب ونقلب اي نقلب نحن وتقلب على ان الفعل للسعير ومعنى تقليبها
تصريفها في الجهات كما ترى البضعة تدور في القدر اذا غلت فترامى بها الغليان من جهة
الى جهة او تغييرها عن احوالها وتحويلها عن هيآتها او طرحها في النار مقلوبين منكوسين و
خصت الوجوه بالذكر لان الوجه اكرم موضع على الانسان من جسده ويجوز ان يكون
الوجه عبارة عن الجملة وناصب الظرف يقولون او محذوف وهو اذكر واذا نصب بالمحذوف
كان يقولون حالا وقرئ سادتنا وساداتنا وهم رؤساء الكفر الذين لقنوهم الكفر وزينوه
لهم يقال ضل السبيل واضله اياه وزيادة الالف لاطلاق الصوت جعلت فواصل الآي
كقوافي الشعر وفائدتها الوقف والدلالة على ان الكلام قد انقطع وان ما بعده مستانف

وقرى كثيرا تكثيرا لاعداد اللاعنين وكبيرا ليدل على اشد اللعن واعظمه ضعفين ضعفا
لضلاله وضعفا لاضلاله يعترفون ويستغيثون ويتمنون ولا ينفعهم شيء من ذلك لا تكونوا
كالذين آذوا موسى قيل نزلت في شان زيد وزينب وما سمع فيه من قالة بعض الناس وقيل
في اذى موسى عليه السلام هو حديث المومسة التي ارادها قارون على قذفه بنفسها وقيل
اتهامهم اياه بقتل هارون وكان قد خرج معه الى الجبل فمات هناك فحملته الملائكة ومروا به
عليهم ميتا فابصروه حتى عرفوا انه غير مقتول وقيل احياه الله فاخبرهم ببراءة موسى وقيل قرفوه
بعيب في جسده من برص او أُدرة فاطلعهم الله على انه بريء منه وجيها ذا جاه ومنزلة عنده
فلذلك كان يميط عنه التهم ويدفع الاذى ويحافظ عليه لئلا يلحقه وصم ولا يوصف
بنقيصة كما يفعل الملك بمن له عنده قربة ووجاهة وقرا ابن مسعود والاعمش وابو حيوة
وكان عَبْدًا لله وجيها قال ابن خالويه صليت خلف ابن شَنَبوذ في شهر رمضان فسمعته
يقرؤها وقراءة العامة اوجه لانها مفصحة عن وجاهته عند الله كقوله عند ذي العرش
مكين وهذه ليست كذلك فان قلت قوله مما قالوا معناه من قولهم او من مقولهم لان ما
اما مصدرية او موصولة وايهما كان فكيف تصح البراءة منه قلت المراد بالقول او المقول
مؤداه ومضمونه وهو الامر المعيب الا ترى انهم سموا السُبّة بالقالة والقالة بمعنى
القول قولا سديدا قاصدا الى الحق والسداد القصد الى الحق والقول بالعدل يقال سدد
السهم نحو الرمية اذا لم يعدل به عن سمتها كما قالوا سهم قاصد والمراد نهيهم عما خاضوا
فيه من حديث زينب من غير قصد وعدل في القول والبعث على ان يسد قولهم في كل باب
لان حفظ اللسان وسداد القول راس الخير كله والمعنى راقبوا الله في حفظ السنتكم
وتسديد قولكم فانكم ان فعلتم ذلك اعطاكم الله ما هو غاية الطلبة من تقبل حسناتكم والاثابة

عليها

عليها ومن مغفرة سيئاتكم وتكفيرها وقيل اصلاح الاعمال التوفيق في المجيء بها صالحة مرضية
وهذه الاية مقررة للتي قبلها بنيت تلك على النهي عما يؤذي رسول الله وهذه على الامر
باتقاء الله في حفظ اللسان ليترادف عليهم النهي والامر مع اتباع النهي ما يتضمن الوعيد
من قصة موسى واتباع الامر الوعد البليغ فيقوى الصارف عن الاذى والداعي الى تركه
لما قال ومن يطع الله ورسوله وعلق بالطاعة الفوز العظيم اتبعه قوله انا عرضنا الامانة
وهو يريد بالامانة الطاعة فعظم امرها وفخم شانها وفيه وجهان احدهما ان هذه الاجرام
العظام من السماوات والارض والجبال قد انقادت لامر الله عز وعلا انقياد مثلها وهو
ما يتاتى من الجمادات واطاعت له الطاعة التي تصح منها وتليق بها حيث لم تمتنع على
مشيئته وارادته ايجادا وتكوينا وتسوية على هيئات مختلفة واشكال متنوعة كما قال
قالتا اتينا طائعين واما الانسان فلم تكن حاله فيما يصح منه من الطاعة ويليق به من الانقياد
لاوامر الله ونواهيه وهو حيوان عاقل صالح للتكليف مثل حال تلك الجمادات فيما يصح
منها ويليق بها من الانقياد وعدم الامتناع والمراد بالامانة الطاعة لانها لازمة الوجود
كما ان الامانة لازمة الاداء وعرضها على الجمادات واباؤها واشفاقها مجاز واما حمل الامانة
فمن قولك فلان حامل للامانة ومحتمل لها تريد انه لا يؤديها الى صاحبها حتى تزول عن ذمته
ويخرج عن عهدتها لان الامانة كانها راكبة للمؤتمن عليها وهو حاملها الا تراهم يقولون ركبته
الديون ولي عليه حق فاذا اداها لم تبق راكبة له ولا هو حاملا لها ونحوه قولهم لا يملك مولى
لمولى نصرا يريدون انه يبذل له النصرة ويسامحه بها ولا يمسكها كما يمسكها الخاذل ومنه
قول القائل أَخوك الذي لا تملك الحسّ نفسه وترفَضّ عند المُحفِظات الكتائف اي لا تمسك
الرقة والعطف امساك المالك الضنين ما في يده بل يبذل ذلك ويسمح به ومنه قولهم ابغض حق

اخيك لانه اذا احبه لم يخرجه الى اخيه ولم يوده واذا ابغضه اخرجه واداه فمعنى فابين
ان يحملنها وحملها الانسان فابى ان لا يوديها واتى الانسان الا ان يكون محتملا لها لا
يوديها ثم وصفه بالظلم لكونه تاركا لاداء الامانة وبالجهل لاخطايه ما يسعدهم مع عكسه منه
وهو اداوها والثاني ان ما كلفه الانسان بلغ من عظمه وثقل محمله انه عرض على اعظم
ما خلق الله من الاجرام واقواه واشده ان يحمله ويستقل به فابى حمله والاستقلال به واشفق
منه وحمله الانسان على ضعفه ورخاوة قوته انه كان ظلوما جهولا حيث حمل الامانة ثم لم يف
بها وضمنها ثم خاس بضمانه فيها ونحو هذا من الكلام كثير في لسان العرب وما جاء القران
الا على طرقهم واساليبهم من ذلك قولهم لو قيل للشحم اين تذهب لقال اسوي العرج وكم وكم
لهم من امثال على السنة البهائم والجمادات وتصور مقاولة الشحم محال ولكن الغرض ان
السمن في الحيوان مما يحسن قبحه كما ان العجف مما يقبح حسنه فصور اثر السمن فيه تصويرا
هو اوقع في نفس السامع وهي به انس وله اقبل وعلى حقيقته اوقف وكذلك تصوير عظم الامانة
وصعوبة امرها وثقل محملها والوفاء بها **فان قلت** قد علم وجه التمثيل في قولهم للذي لا
يثبت على راي واحد اراك تقدم رجلا وتوخر اخرى لانه مثلت حاله في تميله وترجحه بين
الرايين وتركه المضي على احدهما بحال من يتردد في ذهابه فلا يجمع رجليه للمضي في وجهه
وكل واحد من الممثل والممثل به شيء مستقيم داخل تحت الصحة والمعرفة وليس كذلك ما في
الاية فان عرض الامانة على الجماد واباه واشفاقه محال في نفسه غير مستقيم فكيف صح بناء
التمثيل على المحال وما مثال هذا الا ان تشبه شيا والمشبه به غير معقول **قلت**
الممثل به في الاية وفي قولهم لو قيل للشحم اين تذهب وفي نظائره مفروض والمفروضات تتخيل في
الذهن كما المحققات مثلت حال التكليف في صعوبته وثقل محمله بحاله المفروضة لو عرضت على

السموات

٢٢٥

السماوات والارض والجبال فابين ان يحملنها واشفقن منها واللام في ليعذب لام التعليل على
طريق المجاز لان التعذيب نتيجة حمل الامانة كما ان التاديب في ضربته للتاديب نتيجة
الضرب وقرا الاعمش ويتوب ليجعل العلة قاصرة على فعل الحامل ويبتدي ويتوب الله في
معنى قراة العامة ليعذب الله حامل الامانة ويتوب على غيره ممن لم يحملها لانه اذا تيب على
الوافي كان ذلك نوعا من عذاب الغادر والله اعلم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من
قرا سورة الاحزاب وعلمها اهله وما ملكت يمينه اعطي الامان من عذاب القبر

سورة سبا مكية وهي اربع وخمسون اية

بسم الله الرحمن الرحيم ما في السموات والارض كله نعمة من الله
من الله وهو الحقيق بان يحمد ويثنى عليه من اجله ولما قال الحمد لله ثم وصف ذاته بالانعام
بجميع النعم الدنيوية كان معناه انه المحمود على نعم الدنيا كما تقول احمد اخاك الذي كساك وحملك
تريد احمده على كسوته وحملانه ولما قال وله الحمد في الاخرة علم انه المحمود على نعم الاخرة وهي الثواب
فان قلت ما الفرق بين الحمدين **قلت** اما الحمد في الدنيا فواجب لانه على نعمة متفضل
بها وهو الطريق الى تحصيل نعمة الاخرة وهي الثواب واما الحمد في الاخرة فليس بواجب لانه على
نعمة واجبة الايصال الى مستحقها انما هو تتمة سرور المومنين وتكملة اغتباطهم يلتذون به
كما يلتذ من به العطاش بالماء البارد وهو الحكيم الذي احكم امور الدارين ودبرها بحكمته
الخبير بكل كائن يكون ثم ذكر مما يحيط به علما ما يلج في الارض من الغيث كقوله فسلكه
ينابيع في الارض ومن الكنوز والدفاين والاموات وجميع ما هي له كفات وما يخرج منها من الشجر
والنبات وماء العيون والغلة والدواب وغير ذلك وما ينزل من السماء من الامطار والثلج

والبرد والصواعق والارزاق والملائكة والانواع البركات والمقادير كما قال وفي السماء رزقكم
وما توعدون وما يعرج فيها من الملائكة واعمال العباد وهو مع كثرة نعمته وسبوغ فضله الرحيم
الغفور للمفرطين في اداء مواجب شكرها وقرأ علي بن ابي طالب رضوان الله عليه ننزل بالنون
والتشديد قولهم لا تاتينا الساعة نفي للبعث وانكار لمجيء الساعة او استبطاء لما وعدوه من
قيامها على سبيل الهزء والسخرية كقولهم متى هذا الوعد اوجب ما بعد النفي ببلى على معنى ان
ليس الامر الا اتيانها ثم اعيد ايجابه مؤكدا بما هو الغاية في التوكيد والتشديد وهو التوكيد باليمين
بالله عز وجل ثم امد التوكيد القسمي امدادا بما اتبع المقسم به من الوصف بما وصف به الى قوله
ليجزي لان عظمة حال المقسم به تؤذن بقوة حال المقسم عليه وشدة ثباته واستقامته لانه
بمنزلة الاستشهاد على الامر وكلما كان المستشهد به اعلى كعبا وابين فضلا وارفع منزلة كانت
الشهادة اقوى واكد والمستشهد عليه اثبت وارسخ **فان قلت** هل للوصف الذي وصف به
المقسم به وجه اختصاص بهذا المعنى **قلت** نعم وذلك ان قيام الساعة من مشاهير الغيوب
وادخلها في الخفية واولها مسارعة الى القلب اذا قيل عالم الغيب فحين اقسم باسمه على اثبات قيام الساعة
وانه كائن لا محالة ثم وصف بما يرجع الى علم الغيب وانه لا يفوت علمه شيء من الخفيات اندرج تحته
احاطته بوقت قيام الساعة فجاء ما تطلبه من وجه الاختصاص مجيئا واضحا **فان قلت**
الناس قد انكروا اتيان الساعة وجحدوه فهب انه حلف لهم باغلظ الايمان واقسم عليه
جهد القسم فيمين من هو في معتقدهم مفتر على الله كذبا كيف تكون مصححة لما انكروه **قلت**
لو اقتصر على اليمين ولم يتبعها الحجة القاطعة والبينة الساطعة وهو قوله ليجزي فقد وضع الله
في العقول وركب في الغرائز وجوب الجزاء وان المحسن لا بد له من ثواب والمسيء لا بد له من
عقاب وقوله ليجزي متصل بقوله لتاتينكم تعليلا له وقرئ لتاتينكم بالتاء والياء ووجه من قرأ

بالياء

بالياء ان يكون ضميره للساعة بمعنى اليوم او يسند الى عالم الغيب اي ليأتينكم امره كما قال
هل ينظرون الا ان تاتيهم الملائكة او ياتي ربك وقال او ياتي امر ربك وقرئ عالم الغيب وعلام
الغيب بالجر صفة لربي وعالم الغيب وعالم الغيوب بالرفع على المدح ولا يعزب بالضم
والكسر من العزوب وهو البعد يقال روض عزيب بعيد من الناس مثقال ذرة مقدار
اصغر نملة وذلك اشارة الى مثقال ذرة وقرئ ولا اصغر من ذلك ولا اكبر بالرفع على اصل
الابتداء وبالفتح على نفي الجنس كقولك لا حول ولا قوة الا بالله بالرفع والنصب وهو كلام
منقطع عما قبله **فان قلت** هل يصح عطف المرفوع على مثقال ذرة كانه قيل لا يعزب
عنه مثقال ذرة بانه فتح في موضع الجر لامتناع الصرف كانه قيل لا يعزب عنه مثقال ذرة
واصغر واكبر وزيادة لا لتاكيد النفي وعطف المفتوح على ذرة ٤
ولا مثقال اصغر من ذلك ولا اكبر **قلت** يأبى ذلك حرف الاستثناء الا اذا جعلت الضمير
في عنه للغيب وجعلت الغيب اسما للخفيات قبل ان تكتب في اللوح لان اثباتها في اللوح
نوع من البروز عن الحجاب على معنى انه لا ينفصل عن الغيب شيء ولا يزل عنه الا مسطورا
في اللوح وقرئ معجزين واليم بالرفع والجر وعن قتادة الرجز سوء العذاب ويرى في موضع
الرفع اي ويعلم اولوا العلم يعني اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن يطأ اعقابهم
من امته او علماء اهل الكتاب الذين اسلموا مثل كعب الاحبار وعبد الله بن سلام الذي
انزل اليك الحق هما مفعولان ليرى وهو فصل ومن قرأ بالرفع جعله مبتدأ والحق خبرا و
الجملة في موضع المفعول الثاني وقيل يرى في موضع النصب معطوف على ليجزي اي وليعلم
اولوا العلم عند مجيء الساعة انه الحق علما لا يزاد عليه في الايقان ويحتجوا به على الذين
كذبوا وتولوا ويجوز ان يريد وليعلم من لم يؤمن من الاحبار انه هو الحق فيزدادوا حسرة وغما الذين
كفروا قريش قال بعضهم لبعض هل ندلكم على رجل يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم يحدثكم باعجوبة

من الاعاجيب انكم تبعثون وتنشؤن خلقا جديدا بعد ان تكونوا رفاتا وترابا ويمزق
اجسادكم البلى كل ممزق اى يفرقكم ويبدد اجزاءكم كل تبديد أهو مفتر على الله كذبا
فيما ينسب اليه من ذلك ام به جنون يوهمه ذلك ويلقيه على لسانه ثم قال سبحانه
ليس محمد من الافتراء والجنون في شيء وهو مبرأ منهما بل هؤلاء القائلون الكافرون
بالبعث واقعون في عذاب النار وفيما يؤديهم اليه من الضلال عن الحق وهم غافلون
عن ذلك وذلك اجن الجنون واشده اطباقا على عقولهم جعل وقوعهم في العذاب رسيلا
لوقوعهم في الضلال كانهما كائنان في وقت واحد لان الضلال لما كان العذاب من
لوازمه وموجباته جعلا كانهما في الحقيقة مقترنان وقرأ زيد بن علي رضوان الله عليه
ينبئكم فان قلت قد جعلت الممزق مصدرا كبيت الكتاب الم تعلم مسرحي القوافي فلا
عيابهن ولا اجتلابا فهل يجوز ان يكون مكانا قلت نعم معناه ما حصل من الاموات
في بطون الطير والسباع وما مرت به السيول فذهبت به كل مذهب وما سفته الرياح
فطرحته كل مطرح فان قلت ما العامل في اذا قلت ما دل عليه انكم لفي خلق جديد
وقد سبق نظيره فان قلت الجديد فعيل بمعنى فاعل ام مفعول قلت هو عند البصريين
بمعنى فاعل تقول جد فهو جديد كحد فهو حديد وقل فهو قليل وعند الكوفيين بمعنى
مفعول من جده اذا قطعه وقالوا هو الذي جده الناسج الساعة في الثوب ثم شاع
ويقولون ولهذا قالوا ملحفة جديد وهو عند البصريين كقوله ان رحمة الله قريب ونحو
ذلك فان قلت لم اسقطت الهمزة في قوله افترى دون قوله السحر وكلتاهما همزة
وصل قلت القياس الطرح ولكن امر اضطرهم الى ترك اسقاطها في نحو السحر و
هو خوف التباس الاستفهام بالخبر لكون همزة الوصل مفتوحة كهمزة الاستفهام فان قلت

وذلك

ما معنى

ما معنى وصف الضلال بالبعد قلت من الاسناد المجازي لان البعد صفة الضال
اذا بعد عن الجادة وكلما ازداد عنها بعدا كان اضل فان قلت كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم مشهورا علما في قريش وكان انباؤه بالبعث شائعا عندهم فما معنى قولهم
هل ندلكم على رجل ينبئكم فنكروه لهم وعرضوا عليهم الدلالة عليه كما يدل على مجهول في امر مجهول
قلت كانوا يقصدون بذلك الطنز والسخرية فاخرجوه مخرج التحكي ببعض الاحاجي
التي يتحاجى بها للضحك والتلهي متجاهلين به وبامره افعموا فلم ينظروا الى السماء والارض وانهما
حيثما كانوا وايثما ساروا امامهم وخلفهم محيطتان بهم لا يقدرون ان ينفذوا من اقطارها
وان يخرجوا عما هم فيه من ملكوت الله ولم يخافوا ان يخسف الله بهم او يسقط عليهم كسفا
لتكذيبهم الآيات وكفرهم بالرسول وبما جاء به كما فعل بقارون واصحاب الايكة ان في ذلك
النظر الى السماء والارض والفكر فيهما وما يدلان عليه من قدرة الله لآية ودلالة لكل عبد منيب
وهو الراجع الى ربه المطيع له لان المنيب لا يخلو من النظر في آيات الله على انه قادر على
كل شيء من البعث ومن عقاب من يكفر به وقرئ يشاء ويخسف ويسقط بالياء لقوله
افترى على الله كذبا وبالنون لقوله ولقد آتينا وكسفا بفتح السين وسكونه وقراءة الكسائي
يخسف بهم بالادغام وليست بقوية يا جبال اما ان يكون بدلا من فضلا واما من آتينا بتقدير
قولنا يا جبال او قلنا يا جبال وقرئ اوبي واوبي من التأويب والاوب اي رجعي معه التسبيح
او ارجعي معه في التسبيح كلما رجع فيه لانه اذا رجعه فقد رجع فيه ومعنى تسبيح الجبال
ان الله يخلق فيها تسبيحا كما خلق الكلام في الشجرة فيسمع منها ما يسمع من المسبح معجزة
لداود عليه السلام وقيل كان ينوح على ذنبه بترجيع وتحزين وكانت الجبال تسعده على نوحه
باصدائها والطير باصواتها وقرئ والطير رفعا ونصبا عطفا على لفظ الجبال ومحلها وجوزوا

ان ينتصب مفعولا معه وان يعطف على فضلا بمعنى وسخرنا له الطير **قال قلت** اى فرق
بين هذا النظم وبين ان يقال واتينا داود منا فضلا تاويب الجبال معه والطير **قلت**
كم بينهما الا ترى الى ما فيه من الفخامة التى لا تخفى ومن الدلالة على عزة الربوبية وكبرياء الالهية
حيث جعلت الجبال منزلة منزلة العقلاء الذين اذا امرهم اطاعوا واذعنوا واذا دعاهم
سمعوا واجابوا اشعارا بانه ما من حيوان وجماد وناطق وصامت الا وهو منقاد لمشيئته
غير ممتنع على ارادته والنا له الحديد وجعلناه له لينا كالطين والعجين والشمع يصرفه بيده كيف
يشاء من غير نار ولا ضرب بمطرقة وقيل لان الحديد فى يده لما اوتى من شدة القوة وقرى
صابغات وهى الدروع الواسعة الضافية وهو اول من اتخذها وكانت قبل صفائح وقيل كان
يبيع الدرع باربعة الاف ينفق منها على نفسه وعياله ويتصدق على الفقراء وقيل كان يخرج
حين ملك بنى اسرائيل متنكرا فيسال الناس عن نفسه ويقول لهم ما تقولون فى داود فيثنون عليه
فقيض الله له ملكا فى صورة آدمى فساله على عادته فقال نعم الرجل لولا خصلة فيه فريع داود
فساله فقال لولا انه يطعم عياله من بيت المال فسال عند ذلك ربه ان يسبب له ما يستغنى
به عن بيت المال فعلمه صنعة الدروع وقدر لا تجعل المسامير دقاقا فتقلق ولا غلاظا فتفصم
الحلق والسرد نسج الدرع واعملوا الضمير لداود واهله وسخرنا لسليمان الريح فيمن نصب ولسليمان
الريح مسخرة فيمن رفع وكذلك فيمن قرا الرياح بالرفع غدوها شهر جريها بالغداة مسيرة شهر
وجريها بالعشى كذلك وقرى غدوتها وروحتها وعن الحسن كان يغدو فيقيل باصطخر ثم يروح
فيكون رواحه بكابل ويحكى ان بعضهم راى مكتوبا فى منزل بناحية دجلة كتبه بعض
اصحاب سليمان نحن نزلناه وما بنيناه ومبنيا وجدناه غدونا من اصطخر فقلناه ونحن
رائحون منه فبائتون بالشام القطر النحاس المذاب من القطران **قال قلت** ماذا اراد

بعين

بعين القطر **قلت** اراد بها معدن النحاس ولكنه اساله كما الان الحديد لداود فنبع كما
ينبع الماء عن العين فلذلك سماه عين القطر باسم ما آل اليه كما قال انى ارانى اعصر خمرا وقيل
يسيل فى الشهر ثلثة ايام باذن ربه بامره ومن يزغ منهم ومن يعدل عن امرنا الذى امرنا به
من طاعة سليمان وقرى يزغ من ازاغه وعذاب السعير عذاب الاخرة عن ابن عباس رضى الله
عنه وعن السدى كان معه ملك بيده سوط من نار كلما استعصى عليه ضربه من حيث لا يراه
الجنى المحاريب المساكن والمجالس الشريفة المصونة عن الابتذال سميت محاريب لانه يحامى
عليها ويذب عنها وقيل هى المساجد والتماثيل صور الملائكة والنبيين والصالحين كانت تعمل
فى المساجد من نحاس وصفر وزجاج ورخام ليراها الناس فيعبدوا نحو عبادتهم **قال قلت**
كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير **قلت** هذا مما يجوز ان تختلف فيه الشرائع
لانه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن ابى العالية لم يكن اتخاذ الصور محرما
ويجوز ان يكون غير صور الحيوان كصور الاشجار وغيرها لان التمثال كل ما صور على
مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان او بصور محذوفة الرؤس وروى انهم عملوا له اسدين
فى اسفل كرسيه ونسرين فوقه فاذا اراد ان يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما واذا
اظله النسران باجنحتهما والجوابى الحياض الكبار قال تروح على آل المحلق جفنة
كجابية الشيخ العراقى تفهق لان الماء يجبى فيها اى يجمع جعل الفعل لها مجازا وهى من الصفات
الغالبة كالدابة قيل كان يقعد على الجفنة الف رجل وقرى بحذف الياء اكتفاء بالكسرة كقوله يوم
يوم يدع الداع راسيات ثابتات على الاثافى لا تنزل عنها لعظمها اعملوا آل داود
حكاية ما قيل لال داود ونصب شكرا على انه مفعول له اى اعملوا لله واعبدوه على وجه
الشكر لنعمائه وفيه دليل على ان العبادة يجب ان تؤدى على طريق الشكر او على الحال

اى شاكرين او على تقدير اشكروا شكرا لان اعملوا فيه معنى اشكروا من حيث ان العمل للمنعم شكر له
ويجوز ان ينتصب باعملوا مفعولا به ومعناه انا سخرنا لكم الجن يعملون لكم ما شئتم فاعملوا انتم
شكرا على طريق المشاكلة والشكور المتوفر على اداء الشكر الباذل وسعه فيه قد شغل به قلبه
ولسانه وجوارحه اعتقادا واعترافا وكدحا واكثر اوقاته وعن ابن عباس رضى الله عنه من يشكر
على احواله كلها عن السدى من يشكر على الشكر وقيل من يرى عجزه عن الشكر وعن داود انه
جزأ ساعات الليل والنهار على اهله فلم تكن تأتى ساعة من الساعات الا وانسان من آل داود
قائم يصلى وعن عمر رضى الله عنه انه سمع رجلا يقول اللهم اجعلنى من القليل فقال عمر ما هذا
الدعاء فقال الرجل انى سمعت الله يقول وقليل من عبادى الشكور فانا ادعو ان يجعلنى من
ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر فلما قضى عليه الموت ودابة الارض الارضة
وهى الدويبة التى يقال لها السرفة والارض فعلها فاضيفت اليه يقال ارضت الخشبة ارضا
اذا اكلتها الارضة وقرئ بفتح الراء من ارضت الخشبة ارضا وهو من باب فعلته ففعل كقولك
اكلت القوادح الاسنان اكلا فاكلت اكلا والمنساة العصا لانه ينسأ بها اى يطرد ويزجر
وقرئ بفتح الميم وبتخفيف الهمزة قلبا وحذفا وكلاهما ليس بقياس ولكن اخراج الهمزة بين بين هو التخفيف
القياسى ومن ساته اى من طرف عصاه من سية القوس على الاستعارة وفيها
لغتان كقولهم قحة وقحة وقرئ اكلت منساته تبينت الجن من تبين الشىء اذا ظهر
وتجلى وان مع صلتها بدل من الجن بدل الاشتمال كقولك تبين زيد جهله والظهور له
فى المعنى اى ظهر ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب او علم الجن كلهم علما
بينا بعد التباس الامر على عامتهم وضعفهم وتوهمهم ان كبارهم يصدقون فى ادعاءهم علم الغيب
او علم المدعون علم الغيب منهم عجزهم وانهم لا يعلمون الغيب وان كانوا عالمين قبل ذلك بحالهم

على مفعالة كالمساة فى الميضاءة
ومن سأته ٩

وانما

٢٢٩

وانما اريد التهكم بهم كما تتهكم بمدعى الباطل اذا دحضت حجته وظهر ابطاله بقولك هل تبينت
انك مبطل وانت تعلم انه لم يزل كذلك متبينا وتبينت الجن على البناء للمفعول على ان المبين فى
المعنى هو ان مع ما فى صلتها لانه بدل وفى قراءة ابى تبينت الانس وعن الضحاك تباينت الانس
بمعنى تعارفت وتعالمت والضمير فى كانوا للجن فى قوله ومن الجن من يعمل بين يديه اى علمت الانس
ان لو كان الجن يصدقون فيما توهموهم من علمهم الغيب ما لبثوا وفى قراءة ابن مسعود تبينت
الانس ان الجن لو كانوا يعلمون الغيب روى انه كان من عادة سليمان عليه السلام ان يعتكف
فى مسجد بيت المقدس المدد الطوال فلما دنا اجله لم يصبح الا رأى فى محرابه شجرة نابتة قد
انطقها الله فيسألها لاى شىء انت فتقول لكذا حتى اصبح ذات يوم فرأى الخروبة فسألها
فقالت نبت لخراب هذا المسجد فقال ما كان الله ليخربه وانا حى انت التى على وجهك هلاكى
وخراب بيت المقدس فنزعها وغرسها فى حائط له وقال اللهم عم على الجن موتى حتى يعلم
الناس انهم لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويموهون على الانس انهم يعلمون
الغيب وقال لملك الموت اذا امرت بى فاعلمنى فقال امرت بك وقد بقيت من عمرك ساعة
فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه فقبض
روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه اينما صلى فلم يكن شيطان
ينظر اليه فى صلاته الا احترق فمر به شيطان فلم يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان
قد خر ميتا ففتحوا عنه فاذا العصا قد اكلتها الارضة فارادوا ان يعرفوا وقت موته فوضعوا
الارضة على العصا فاكلت منها فى يوم وليلة مقدارا فحسبوا على ذلك النحو فوجدوه قد مات
منذ سنة وكانوا يعملون بين يديه ويحسبونه حيا فايقن الناس انهم لو علموا الغيب لما لبثوا
فى العذاب سنة وروى ان داود عليه السلام اسس بناء بيت المقدس فى موضع فسطاط

قرئ

موسى عليه السلام فمات قبل ان يتمه فوصى به الى سليمان فامر الشياطين باتمامه فلما بقي من عمره
سنة سال ان يعمى عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم الغيب وروي ان افريدون
جاء ليصعد كرسيه فلما دنا ضربه الاسدان ساقه فكسراها فلم يجسر احد بعد ان يدنو منه و
كان عمر سليمان عليه السلام ثلثا وخمسين سنة ملك وهو ابن ثلث عشرة سنة فبقي في ملكه اربعين سنة
وابتدا بناء بيت المقدس لاربع مضين من ملكه قرئ لسبا بالصرف ومنعه وقلب الهمزة
الفا ومسكنهم بفتح الكاف وكسرها وهو موضع سكناهم وهو بلدهم وارضهم التي كانوا مقيمين
فيها او مسكن كل واحد منهم وقرئ مساكنهم وجنتان بدل من آية او خبر مبتدا محذوف
تقديره الاية جنتان وفي الرفع معنى المدح يدل عليه قراءة من قرا جنتين بالنصب على المدح
فان قلت ما معنى كونهما اية **قلت** لم يجعل الجنتين في انفسهما آية وانما جعل
قصتهما وان اهلهما اعرضوا عن شكر الله عليهما فخربهما وابدلهم عنهما الخمط والاثل اية وعبرة
لهم ليعتبروا ويتعظوا فلا يعودوا الى ما كانوا عليه من الكفر وغمط النعم ويجوز ان يجعلهما اية
اي علامة دالة على الله وعلى قدرته واحسانه ووجوب شكره **فان قلت**
كيف عظم الله جنتي اهل سبا وجعلهما آية ورب قرية من قريات العراق يحتف بها من الجنان
ما شئت **قلت** لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما اراد جماعتين من البساتين جماعة
عن يمين بلدهم واخرى عن شمالها وكل واحد من الجماعتين في تقاربها وتضامها كانها جنة
واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها او اراد بستاني كل رجل منهم عن يمين مسكنه
وشماله كما قال جعلنا لاحدهما جنتين من اعناب كلوا من رزق ربكم اما حكاية لما قال
لهم انبياء الله المبعوثون اليهم او لما قال لهم لسان الحال او هم احقاء بان يقال لهم ذلك
ولما امر بقوله كلوا من رزق ربكم واشكروا له اتبعه قوله بلدة طيبة ورب غفور يعني هذه البلدة

التي

التي فيها رزقكم بلدة طيبة وربكم الذي رزقكم وطلب شكركم رب غفور لمن شكره وعن ابن
عباس رضي الله عنه كانت اخصب البلاد واطيبها تخرج المراة وعلى راسها المكتل فتعمل
بيديها وتسير بين تلك الشجر فيمتلي المكتل بما يتساقط فيه من الثمر طيبة لم تكن سبخة وقيل
لم يكن فيها بعوض ولا ذباب ولا برغوث ولا عقرب ولا حية وقرئ بلدة طيبة وربا غفورا
بالنصب على المدح وعن ثعلب معناه اسكن واعبد العرم الجرذ الذي نقب عليهم السكر ضرب
لهم بلقيس الملكة بسد ما بين الجبلين بالصخر والقار فحقنت به ماء العيون والامطار وتركت فيه
خروقا على مقدار ما يحتاجون اليه في سقيهم فلما طغوا وقيل بعث الله اليهم ثلثة عشر نبيا
يدعونهم الى الله تعالى ويذكرونهم نعمته عليهم فكذبوهم وقالوا ما نعرف لله نعمة سلط الله
على سدهم الخلد فنقبه من اسفله فغرقهم وقيل العرم جمع عرمة وهي الحجارة المركومة
ويقال للكدس من الطعام عرمة والمراد المسناة التي عقدوها سكرا وقيل العرم اسم الوادي
وقيل العرم المطر الشديد وقرئ العرم بسكون الراء وعن الضحاك كانوا في الفترة التي
بين عيسى ومحمد عليهما السلام وقرئ اكل بالضم والسكون وبالتنوين والاضافة والاكل الثمر
والخمط شجر الاراك وعن ابي عبيدة كل شجر ذي شوك وقال الزجاج كل نبت اخذ طعما
من مرارة حتى لا يمكن اكله والاثل شجر يشبه الطرفا اعظم منه واجود عودا ووجه من نون
ان اصله ذواتي اكل اكل خمط فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه او وصف
الاكل بالخمط كانه قيل ذواتي اكل بشع ومن اضاف وهو ابو عمرو وحده فلان اكل الخمط
في معنى البرير كانه قيل ذواتي برير والاثل والسدر معطوفان على اكل لا على خمط لان الاثل
لا اكل له وقرئ واثلا وشيئا بالنصب عطفا على جنتين وتسمية البدل جنتين لاجل المشاكلة
وفيه ضرب من التهكم وعن الحسن رحمه الله قلل السدر لانه اكرم ما بدلوا وقرئ وهل يجازى وهل

نجازي

بالنون وهل يجازى والفاعل الله وحده وهل يُجزى والمعنى ان مثل هذا الجزاء لا يستحقه
الا الكافر وهو العقاب العاجل وقيل نكفّر سيّئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى
بجميع ما عمله من السوء ووجه آخر وهو ان الجزاء عام لكل مكافاة يستعمل تارة في معنى المعاقبة
واخرى في معنى الاثابة فلما استعمل في معنى المعاقبة في قوله جزيناهم بما كفروا بمعنى عاقبناهم
بكفرهم قيل وهل يُجازى الا الكفور بمعنى وهل يعاقب وهو الوجه الصحيح وليس لقائل
ان يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفور بالجزاء والجزاء عام للكافر
والمؤمن لانه لم يرد الجزاء العام وانما اراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز ان يراد العموم
وليس بموضعه الا ترى انك لو قلت جزيناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر والمؤمن
لم يصح ولم يسد كلاما فتبين ان ما يتخيل من السؤال مضمحل وان الصحيح الذي
لا يجوز غيره ما جاء عليه كلام الله الذي لا ياتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه القرى
التي باركنا فيها وهي قرى الشام قرى ظاهرة متواصلة يرى بعضها من بعض لتقاربها فهي
ظاهرة لاعين الناظرين او راكبة متن الطريق ظاهرة للسابلة لم تبعد عن مسالكهم حتى تخفى عليهم
وقدرنا فيها السير قيل كان الغادي منهم يقيل في قرية والرائح يبيت في قرية الى ان يبلغ الشام
ولا يخاف جوعا ولا عطشا ولا عدوا ولا يحتاج الى حمل زاد ولا ماء سيروا فيها وقلنا لهم
سيروا ولا قول ثم ولكنهم لما مكنوا من السير وسوّيت لهم اسبابه فكانهم امروا بذلك واذن
لهم فيه **فان قلت** معناه سيروا فيها ان شئتم بالليل وان شئتم بالنهار فان الامن قلت ما معنى قوله ليالي واياما صح
فيها لا يختلف باختلاف الاوقات او سيروا فيها آمنين لا تخافون وان تطاولت مدة سيركم
فيها وامتدت اياما وليالي او سيروا فيها لياليكم وايامكم مدة اعماركم فانكم في كل حين وزمان
لا تلقون فيها الا الامن قرئ ربنا باعد بين اسفارنا وبعّد وباعد على الدعاء بطروا النعمة

وبشموا

٢٣١
وبشموا من طيب العيش وملّوا العافية فطلبوا الكد والتعب كما طلب بنو اسرائيل البصل و
الثوم مكان المنّ والسلوى وقالوا لو كان جنى جناننا ابعد كان اجدر ان نشتهيه
وتمنوا ان يجعل الله بينهم وبين الشام مفاوز ليركبوا الرواحل فيها ويتزودوا الازواد فعجّل الله
لهم الاجابة وقرئ بَعُدَ بينُ اسفارنا وبُعِّد بينَ اسفارنا على النداء واسناد الفعل الى بين و
رفعه به كما يقال سير فرسخان وبوعد بين اسفارنا وقرئ ربُّنا باعَدَ بين اسفارنا وبين سفرنا
وبعّد برفع ربنا على الابتداء والمعنى خلاف الاول وهو استبعاد مسايرهم على قصرها و
دنوها لفرط تنعمهم وترفههم كانهم كانوا يتشاجون على ربهم ويتحازنون عليه احاديث يحدّث
الناس بهم ويتعجبون من احوالهم وفرقناهم تفريقا اتخذه الناس مثلا مضروبا يقولون
ذهبوا ايدي سبا وتفرقوا ايادي سبا قال كثير ايادي سبايا عزّ ما كنت بعدكم فلم يحل بالعينين
بعدك منظر لحق غسان بالشام وانمار بيثرب وجذام بتهامة والازد بعمان صبّار عن
المعاصي شكور للنعم قرئ صدّق بالتشديد والتخفيف ورفع ابليس ونصب الظن فمن شدد
فعلى حقق عليهم ظنه او وجده صادقا ومن خفف فعلى صدق في ظنه او صدق يظن ظنا نحو
فعلته جهدك ونصب ابليس ورفع الظن فمن شدد فعلى وجد ظنه صادقا ومن خفف
فعلى قال له ظنه الصدق حين خيّله اغواءهم يقولون صدقك ظنك وبالتخفيف ورفعهما على
صدق عليهم ظن ابليس ولو قرئ بالتشديد مع رفعهما لكان على المبالغة في صدق كقوله
صدّقت فيهم ظنوني ومعناه انه حين وجد آدم ضعيف العزم قد اصغى الى وسوسته قال
ان ذريته اضعف عزما منه فظن بهم اتباعه وقال لاضلنهم لاغوينهم وقيل ظن ذلك
عند اخبار الله الملائكة انه يجعل فيها من يفسد فيها والضمير في عليهم واتبعوه اما لاهل سبا
او لبني آدم وقلل المؤمنين بقوله الا فريقا لانهم قليل بالاضافة الى الكفار كما قال لاحتنكن

والاستغواء

ذريته الا قليلا ولا تجد اكثرهم شاكرين وما كان له عليهم من تسلط واستيلاء بالوسوسة
الا لغرض صحيح وحكمة بينة وذلك ان يتميز المؤمن بالاخرة من الشاك فيها وعلل التسلط
بالعلم والمراد ما تعلق به العلم وقرى ليعلم على البناء للمفعول حفيظ محافظ عليه وفعيل وفاعل
متاخيان قل لمشركي قومك ادعوا الذين عبدتموهم من دون الله من الاصنام والملائكة
وسميتموهم باسمه كما تدعون الله والتجئوا اليهم فيما يعروكم كما تلتجئون اليه وانتظروا استجابتهم
لدعائكم ورحمتهم كما تنتظرون ان يستجيب لكم ويرحمكم ثم اجاب عنهم بقوله لا يملكون مثقال ذرة
من خير او شر او نفع او ضر في السموات والارض وما لهم في هذين الجنسين من شركة في الخلق
ولا في الملك كقوله ما اشهدتهم خلق السماوات والارض وما له منهم من عوين يعينه على تدبير
خلقه يريد انهم على هذه الصفة من العجز والبعد عن احوال الربوبية فكيف يصح ان يُدعوا
كما يُدعى ويُرجوا كما يُرجى فان قلت اين مفعولا زعم قلت احدهما الضمير المحذوف
الراجع منه الى الموصول واما الثاني فلا يخلو اما ان يكون من دون الله او لا يملكون او
محذوفا ولا يصح الاول لان قولك هم من دون الله لا يلتئم كلاما ولا الثاني لانهم ما كانوا
يزعمون ذلك وكيف يتكلمون بما هو حجة عليهم وبما لو قالوه قالوا ما هو حق وتوحيد فبقي
ان يكون محذوفا تقديره زعمتموهم آلهة من دون الله فحذف الراجع الى الموصول كما حذف
في قوله اهذا الذي بعث الله رسولا استخفافا لطول الموصول بصلته وحذف آلهة لانه
موصوف صفته من دون الله والموصوف يجوز حذفه واقامة الصفة مقامه اذا كان
مفهوما فاذن مفعولا زعم محذوفان جميعا بسببين مختلفين تقول الشفاعة لزيد على معنى
انه الشافع كما تقول الكرم لزيد وعلى معنى انه المشفوع له كما تقول القيام لزيد فاحتمل قوله
ولا تنفع الشفاعة عنده الا لمن اذن له ان يكون على احد هذين الوجهين اي لا تنفع الشفاعة

لا

232

الكائنة لمن اذن له من الشافعين ومُطْلقة له او لا تنفع الشفاعة الكائنة لمن اذن له
اي لشفيعه او هي اللام الثابتة في قولك اُذن لزيد لعمرو اي لاجله فكانه قيل الا لمن
وقع الاذن للشفيع لاجله وهذا وجه لطيف وهو الوجه وهذا تكذيب لقولهم هؤلاء شفعاؤنا
عند الله فان قلت بم اتصل قوله حتى اذا فزع عن قلوبهم ولاي شيء وقعت حتى غاية
قلت بما فُهم من هذا الكلام من ان ثَمَّ انتظارا للاذن وتوقعا وتمهلا وفزعا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم او لا يؤذنون وانه لا يطلق الاذن الا بعد مَلِيٍّ من الزمان
وطول من التربص ومثل هذه الحال دل عليه قوله عز من قائل رب السموات والارض و
ما بينهما الرحمن لا يملكون منه خطابا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له
الرحمن وقال صوابا كانه قيل يتربصون ويتوقفون مليا فزعين وهلين حتى اذا فزع عن
قلوبهم اي كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة
في اطلاق الاذن تباشروا بذلك وسأل بعضهم بعضا ماذا قال ربكم قالوا الحق اي القول الحق وهو
الاذن بالشفاعة لمن ارتضى وعن ابن عباس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
فاذا اذن لمن اذن له ان يشفع فزعته الشفاعة وقرى اذن له اي اذن له الله واُذن له الله
واذن له على البناء للمفعول وقرا الحسن فزع مخففا بمعنى فزّع على البناء للفاعل وهو
الله وحده وفُرِّغ اي نفي الوجل عنها وافني من قولهم فرغ الزاد اذا لم يبق منه شيء ثم ترك
ذكر الوجل واسند الى الجار والمجرور كما تقول دفع الى زيد اذا علم ما المدفوع وقد تخفف
واصله فرّغ الوجل عنها اي انتفى عنها وفني ثم حذف الفاعل واسند الى الجار والمجرور
وقرى افرنقع عن قلوبهم بمعنى انكشف عنها وعن ابي علقمة انه هاج به المرار فالتف عليه
الناس فلما افاق قال ما لكم تكأكأتم علي تكأكؤكم على ذي جِنّة افرنقعوا عني والكلمة مركبة

ربكم قالوا ما ربكم

وقرى فرغ

من حروف المفارقه مع زيادة العين كما ركب اقمطر من حروف القمط مع زياده الراء وقرى
الحق بالرفع اى بقوله الحق وهو العلي الكبير ذو العلو والكبرياء ليس لملك ولا نبي ان يتكلم
ذلك اليوم الا باذنه وان يشفع الا لمن ارتضى امره بان يقررهم بقوله قل من يرزقكم ثم امره
بان يتولى الاجابة والاقرار عنهم بقوله يرزقكم الله وذلك للاشعار بانهم مقرون به
بقلوبهم الا انهم ربما ابوا ان يتكلموا به لان الذى تمكن فى صدورهم من العناد وحب الشرك
قد الجم افواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولانهم ان تفوهوا بان الله رازقهم
لزمهم ان يقال لهم فما لكم لا تعبدون من يرزقكم وتؤثرون عليه من لا يقدر على الرزق الا ترى
الى قوله قل من يرزقكم من السماء والارض ام من يملك السمع والابصار حتى قال فسيقولون الله
ثم قال فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقرون بالسنتهم مرة ومرة كانوا يتلعثمون
عنادا وضرارا وحذرا من الزام الحجة ونحوه قوله عز وعلا قل من رب السماوات
والارض قل الله قل افاتخذتم من دونه اولياء لا يملكون لانفسهم نفعا ولا ضرا وامره ان يقول
لهم بعد الالزام والالجام الذى ان لم يزد على اقرارهم بالسنتهم لم يتقاصر عنه وانا او اياكم
لعلى هدى او فى ضلال مبين ومعناه وان احد الفريقين من الذين يتوحدون بالرزق
من السماوات والارض بالعبادة ومن الذين يشركون به الجماد الذى لا يوصف بالقدرة
لعلى احد الامرين من الهدى والضلال وهذا من الكلام المنصف الذى كل من سمعه من
موال او مناف قال لمن خوطب به قد انصفك صاحبك فى درجه بعد تقدمة ماقدم
من التقرير البليغ دلالة غير خفيه على من هو من الفريقين على الهدى ومن هو فى الضلال
ولكن التعريض والتوريه اوصل بالمجادل الى الغرض واهجم به على الغلبة مع قلة شغب
الخصم وفل شوكته بالهوينا ونحوه قول الرجل لصاحبه قد علم الله الصادق منى ومنك وان احدنا

لكاذب ومنه بيت حسان اتهجوه ولست له بكفو فشركما لخيركما الفداء **فان قلت** كيف
خولف بين حرفى الجر الداخلين على الحق والضلال **قلت** لان صاحب الحق كانه
مستعل على فرس جواد يركضه حيث شاء والضال كانه منغمس فى ظلام مرتبك فيه لا
يدرى اين يتوجه وفى قراة ابى وانا واياكم اما على هدى او فى ضلال هذا ادخل فى
الانصاف وابلغ فيه من الاول حيث اسند الاجرام الى المخاطبين واراد بالاجرام الصغاير
والزلات التى لا يخلو منها مومن وبالعمل الكفر والمعاصى العظام وفتح الله بينهم وهو حكمه
وفصله انه يدخل هولاء الجنه واوليك النار **فان قلت** ما معنى قوله اروني وكان
يراهم ويعرفهم **قلت** اراد بذلك ان يريهم الخطاء العظيم فى الحاق الشركاء بالله و
ان تقايس على اعينهم بينه وبين اصنامهم ليطلعهم على احالة القياس اليه والاشراك به وكلا
ردع لهم عن مذهبهم بعد ما كسره بابطال المقايسه كما قال ابرهيم اف لكم ولما تعبدون من دون الله
بعد ما حججهم وقد نبه على تفاحش غلطهم وان لم يقدروا الله حق قدره بقوله هو الله العزيز
الحكيم كانه قال اين الذين الحقتم به شركاء من هذه الصفات وهو راجع الى الله وحده او
ضمير الشان كما فى قوله قل هو الله احد الا كافة للناس الا رسالة عامة لهم محيطة بهم لانها
اذا شملتهم فقد كفتهم ان يخرج منها احد منهم وقال الزجاج المعنى ارسلناك جامعا للناس
فى الانذار والابلاغ فجعله حالا من الكاف وحق التاء على هذا ان تكون للمبالغه كتاء الراويه
والعلامة ومن جعله حالا من المجرور متقدما عليه فقد اخطا لان تقدم حال المجرور عليه فى
الاحالة بمنزلة تقدم المجرور على الجار وكم ترى ممن يرتكب هذا الخطاء ثم لا يقنع به حتى يضم
اليه ان يجعل اللام بمعنى الى لانه لا يستوى له الخطاء الاول الا بالخطاء الثانى فلا بد له من ارتكاب
الخطاءين قرى ميعاد يوم وميعاد يوم وميعادا يوما والميعاد ظرف الوعد من مكان او زمان

وهو هنا الزمان والدليل عليه قراءة من قرأ ميعادٌ يومٌ فابدل منه اليوم **فان قلت**
فما تاويل من اضافة الى يوم او نصب يوما **قلت** اما الاضافة فاضافة تبيين كما تقول
سحق ثوب وبعير سانية واما نصب اليوم فعلى التعظيم باضمار فعل تقديره لكم ميعاد اعني يوما
او اريد يوما من صفته كيت وكيت ويجوز ان يكون الرفع على هذا اعني التعظيم **فان قلت**
كيف انطبق هذا جوابا على سؤالهم **قلت** ما سالوا عن ذلك وهم منكرون له الا تعنتا لا
استرشادا فجاء الجواب على طريق التهديد مطابقا لمجيء السؤال على سبيل الانكار والتعنت وانهم
مرصدون ليوم يفاجئهم فلا يستطيعون تاخرا عنه ولا تقدما عليه الذي بين يديه ما نزل
قبل القران من كتب الله يروى ان كفار مكة سالوا اهل الكتاب فاخبروهم انهم يجدون صفة
رسول الله في كتبهم فاغضبهم ذلك وقرنوا الى القران جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر فكفروا
بها جميعا وقيل الذي بين يديه يوم القيمة والمعنى انهم جحدوا ان يكون القران من الله وان
يكون لما دل عليه من الاعادة للجزاء حقيقة ثم اخبر عن عاقبة امرهم ومآلهم في الاخرة فقال
لرسوله عليه السلم او للمخاطب ولو ترى في الاخرة موقفهم وهم يتجاذبون اطراف المحاورة و
يتراجعونها بينهم لرايت العجب فحذف الجواب والمستضعفون هم الاتباع والمستكبرون
الرؤوس والمقدمون اولي الاسم اعني نحن حرف الانكار لان الغرض انكار ان يكونوا هم الصادين
لهم عن الايمان واثبات انهم هم الذين صدوا بانفسهم عنه وانهم اتوا من قبل اختيارهم كانهم
قالوا انحن اجبرناكم وحلنا بينكم وبين كونكم ممكنين مختارين بعد اذ جاءكم بعد ان صممتم على الدخول
في الايمان وصحت نياتكم في اختياره بل انتم منعتم انفسكم حظها وآثرتم الضلال على الهدى واطعتم
آمر الشهوة دون آمر النهى فكنتم مجرمين كافرين لاختياركم لا لقولنا وتسويلنا **فان قلت** اذ
واذا من الظروف اللازمة للظرفية فلم وقعت اذ مضافا اليها **قلت** قد اتسع في الزمان ما لم يتسع

في غيره

في غيره فاضيف اليها الزمان كما اضيف الى الجمل في قولك جئتك بعد اذ جاء زيد وحينئذ
ويومئذ وكان ذلك اوان الحجاج امير وحين خرج زيد لما انكر المستكبرون بقولهم ا
انحن صددناكم ان يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين واثبتوا بقولهم بل كنتم مجرمين كفرهم
ان ذلك بكسبهم واختيارهم كر عليهم المستضعفون بقولهم بل مكر الليل والنهار فابطلوا
اضرابهم باضرابهم كانهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكركم لنا دائبا ليلا و
نهارا وحملكم ايانا على الشرك واتخاذ الانداد ومعنى مكر الليل والنهار مكركم في الليل والنهار
فاتسع في الظرف باجرائه مجرى المفعول به واضافة المكر اليه او جعل ليلهم ونهارهم ماكرين على
الاسناد المجازي وقرئ بل مكرٌ الليلَ والنهارَ بالتنوين ونصب الظرفين وبل مكرّ الليل والنهار
بالرفع والنصب اي تكرون الاغواء مكرا دائبا لا تفترون عنه **فان قلت** ما وجه الرفع
والنصب **قلت** هو مبتدا او خبر على معنى بل سبب ذلك مكركم او مكركم سبب ذلك والنصب
على بل تكرون الاغواء مكر الليل والنهار **فان قلت** لم قيل قال الذين استكبروا بغير عاطف
وقيل وقال الذين استضعفوا **قلت** لان الذين استضعفوا مر اولا كلامهم فجيء بالجواب
محذوف العاطف على طريقة الاستئناف ثم جيء بكلام اخر للمستضعفين فعطف على كلامهم الاول
فان قلت من صاحب الضمير في واسروا **قلت** الجنس المشتمل على النوعين من المستكبرين
والمستضعفين وهم الظالمون في قوله اذ الظالمون موقوفون يندم المستكبرون على ضلالهم واضلالهم ضلالهم
والمستضعفون على ضلالهم واتباعهم المضلين في اعناق الذين كفروا اي في اعناقهم فجاء بالصريح
للتنويه بذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وعن قتادة اسروا الكلام بذلك بينهم وقيل
اسروا الندامة اظهروها وهو من الاضداد وهذه تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم مما مني
به من قومه من التكذيب والكفر بما جاء به والمنافسة بكثرة الاموال والاولاد والمفاخرة بالدنيا

وزخارفها والتكبر بذلك على المؤمنين والاستهانة بهم من اجله وقولهم اى الفريقين خير مقاما
واحسن نديا وانه لم يرسل قط الى اهل قرية من نذير الا قالوا له مثل ما قال لرسول الله صلى الله
عليه وسلم اهل مكة وكادوه بنحو ما كادوه به وقاسوا امر الاخرة الموهومة او المفروضة عندهم
على امر الدنيا واعتقدوا انهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا ان المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم
فعلى قياسهم ذلك قالوا وما نحن بمعذبين ارادوا انهم اكرم على الله من ان يعذبهم نظرا الى
احوالهم في الدنيا وقد ابطل الله حسبانهم بان الرزق فضل من الله يقسمه كما يشاء على حسب
ما يراه من المصالح فربما وسع على العاصي وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق
عليهما فلا ينقاس عليه امر الثواب الذي مبناه على الاستحقاق وقدر الرزق تضييقه قال الله تعالى
ومن قدر عليه رزقه وقرئ يقدّره بالتشديد والتخفيف ارادوا ما جماعة اموالكم ولا جماعة اولادكم
بالتي تقربكم وذلك ان الجمع المكسر عقلاؤه وغير عقلائه سواء في حكم التانيث ويجوز ان يكون التي هي
التقوى وهي المقربة عند الله زلفى وحدها اى ليست اموالكم بتلك الموضوعة للتقريب وقرئ
الحسنى اللاتي تقربكم لانها جماعات وقرئ بالذي يقربكم اى بالشيء الذي يقربكم والزلفى والزلفة
كالقربى والقربة ومحلها النصب اى تقربكم قربة كقوله انبتكم من الارض نباتا الا من آمن استثناء
من كم في تقربكم والمعنى ان الاموال لا تقرب احدا الا المؤمن الصالح الذي ينفقها في سبيل الله
والاولاد لا تقرب احدا الا من علمهم الخير وفقههم في الدين ورشحهم للصلاح والطاعة جزاء
الضعف من اضافة المصدر الى المفعول اصله فاولئك لهم ان يجازوا الضعف ثم جزاء الضعف
ثم جزاء الضعف ومعنى جزاء الضعف ان تضاعف لهم حسناتهم الواحدة عشرا وقرئ جزاء
الضعف على معنى فاولئك لهم الضعف جزاء وجزاء الضعف على ان يجازوا الضعف وجزاء
الضعف مرفوعان الضعف بدل من جزاء وقرئ في الغرفات بضم الراء وفتحها وسكونها وفي

الغرفة

الغرفة فهو يخلفه فهو يعوضه لا معوض سواه اما عاجلا بالمال او بالقناعة التي هي كنز لا ينفد
واما آجلا بالثواب الذي كل خلف دونه وعن مجاهد من كان عنده من هذا المال ما يقيمه
فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة الموسع عليه فينفق جميع
ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأولن وما انفقتم من شيء فهو يخلفه فان هذا في الآخرة
ومعنى الآية ما كان من خلف فهو منه خير الرازقين واعلاهم رب العزة لان كل ما رزق غيره
من سلطان يرزق جنده او سيد يرزق عبده او رجل يرزق عياله فهو من رزق الله اجراه على
ايدي هؤلاء وهو خالق الرزق وخالق الاسباب التي بها ينتفع المرزوق بالرزق وعن بعضهم
الحمد لله الذي اوجدني وجعلني ممن يشتهي فكم من مشته لا يجد وواجد لا يشتهي هذا الكلام
خطاب للملائكة وتقريع للكفار وارد على المثل السائر اياك اعني واسمعي يا جارة ونحوه قوله
عز وعلا أأنت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم سبحانه كون الملائكة
وعيسى منزهين برآء مما وجه عليهم من السؤال الوارد على طريق التقرير والغرض ان يقول
ويقولوا ويسال ويجيبوا فيكون تقريعهم اشد وتعييرهم ابلغ وخجلهم اعظم وهوانهم الزم
ويكون اقتصاص ذلك لطفا لمن سمعه وزاجرا لمن اقتص عليه والموالاة خلاف المعاداة
ومنها اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وهي مفاعلة من الولي وهو القرب كما
ان المعاداة من العدا وهو البعد والولي يقع على الموالي والموالى جميعا والمعنى انت الذي
نواليه من دونهم اذ لا موالاة بيننا وبينهم فبينوا باثبات موالاة الله ومعاداة الكفار براءتهم
من الرضا بعبادتهم لهم لان من كان على هذه الصفة كانت حاله منافية لذلك بل كانوا يعبدون
الجن يريدون الشياطين حيث اطاعوهم في عبادة غير الله وقيل صورت لهم الشياطين صور
قوم من الجن وقالوا هذه صور الملائكة فاعبدوها وقيل كانوا يدخلون في اجواف الاصنام

اذا عبدت فيعذبون بعبادتها وقرئ تحشرهم ونقول بالنون والتاء الامر في ذلك
اليوم لله وحده لا يملك فيه احد منفعة ولا مضرة لاحد لان الدار دار ثواب وعقاب
والمثيب والمعاقب هو الله وكانت حالها خلاف حال الدنيا التي هي دار تكليف والناس
فيها مخلى بينهم يتضارون وينتفعون والمراد انه لا ضار ولا نافع يومئذ الا هو ثم ذكر
معاقبة الظالمين بقوله ونقول للذين ظلموا معطوفا على لا يملك الاشارة الاولى الى رسول الله
والثانية الى القرآن والثالثة الى الحق والحق امر النبوة كله ودين الاسلام كما هو وفي قوله
وقال الذين كفروا وفي ان لم يقل وقالوا وفي قوله للحق لما جاءهم وما في اللامين من الاشارة
الى القائلين والمقول فيه وما في لما من المبادهة بالكفر دليل على صدور الكلام عن انكار
عظيم وغضب شديد وتعجب من امرهم بليغ كانه قال وقال اولئك الكفرة المتمردون
بجراءتهم على الله ومكابرتهم لمثل ذلك الحق النير قبل ان يذوقوه ان هذا الا سحر مبين فبتوا
القضاء على انه سحر ثم بتوا على انه بين ظاهر كل عاقل تامله سماه سحرا وما آتيناهم كتبا يدرسونها
فيها برهان على صحة الشرك ولا ارسلنا اليهم نذيرا ينذرهم بالعقاب ان لم يشركوا كما قال
عز وجل ام انزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا به يشركون او وصفهم بانهم قوم اميون
اهل جاهلية لا ملة لهم وليس لهم عهد بانزال كتاب ولا بعثة رسول كما قال ام آتيناهم
كتابا من قبله فهم به مستمسكون فليس لتكذيبهم وجه متشبث ولا شبهة متعلق كما يقول
اهل الكتاب وان كانوا مبطلين نحن اهل كتب وشرائع ومستندون الى رسل من رسل الله
ثم توعدهم على تكذيبهم بقوله وكذب الذين تقدموهم من الامم والقرون الخالية كما كذبوا
وما بلغ هؤلاء بعض ما آتينا اولئك من طول الاعمار وقوة الاجرام وكثرة الاموال فحين كذبوا رسلهم
جاءهم انكاري بالتدمير والاستيصال ولم يغن عنهم استظهارهم بما هم به مستظهرون فما

بال

بال هؤلاء وقرئ يدرسونها من التدريس وهو تكرير الدرس او من درس الكتاب ودرس الكتب
ويدّرسونها بتشديد الدال يفتعلون من الدرس والمعشار كالمرباع وهما العشر والربع **فان قلت**
ما معنى فكذبوا رسلي وهو مستغنى عنه بقوله وكذب الذين من قبلهم **قلت** لما
كان معنى قوله وكذب الذين من قبلهم وفعل الذين من قبلهم التكذيب واقدموا عليه
جعل تكذيب الرسل مسببا عنه ونظيره ان يقول القائل اقدم فلان على الكفر فكفر بمحمد
صلى الله عليه وسلم ويجوز ان ينعطف على قوله وما بلغوا كقولك ما بلغ زيد معشار فضل
عمرو فتفضل عليه فكيف كان نكيري للمكذبين الاولين فليحذروا من مثله بواحدة بخصلة
واحدة وقد فسرها بقوله ان تقوموا على انه عطف بيان لها واراد بقيامهم اما القيام
عن مجلس رسول الله وتفرقهم عن مجتمعهم عنده واما القيام الذي لا يراد به المثول على
القدمين ولكن الانتصاب في الامر والنهوض فيه بالهمة والمعنى انما اعظكم بواحدة
ان فعلتموها اصبتم الحق وتخلصتم وهي ان تقوموا لوجه الله خالصا متفرقين اثنين اثنين
وواحدا واحدا ثم تتفكروا في امر محمد وما جاء به اما الاثنان فيتفكران ويعرض
كل واحد منهما محصول فكره على صاحبه وينظران فيه نظر متصادقين متناصفين لا يميل
بهما اتباع هوى ولا ينبض لهما عرق عصبية حتى يهجم بهما الفكر الصالح والنظر الصحيح
على جادة الحق وسننه وكذلك الفرد يفكر في نفسه بعدل ونصفة من غير ان يكابرها و
يعرض فكره على عقله وذهنه وما استقر عنده من عادات العقلاء ومجاري احوالهم
والذي اوجب تفرقهم مثنى وفرادى ان الاجتماع مما يشوش الخواطر ويعمي البصائر و
يمنع من الروية ويخلط القول ومع ذلك يقل الانصاف ويكثر الاعتساف ويثور عجاج التعصب
ولا يسمع الا نصرة المذهب واراد بقوله ما بصاحبكم من جنة ان هذا الامر العظيم الذي تحته

ملك الدنيا والاخرة جميعا لا يتصدى لادعاء مثله الا رجلان اما مجنون لا يبالي با فتضاحه
اذا طولب بالبرهان فعجز بل لا يدري ما الافتضاح وما رقبة العواقب واما عاقل راجح
العقل مرشح للنبوة مختار من اهل الدنيا لا يدعيه الا بعد صحته عنده بحجته وبرهانه
والا فما يجدي على العاقل دعوى شيء لا بينة له عليه وقد علمتم ان محمدا ما به من
جنة بل علمتموه ارجح قريش عقلا وارزنهم حلما واثقبهم ذهنا وآصلهم رايا واصدقهم قولا
وانزههم نفسا واجمعهم لما يحمد عليه الرجال ويمدحون به وكان مظنة لان تظنوا به الخير
وترجحوا فيه جانب الصدق على الكذب واذا فعلتم ذلك كفاكم ان تطالبوه بان ياتيكم باية
فاذا اتى بها تبين انه نذير مبين **فان قلت** ما بصاحبكم بم يتعلق **قلت** يجوز ان يكون
كلاما مستانفا تنبيها من الله عز وجل على طريقة النظر في امر رسول الله ويجوز ان يكون المعنى ثم
تتفكروا فتعلموا ما بصاحبكم من جنة وقد جوز بعضهم ان تكون ما استفهامية بين يدي عذاب
شديد كقوله عليه الصلوة والسلم بعثت في نسم الساعة فهو لكم جزاء الشرط الذي هو قوله
ما سالتكم من اجر تقديره اي شيء سالتكم من اجر كقوله ما يفتح الله للناس من رحمة وفيه معنيان
احدهما نفي مسئلة الاجر راسا كما يقول الرجل لصاحبه ان اعطيتني شيئا فخذه وهو انه لم يعلم
يعطه شيئا ولكنه يريد البت لتعليقه الاخذ بما لم يكن والثاني ان يريد بالاجر ما اراد
في قوله قل ما اسالكم عليه من اجر الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا وفي قوله قل لا اسالكم
عليه اجرا الا المودة في القربى لان اتخاذ السبيل الى الله نصيبهم وما فيه نفعهم و
كذلك المودة في القرابة لان القرابة قد انتظمته واياهم على كل شيء شهيد حفيظ مهيمن
يعلم اني لا اطلب الاجر على نصيحتكم ودعائكم اليه الا منه ولا اطمع منكم في شيء القذف والرمي
تزجية السهم ونحوه بدفع واعتماد ويستعاران من حقيقتهما لمعنى الالقاء ومنه قوله تعالى

وقذف

وقذف في قلوبهم الرعب ان اقذفيه في التابوت ومعنى يقذف بالحق يلقيه وينزله الى
الى انبيائه او يرمي به الباطل فيدمغه ويزهقه علام الغيوب رفع محمول على محل ان و
اسمها او على المستكن في يقذف او هو خبر مبتدا محذوف وقرئ بالنصب صفة لربي
او على المدح وقرئ الغيوب بالحركات الثلث فالغيوب كالبيوت والغيوب
كالصبور وهو الامر الذي غاب وخفي جدا والحي اما ان يبدي فعلا او يعيده فاذا
هلك لم يبق له ابداء ولا اعادة فجعلوا قولهم لا يبدي ولا يعيد مثلا في الهلاك ومنه قول
عبيد اقفر من اهله عبيد فاليوم لا يبدي ولا يعيد والمعنى جاء الحق وهلك الباطل
كقوله جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم
ان الباطل مكة وحول الكعبة ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنها بعود نبعة ويقول جاء الحق وزهق الباطل
كان زهوقا جاء الحق وما يبدي الباطل وما يعيد والحق القران وقيل الاسلام وقيل السيف
وقيل الباطل ابليس اي ما ينشئ خلقا ولا يعيده المنشئ والباعث هو الله سبحانه وعن الحسن
لا يبدي لاهله خيرا ولا يعيده اي لا ينفعهم في الدنيا والاخرة وقال الزجاج اي شيء ينشئ
ابليس ويعيده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل او لانه هالك
كما قيل له الشيطان من شاط اذا هلك قرئ ضللت اضل بفتح العين مع كسرها وضللت
اضل بكسرها مع فتحها وهما لغتان نحو ظللت اظل وظللت اظل وقرئ اضل بكسر الهمزة مع
فتح العين **فان قلت** اين التقابل بين قوله فانما اضل على نفسي وقوله فبما يوحي الي ربي
وانما كان يستقيم ان يقال فانما اضل على نفسي وان اهتديت فانما اهتدي لها كقوله
من عمل صالحا فلنفسه ومن اساء فعليها فمن اهتدى فلنفسه ومن ضل فانما يضل عليها
او يقال فانما اضل بنفسي **قلت** هما متقابلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو بها

اعنى ان كل ما هو وبال عليها وضار لها فبذنوبها وبسببها لانها الامارة بالسوء وما لها مما ينفعها فبهداية ربها وتوفيقه وهذا الحكم عام لكل مكلف وانما امر رسوله ان يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحته مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره اولى انه سميع قريب يدرك قول كل ضال ومهتد وفعله لا يخفى عليه منهما شى ولو ترى جوابه محذوف يعنى لرايت امرا عظيما وحالا هائلة ولو واذ والافعال التى هى فزعوا واخذوا وحيل بينهم كلها للمضى والمراد بها الاستقبال لان ما الله فاعله فى المستقبل بمنزلة ما قد كان ووجد لتحققه ووقت الفزع وقت البعث والقيام الساعة وقيل وقت الموت وقيل يوم بدر وعن ابن عباس رضى الله عنه نزلت فى خسف البيداء وذلك ان ثمانين الفا يغزون الكعبة ليخربوها فاذا دخلوا البيداء خسف بهم فلا فوت فلا يفوتون الله ولا يسبقونه وقرى فلا فوت والاخذ من مكان قريب من الموقف الى النار اذا بعثوا او من ظهر الارض الى بطنها اذا ماتوا او من صحراء بدر الى القليب او من تحت اقدامهم اذا خسف بهم **فان قلت** علام عطف قوله واخذوا **قلت** فيه وجهان احدهما العطف على فزعوا اى فزعوا واخذوا فلا فوت لهم او على لا فوت على معنى اذ فزعوا فلم يفوتوا واخذوا وقرى واخذ وهو معطوف على محل لا فوت ومعناه فلا فوت هناك وهناك اخذ آمنا به بمحمد صلى الله عليه وسلم لمرور ذكره فى قوله ما بصاحبكم من جنة والتناوش والتناول اخوان الا ان التناوش تناول سهل لشى قريب يقال ناشه ينوشه وتناوشه القوم ويقال تناوشوا فى الحرب ناش بعضهم بعضا وهذا تمثيل لطلبهم ما لا يكون وهو ان ينفعهم ايمانهم فى ذلك الوقت كما نفع المؤمنين ايمانهم فى الدنيا مثلت حالهم بحال من يريد ان يتناول الشى من غلوة كما يتناوله الآخر من قيس ذراع تناولا سهلا لا تعب فيه وقرى التناوش بالهمز التناول من بعد من قولهم

نأشت اذا ابطأت وتأخرت ومنه البيت تمنى نئيشا ان يكون اطاعنى اى اخيرا ويقذفون معطوف على قد كفروا على حكاية الحال الماضية يعنى وكانوا يتكلمون بالغيب ويأتون به من مكان بعيد وهو قولهم فى رسول الله ساحر شاعر كذاب وهذا تكلم بالغيب والامر الخفى لانهم لم يشاهدوا منه سحرا ولا شعرا ولا كذبا وقد اتوا بهذا الغيب من جهة بعيدة من حاله لانه لا ابعد شى مما جاء به الشعر والسحر وابعد شى من عادته التى عرفت بينهم وجربت الكذب والزور وقرى ويقذفون بالغيب على البناء للمفعول اى يأتيهم به شياطينهم ويلقنونهم اياه وان شئت فعلقه بقوله وقالوا آمنا به على انه مثلهم فى طلبهم تحصيل ما عطلوه من الايمان فى الدنيا بقولهم آمنا فى الآخرة وذلك مطلب مستبعد بمن يقذف شيا من مكان بعيد لا مجال للظن فى لحوقه حيث يريد ان يقع فيه لكونه غائبا عنه شاحطا والغيب الشى الغائب ويجوز ان يكون الضمير للعذاب الشديد فى قوله بين يدى عذاب شديد وكانوا يقولون وما نحن بمعذبين ان كان الامر كما تصفون من قيام الساعة والعقاب والثواب ونحن اكرم على الله من ان يعذبنا قايسين امر الآخرة على امر الدنيا فهذا كان قذفا بالغيب وهو غيب مقذوف به من جهة بعيدة لان دار الجزاء لا تقاس على دار التكليف ما يشتهون من نفع الايمان يومئذ والنجاة به من النار والفوز بالجنة او من الرد الى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا نعمل صالحا باشياعهم باشباههم من كفرة الامم ومن كان مذهبه مذهبهم مريب اما من اراب اذا اوقعه فى الريبة والتهمة او من اراب الرجل اذا صار ذا ريبة ودخل فيها وكلاهما مجاز الا ان بينهما فريقا وهو ان المريب من الاول منقول ممن يصح ان يكون مريبا من الاعيان الى المعنى والمريب من الثانى منقول من صاحب الشك الى الشك كما يقول شعر شاعر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم

قدمهم

من قرأ سورة سبأ لم يبق رسول ولا نبي الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصافحا والله أعلم

سورة الملائكة مكية وهي خمس وأربعون آية

بسم الله الرحمن الرحيم فاطر السموات مبتديها ومبتدعها وعن مجاهد
عن ابن عباس رضي الله عنه ما كنت ادري ما فاطر السموات والارض حتى اختصم الي
اعرابيان في بئر فقال احدهما انا فطرتها اي ابتدأتها وقرئ الذي فطر السموات والارض
وجعل الملائكة وقرئ جاعل الملائكة وقرئ بالرفع على المدح رسلا بضم السين وسكونه اولي
اجنحة اصحاب اجنحة واولو اسم جمع لذو كما ان اولاء اسم جمع لذا ونظيرهما في الكلم
المخاض والخلفة مثنى وثلاث ورباع صفات لاجنحة وانما لم تنصرف لتكرر العدل فيها
وذلك انها عدلت عن الفاظ الاعداد عن صيغ الى صيغ اخر كما عدل عمر عن عامر وحذام
عن حاذمة وعن تكرير الى غير تكرير واما
الوصفية فلا تفترق الحال فيها بين المعدول والمعدول عنه الا تراك تقول مررت بنسوة
اربع وبرجال ثلثة فلا يعرج عليها والمعنى ان من الملائكة خلقا اجنحتهم اثنان اثنان اي
لكل واحد منهم جناحان وخلقا اجنحتهم ثلثة ثلثة وخلقا اجنحتهم اربعة اربعة
يزيد في الخلق ما يشاء اي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيته وحكمته والاصل
الجناحان لانهما بمنزلة اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران واعون
عليه **فان قلت** قياس الشفع من الاجنحة ان يكون في كل شق نصفه فما صورة الثلثة
قلت لعل الثالث يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدهما بقوة او لعله لغير الطيران

فقد مر بي في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة اجنحة فجناحان يلفون بهما اجسادهم
وجناحان يطيرون بهما في الامر من امور الله وجناحان مرخيان على وجوههم حياء من الله
وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه رأى جبريل ليلة المعراج وله ستمائة جناح وروي
انه سأل جبريل عليه السلام ان يتراءى له في صورته فقال انك لن تطيق ذلك فقال اني احب ان
تفعل فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فاتاه جبريل في صورته فغشي على رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم افاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى
بين كتفيه فقال سبحان الله ما كنت ارى ان شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو
رأيت اسرافيل له اثنا عشر جناحا جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وان العرش
على كاهله وانه ليتضاءل الاحايين لعظمة الله حتى يعود مثل الوصع وهو العصفور الصغير
وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيد في الخلق ما يشاء هو الوجه الحسن والصوت
الحسن والشعر الحسن وقيل الخط الحسن وعن قتادة الملاحة في العينين والاية مطلقة تتناول
كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتمام في الاعضاء وقوة في البطش و
حصافة في العقل وجزالة في الرأي وجراءة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة في اللسان
ولباقة في التكلم وحسن تأت في مزاولة الامور وما اشبه ذلك مما لا يحيط به
الوصف استعير الفتح للاطلاق والارسال الا ترى الى قوله فلا مرسل له مكان لا فاتح
له يعني اي شيء يطلق الله تعالى من رحمة اي من نعمة رزق او مطر او صحة او امن او غير ذلك
من صنوف نعمائه التي لا يحاط بعددها وتنكير الرحمة للاشاعة والابهام كأنه قال
من اي رحمة كانت سماوية او ارضية فلا احد يقدر على امساكها وحبسها واي شيء
يمسك الله فلا احد يقدر على اطلاقه **فان قلت** لم انث الضمير اولا ثم ذكره وهو راجع

في الحالين لأن الاسم المتضمن معنى الشرط **قلت** هما لغتان الحمل على المعنى وعلى اللفظ
والمتكلم على الخيرة فيهما فانث على معنى الرحمة وذكر على ان اللفظ المرجوع اليه لا تانيث
فيه ولان الاول فسر بالرحمة فحسن اتباع الضمير التفسير ولم يفسر الثاني فترك على اصل التذكير
وقرئ فلا مرسل لها **فان قلت** لا بد للثاني من تفسير فما تفسيره **قلت** يحتمل ان
يكون تفسيره مثل تفسير الاول ولكنه ترك لدلالة عليه وان يكون مطلقا في كل ما يمسكه
من غضبه ورحمته وانما فسر الاول دون الثاني للدلالة على ان رحمته سبقت غضبه
فان قلت فما تقول فيمن فسر الرحمة بالتوبة وعزاه الى ابن عباس رضي الله عنه
قلت ان اراد بالتوبة الهداية لها والتوفيق فيها وهو الذي اراده ابن عباس ان قاله
فمقبول وان اراد انه ان شاء ان يتوب العاصي تاب وان لم يشأ لم يتب فمردود لان الله تعالى
يشاء التوبة ابدا ولا يجوز عليه ان لا يشاءها من بعد امساكه كقوله فمن يهديه من بعد الله
فباي حديث بعد الله اي من بعد هدايته وبعد آياته وهو العزيز الغالب القادر على الارسال
والامساك الحكيم الذي يرسل ويمسك ما تقتضي الحكمة ارساله وامساكه ليس المراد بذكر النعمة
ذكرها باللسان فقط ولكن به وبالقلب وحفظها من الكفران والغمط وشكرها معرفة
حقها والاعتراف بها وطاعة موليها ومنه قول الرجل لمن انعم عليه اذكر ايادي عندك
يريد حفظها وشكرها والعمل على موجبها والخطاب عام للجميع لان جميعهم مغمورون بنعمة الله
وعن ابن عباس يريد يا اهل مكة اذكروا نعمة الله عليكم حيث اسكنكم حرمه ومنعكم من جميع العالم
والناس يتخطفون من حولكم وعنه نعمة الله العافية وقرئ غير الله بالحركات الثلث فالجر
والرفع على الوصف لفظا ومحلا والنصب على الاستثناء **فان قلت** ما محل يرزقكم **قلت**
يحتمل ان يكون له محل اذا اوقعته صفة لخالق وان لا يكون له محل اذا رفعت محل من

خالق

من بعده

خالق باضمار يرزقكم واوقعت يرزقكم تفسيرا له او جعلته كلاما مبتدأ بعد قوله هل من خالق
غير الله **فان قلت** هل فيه دليل على ان الخالق لا يطلق على غير الله عز وجل **قلت**
نعم ان جعلت يرزقكم كلاما مبتدأ وهو الوجه الثالث من الاوجه الثلثة واما على
الوجهين الاخرين وهما الوصف والتفسير فقد تقيد فيهما بالرزق من السماء والارض وخرج
من الاطلاق فكيف يستشهد به على اختصاصه بالاطلاق والرزق من السماء المطر ومن
الارض النبات لا اله الا هو جملة مفصولة لا محل لها من الاعراب مثل يرزقكم في الوجه الثالث
ولو وصلتها كما وصلت يرزقكم لم يساعد عليه المعنى لان قولك هل من خالق آخر سوى الله
لا اله الا ذلك الخالق غير مستقيم لان قولك هل من خالق سوى الله اثبات لله فلو ذهبت
تقول ذلك كنت مناقضا بالنفي بعد الاثبات فاني تؤفكون فمن اي وجه تصرفون عن
التوحيد الى الشرك نعى به على قريش سوء تلقيهم لآيات الله وتكذيبهم بها وسلى رسوله
بان له في الانبياء قبله اسوة ثم جاء بما يشتمل على الوعد والوعيد من رجوع الامور الى حكمه
ومجازاة المكذب والمكذب بما يستحقانه وقرئ ترجع بضم التاء وفتحها **فان قلت**
ما وجه صحة جزاء الشرط ومن حق الجزاء ان يتعقب الشرط وهذا سابق له **قلت**
معناه وان يكذبوك فتأس بتكذيب الرسل من قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك
موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب اعني بالتكذيب عن التأسي **فان قلت** ما معنى
التنكير في رسل **قلت** معناه فقد كذبت رسل اي رسل ذوو اعداد كثيرة واولو آيات
ونذر واهل اعمار طوال واصحاب صبر وعزم وما اشبه ذلك وهذا اسلى له ولحث على
المصابرة وعد الله الجزاء بالثواب والعقاب فلا تغرنكم فلا تخدعنكم الدنيا ولا يذهلنكم
التمتع بها والتلذذ بمنافعها عن العمل للآخرة وطلب ما عند الله ولا يغرنكم بالله الغرور

لا تقولن لكم اعملوا ما شئتم فان الله غفور يغفر كل كبيرة ويعفو عن كل خطيئة والغرور
الشيطان لان ذلك ديدنه وقرى بالضم وهو مصدر غره كاللزوم والنهوك او جمع غار
كقاعد وقعود أخبرنا الله عز وجل ان الشيطان لنا عدو مبين واقتص علينا قصته وما فعل
بابينا آدم عليه السلم وكيف انتدب لعداوة جنسنا من قبل وجوده وبعده ونحن على ذلك
نتولاه ونطيعه فيما يريد منا مما فيه هلاكنا فوعظنا عز وجل بانه كما علمتم عدوكم الذي لا
عدو اعرق في العداوة منه وانتم تعاملونه معاملة من لا علم له بحاله فاتخذوه عدوا في
عقايدكم وافعالكم ولا يوجدن منكم ما يدل الا على معاداته ومناصبته في سركم وجهركم ثم
لخص سر امره وخطا من اتبعه بان غرضه الذي يؤمه في دعوة شيعته ومتبعي خطواته
هو ان يوردهم مورد الشقوة والهلاك وان يكونوا من اصحاب السعير ثم كشف الغطاء
وقشر اللحاء ليقطع الاطماع الفارغة والاماني الكاذبة فبنى الامر كله على الايمان والعمل
وتركهما لما ذكر الفريقين الذين كفروا والذين آمنوا قال لنبيه افمن زين له سوء عمله فرآه حسنا
يعني افمن زين له سوء عمله من هذين الفريقين كمن لم يزين له وكأن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال لا فقال فان الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات
ومعنى تزيين العمل والاضلال واحد وهو ان يكون العاصي على صفة لا تجدي عليه
المصالح حتى يستوجب بذلك خذلان الله اياه وتخليته وشانه فعند ذلك يهيم في الضلال
ويطلق امر النهي ويعتنق طاعة الهوى حتى يرى القبيح حسنا والحسن قبيحا كانما غلب
على وسلب تمييزه ويقعد تحت قول ابي نواس اسقني حتى تراني حسنا عندي القبيح عقله ٢
واذا خذل الله المصممين على الكفر وخلاهم وشانهم فان على الرسول ان لا يهتم بامرهم ولا يلقي
بالا الى ذكرهم ولا يحزن ولا يتحسر عليهم اقتداء بسنة الله في خذلانهم وتخليتهم وذكر الزجاج

ان المعنى

ان المعنى افمن زين له سوء عمله ذهبت نفسك عليهم فحذف الجواب لدلالة فلا تذهب نفسك
عليه او افمن زين له سوء عمله كمن هداه الله فحذف لدلالة فان الله يضل من يشاء ويهدي
من يشاء عليهم حسرات مفعول له يعني فلا تهلك نفسك للحسرات وعليهم صلة تذهب كما
تقول هلك عليه حبا ومات عليه حزنا او هو بيان للمتحسر عليه صلته ويجوز ان يكون حالا
ولا يجوز ان يتعلق بحسرات لان المصدر لا يتقدم عليه صلته
كان كلها صارت حسرات لفرط التحسر كما قال جرير مشق الهواجر لحمهن مع السرى حتى ذهبن
كلاكلا وصدورا يريد رجعن كلاكلا وصدورا اي لم يبق الا كلاكلها وصدورها ومنه قوله
فعلى اثرهم تساقط نفسي حسرات وذكرهم لي سقام وقرى فلا تذهب نفسك ان الله عليم
بما يصنعون وعيدهم بالعقاب على سوء صنيعهم وقرى ارسل الريح **فان قلت**
لم جاء فتثير على المضارعة دون ما قبله وما بعده **قلت** ليحكي الحال التي تقع فيها اثارة
الرياح السحاب وتستحضر تلك الصورة البديعة الدالة على القدرة الربانية وهكذا يفعلون
بفعل فيه نوع تمييز وخصوصية بحال تستغرب او تهم المخاطب او غير ذلك كما قال
تابط شرا باني قد لقيت الغول تهوي بسهب كالصحيفة صحصحان فاضربها بلا دهش
فخرت صريعا لليدين وللجران لانه قصد ان يصور لقومه الحالة التي تشجع فيها ابن عمه
على ضرب الغول كانه يبصرهم اياها ويطلعهم على كنهها مشاهدة للتعجب من جراته على
كل هول وثباته عند كل شدة وكذلك سوق السحاب الى البلد الميت واحياء الارض
بالمطر بعد موتها لما كانا من الدلايل على القدرة الباهرة قيل فسقناه واحييناه معدولا بهما
عن لفظ الغيبة الى ما هو ادخل في الاختصاص وادل عليه والكاف في كذلك في محل الرفع
اي مثل احياء الموات نشور الاموات روي انه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم كيف يحيي الله
الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بوادي اهلك محلا ثم مررت به يهتز خضرا قال

ثم قال كذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق بماء يرسله من تحت
العرش كمني الرجال تنبت منه اجساد الخلائق كان الكافرون يتعززون بالاصنام كما قال
الله عز وجل واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بالسنتهم من غير
مواطاة قلوبهم كانوا يتعززون بالمشركين كما قال الذين يتخذون الكافرين اولياء من دون
المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فان العزة لله جميعا فبين ان لا عزة الا لله ولاوليائه
وقال ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله فلله العزة
جميعا موضعه استغناء به عنه لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا عند صاحبه ومالكه
ونظيره قولك من اراد النصيحة فهي عند الابرار تريد فليطلبها عندهم الا انك اقمت ما يدل
عليه مقامه ومعنى فلله العزة جميعا ان العزة كلها مختصة بالله عزة الدنيا وعزة الآخرة
ثم عرف ان ما تطلب به العزة الايمان والعمل الصالح بقوله اليه يصعد الكلم الطيب
والعمل الصالح يرفعه والكلم الطيب لا اله الا الله عن ابن عباس يعني ان هذه الكلم
لا تقبل ولا تصعد الى السماء فتكتب حيث تكتب الاعمال المقبولة كما قال عز وجل ان كتاب
الابرار لفي عليين الا اذا اقترن بها العمل الصالح الذي يحققها ويصدقها فرفعها واصعدها
وقيل الرافع الكلم والمرفوع العمل لانه لا يقبل عمل الا من موحد وقيل الرافع هو الله تعالى
والمرفوع العمل وقيل الكلم الطيب كل ذكر من تكبير وتسبيح وتهليل وقراءة قرآن ودعاء و
استغفار وغير ذلك وعن النبي صلى الله عليه وسلم هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله اكبر اذا قالها العبد عرج بها الملك الى السماء فحيا بها وجه الرحمن فاذا لم
يكن عمل صالح لم يقبل منه وفي الحديث لا يقبل الله قولا الا بعمل ولا يقبل قولا وعملا الا بنية
ولا يقبل قولا وعملا ونية الا باصابة السنة وعن ابن المقفع قول بلا عمل كثريد بلا دسم وسحاب

بلا

بلا مطر وقوس بلا وتر وقرئ اليه يُصعَد الكلم الطيب على البناء للمفعول واليه يُصعِد الكلم
الطيب على تسمية الفاعل من أصعد والمُصعِد هو الرجل اي يصعد الى الله عز وجل الكلم
الطيب واليه يَصعَد الكلم الطيب وقرئ والعملَ الصالحَ يرفعه بنصب العمل والرافع
الكلم او الله عز وعلا فان قلت مكر فعل غير متعد لا يقال مكر فلان عمله فبم نصب السيئات
قلت هذه صفة للمصدر او لما في حكمه كقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله اصله والذين
مكروا المكرات السيئات او اصناف المكر السيئات وعنى بهن مكرات قريش حين
اجتمعوا في دار الندوة وتداوروا الرأي في احدى ثلاث مكرات يمكرونها برسول الله
صلى الله عليه وسلم اما اثباته او قتله او اخراجه كما حكى الله سبحانه عنهم واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك ومكر اولئك هو يبور يعني ومكر اولئك الذين مكروا
تلك المكرات الثلاث هو خاصة يبور اي يكسد ويفسد دون مكر الله بهم حين اخرجهم من
مكة وقتلهم واثبتهم في قليب بدر فجمع عليهم مكراتهم جميعا وحقق فيهم قوله ويمكرون ويمكر الله
والله خير الماكرين وقوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ازواجا اصنافا او ذكرانا واناثا
كقوله او يزوجهم ذكرانا واناثا وعن قتادة زوج بعضكم بعضا بعلمه في موضع الحال اي
الا معلومة له فان قلت ما معنى قوله وما يعمر من معمر قلت معناه وما يعمر
من احد وانما سماه معمرا بما هو صائر اليه فان قلت الانسان اما معمر اي طويل العمر
او منقوص العمر اي قصيره فاما ان يتعاقب عليه التعمير وخلافه فمحال فكيف صح قوله
وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره قلت هذا من الكلام المتسامح فيه ثقة في تأويله
بافهام السامعين واتكالا على تسديدهم معناه بعقولهم وانه لا يلتبس عليهم احالة الطول
والقصر في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يثيب الله عبدا ولا يعاقبه الا بحق

وما تنعمت بلدا ولا اجتويته الا اقل فيه ثوائي وفيه تاويل اخر وهو انه لا يطول عمر انسان ولا
يقصر الا في كتاب وصورته ان يكتب في اللوح ان حج فلان او غزا فعمره اربعون سنة وان
حج وغزا فعمره ستون سنة فاذا جمع بينهما فبلغ الستين فقد عمر واذا افرد احدهما فلم يتجاوز
به الاربعين فقد نقص من عمره الذي هو الغاية وهو الستون واليه اشار رسول الله صلى الله
عليه وسلم في قوله ان الصدقة والصلة تعمران الديار وتزيدان في الاعمار وعن كعب انه قال
حين طعن عمر رضي الله عنه لو ان عمر دعا الله لاخر في اجله فقيل لكعب اليس قد قال الله اذا
جاء اجلهم فلا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون قال [illegible] وقد قال الله وما يعمر من معمر
وقد استفاض على الالسنة اطال الله بقاك وفسح في مدتك وما اشبهه وعن سعيد بن جبير
يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في اسفل ذلك ذهب يوم ذهب يومان
حتى ياتي على اخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين
سنة والكتاب اللوح عن ابن عباس رضي الله عنه ويجوز ان يراد بكتاب الله علم الله او
صحيفة الانسان وقرئ ولا ينقص على تسمية الفاعل من عمره بالتخفيف ضرب البحرين العذب
والملح مثلين للمؤمن والكافر ثم قال على سبيل الاستطراد في صفة البحرين وما علق بهما من نعمته
وعطائه ومن كل اي ومن كل واحد منهما تاكلون لحما طريا وهو السمك وتستخرجون حلية
وهي اللولو والمرجان وترى الفلك فيه في كل مواخر شواق للماء بجريها يقال مخرت السفينة
الماء ويقال للسحاب بنات مخر لانها تمخر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب
من المخر لانها تسفن الماء كانها تقشره كما تمخره من فضله من فضل الله ولم يجر له ذكر في الاية ولكن
فيما قبلها ولو لم يجر لم يشكل لدلالة المعنى عليه وحرف الرجاء مستعار لمعنى الارادة الا ترى
كيف سلك به مسلك لام التعليل كانما قيل لتبتغوا ولتشكروا والفرات الذي يكسر العطش والسائغ

المري السهل الانحدار لعذوبته وقرئ سيغ بوزن سيد وسيغ بالتخفيف وملح على فعل والاجاج
الذي يحرق بملوحته ويحتمل غير طريقة الاستطراد وهو ان يشبه الجنسين بالبحرين ثم يفضل
البحر الاجاج على الكافر بانه قد شارك العذب في منافع من السمك واللولو وجري الفلك فيه
والكافر خلو من النفع فهو في طريقة قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة
او اشد قسوة ثم قال وان من الحجارة لما يتفجر منه الانهار وان منها لما يشقق فيخرج منه الماء
وان منها لما يهبط من خشية الله ذلكم مبتدا والله ربكم له الملك اخبار مترادفة او والله
ربكم خبران وله الملك جملة مبتداة واقعة في قران قوله والذين تدعون من دونه ما يملكون
من قطمير ويجوز في حكم الاعراب ايقاع اسم الله صفة لاسم الاشارة او عطف بيان وربكم خبرا
لولا ان المعنى ياباه والقطمير لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة عليها ان تدعوا
الاوثان لا يسمعوا دعاءكم لانهم جماد ولو سمعوا على سبيل الفرض والتمثيل لما استجابوا لكم لانهم
لا يدعون ما تدعون لهم من الالهية ويتبرؤن منها وقيل ما نفعوكم يكفرون بشرككم باشراككم
لهم وعبادتكم اياهم يقولون ما كنتم ايانا تعبدون ولا ينبئك مثل خبير ولا يخبرك بالامر مخبر
مثل خبير عالم به يريد ان الخبير بالامر وحده هو الذي يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين
به والمعنى ان هذا الذي اخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما اخبرت به وقرئ
تدعون بالتاء والياء **فان قلت** لم عرف الفقراء **قلت** قصد بذلك ان يريهم انهم لشدة
افتقارهم اليه هم جنس الفقراء وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم
لان الفقر مما يتبع الضعف وكلما كان الفقير اضعف كان افقر وقد شهد الله سبحانه
على الانسان بالضعف في قوله وخلق الانسان ضعيفا وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف
ولو نكر لكان المعنى انتم بعض الفقراء **فان قلت** قد قوبل الفقراء بالغني فما فائدة الحميد

قلت لما أثبت فقرهم إليه وغناه عنهم وليس كل غني نافعاً بغناه إلا إذا كان الغني جواداً
منعماً وإذا جاد وأنعم حمده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحميد ليدل به على أنه الغني
النافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بإنعامه عليهم أن يحمدوه الحميد على ألسنة مؤمنيهم عزيز
ممتنع وهذا غضب عليهم لاتخاذهم له أنداداً وكفرهم بآياته ومعاصيهم كما قال وإن تتولوا
يستبدل قوماً غيركم وعن ابن عباس رضي الله عنه يخلق بعدكم من يعبده لا يشرك به شيئاً الوزر
والوقر أخوان ووزر الشيء إذا حمله والوازرة صفة للنفس والمعنى أن كل نفس يوم القيامة لا تحمل
إلا وزرها الذي اقترفته لا تؤخذ نفس بذنب نفس كما تأخذ جبابرة الدنيا الولي بالولي و
الجار بالجار **فإن قلت** هلا قيل ولا تزر نفس وزر أخرى لم قيل وازرة **قلت** لأن المعنى
أن النفوس الوازرات لا ترى منهن واحدة إلا حاملة وزرها لا وزر غيرها **فإن قلت** كيف
توفق بين هذا وبين قوله وليحملن أثقالهم وأثقالاً مع أثقالهم **قلت** تلك الآية في الضالين
المضلين وأنهم يحملون أثقال إضلال الناس مع أثقال ضلالهم وذلك كله أوزارهم ما فيها
شيء من وزر غيرهم ألا ترى كيف كذبهم الله تعالى في قولهم اتبعوا سبيلنا ولنحمل خطاياكم بقوله
وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء **فإن قلت** ما الفرق بين معنى قوله ولا تزر وازرة وزر
أخرى ومعنى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء **قلت** الأول في الدلالة على عدل الله
في حكمه وأنه لا يؤاخذ نفساً بغير ذنبها والثاني في أن لا غياث يومئذ لمن استغاث حتى
أن نفساً قد أثقلتها الأوزار وبهظتها لو دعت إلى أن يخفف بعض وقرها لم تجب ولم تغث
وإن كان المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ **فإن قلت** إلام أسند كان في
ولو كان ذا قربى **قلت** إلى المدعو المفهوم من قوله وإن تدع مثقلة **فإن قلت**
فلم ترك ذكر المدعو **قلت** ليعم ويشمل كل مدعو **فإن قلت** كيف استقام إضمار العام

ولا يصح

ولا يصح أن يكون العام ذا قربى للمثقلة **قلت** هو من العموم الكائن على طريق البدل
فإن قلت ما تقول فيمن قرأ ولو كان ذو قربى على كان التامة كقوله وإن كان ذو عسرة
قلت نظم الكلام أحسن ملاءمة للناقصة لأن المعنى على أن المثقلة إن دعت أحداً
إلى حملها لا يحمل منه شيء وإن كان مدعوها ذا قربى وهو معنى صحيح ملتئم ولو قلت
ولو وجد ذو قربى لتفكك وخرج من اتساقه والتئامه على أن ههنا ما ساغ أن يستتر له
ضمير في الفعل بخلاف ما أوردته بالغيب حال من الفاعل أو المفعول أي يخشون ربهم غائبين
عن عذابه أو يخشون عذابه غائباً عنهم وقيل بالغيب في السر وهذه صفة الذين كانوا مع
رسول الله من أصحابه فكانت عادتهم المستمرة أن يخشوا الله وهم الذين أقاموا الصلوة و
تركوها مناراً منصوباً وعلماً مرفوعاً يعني إنما تقدر على إنذار هؤلاء وتحذيرهم من قومك وعلى
تحصيل منفعة الإنذار فيهم دون متمرديهم وأهل عنادهم ومن تزكى ومن تطهر بفعل
الطاعات وترك المعاصي وقرئ ومن ازكى فإنما يزكى وهو اعتراض مؤكد لخشيتهم وإقامتهم
الصلوة لأنهما من جملة التزكي وإلى الله المصير وعد للمتزكين بالثواب **فإن قلت** كيف
اتصل قوله إنما تنذر بما قبله **قلت** لما غضب عليهم في قوله إن يشأ يذهبكم أتبعه الإنذار
بيوم القيامة وذكر أهوالها ثم قال إنما تنذر كأن رسول الله صلى الله عليه وسلم أسمعهم ذلك
فلم ينفع فنزل إنما تنذر وأخبر الله تعالى بعلمه فيهم الأعمى والبصير مثل للكافر كما ضرب البحرين والمؤمن
مثلاً لهما وللصنم والله عز وجل والظلمات والنور والظل والحرور مثلان للحق والباطل وما يؤديان
إليه من الثواب والعقاب والأحياء والأموات مثل للذين دخلوا في الإسلام والذين لم يدخلوا
فيه وأصروا على الكفر والحرور السموم إلا أن السموم تكون بالنهار والحرور بالليل والنهار وقيل بالليل
فإن قلت لا المقرونة بواو العاطفة ما هي **قلت** إذا وقعت الواو في النفي قرنت بها

لما كان معنى النفي **فان قلت** هل من فرق بين هذه الواوات **قلت** بعضها ضمت شفعا
الى شفع وبعضها وترا الى وتر ان الله يسمع من يشاء يعني انه قد علم ان الهدايه تنفع فيه ويخذل
من علم انها لا تنفع فيه واما انت فخفي عليك امرهم فلذلك تحرص فيهما لك على اسلام قوم من المخذولين
ومثلك في ذلك مثل من يريد ان يسمع المقبورين وينذرهم وذلك ما لا سبيل اليه ثم قال ان انت الا نذير
اي ما عليك الا ان تبلغ وتنذر فان كان المنذر ممن يسمع الانذار نفع وان كان من المصرين فلا
عليك ويحتمل ان الله يسمع من يشاء انه قادر على ان يهدي المطبوع على قلوبهم على وجه القسر و
الالجاء وغيرهم على وجه الهدايه والتوفيق واما انت فلا حيلة لك في المطبوع على قلوبهم الذين هم
بمنزلة الموتى بالحق حال من احد الضميرين يعني محقا او محقين او صفة للمصدر اي ارسالا مصحوبا
بالحق او صلة لبشيرا ونذيرا على بشيرا بالوعد الحق ونذيرا بالوعيد الحق والامة الجماعة الكثيرة قال الله
تعالى وجد عليه امة من الناس ويقال لاهل كل عصر امة وفي حدود المتكلمين الامة هم المصدقون بالرسول كثرة
دون المبعوث اليهم وهم الذين يعتبر اجماعهم والمراد ههنا اهل العصر **فان قلت** كم من امة
في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام ولم يخل فيها نذير **قلت** اذا كانت اثار النذارة
باقية لم تخل من نذير الى ان تندرس وحين اندرست اثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله محمدا عليه السلام
فان قلت كيف اكتفى بذكر النذير عن البشير في اخر الاية بعد ذكرهما **قلت** لما كانت
النذارة مشفوعة بالبشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لا سيما وقد اشتملت الاية على ذكرها
بالبينات بالشواهد على صحة النبوة وهي المعجزات وبالزبر بالصحف وبالكتاب المنير نحو
التورية والانجيل والزبور لما كانت هذه الاشياء في جنسهم اسند المجيء بها اليهم اسنادا مطلقا
وان كان بعضها في جميعهم وهي البينات وبعضها في بعضهم وهي الزبر والكتاب وفيه مسلاة لرسول
الله صلى الله عليه وسلم الوانها اجناسها من الرمان والتفاح والتين والعنب وغيرها مما يحصر

اوهيابها

٢٤٥

اوهيابها من الحمرة والصفرة والخضرة ونحوها والجدد الخطط والطرائق قال لبيد او مذهب
جدد على الواحه ويقال جدة الحمار للخطة السوداء على ظهره وقد يكون للظبي جدتان مسكيتان
تفصلان بين لوني ظهره وبطنه وغرابيب معطوف على بيض او جدد كانه قيل ومن الجبال
مخطط ذو جدد ومنها ما هو على لون واحد غرابيب وعن عكرمة هي الجبال الطوال السود
فان قلت الغربيب تاكيد للاسود يقال اسود غربيب واسود حلكوك وهو الذي
ابعد في السواد واغرب ومنه الغراب ومن حق التاكيد ان يتبع المؤكد كقولك اصفر فاقع
وابيض يقق وما اشبه ذلك **قلت** وجهه ان يضمر المؤكد قبله ويكون الذي بعده تفسيرا
لما اضمر كقول النابغة والمؤمن العائذات الطير وانما يفعل ذلك التوكيد حيث يدل على المعنى لزيادة
الواحد من طريقي الاظهار والاضمار جميعا ولا بد من تقدير حذف المضاف في قوله ومن الجبال
جدد على معنى ومن الجبال ذو جدد بيض وحمر وسود حتى يؤول الى قولك ومن الجبال
مختلف الوانه كما قال ثمرات مختلفا الوانها ومن الناس والدواب والانعام مختلف
الوانه يعني ومنهم بعض مختلف الوانه وقرئ الوانها وقرا الزهري جدد بالضم جمع جديدة
وهي الجدة يقال جديدة وجدد وجدائد كسفينة وسفن وسفائن وقد فسر بها قول ابي ذؤيب يصف
حمار وحش جون السراة له جدائد اربع وروي عنه جدد بفتحتين وهو الطريق الواضح
المسفر وضعه موضع الطرائق والخطوط الواضحة المنفصل بعضها من بعض وقرئ والدواب
مخففا ونظير هذا التخفيف قراءة من قرا ولا الضالين لان كل واحد منهما فرار من التقاء
الساكنين فحرك ذاك اولهما وحذف هذا اخرهما وقوله كذلك اي كاختلاف الثمرات والجبال
المراد بالعلماء الذين علموه بصفاته وعدله وتوحيده وما يجوز عليه وما لا يجوز فعظموه وقدروه
حق قدره وخشوه حق خشيته ومن ازداد به علما ازداد منه خوفا ومن كان علمه به اقل كان

آمن وفي الحديث اعلمكم بالله اشدكم خشية وعن مسروق كفى بالمرء علما ان يخشى وكفى بالمرء جهلا
ان يعجب بعلمه وقال رجل للشعبي افتني ايها العالم من خشي الله وقيل نزلت في ابي بكر الصديق
رضي الله عنه وقد ظهرت عليه الخشية حتى عرفت فيه فان قلت هل يختلف المعنى
اذا قدم المفعول في هذا الكلام او اخر قلت لا بد من ذلك فانك اذا قدمت اسم الله
واخرت العلماء كان المعنى ان الذين يخشون الله من عباده هم العلماء دون غيرهم واذا عملت
على العكس انقلب المعنى الى انهم لا يخشون الا الله تعالى كقوله ولا يخشون احدا الا الله
وهما معنيان مختلفان فان قلت ما وجه اتصال هذا الكلام بما قبله قلت لما قال
الم تر بمعنى الم تعلم ان الله انزل من السماء ماء وعدد آيات الله واعلام قدرته وآثار صنعته
وما خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته اتبع ذلك انما يخشى الله
من عباده العلماء كانه قال انما يخشاه مثلك ومن على صفتك ممن عرفه حق معرفته
وعلمه كنه علمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم انا ارجو ان اكون اتقاكم لله واعلمكم فان قلت
فما وجه قراءة من قرا انما يخشى الله من عباده العلماء وهو عمر بن عبد العزيز ويحكى عن ابي
حنيفة رضي الله عنهما قلت الخشية في هذه القراءة استعارة والمعنى انما يجلهم
ويعظمهم كما يجل المهيب المخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عباده ان الله
عزيز غفور تعليل لوجوب الخشية لدلالته على عقوبة العصاة وقهرهم واثابة اهل
الطاعة والعفو عنهم والمعاقب المثيب حقه ان يخشى يتلون كتاب الله يداومون
على تلاوته وهي شانهم وديدنهم وعن مطرف رحمه الله هي آية القراء وعن الكلبي ياخذون
بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعملون به وعن السدي هم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي
عنهم وعن عطاء هم المؤمنون يرجون خبر ان والتجارة طلب الثواب بالطاعة وليوفيهم

متعلق

نعاك العالم

٢٤٤

متعلق بلن تبور اي تجارة ينتفي عنها الكساد وتنفق عند الله ليوفيهم بنفاقها عنده اجورهم
وهي ما استحقوه من الثواب ويزيدهم من التفضل على المستحق وان شئت جعلت يرجون
في موضع الحال على وانفقوا اي راجين ليوفيهم اي فعلوا جميع ذلك من التلاوة واقامة الصلاة
والانفاق في سبيل الله لهذا الغرض وخبر ان قوله انه غفور شكور على معنى غفور لهم شكور
لاعمالهم والشكر مجاز عن الاثابة الكتاب القران ومن للتبيين او الجنس ومن للتبعيض مصدقا
حال مؤكدة لان الحق لا ينفك عن هذا التصديق لما بين يديه لما تقدمه من الكتب لخبير بصير
يعني انه خبرك وابصر احوالك فراك اهلا لان يوحي اليك مثل هذا الكتاب المعجز الذي هو
عيار على سائر الكتب فان قلت ما معنى قوله ثم اورثنا الكتاب قلت فيه وجهان
احدهما انا اوحينا اليك القران ثم اورثناه من بعدك اي حكمنا بتوريثه او قال اورثناه وهو
يريد نورثه لما عليه اخبار الله الذين اصطفينا من عبادنا وهم امته من الصحابة والتابعين
وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة لان الله اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم امة وسطا
ليكونوا شهداء على الناس واختصهم بكرامة الانتماء الى افضل رسل الله وحمل الكتاب الذي
هو افضل كتب الله ثم قسمهم الى ظالم لنفسه مجرم وهو المرجى لامر الله ومقتصد هو الذي
خلط عملا صالحا وآخر سيئا وسابق من السابقين والوجه الثاني انه قدم ارساله في كل امة
رسولا وانهم كذبوا رسلهم وقد جاؤهم بالبينات والزبر والكتاب المنير ثم قال ان الذين
يتلون كتاب الله فاثنى على التالين لكتبه العاملين بشرائعه من بين المكذبين بها من سائر
الامم واعترض بقوله والذي اوحينا اليك من الكتاب هو الحق ثم قال ثم اورثنا الكتاب الذين
اصطفينا من عبادنا اي من بعد اولئك المذكورين يريد بالمصطفين من عباده اهل الملة
الحنيفية فان قلت فكيف جعلت جنات عدن بدلا من الفضل الكبير الذي هو السبق

بالخيرات المشار اليه بذلك **قلت** لما كان السبب في نيل الثواب نزل منزلة المسبب
كانه هو الثواب فابدل عنه جنات عدن وفي اختصاص السابقين بعد التقسيم بذكر
ثوابهم والسكوت عن الآخرين ما فيه من وجوب الحذر فليحذر المقتصد وليهلك الظالم لنفسه
حذرا وعليهما بالتوبة النصوح المخلصة من عذاب الله ولا يغتر بما رواه عمر رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له فان شرط
ذلك صحة التوبة لقوله عسى الله ان يتوب عليهم وقوله اما يعذبهم واما يتوب عليهم ولقد
نطق القرآن بذلك في مواضع من استقراها اطلع على حقيقة الامر ولم يعلل نفسه بالخدع
وقرئ سباق ومعنى باذن الله بتيسيره وتوفيقه **فان قلت** لم قدم الظالم ثم المقتصد
ثم السابق **قلت** للايذان بكثرة الفاسقين منهم وغلبتهم وان المقتصدين قليل بالاضافة
اليهم والسابقون اقل من القليل وقرئ جنة عدن على الافراد كانها جنة مختصة بالسابقين
وجنات عدن بالنصب على اضمار فعل يفسره الظاهر اي يدخلون جنات عدن يدخلونها ويدخلونها
على البناء للمفعول ويحلون من حليت المراة فهي حالٍ ولولؤا معطوفا على محل من اساور ومن
داخلة للتبعيض اي يحلون بعض اساور من ذهب كانه بعض سابق لسائر الابعاض كما سبق المسورون
به غيرهم وقيل ان ذلك الذهب في صفاء اللؤلؤ ولولوا بتخفيف الهمزة الاولى وقرئ الحزن
والمراد حزن المتقين وهو ما اهمهم من خوف سوء العاقبة كقوله تعالى انا كنا قبل في اهلنا
مشفقين فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم وعن ابن عباس رضي الله عنه حزن الاعراض
والآفات وعنه حزن الموت وعن الضحاك حزن ابليس ووسوسته وقيل هم المعاش وقيل حزن
زوال النعم وقد اكثروا حتى قال بعضهم كراء الدار ومعناه انه يعم كل حزن من احزان الدين
والدنيا حتى هذا وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس على اهل لا اله الا الله وحشة في قبورهم

ولا في محشرهم ولا في مسيرهم وكاني باهل لا اله الا الله يخرجون من قبورهم وهم ينفضون التراب
عن رؤوسهم ويقولون الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن وذكر الشكور دليل على ان القوم
كثيرو الحسنات المقامة بمعنى الاقامة يقال اقمت اقامة ومقاما ومقامة من فضله من
عطائه وافضاله من قولهم لفلان فضول على قومه وفواضل وليس من الفضل الذي هو التفضل
لان الثواب بمنزلة الاجر المستحق والتفضل كالتبرع وقرئ لغوب بالفتح وهو اسم ما يلغب منه
اي لا نتكلف عملا يلغبنا او مصدر كالقبول والولوع او صفة للمصدر كانه لغوب لغوب كقوله
موت مائت **فان قلت** ما الفرق بين النصب واللغوب **قلت** النصب التعب
والمشقة التي تصيب المنتصب للامر المزاول له واما اللغوب فما يلحقه من الفتور بسبب
النصب فالنصب نفس المشقة والكلفة واللغوب نتيجته وما يحدث منه من الكلال والفترة فيموتوا
جواب النفي ونصبه باضمار ان وقرئ فيموتون عطفا على يقضى وادخالا له في حكم النفي
اي لا يقضى عليهم الموت فلا يموتون كقوله ولا يؤذن لهم فيعتذرون كذلك مثل ذلك الجزاء
نجزي وقرئ يجازى ويجزى كل كفور بالنون يصطرخون يتصارخون يتفعلون من الصراخ
وهو الصياح بجهد وشدة قال الشاعر كصرخة حبلى اسلمتها قبيلها واستعمل في الاستغاثة
لجهد المستغيث صوته **فان قلت** هلا اكتفى بصالحا كما اكتفى به في قوله فارجعنا نعمل
صالحا وما فائدة زيادة غير الذي كنا نعمل على انه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح
الذي عملوه **قلت** فائدة زيادته التحسر على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به
واما الوهم فزائل لظهور حالهم في الكفر وركوب المعاصي ولانهم كانوا يحسبون انهم على
سيرة صالحة كما قال تعالى وهم يحسبون انهم يحسنون صنعا فقالوا اخرجنا نعمل صالحا
غير الذي كنا نحسبه صالحا فنعمله اولم نعمركم توبيخ من الله يعني فنقول لهم وقرئ ما يذكر

فيه من اذكر على الادغام وهو متناول لكل عمر تمكن فيه المكلف من اصلاح شانه وان قصر
الا ان التوبيخ في المتطاول اعظم وعن النبي صلى الله عليه وسلم العمر الذي اعذر الله فيه الى
ابن ادم ستون سنة وعن مجاهد ما بين العشرين الى الستين وقيل ثماني عشرة وسبع عشرة
والنذير الرسول وقيل الشيب وقرئ وجاءتكم النذر **فان قلت** علام عطف وجاءكم
النذير **قلت** على معنى اولم نعمركم لان لفظه لفظ استخبار ومعناه معنى اخبار كانه
قيل قد عمرناكم وجاءكم النذير انه عليم بذات الصدور كالتعليل لانه اذا علم ما في الصدور وهي
اخفى ما يكون فقد علم كل غيب في العالم وذات الصدور مضمراتها وهي تانيث ذو في نحو
قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ذو بطن خارجة جارية وقوله لتغني عني ذا اناءك اجمعا
المعنى ما في بطنها من الحبل وما في اناءك من الشراب لان الحبل والشراب يصحبان البطن
والاناء الا ترى الى قولهم معها حبل وكذلك المضمرات تصحب الصدور وهي معها وذو موضوع
لمعنى الصحبة يقال للمستخلف خليفة وخليف فالخليفة تجمع خلائف والخليف خلفاء والمعنى
انه جعلكم خلفاءه في ارضه قد ملككم مقاليد التصرف فيها وسلطكم على ما فيها واباح لكم
منافعها لتشكروه بالتوحيد والطاعة فمن كفر منكم وغمط مثل هذه النعمة السنية فوبال
كفره راجع عليه وهو مقت الله الذي ليس وراءه خزي وصغار وخسار الاخرة الذي ما بعده
خسار والمقت اشد البغض ومنه قيل لمن ينكح امراة ابيه مقتي لكونه ممقوتا في كل قلب
وهو خطاب للناس وقيل خطاب لمن بعث اليهم رسول الله اي جعلكم امة خلفت من
قبلها امما ورايت وشاهدت فيمن سلف ما ينبغي ان يعتبر به فمن كفر منكم فعليه جزاء كفره من مقت الله
وخسار الاخرة كما ان ذلك حكم من قبلكم اروني بدل من ارايتم لان معنى ارايتم اخبروني كانه
قال اخبروني عن هؤلاء الشركاء وعما استحقوا به الالهية والشركة اروني اي جزء من اجزاء

الارض

الارض استبدوا بخلقه دون الله ام لهم مع الله شركة في خلق السموات ام معهم كتاب من عند الله
ينطق بانهم شركاؤه فهم على حجة وبرهان من ذلك الكتاب او يكون الضمير في اتيناهم للمشركين
كقوله ام انزلنا عليهم سلطانا ام اتيناهم كتابا من قبله بل ان يعد بعضهم وهم الرؤساء بعضا
وهم الاتباع الا غرورا وهو قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله وقرئ بينات ان تزولا كراهة ان تزولا او
يمنعهما من ان تزولا لان الامساك منع انه كان حليما غفورا غير معاجل بالعقوبة حيث
يمسكهما وكانتا جديرتين بان تهدا هدا لعظم كلمة الشرك كما قال تكاد السموات يتفطرن منه
وتنشق الارض وقرئ ولو زالتا وان امسكهما جواب القسم في ولئن زالتا سد مسد الجوابين
ومن الاولى مزيدة لتاكيد النفي والثانية للابتداء من بعده من بعد امساكه وعن ابن عباس
انه قال لرجل مقبل من الشام من لقيت به قال كعبا قال وما سمعته يقول قال سمعته يقول
ان السموات على منكب ملك قال كذب كعب اما ترك يهوديته بعد ثم قرا هذه الاية بلغ
قريشا قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اهل الكتاب كذبوا رسلهم فقالوا لعن الله اليهود
والنصارى اتتهم الرسل فكذبوهم فوالله لئن اتانا رسول لنكونن اهدى من احدى الامم فلما بعث
رسول الله صلى الله عليه وسلم كذبوه وفي احدى الامم وجهان احدهما من بعض الامم ومن واحدة
من الامم من اليهود والنصارى وغيرهم والثاني من الامة التي يقال فيها احدى الامم تفضيلا
لها على غيرها في الهدى والاستقامة ما زادهم اسناد مجازي لانه هو السبب في ان زادوا
انفسهم نفورا عن الحق وابتعادا عنه كقوله فزادتهم رجسا الى رجسهم استكبارا بدل من
نفورا او مفعول له على معنى فما زادهم الا ان نفروا استكبارا وعلوا في الارض او حال بمعنى
مستكبرين وماكرين برسول الله والمؤمنين ويجوز ان يكون ومكر السيء معطوفا على نفورا ۝
فان قلت فما وجه قوله ومكر السيء **قلت** اصله وان مكروا السيء اي المكر السيء ثم

ثم ومكر السيء

ومكر السيء ومكر الدليل عليه قوله ولا يحيق المكر السيء الا باهله ومعنى يحيق يحيط وينزل
وقرى ولا يحيق المكر السيء اى ولا يحيق الله ولو اذ حاق بهم يوم بدر وعن النبي صلى الله عليه
وسلم لا تمكروا ولا تعينوا ماكرا فان الله تعالى يقول ولا يحيق المكر السيء الا باهله ولا تبغوا
ولا تعينوا باغيا يقول الله تعالى انما بغيكم على انفسكم وعن كعب انه قال لابن عباس قرات
في التورية من حفر مغواة وقع فيها قال انا وجدت ذلك في كتاب الله وقرا الاية وفي امثالهم
من حفر لاخيه جبا وقع فيه منكبا وقرا حمزة ومكر السيء باسكان الهمزة وذلك لاستثقاله
الحركات مع الياء والهمزة ولعله اختلس فظن سكونا او وقف وقفة خفيفة ثم ابتدا
ولا يحيق وقرا ابن مسعود ومكرا سيئا سنة الاولين انزال العذاب على الذين كذبوا برسلهم
من الامم قبلهم وجعل استقبالهم لذلك انتظارا له منهم وبين ان عادته التي هي الانتقام من
مكذبي الرسل عادة لا يبدلها ولا يحولها اى لا يغيرها وان ذلك مفعول له لا محالة واستشهد
عليهم بما كانوا يشاهدونه في مسايرهم ومتاجرهم في رحلهم الى الشام والعراق واليمن من
آثار الماضين وعلامات هلاكهم ودمارهم ليعجزه ليسبقه ويفوته بما كسبوا بما اقترفوا
من معاصيهم على ظهرها على ظهر الارض من دابة من نسمة تدب عليها من بني ادم وقيل ما يدب
من بني ادم وغيرهم من ساير الدواب بشوم ذنوبهم وعن ابن مسعود رضي الله عنه كاد
الجعل يعذب في جحره بذنب ابن ادم ثم قرا هذه الاية وعن انس ان الضب ليموت في جحره
هزلا بذنب ابن ادم وقيل يحبس المطر فيهلك كل شيء الى اجل مسمى الى يوم القيمة كان
بعباده بصيرا وعيد بالجزاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرا سورة الملائكة
دعته ثمانية ابواب الجنة ان ادخل من اي باب شئت والله اعلم بالصواب

سورة يس مكية وهي ثلث وثمانون آية

بسم الله

بسم الله الرحمن الرحيم

وقرى يس بالفتح كاين وكيفا وبالنصب على اتل ياسين وبالكسر على الاصل كجير وبالرفع على
هذه ياسين وبالضم كحيث وفخمت الالف واميلت وعن ابن عباس معناه يا انسان في لغة
طي والله اعلم بصحته وان صح فوجهه ان يكون اصله يا انيسين فكثر النداء به على السنتهم
حتى اقتصروا على سطره كما قالوا في القسم م الله في ايمن الله الحكيم ذي الحكمة او لانه دليل ناطق
بالحكمة كالحي او لانه كلام حكيم فوصف بصفة المتكلم به على صراط مستقيم خبر بعد خبر
او صلة للمرسلين **فان قلت** اى حاجة اليه خبرا كان او صلة وقد علم ان المرسلين
لا يكونون الا على صراط مستقيم **قلت** ليس الغرض بذكره ما ذهبت اليه من تمييز
من ارسل على صراط مستقيم عن غيره ممن ليس على صفته وانما الغرض وصفه ووصف
ما جاء به من الشرع فجمع بين الوصفين في نظام واحد كانه قال انك لمن المرسلين الثابتين
على طريق ثابت وايضا فان التنكير فيه دال على انه ارسل من بين الطرق المستقيمة على
صراط مستقيم لا يكتنه وصفه وقرى تنزيل العزيز الرحيم بالرفع على انه خبر مبتدا محذوف
وبالنصب على اعني وبالجر على البدل من القران قوما ما انذر اباؤهم قوما غير منذر اباؤهم على
الوصف ونحوه قوله لتنذر قوما ما اتاهم من نذير من قبلك وما ارسلنا اليهم قبلك من نذير
وقد فسر ما انذر اباؤهم على اثبات الانذار ووجه ذلك ان تجعل ما مصدرية لتنذر قوما
انذار اباؤهم او موصولة منصوبة على المفعول الثاني لتنذر قوما ما انذره اباؤهم من العذاب
كقوله انا انذرناكم عذابا قريبا **فان قلت** اى فرق بين تعلقي قوله فهم غافلون على
التفسيرين **قلت** هو على الاول متعلق بالنفي اى لم ينذروا فهم غافلون على ان عدم انذارهم

هو سبب غفلتهم وعلى الثاني بقوله انك لمن المرسلين لتنذر كما تقول ارسلتك الى فلان لتنذره
فانه غافل او فهو غافل فان قلت كيف يكونون منذرين غير منذرين لمناقضة هذا
ما في الآي الاخر قلت لا مناقضة لان الآي في نفي انذارهم لا في نفي انذار ابائهم واباؤهم
القدماء من ولد اسمعيل وكانت النذارة فيهم فان قلت ففي احد التفسيرين ان اباءهم
لم ينذروا وهو الظاهر فما تصنع به قلت اريد اباؤهم الادنون دون الاباعد القول
قوله لاملان جهنم من الجنة والناس اجمعين يعني تعلق بهم هذا القول وثبت عليهم ووجب
لانهم ممن علم انهم يموتون على الكفر ثم مثل تصميمهم على الكفر وانه لا سبيل الى ارعوائهم
بان جعلهم كالمغلولين المقمحين في انهم لا يلتفتون الى الحق ولا يعطفون اعناقهم نحوه ولا
يطاطئون رءوسهم له وكالحاصلين بين سدين لا يبصرون ما قدامهم ولا ما خلفهم في ان لا
تامل لهم ولا تبصر وانهم متعامون عن النظر في ايات الله فان قلت ما معنى قوله فهي
الى الاذقان قلت معناه فالاغلال واصلة الى الاذقان ملزوزة اليها وذلك
ان طوق الغل الذي في عنق المغلول يكون في ملتقى طرفيه تحت الذقن حلقة فيها راس العمود
نادرا من الحلقة الى الذقن فلا تخليه يطاطئ راسه ويوطئ قذاله فلا يزال مقمحا والمقمح
الذي يرفع راسه ويغض بصره يقال قمح البعير فهو قامح اذا روي فرفع راسه ومنه شهرا
قماح لان الابل ترفع رءوسها عن الماء لبرده فيهما وهما الكانونان ومنه اقتمحت السويق
فان قلت فما قولك فيمن جعل الضمير للايدي وزعم ان الغل لما كان جامعا لليد
والعنق وبذلك يسمى جامعة كان ذكر الاعناق دالا على ذكر الايدي قلت الوجه
ما ذكرت لك والدليل عليه قوله فهم مقمحون الا ترى كيف جعل الاقماح نتيجة قوله فهي الى الاذقان
ولو كان الضمير للايدي لم يكن معنى التسبب في الاقماح ظاهرا على ان هذا الاضمار فيه

ضرب من التعسف وترك الظاهر الذي يدعو المعنى الى نفسه الى الباطن الذي يجفو عنه
ترك للحق الابلج الى الباطل اللجلج فان قلت فقد قرا ابن عباس في ايديهم وابن مسعود في
ايمانهم فهل تجوز على هاتين القراءتين ان تجعل الضمير للايدي وللايمان قلت يابى
ذلك وان ذهب الاضمار المتعسف ظهور كون الضمير للاغلال وسداد المعنى عليه كما
ذكرت وقرئ سدا وسدا بالفتح والضم وقيل ما كان من عمل الناس فبالفتح وما كان من
خلق الله فبالضم فاغشيناهم فاغشينا ابصارهم اي غطيناها وجعلنا عليها غشاوة عن
ان تطمح الى مرئي وعن مجاهد فاغشيناهم فالبسنا ابصارهم غشاوة وقرئ بالعين من العشا
وقيل نزلت في بني مخزوم وذلك ان ابا جهل حلف لئن راى محمدا يصلي ليرضخن راسه فاتاه
وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفع يده انثنت الى عنقه ولزق الحجر بيده حتى فكوه
عنها بجهد فرجع الى قومه فاخبرهم فقال مخزومي اخر انا اقتله بهذا الحجر فذهب فاعمى الله
عينه فان قلت قد ذكر ما دل على انتفاء ايمانهم مع ثبوت الانذار ثم قفاه بقوله انما
تنذر وانما كانت تصح هذه التقفية لو كان الانذار منفيا قلت هو كما قلت ولكن لما كان
ذلك نفيا للايمان مع وجود الانذار وكان معناه ان البغية المرومة بالانذار غير حاصلة وهي
الايمان قفى بقوله انما تنذر على معنى انما تحصل البغية بانذارك من غير هؤلاء المنذرين وهم
المتبعون للذكر وهو القران او الوعظ الخاشون ربهم نحيي الموتى نبعثهم بعد مماتهم عن
الحسن احياؤهم ان نخرجهم من الشرك الى الايمان ونكتب ما اسلفوا من الاعمال الصالحة
وغيرها وما هلكوا عنه من اثر حسن كعلم علموه او كتاب صنفوه او حبيس احبسوه او بناء اثرهم
بنوه من مسجد او رباط او قنطرة او نحو ذلك او سيئ كوظيفة وظفها بعض الظلام على
المسلمين وسكة احدثها فيها تخسيرهم وشيء احدث فيه صد عن ذكر الله من الحان وملاه

وكذلك كل سنة حسنة او سيئة يستن بها ونحوه قوله عز وجل ينبؤا الانسان يومئذ بما قدم
واخر اى قدم من اعماله واخر من اثاره وقيل هي اثار المشائين الى المساجد وعن جابر اردنا
النقلة الى المسجد والبقاع حوله خالية فبلغ ذلك رسول الله فاتانا فى ديارنا وقال يا بنى
سلمة بلغنى انكم تريدون النقلة الى المسجد فقلنا نعم بعد علينا المسجد والبقاع حوله خالية
فقال عليكم دياركم فانما تكتب اثاركم قال فما وددنا حضرة المسجد لما قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن عمر بن عبد العزيز لو كان الله مغفلا شيئا لاغفل هذه الاثار التى تعفيها الرياح ح
والامام اللوح وقرئ ويكتب ما قدموا واثارهم على البناء للمفعول وكل شىء بالرفع واضرب
لهم مثلا ومثل لهم مثلا من قولهم عندى من هذا الضرب كذا اى من هذا المثال وهذه الاشياء
على ضرب واحد اى على مثال واحد والمعنى واضرب لهم مثلا مثل اصحاب القرية اى قل والمثل
الثانى بيان للاول وانتصاب اذ لانه بدل من اصحاب القرية والقرية انطاكية والمرسلون
رسل عيسى صلوات الله عليه الى اهلها بعثهم دعاة الى الحق وكانوا عبدة اوثان ارسل اليهم
اثنين فلما قربا من المدينة رايا شيخا يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار صاحب يس فسالهما
فاخبراه فقال امعكما اية فقالا نشفى المريض ونبرئ الاكمه والابرص وكان له ولد مريض من
سنتين فمسحاه فقام فامن حبيب وفشا الخبر فشفى على ايديهما خلق كثير ورقى حديثهما الى الملك
وقال لهما النا اله سوى الهتنا قالا نعم من اوجدك والهتك فقال حتى انظر فى امركما فتبعهما
الناس وضربوهما وقيل حبسا ثم بعث عيسى شمعون فدخل متنكرا وعاشر حاشية الملك حتى
استانسوا به ورفعوا خبره الى الملك فانس به فقال له ذات يوم بلغنى انك حبست رجلين
فهل سمعت ما يقولانه قال لا حال الغضب بينى وبين ذلك فدعاهما فقال شمعون من ارسلكما
قالا الله الذى خلق كل شىء وليس له شريك فقال صفاه واوجزا قالا يفعل ما يشاء ويحكم

ما يريد

اى اذكر لهم قصة عجيبة قصة اصحاب القرية

١

٢٥١

ما يريد قال وما ايتكما قالا ما يتمنى الملك فدعا بغلام مطموس العينين فدعوا الله حتى انشق له
بصر واخذا بندقتين فوضعاهما فى حدقتيه فكانتا مقلتين ينظر بهما فقال له شمعون ارايت
لو سالت الهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك وله الشرف قال ليس لى عنك سر ان الهنا
لا يبصر ولا يسمع ولا يضر ولا ينفع وكان شمعون يدخل معهم على الصنم فيصلى ويتضرع وهم يحسبون
انه منهم ثم قال ان قدر الهكما على احياء ميت امنا به فدعوا بغلام مات من سبعة ايام
فقام وقال انى ادخلت فى سبعة اودية من النار وانا احذركم ما انتم فيه فامنوا وقال فتحت
ابواب السماء فرايت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن هم قال شمعون
وهذان فتعجب الملك فلما راى شمعون ان قوله قد اثر فيه نصحه فامن وامن معه قوم ومن
لم يؤمن صاح عليهم جبريل عليه السلم صيحة فهلكوا فعززنا فقوينا يقال المطر يعزز الارض اذا لبدها وشدها
وتعزز لحم الناقة وقرئ بالتخفيف من عزه يعزه اذا غلبه اى فغلبنا وقهرنا بثالث وهو شمعون
فان قلت لم ترك ذكر المفعول به **قلت** لان الغرض ذكر المعزز به وهو شمعون
وما لطف فيه من التدبير حتى عز الحق وذل الباطل واذا كان الكلام منصبا الى غرض
من الاغراض جعل سياقه له وتوجهه اليه كان ما سواه مرفوضا مطرحا ونظيره قولك حكم
السلطان اليوم بالحق الغرض المسوق اليه قولك بالحق فلذلك رفضت ذكر المحكوم له و
المحكوم عليه انما رفع بشر ونصب فى قوله ما هذا بشرا لان الا تنقض النفى فلا يبقى لما المشبهة
بليس شبه فلا يبقى له عمل **فان قلت** لم قيل انا اليكم مرسلون اولا وانا اليكم لمرسلون
اخرا **قلت** لان الاول ابتداء اخبار والثانى جواب عن انكار قوله ربنا يعلم جار مجرى
القسم فى التوكيد وكذلك قولهم شهد الله وعلم الله وانما حسن منهم هذا الجواب الوارد على
طريق التوكيد والتحقيق مع قولهم وما علينا الا البلاغ المبين اى الظاهر المكشوف بالايات

الشاهدة لصحته والا فلو قال المدعى والله انى لصادق فيما ادعى ولم يحضر البينة
كان قبيحا تطيرنا بكم تشاءمنا بكم وذلك انهم كرهوا دينهم ونفرت منهم نفوسهم وعادة الجهال
ان يتيمنوا بكل شىء مالوا اليه واشتهوه وآثروه وقبلته طباعهم ويتشاءموا بما نفروا عنه وكرهوه
فان اصابهم نعمة او بلاء قالوا ببركة هذا او بشوم هذا كما حكى الله عن القبط وان تصبهم
سيئة يطيروا بموسى ومن معه وعن مشركى مكة وان تصبهم سيئة يقولوا هذه من عندك ق
قيل حبس عنهم القطر فقالوا ذلك وعن قتادة ان اصابنا شىء كان من اجلكم طايركم معكم وقرى
طيركم اى سبب شومكم معكم وهو كفرهم او اسباب شومكم معكم وهى كفرهم ومعاصيهم وقراء
الحسن اطيركم اى تطيركم وقرى اين ذكرتم بهمزة الاستفهام وحرف الشرط وآان ذكرتم بالف
بينهما بمعنى اتطيرون ان ذكرتم وقرى آان ذكرتم بهمزة الاستفهام وان الناصبة بمعنى اتطيرتم
لان ذكرتم وقرى أَن وإِن بغير استفهام بمعنى الاخبار اى تطيرتم لان ذكرتم او ان ذكرتم
تطيرتم وقرى اين ذكرتم على التخفيف اى شومكم معكم حيث جرى ذكركم واذا شئوم المكان
بذكرهم كانوا احق ان يحل بهم فيه الشوم بل انتم قوم مسرفون فى العصيان فمن ثم اتاكم الشوم لا
قبل رسل الله وتذكيرهم او بل انتم مسرفون فى ضلالكم متمادون فى غيكم حيث تتشاءمون بمن
يجب التبرك به من رسل الله رجل يسعى وهو حبيب ابن اسرائيل النجار وكان ينحت الاصنام
وهو ممن امن برسول الله صلى الله عليه وسلم وبينهما ستماية سنة كما امن به تبع الاكبر وورقة
بن نوفل وغيرهما ولم يومن بنبى احد الا بعد ظهوره وقيل كان فى غار يعبد الله فلما بلغه
خبر الرسل اتاهم واظهر دينه وقاول الكفرة فقالوا او انت تخالف ديننا فوثبوا عليه فقتلوه
وقيل توطوه بارجلهم حتى خرج قصبه من دبره وقيل رجموه وهو يقول اللهم اهد قومى
وقبره فى سوق انطاكية فلما قتل غضب الله عليهم فاهلكوا بصيحة جبريل عليه السلام وعن

رسول الله

رسول الله صلى الله عليه وسلم سباق الامم ثلثة لم يكفروا بالله طرفة عين على بن ابى طالب وصاحب
ياسين ومومن آل فرعون من لا يسالكم اجرا وهم مهتدون كلمة جامعة فى الترغيب
فيهم اى لا تخسرون معهم شيا من دنياكم وتربحون صحة دينكم فينتظم لكم خير الدنيا و
خير الاخرة ثم ابرز الكلام فى معرض المناصحة لنفسه وهو يريد مناصحتهم ليتلطف
بهم ويداريهم ولانه ادخل فى امحاض النصح حيث لا يريد لهم الا ما يريد لروحه ولقد
وضع قوله وما لى لا اعبد الذى فطرنى مكان قوله وما لكم لا تعبدون الذى فطركم الا ترى
الى قوله واليه ترجعون ولولا انه قصد ذلك لقال الذى فطرنى واليه ارجع وقد ساقه
المساق ذلك الى ان قال انى امنت بربكم فاسمعون يريد فاسمعوا قولى واطيعونى فقد نبهتكم
على الصحيح الذى لا معدل عنه ان العبادة لا تصح الا لمن منه مبتداكم واليه مرجعكم
وما ادفع العقول وانكرها لان تستحبوا على عبادته عبادة اشياء ان ارادكم هو بضر
وشفع لكم هولاء لم تنفع شفاعتهم ولم يمكنوا ان يكونوا شفعاء عنده ولم يقدروا على انقاذكم
منه بوجه من الوجوه انكم فى هذا الاستحباب لواقعون فى ضلال ظاهر بين لا يخفى على
ذى عقل وتميز وقيل لما نصح قومه اخذوا يرجمونه فاسرع نحو الرسل قبل ان يقتل فقال
لهم انى آمنت بربكم فاسمعون اى اسمعوا ايمانى تشهدوا لى به وقرى ان يردن الرحمن
بضر بمعنى ان يوردنى ضرا اى يجعلنى موردا للضر لما قتل قيل له ادخل الجنة وعن قتادة
ادخله الله الجنة وهو فيها حى يرزق اراد به قوله بل احياء عند ربهم يرزقون فرحين وقيل
معناه البشرى بدخول الجنة وانه من اهلها **فان قلت** كيف مخرج هذا القول فى علم
البيان **قلت** مخرجه مخرج الاستيناف لان هذا من مظان المسئلة عن حاله عند
لقاء ربه كان قايلا قال كيف كان لقاء ربه بعد ذلك التصلب فى نصرة دينه والتسخى

لوجه بروحه فقيل ادخل الجنة ولم يقل قيل له لانصباب الغرض الى المقول وعظمه لا
الى المقول له مع كونه معلوما وكذلك قال يا ليت قومي يعلمون مرتب على تقدير سؤال سائل
عما وجد من قوله عند ذلك الفوز العظيم وانما تمنى علم قومه بحاله ليكون علمهم بها
سببا في اكتساب مثلها لانفسهم بالتوبة عن الكفر والدخول في الايمان والعمل الصالح
المفضيين باهلهما الى الجنة وفي حديث مرفوع نصح قومه حيا وميتا وفيه تنبيه عظيم على وجوب
كظم الغيظ والحلم عن اهل الجهل والترؤف على من ادخل نفسه في غمار الاشرار واهل البغي والتشمر
في تخليصه والتلطف في افتدائه والاشتغال بذلك عن الشماتة به والدعاء عليه الا ترى
كيف تمنى الخير لقتلته والباغين له الغوائل وهم كفرة عبدة اصنام ويجوز ان يتمنى ذلك ليعلموا
انهم كانوا على خطاء عظيم في امره وانه كان على صواب ونصيحة وشفقة وان عداوتهم
لم تكسبه الا فوزا ولم تعقبه الا سعادة لان في ذلك زيادة غبطة له وتضاعف لذة وسرور
والاول اوجه وفي المكرمين **فان قلت** ما في قوله بما غفر لي ربي ايما هي **قلت**
المصدرية او الموصولة اي بالذي غفره لي من الذنوب ويحتمل ان تكون استفهامية يعني باي
شيء غفر لي ربي يريد به ما كان منه معهم من المصابرة لاعزاز الدين حتى قتل الا ان قولك بم غفر
بطرح الالف اجود وان كان اثباتها جائزا يقال قد علمت بما صنعت هذا اي باي شيء
صنعت وبم صنعت المعنى ان الله كفى امرهم بصيحة ملك ولم ينزل لاهلاكهم جندا من جنود
السماء كما فعل يوم بدر والخندق **فان قلت** وما معنى قوله وما كنا منزلين **قلت**
معناه وما كان يصح في حكمتنا ان ننزل في اهلاك قوم حبيب جندا من السماء وذلك لان الله عز
وجل اجرى هلاك كل قوم على بعض الوجوه دون بعض وما ذلك الا بناء على ما اقتضته الحكمة
واوجبته المصلحة الا ترى الى قوله فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا ومنهم من اخذته الصيحة

ومنهم

ومنهم من خسفنا به الارض ومنهم من اغرقنا **فان قلت** فلم انزل الجنود من السماء يوم بدر
والخندق فقال تعالى فارسلنا عليهم ريحا وجنودا لم تروها بالف من الملائكة مردفين بثلاثة
الاف من الملائكة منزلين بخمسة الاف من الملائكة مسومين **قلت** انما كان يكفي ملك
واحد فقد اهلكت مدائن لوط بريشة من جناح جبريل وبلاد ثمود وقوم صالح بصيحة
منه ولكن الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم بكل شيء على كبار الانبياء واولي العزم
من الرسل فضلا على حبيب النجار واولاه من اسباب الكرامة والاعزاز ما لم يوله احدا فمن
ذلك انه انزل له جنودا من السماء وكانه اشار بقوله وما انزلنا وما كنا الى ان انزال الجنود
من عظائم الامور التي لا يؤهل لها الا مثلك وما كنا نفعله بغيرك ان كانت الا صيحة ان
كانت الاخذة او العقوبة الا صيحة وقرا ابو جعفر المدني بالرفع على كان التامة اي
ما وقعت الا صيحة والقياس والاستعمال على تذكير الفعل لان المعنى ما وقع شيء الا صيحة
ولكنه نظر الى ظاهر اللفظ وان الصيحة في حكم فاعل الفعل ومثلها قراءة الحسن رحمه الله
فاصبحوا لا ترى الا مساكنهم وبيت ذي الرمة وما بقيت الا الضلوع الجراشع وقرا ابن
مسعود الا زقية واحدة من زقا الطائر يزقو ويزقي اذا صاح ومنه المثل اثقل من الزواقي
خامدون خمدوا كما تخمد النار فتعود رمادا قال لبيد وما المرء الا كالشهاب وضوئه
يحور رمادا بعد اذ هو ساطع يا حسرة على العباد نداء للحسرة عليهم كانما قيل لها تعالي
يا حسرة فهذه من احوالك التي حقك ان تحضري فيها وهي حال استهزائهم بالرسل
والمعنى انهم احقاء بان يتحسر عليهم المتحسرون ويتلهف على حالهم المتلهفون او هم
متحسر عليهم من جهة الملائكة والمؤمنين من الثقلين ويجوز ان يكون من الله عز وجل على سبيل
الاستعارة في معنى تعظيم ما جنوه على انفسهم ومحنوها به وفرط انكاره له وتعجبه منه وفي قراءة

من قرأ

يا حسرتا تعضد هذا الوجه لان المعنى يا حسرتي وقرئ يا حسرة العباد على الاضافة اليهم
لاختصاصها بهم من حيث انها موجهة اليهم ويا حسرة على العباد على اجراء الوصل مجرى
الوقف الم يروا الم يعلموا وهو معلق عن العمل في كم لان كم لا يعمل فيها عامل قبلها كانت
للاستفهام او للخبر لان اصلها الاستفهام الا ان معناه نافذ في الجملة كما نفذ في قولك الم يروا
ان زيدا لمنطلق وان لم يعمل في لفظه وانهم اليهم لا يرجعون بدل من كم اهلكنا على المعنى لا
على اللفظ تقديره الم يروا كثرة اهلاكنا القرون من قبلهم كونهم غير راجعين اليهم وعن
الحسن كسر ان على الاستئناف وفي قراءة ابن مسعود الم يروا من اهلكنا والبدل على هذه القراءة
بدل الاشتمال وهذا مما يرد قول اهل الرجعة ويحكى عن ابن عباس انه قيل له ان قوما يزعمون
ان عليا مبعوث قبل يوم القيمة فقال بئس القوم نحن اذن نكحنا نساءه وقسمنا ميراثه وقرئ
لما بالتخفيف على ان ما صلة للتاكيد وان مخففة من الثقيلة وهي متلقاة باللام لا محالة
ولما بالتشديد بمعنى الا كالتي في مسئلة الكتاب نشدتك بالله لما فعلت وان نافية و
التنوين في كل هو الذي يقع عوضا من المضاف اليه كقولك مررت بكل قائما والمعنى ان
كلهم محشورون مجموعون محضرون للحساب يوم القيمة وقيل محضرون معذبون
فان قلت كيف اخبر عن كل بجميع ومعناهما واحد قلت ليس بواحد لان
كلا يفيد معنى الاحاطة وان لا ينفلت منهم احد والجميع معناه الاجتماع وان المحشر يجمعهم
والجميع فعيل بمعنى مفعول تقول حي جميع وجاءوا جميعا وقرئ الميتة بالتشديد اشبع لسلبها
على اللسان واحياها استئناف بيان لكون الارض الميتة آية وكذلك نسلخ ويجوز ان توصف
الارض والليل بالفعل لانه اريد بهما الجنسان مطلقين لا ارض وليل باعيانهما فعوملا معاملة
النكرات في وصفهما بالافعال ونحوه ولقد امر على اللئيم يسبني وقوله فمنه يأكلون قدم

الظرف

٢٥٤

الظرف للدلالة على ان الحب هو الشيء الذي يتعلق به معظم العيش ويقوم بالارتزاق
منه صلاح الانس واذا قل جاء القحط ووقع الضر واذا فقد حضر الهلاك ونزل البلاء و
قرئ وفجرنا بالتثقيل والتخفيف والفجر والتفجير كالفتح والتفتيح لفظا ومعنى وقرئ ثمره بفتحتين
وضمتين وضمة وسكون والضمير لله عز وجل والمعنى ليأكلوا مما خلقه الله من الثمر ومما
عملته ايديهم من الغرس والسقي والآبار وغير ذلك من الاعمال الى ان بلغ الثمر منتهاه و
ابان اكله يعني ان الثمر في نفسه فعل الله وخلقه وفيه آثار من كد بني آدم واصله من ثمرنا
كما قال وجعلنا وفجرنا فنقل الكلام من التكلم الى الغيبة على طريقة الالتفات ويجوز ان
يرجع الى النخيل وترك الاعناب غير مرجوع اليها لانه علم انها في حكم النخيل فيما علق
به من اكل ثمره ويجوز ان يراد من ثمر المذكور وهو الجنات كما قال رؤبة فيها خطوط من
بياض وبلق كانه في الجلد توليع البهق فقيل له فقال اردت كان ذاك ولك ان تجعل
وقرئ عمل ما نافية على ان الثمر خلق الله ولم تعمله ايدي الناس ولا يقدرون عليه الوجه الاول وما
عملت من غير راجع وهي في مصاحف اهل الكوفة كذلك وفي مصاحف اهل الحرمين و
البصرة والشام مع الضمير الازواج الاجناس والاصناف ومما لا يعلمون ومن ازواج
الله لم يطلعهم الله عليها ولا توصلوا الى معرفتها بطريق من طرق العلم ولا يبعد ان يخلق
تعالى من الخلائق الحيوان والجماد ما لم يجعل للبشر طريقا الى العلم به لانه لا حاجة بهم
في دينهم ودنياهم الى ذلك العلم ولو كانت بهم اليه حاجة لاعلمهم بما لا يعلمون كما
اعلمهم بوجود ما لا يعلمون وعن ابن عباس رضي الله عنه لم يسمهم وفي الحديث ما لا عين
رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بله ما اطلعتهم عليه فاعلمنا بوجوده و
اعداده ولم يعلمنا به ما هو ونحوه فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وفي الاعلام بكثرة

ما خلق مما علموا ومما جهلوا مما دل على عظم قدرته واتساع ملكه مسلخ جلد الشاة
اذا كشطه عنها وازاله ومنه سلخ الحية لخرشائها فاستعير لازالة الضوء وكشفه عن
مكان الليل وملقى ظله مظلمون داخلون في الظلام يقال اظلمنا كما تقول اعتمنا وادجينا
لمستقر لها لحد لها مؤقت مقدر تنتهي اليه من فلكها في آخر السنة شبه بمستقر
المسافر اذا قطع مسيره او لمنتهى لها من المشارق والمغارب لانها تتقصاها مشرقا مشرقا
ومغربا مغربا حتى تبلغ اقصاها ثم ترجع فذلك حدها ومستقرها لانها لا تعدوه او لحد
لها من مسيرها كل يوم في مرأى عيوننا وهو المغرب وقيل مستقرها اجلها الذي اقر الله
عليه امرها في جريها فاستقرت عليه وهو آخر السنة وقيل الوقت الذي تستقر فيه و
ينقطع جريها وهو يوم القيمة وقرئ تجري الى مستقر لها وقرأ ابن مسعود لا مستقر
لها اي لا تزال تجري لا تستقر وقرئ لا مستقر لها على ان لا بمعنى ليس ذلك الجري على
ذلك التقدير والحساب الدقيق الذي تكل الفطن عن استخراجه وتتحير الافهام في استنباطه
ما هو الا تقدير الغالب بقدرته على كل مقدور المحيط علما بكل معلوم قرئ والقمر
رفعا على الابتداء او عطفا على الليل يريد ومن آياته القمر ونصبا بفعل يفسره قدرناه
ولا بد في قدرناه منازل من تقدير مضاف لانه لا معنى لتقدير نفس القمر منازل والمعنى
قدرنا مسيره منازل وهي ثمانية وعشرون منزلا ينزل القمر كل ليلة في واحد منها لا يتخطاه
ولا يتقاصر عنه على تقدير مستو لا يتفاوت يسير فيها من ليلة المستهل الى الثامنة والعشرين
ثم يستتر ليلة او ليلتين اذا نقص الشهر وهذه المنازل هي مواقع النجوم التي نسبت اليها العرب
الانواء المستمطرة وهي الشرطين البطين الثريا الدبران الهقعة الهنعة الذراع النثرة
الطرف الجبهة الزبرة الصرفة العوا السماك الغفر الزبانا الاكليل القلب الشولة النعايم البلدة

فان لها كل يوم لها مشرقا الى ستة اشهر ثم يعود على [illegible] المقنطرات

سعد

٢٥٥

سعد الذابح سعد بلع سعد السعود سعد الاخبية فرغ الدلو المقدم فرغ الدلو
المؤخر الرشا فاذا كان في آخر منازله دق واستقوس وعاد كالعرجون القديم وهو عود العذق
ما بين شماريخه الى منبته من النخلة وقال الزجاج هو فعلون من الانعراج وهو الانعطاف
وقرئ العرجون بوزن الفرجون وهما لغتان كالبزيون والبزيون والقديم المحول فاذا
قدم دق وانحنى واصفر فشبه به من ثلثة اوجه وقيل اقل مدة الموصوف بالقدم الحول
فلو ان رجلا قال كل مملوك لي قديم فهو حر او كتب ذلك في وصيته عتق منهم من مضى له
حول واكثر وقرئ سابق النهار على الاصل والمعنى ان الله قسم لكل واحد من الليل والنهار
وآيتيهما قسما من الزمان وضرب له حدا معلوما ودبر امرهما على التعاقب فلا ينبغي للشمس
اي لا يتسهل لها ولا يصح ولا يستقيم لوقوع التدبير على المعاقبة وان جعل لكل واحد من
النيرين سلطان على حياله ان تدرك القمر فتجتمع معه في وقت واحد وتداخله في
سلطانه فتطمس نوره ولا يسبق الليل النهار يعني آية الليل آية النهار وهما النيران ولا
يزال الامر على هذا الترتيب الى ان يبطل الله ما دبر من ذلك وينقض ما الف فيجمع بين
الشمس والقمر ويطلع الشمس من مغربها **فان قلت** لم جعلت الشمس غير مدركة والقمر
غير سابق **قلت** لان الشمس لا تقطع فلكها الا في سنة والقمر يقطع فلكه في شهر وكانت
الشمس جديرة بان توصف بالادراك لتباطؤ سيرها عن سير القمر والقمر خليقا بان
يوصف بالسبق لسرعة سيره وكل التنوين فيه عوض عن المضاف اليه والمعنى وكلهم والضمير
للشموس والاقمار على ما سبق ذكره ذريتهم اولادهم ومن يهمهم حمله وقيل اسم الذرية يقع
على النساء لانهن مزارعها وفي الحديث انه نهى عن قتل الذراري يعني النساء من مثله
من مثل الفلك ما يركبون من الابل وهي سفاين البر وقيل الفلك المشحون سفينة نوح ومعنى حمل
الله

في سورة الانشاء

ذرياتهم فيها انه حمل فيها اباءهم الاقدمين وفي اصلابهم هم وذرياتهم وانما ذكر ذرياتهم
دونهم لانه ابلغ في الامتنان عليهم وادخل في التعجيب من قدرته في حمل اعقابهم الى
يوم القيمة في سفينة نوح ومن مثله من مثل ذلك الفلك ما يركبون من السفن والزوارق
لا صريخ لهم لا مغيث او لا اغاثة يقال اتاهم الصريخ ولا هم ينقذون لا ينجون من الموت بالغرق
الا رحمة منا ولنمتعهم بالحياة الى حين الى اجل يموتون فيه لا بد لهم منه بعد النجاة من موت
الغرق ولقد احسن من قال ولم اسلم لكي ابقى ولكن سلمت من الحمام الى الحمام وقرئ الحين
تعرفهم اتقوا ما بين ايديكم وما خلفكم كقوله افلم يروا الى ما بين ايديهم وما خلفهم من السماء
والارض وعن مجاهد ما تقدم من ذنوبكم وما تاخر وعن قتادة ما بين ايديكم من الوقائع التي
خلت يعني من مثل الوقائع التي ابتليت بها الامم المكذبة بانبيائها وما خلفكم من امر
الساعة لعلكم ترحمون لتكونوا على رجاء رحمة الله وجواب اذا محذوف مدلول عليه بقوله
الا كانوا عنها معرضين وكانه قال واذا قيل لهم اتقوا اعرضوا ثم قال ودابهم الاعراض
عند كل اية وموعظة كانت الزنادقة منهم يسمعون المؤمنين يعلقون افعال الله بمشيته
فيقولون لو شاء الله لاغنى فلانا ولو شاء لاعزه ولو شاء لكان كذا فاخرجوا هذا الجواب
مخرج الاستهزاء بالمؤمنين وبما كانوا يقولونه من تعليق الامور بمشية الله عز وجل
ومعناه انطعم المقول فيه هذا القول بينكم وذلك انهم كانوا دافعين ان يكون الغنى
والفقر من الله لانهم معطلة لا يؤمنون بالصانع وعن ابن عباس كان بمكة زنادقة فاذا
امروا بالصدقة على المساكين قالوا لا والله ايفقره الله ونطعمه نحن وقيل كانوا يوهمون ان الله تعالى
لما كان قادرا على اطعامه ولم يشا اطعامه فنحن احق بذلك نزلت في مشركي قريش حين قال
فقراء اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اعطونا مما زعمتم من اموالكم انها لله يعنون

قوله

٢٥٦

قوله وجعلوا لله مما ذرا من الحرث والانعام نصيبا فيوهم وقالوا لو شاء الله اطعمكم
ان انتم الا في ضلال مبين قول الله لهم او حكاية قول المؤمنين لهم او هو من جملة جوابهم
للمؤمنين قرئ وهم يخصمون بادغام التاء في الصاد مع فتح الخاء وكسرها واتباع الياء
الخاء في الكسر ويختصمون على الاصل ويخصمون من خصمه والمعنى انها تبغتهم وهم في متاجرهم
ومعاملاتهم وساير ما يتخاصمون فيه ويتشاجرون ومعنى يخصمون يخصم بعضهم بعضا او
ياخذهم وهم عند انفسهم يخصمون في الحجة في انهم لا يبعثون ولا يستطيعون ان يوصوا
في شي من امورهم توصية ولا يقدرون على الرجوع الى منازلهم واهاليهم بل يموتون حيث
تبغتهم الصيحة وقرئ الصور بسكون الواو وهو القرن او جمع صورة وحركها بعضهم و
الاجداث القبور وقرئ بالياء ينسلون يعدون بكسر السين وضمها وهي النفخة الثانية و
قرئ يا ويلنا وعن ابن مسعود من اهبنا من هب من نومه اذا انتبه واهبه غيره وقرئ
من هبنا بمعنى اهبنا وعن بعضهم اراد هب بنا فحذف الجار واوصل الفعل وقرئ من بعثنا
ومن هبنا على من الجارة والمصدر وهذا مبتدا وما وعد خبره وما مصدرية او موصولة و
يجوز ان يكون هذا صفة للمرقد وما وعد خبر مبتدا محذوف اي هذا وعد الرحمن او مبتدا
محذوف الخبر اي ما وعد الرحمن وصدق المرسلون حق وعن مجاهد للكفار هجعة
يجدون فيها طعم النوم فاذا صيح باهل القبور قالوا من بعثنا واما هذا ما وعد الرحمن فكلام
الملائكة وعن ابن عباس وعن الحسن كلام المتقين وقيل كلام الكافرين يتذكرون ما سمعوه
من الرسل فيجيبون به انفسهم او بعضهم بعضا **فان قلت** اذا جعلت ما مصدرية كان
المعنى هذا وعد الرحمن وصدق المرسلين على تسمية الموعود والمصدوق فيه بالوعد والصدق
فما وجه قوله وصدق المرسلون اذا جعلتها موصولة **قلت** تقديره هذا الذي وعده الرحمن

وانهم في غفلتهم عنها لا يخطرونها
ببالهم مشتغلين بخصوماتهم

والذي صدقه المرسلون بمعنى والذي صدق فيه المرسلون من قولهم صدقوهم الحديث
والقتال ومنه صدقني سن بكره **فان قلت** من بعثنا من مرقدنا سؤال عن الباعث
فكيف طابقه ذلك جوابا **قلت** معناه بعثكم الرحمن الذي وعدكم البعث وانباكم
به الرسل الا انه جيء على طريقة سيئت بها قلوبهم ونعيت اليهم احوالهم وذكروا كفرهم
وتكذيبهم واخبروا بوقوع ما انذروا به وكانه قيل لهم ليس بالبعث الذي عرفتموه وهو
بعث النائم من مرقده حتى يهمكم السؤال عن الباعث ان هذا هو البعث الاكبر ذو
الاهوال والافزاع وهو الذي وعده الله في كتبه المنزلة على السنة رسله الصادقين ان كانت الا صيحة
واحدة قرئت منصوبة ومرفوعة فاليوم لا تظلم نفس شيئا ان اصحاب الجنة اليوم في شغل
حكاية ما يقال لهم في ذلك اليوم وفي مثل هذه الحكاية زيادة تصوير للموعود وتمكين له في
النفوس وترغيب في الحرص عليه وعلى ما يثمره في شغل في اي شغل وفي شغل لا يوصف وما
ظنك بشغل من سعد بدخول الجنة التي هي دار المتقين ووصل الى نيل تلك الغبطة
وذلك الملك الكبير والنعيم المقيم ووقع في تلك الملاذ التي اعدها الله للمرتضين من عباده
ثوابا لهم على اعمالهم مع كرامة وتعظيم وذلك بعد الوله والصبابة والتفصي من مشاق
التكليف ومضايق التقوى والخشية وتخطي الاهوال وتجاوز الاخطار وجواز الصراط
ومعاينة ما لقي العصاة من العذاب وعن ابن عباس في افتضاض الابكار وعنه في ضرب
الاوتار وعن ابن كيسان في التزاور وقيل في ضيافة الله وعن الحسن شغلهم عما فيه اهل النار
التنعم عما هم فيه وعن الكلبي هم في شغل عن اهاليهم من اهل النار لا يهمهم امرهم ولا يذكرونهم
لئلا يدخل عليهم تنغيص في نعيمهم وقرئ في شغل بضمتين وضمة وسكون وفتحتين
وفتحة وسكون والفاكه والفكه المتنعم المتلذذ ومنه الفاكهة لانها مما يتلذذ به وكذلك

الفكاهة

الفكاهة وهي المزاحة وقرئ فاكهون وفكهون بكسر الكاف وضمها كقولهم رجل حدث
وحدث ونطس ونطس وقرئ فاكهين وفكهين على الحال والظرف مستقر هم يحتمل
ان يكون مبتدا وان يكون تاكيدا للضمير في في شغل وفي فاكهون على ان ازواجهم يشاركهم
في ذلك الشغل والتفكه والاتكاء على الارائك تحت الظلال وقرئ في ظلل والاريكة
السرير في الحجلة وقيل الفراش فيها وقرا ابن مسعود متكئين يدعون يفتعلون من الدعاء
اي يدعون به لانفسهم كقولك اشتوى واجتمل اذا شوى وجمل لنفسه قال لبيد فاشتوى
ليلة ريح واجتمل ويجوز ان يكون بمعنى يتداعونه كقولك ارتموه وتراموه وقيل يتمنون
من قولهم ادع علي ما شئت بمعنى تمنه علي وفلان في خير ما ادعى اي في خير ما تمنى قال
الزجاج وهو من الدعاء اي ما يدعو به اهل الجنة ياتيهم وسلام بدل مما يدعون كانه قال
لهم سلام يقال لهم قولا من جهة رب رحيم والمعنى ان الله يسلم عليهم بواسطة الملائكة
او بغير واسطة مبالغة في تعظيمهم وذلك متمناهم ولهم ذلك لا يمنعونه قال ابن عباس
والملائكة يدخلون عليهم بالتحية من رب العالمين وقيل ما يدعون مبتدا وخبره
سلام بمعنى ولهم ما يدعون سالم خالص لا شوب فيه وقولا مصدر مؤكد لقوله ولهم
ما يدعون سلام اي عدة من رب رحيم والاوجه ان ينتصب على الاختصاص وهو من
مجازه وقرئ سلم وهو بمعنى السلام في المعنيين وعن ابن مسعود سلاما نصب على الحال
اي لهم مرادهم خالصا وامتازوا وانفردوا عن المؤمنين وكونوا على حدة وذلك حين يحشر
المؤمنون ويسار بهم الى الجنة ونحوه قوله تعالى ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون
فاما الذين امنوا وعملوا الصالحات فهم في روضة يحبرون واما الذين كفروا الآية
يقال مازه فامتاز وامتازوا وعن قتادة اعتزلوا عن كل خير وعن الضحاك لكل كافر بيت

من النهار يكون فيه لا يرى ولا يُرى ومعناه ان بعضهم عثار من بعض العهد الوصية وعهد
اليه اذا اوصاه وعهد الله اليهم ما ركز فيهم من ادلة العقل وانزل عليهم من دلائل السمع
وعبادة الشيطان طاعته فيما يوسوس به اليهم ويزينه لهم وقرئ اعهد بكسر الهمزة
وباب فعل كله يجوز في حروف مضارعته الكسر الا في اليا واعهد بكسر الها وقد
جوزه الزجاج ان يكون من باب نعم ينعم وضرب يضرب واحهد بالحا واحد وهي
لغة تميم ومنه قولهم دحا محا هذا اشارة الى ما عهد اليهم من معصية الشيطان و
طاعة الرحمن اذ لا صراط اقوم منه ونحو التنكير فيه ما في قول كثير لئن كان يهدى
برد انيابها العلا لافقر مني انني لفقير اراد انه لفقير بليغ الفقر حقيق بان اوصف به
لكمال شرايطه فيه والا لم يستقم معنى البيت وكذلك قوله هذا صراط مستقيم يريد
صراط بليغ في بابه بليغ في استقامته جامع لكل شرط يجب ان يكون عليه ويجوز ان يراد
هذا بعض الصرط المستقيمة توبيخا لهم على العدول عنه والتفادي عن سلوكه كما يتفادى
الناس عن الطريق المعوج الذي يودي الى الضلالة والتهلكة كانه قيل اقل احوال
الطريق الذي هي اقوم الطرق ان يعتقد فيه كما يعتقد في الطريق الذي لا يضل السالك
كما يقول الرجل لولده وقد نصحه النصح البالغ الذي ليس بعده هذا فيما اظن قول نافع
غير ضار توبيخا له على الاعراض عن نصايحه قرئ جبلا بضمتين وضمة وسكون وضمتين
وتشديدة وكسرتين وكسرة وسكون وكسرتين وتشديدة وهذه لغات في معنى الخلق
وقرئ جبلا جمع جبلة كفطر وخلق وفي قراءة امير المؤمنين علي بن ابي طالب كرم الله وجهه
جيلا واحد الاجيال يروى انهم يجحدون ويخاصمون فيشهد عليهم جيرانهم واهاليهم
وعشايرهم فيحلفون ما كانوا مشركين فحينئذ يختم على افواههم وتكلم ايديهم وارجلهم و

فيقول

٢٥٨

وفي الحديث يقول العبد يوم القيمة اني لا اجيز علي شاهدا الا من نفسي فيختم على فيه ويقال
لاركانه انطقي فتنطق باعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعدا لكن وسحقا فعنكن
كنت اناضل وقرئ يختم على افواههم وتتكلم ايديهم وقرئ ولتكلمنا ايديهم وتشهد بلام
كي والنصب على معنى ولذلك نختم على افواههم وقرئ ولتكلمنا ايديهم ولتشهد بلام
الامر والجزم على ان الله تعالى يأمر الاعضا بالكلام والشهادة الطمس تعفية شق العين حتى
تعود ممسوحة فاستبقوا الصراط او يضمن معنى ابتدروا او يجعل الصراط مسبوقا لا مسبوقا
اليه او ينتصب على الظرف والمعنى انه لو شاء لمسح اعينهم فلو راموا ان يستبقوا
الى الطريق المهيع الذي اعتادوا سلوكه الى مساكنهم والى مقاصدهم المالوفة التي يترددون
اليها كثيرا كما كانوا يستبقون اليه ساعين في متصرفاتهم موضعين في امور دنياهم لم يقدروا
وتعايا عليهم ان يبصروا او يعلموا جهة السلوك فضلا عن غيره او لو شا لاعماهم فلو ارادوا
ان يمشوا مستبقين في الطريق المالوف كما كان ذلك هجيراهم لم يستطيعوا او لو
شا لاعماهم فلو طلبوا ان يخلفوا الصراط الذي اعتادوا المشي فيه لعجزوا ولم يعرفوا
طريقا يعني انهم لا يقدرون الا على سلوك الطريق المعتاد دون ما وراه من سائر الطرق
والمسالك كما ترى العميان يهتدون فيما الفوا وضروا به من المقاصد دون غيرها
على مكانتهم وقرئ على مكاناتهم والمكانة والمكان واحد كالمقامة والمقام اي مسخناهم
مسخا يجمدهم مكانهم لا يقدرون ان يبرحوه باقبال ولا ادبار ولا مضي ولا رجوع واختلف
في المسخ فعن ابن عباس لمسخناهم قردة وخنازير وقيل حجارة وعن قتادة لاقعدناهم على
ارجلهم وازمناهم وقرئ مضيا بالحركات الثلث فالمضي والمضي كالعتي والعتي والمضي
كالصبي ننكسه في الخلق نقلبه فيه فنخلقه على عكس ما خلقناه على ضعف في جسده وخلو

لا يخلو من ان يكون على حذف الجار وايصال الفعل والاصل فاستبقوا الى الصراط

وا

من عقل وعلم كما خلقناه ثم

من عقل وعلم جعلناه يتزايد وينتقل من حال الى حال ويرتقي من درجة الى درجة
الى ان يبلغ اشده ويستكمل قوته ويعقل ويعلم ما له وما عليه فاذا انتهى نكسناه في الخلق
فجعلناه يتناقص حتى يرجع في حال شبيهة بحال الصبي في ضعف جسده وقلة عقله
وخلوه من العلم كما ينكس السهم فيجعل اعلاه اسفله قال عز وجل ومنكم من يرد الى ارذل
العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئا ثم رددناه اسفل سافلين وهذه دلالة على ان من ينقلهم
من الشباب الى الهرم ومن القوة الى الضعف ومن رجاحة العقل الى الخرف وقلة
التمييز ومن العلم الى الجهل بعدما نقلهم خلاف هذا النقل وعكسه قادر على ان يطمس
اعينهم ويمسخهم على مكانتهم ويفعل بهم ما شاء واراد وقرئ بكسر الكاف ونُنكسه وننكّسه
من التنكيس والانكاس افلا تعقلون بالياء والتاء كانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه
وسلم شاعر وروي ان القايل عقبة بن ابي معيط فقيل وما علمناه الشعر اي وما علمناه
بتعليم القران الشعر على معنى ان القران ليس بشعر وما هو من الشعر في شيء واين هو
عن الشعر والشعر انما هو كلام موزون مقفى يدل على معنى فاين الوزن واين التقفية فاين
المعاني التي ينتحيها الشعراء عن معانيه واين نظم كلامهم عن نظمه واساليبه فاذا
لا مناسبة بينه وبين الشعر اذا حققت اللهم الا ان هذا لفظه عربي كما ان ذاك
كذلك وما ينبغي له وما يصح له ولا يتطلب لو طلبه اي جعلناه بحيث لو اراد قرض الشعر
لم يتات له ولم يتسهل كما جعلناه اميا لا يهتدي للخط ولا يحسنه لتكون الحجة اثبت
والشبهة ادحض وعن الخليل كان الشعر احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من كثير من
الكلام ولكن كان لا يتاتى له **فان قلت** فقوله انا النبي لا كذب انا ابن عبد المطلب
وقوله هل انت الا اصبع دميت وفي سبيل الله ما لقيت **قلت** ما هو الا كلام من جنس كلامه

الذي

الذي كان يرمي به على السليقة من غير صنعة فيه ولا تكلف الا انه اتفق ذلك من
غير قصد الى ذلك ولا التفات منه اليه ان جاء موزونا كما يتفق في كثير من انشاءات الناس
من خطبهم ورسايلهم ومحاوراتهم اشياء موزونة ولا يسميها احد شعرا ولا يخطر ببال
المتكلم ولا السامع انه شعر واذا فتشت في كل كلام عن نحو ذلك وجدت الواقع في
اوزان البحور غير عزيز على ان الخليل ما كان يعد المشطور من الرجز شعرا ولما نفى ان
يكون القران من جنس الشعر قال ان هو الا ذكر وقران مبين يعني ما هو الا ذكر من الله
تعالى يوعظ به الانس والجن كما قال ان هو الا ذكر للعالمين وما هو الا قران كتاب سماوي
يقرا في المحاريب ويتلى في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل بما فيه فوز الدارين فكم بينه
وبين الشعر الذي هو من همزات الشياطين لينذر القران او الرسول وقرئ لتنذر
بالتاء ولينذَر من نذِر به اذا علمه من كان حيا اي عاقلا متاملا لان الغافل كالميت
او معلوما منه انه يؤمن فيحيا بالايمان ويحق القول وتجب كلمة العذاب على الكافرين
الذين لا يتاملون ولا يتوقع منهم الايمان مما عملت ايدينا مما تولينا نحن احداثه ولم
يقدر على توليه غيرنا وانما قال ذلك لبدايع الفطرة والحكمة فيها التي لا يصح ان يقدر عليها
الا هو وعمل الايدي استعارة من عمل من يعملون بالايدي فهم لها مالكون اي خلقناها
لهم فملكناها اياهم فهم متصرفون فيها تصرف الملاك مختصون بالانتفاع فيها لا يزاحمون
او فهم لها ضابطون قاهرون من قوله اصبحت لا احمل السلاح ولا املك راس البعير
ان نفرا اي لا اضبط وهو من جملة النعم الظاهرة والا فمن كان يقدر عليها لولا تذليله
وتسخيره لها كما قال القايل يصرفه الصبي بكل وجه ويحبسه على الخسف الجرير وتضربه
الوليدة بالهراوى فلا غير لديه ولا نكير ولهذا الزم الله سبحانه الراكب ان يشكر هذه

النعمة ويسبح بقوله سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وقرئ ركوبهم وركوبتهم
وهما ما يركب كالحلوب والحلوبة وقيل الركوبة جمع وقرئ ركوبهم اي ذو ركوبهم او فمن
منافعها ركوبهم منافع من الجلود والاوبار والاصواف وغير ذلك ومشارب من اللبن
ذكرها مجملة وقد فصلها في قوله وجعل لكم من جلود الانعام بيوتا الاية والمشارب جمع مشرب
وهو موضع الشرب او الشرب اتخذوا آلهة طمعا في ان يتقووا بهم ويعتضدوا بمكانهم
والامر على عكس ما قدروا حيث هم جند لآلهتهم معدون محضرون يخدمونهم ويذبون
عنهم ويغضبون لهم والالهة لا استطاعة بهم ولا قدرة على النصر او اتخذوهم لينصروهم
عند الله ويشفعوا لهم والامر على خلاف ما توهموا حيث هم يوم القيمة جند معدون لهم
محضرون لعذابهم يحملون وقودا للنار وقرئ فلا يحزنك بفتح الياء وضمها من حزنه و
احزنه والمعنى فلا يهمنك تكذيبهم واذاهم وجفاؤهم فانا عالمون بما يسرون من عداوتهم
وما يعلنون وانا مجازوهم عليه فحق مثلك ان يتسلى بهذا الوعيد ويستحضر في نفسه صورة
حاله وحالهم في الآخرة حتى ينقشع عنه الهم ولا يرهقه الحزن **فان قلت** ما تقول فيمن
يقول ان قراءة قارئ انا نعلم بالفتح انتقضت صلاته وان اعتقد ما يعطيه من المعنى
كفر **قلت** فيه وجهان احدهما ان يكون على حذف لام التعليل وهو كثير في القرآن
وفي الشعر وفي كل كلام وقياس مطرد وهذا معناه ومعنى الكسر سواء وعليه تلبية رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان الحمد والنعمة لك كسر ابو حنيفة رضي الله عنه وفتح الشافعي رضي الله عنه
وكلاهما تعليل والثاني ان يكون بدلا من قولهم كانه قيل فلا يحزنك انا نعلم ما يسرون وما
يعلنون وهذا المعنى قائم مع المكسورة اذا جعلتها مفعولة للقول فقد تبين ان تعلق الحزن
بكون الله تعالى عالما وعدم تعلقه لا يدوران على كسر ان وفتحها وانما يدوران على تقديرك فتفطن

ان يبحث بان يقدر معنى التعليل ولا يقدر البدل كما انك تفصل بتقدير معنى التعليل
اذا كسرت ولا تقدر معنى المفعولية ثم ان قدرته كاسرا او فاتحا على ما عظم فيه الخطب
ذلك القائل فما فيه الا نهي رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الحزن على كون الله تعالى عالما
بسرهم وعلانيتهم وليس النهي عن ذلك مما يوجب شيئا الا ترى الى قوله تعالى فلا تكونن
ظهيرا للكافرين ولا تكونن من المشركين ولا تدع مع الله الها آخر وقبح الله عز وعلا انكارهم
البعث تقبيحا لا ترى اعجب منه وابلغ وادل على تمادي كفر الانسان وافراطه في
جحود النعم وعقوق الايادي وتوغله في الخسة وتغلغله في القحة حيث قرره بان عنصره
الذي خلقه منه هو اخس شيء وامهنه وهو النطفة المذرة الخارجة من الاحليل الذي
هو قناة النجاسة ثم عجب من حاله بان يتصدى مثله على مهانة اصله ودناءة اوله
لمخاصمة الجبار وشرز صفحته لمجادلته ويركب متن الباطل ويلج ويمحك ويقول من يقدر
على احياء الميت بعدما رمت عظامه ثم يكون خصامه في الزم وصف له والصقه
به وهو كونه منشأ من موات وهو ينكر انشاءه من موات وهي المكابرة التي لا مطمح
وراءها وروي ان جماعة من كفار قريش منهم ابي بن خلف الجمحي وابو جهل و
العاص بن وائل والوليد بن المغيرة تكلموا في ذلك فقال لهم ابي الا ترون الى ما يقول محمد
ان الله يبعث الاموات ثم قال واللات والعزى لاصيرن اليه ولاخصمنه واخذ
عظما باليا فجعل يفته بيده وهو يقول يا محمد أترى الله يحيي هذا بعد ما رم قال صلى الله
عليه وسلم نعم ويبعثك ويدخلك جهنم وقيل معنى قوله فاذا هو خصيم مبين فاذا هو
بعدما كان ماء مهينا رجل مميز منطيق قادر على الخصام مبين معرب عما في نفسه
فصيح كما قال تعالى او من ينشأ في الحلية وهو في الخصام غير مبين **فان قلت**

لم سمى قوله من يحيي العظام وهي رميم مثلا **قلت** لما دل عليه من قصة عجيبة شبيهة
بالمثل وهو انكار قدرة الله على احياء الموتى او لما فيه من التشبيه لان ما انكر من قبل انما
يوصف الله بالقدرة عليه بدليل النشاة الاولى فاذا قيل من يحيي العظام على طريق الانكار
لان يكون ذلك مما يوصف الله تعالى بكونه قادرا عليه كان تعجيزا لله وتشبيها له بخلقه
في انهم غير موصوفين بالقدرة عليه والرميم اسم لما بلي من العظام غير صفة كالرمة والرفات
فلا يقال لم يؤنث وقد وقع خبر المؤنث ولا هو فعيل بمعنى فاعل او مفعول وقد استشهد
بهذه الاية من يثبت الحياة في العظام ويقول ان عظام الميتة نجسة لان الموت يؤثر فيها
من قبل ان الحيوة تحلها واما اصحاب ابي حنيفة رحمهم الله فهي عندهم طاهرة وكذلك
الشعر والعصب ويزعمون ان الحياة لا تحلها فلا يؤثر فيها الموت ويقولون ان المراد
باحياء العظام في الاية ردها الى ما كانت عليه غضة رطبة في بدن حي حساس وهو بكل
خلق عليم يعلم كيف يخلق لا يتعاظمه شيء من خلق المنشآت والمعادات ومن اجناسها
وانواعها وجلائلها ودقائقها ثم ذكر من بدائع خلقه انقداح النار من الشجر الاخضر مع
مضادة النار الماء وانطفائها به وهي الزناد التي يوري بها الاعراب واكثرها من
المرخ والعفار وفي امثالهم في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار يقطع الرجل منهما غصنين
مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء فيسحق المرخ وهو ذكر على العفار وهي
انثى فتنقدح النار باذن الله وعن ابن عباس ليس من شجرة الا وفيها النار الا العناب
قالوا ولذلك يتخذ منه كذينقات القصارين الاخضر على اللفظ وقرئ الخضراء على المعنى
ونحوه قوله تعالى من شجر من زقوم فمالئون منها البطون فشاربون عليه من الحميم من
قدر على خلق السموات والارض مع عظم شانهما فهو على خلق الاناسي اقدر وفي معناه قوله

لخلق

٢٦١ لخلق السماوات والارض اكبر من خلق الناس وقرئ يقدر وقوله ان يخلق مثلهم يحتمل
معنيين ان يخلق مثلهم في الصغر والقماءة بالاضافة الى السموات والارض او ان يعيدهم
لان المعاد مثل للمبتدا وليس به وهو الخلاق الكثير المخلوقات العليم الكثير المعلومات
وقرئ الخالق انما امره انما شانه اذا اراد شيئا اذا دعاه داعي حكمة الى تكوينه ولا صارف
ان يقول له كن ان يكونه من غير توقف فيكون فيحدث اي فهو كائن موجود لا محالة
فان قلت ما حقيقة قوله ان يقول له كن **قلت** هو مجاز من الكلام وتمثيل
لانه لا يمتنع عليه شيء من المكونات وانه بمنزلة المامور المطيع اذا ورد عليه امر الامر
المطاع **فان قلت** فما وجه القراءتين في فيكون **قلت** اما الرفع فلانها جملة من
مبتدا وخبر لان تقديرها فهو يكون معطوفة على مثلها وهي امره ان يقول له كن واما
النصب فللعطف على يقول والمعنى انه لا يجوز عليه شيء مما يجوز على الاجسام اذا
فعلت شيئا مما تقدر عليه من المباشرة بمحال القدرة واستعمال الالات وما يتبع ذلك
من المشقة والتعب واللغوب انما امره وهو القادر العالم لذاته ان يخلص داعيه
الى الفعل فيتكون فمثله كيف يعجز عن مقدور حتى يعجز عن الاعادة فسبحان تنزيه له مما
وصفه به المشركون وتعجيب من ان يقولوا فيه ما قالوا بيده ملكوت كل شيء هو مالك
كل شيء والمتصرف فيه بمواجب مشيئته وقضايا حكمته وقرئ ملكة كل شيء ومملكة كل شيء
وملكوت كل شيء والمعنى واحد ترجعون بضم التاء وفتحها وعن ابن عباس رضي الله عنه
كنت لا اعلم ما روي في فضائل يس وقراءتها كيف خصت بذلك فاذا انه لهذه الاية قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لكل شيء قلبا وقلب القران يس من قرا يس يريد بها
وجه الله غفر الله له واعطي من الاجر كانما قرا القران اثنتين وعشرين مرة وايما مسلم قرئ

523

عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة املاك يقومون
بين يديه صفوفا يصلون عليه ويستغفرون له يشهدون غسله ويتبعون جنازته
ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايما مسلم قرا يس وهو في سكرات الموت لم يقبض
ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان خازن الجنة بشربة من شراب الجنة يشربها
وهو على فراشه فيقبض ملك الموت روحه وهو ريان ويمكث في قبره وهو ريان
ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبيا حتى يدخل الجنة وهو ريان وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ان في القران سورة تشفع قاريها وتغفر لمستمعها الا وهي سورة يس

ولله الحمد والمنة قد فرغ من هذا الكتاب
بعون الله تعالى

تم المجلد الثالث من كشف والكاتب العبد الضعيف الى رحمة الله تعالى عبد الرحمن عبد العزيز بن عبد الحكم بن عبد الله

في يوم الجمعة حادي عشر مبارك شوال سنة سبع وخمسين وثمانمائة



T.C
İZMİR
HİSAR KÜTÜPH
SAYI
327

Süleymaniye U. Kütüphanesi
İzmir
523/2